

الجزء الرابع

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

(تأليف)

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصْطَفَى البَنَانِ اِيْمِيْنِيْنِيْ اَوْلَادُهْ بِمُصْرَ

حقوق اعادة الطبع محفوظة

محرم سنة ١٣٤٤ - هـ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة الانعام هي مكية ﴾

﴿الاست آيات من قوله تعالى - قل تعالوا أتبعوا ما أحرم ربكم عليكم - الى آخر ثلاث آيات وقوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره - الآية وقوله تعالى - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا - الى آخر الآيتين ويقال انها نزلت جملة واحدة ليلا وكتبوها من ليلتهم غير الآيات الست المستثنيات ﴾
﴿ وهذه السورة ست مقاصد ﴾

المقصد الأول • في اثبات الله بالعلوم الطبيعية واثبات الرسالة ومحاورات شتى مع المعاندين من أول السورة الى قوله وهو الحكيم الخبير

المقصد الثاني • في نظرات الخليل عليه الصلاة والسلام في عوالم السموات وفي الأنبياء من ذريته وما يقع ذلك من قوله - واذا قال ابراهيم - الى قوله تعالى - وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون -

المقصد الثالث • الهجاء الطبيعية العالوية والسفلية من قوله تعالى - ان الله فلق الحلب والنوى - الى قوله - ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون -

المقصد الرابع • بعض صفات الله ومحااجة الجاحدين والرد عليهم من قوله تعالى - وجعلوا لله شركاء الجن - الى قوله تعالى - لا يفلح الظالمون -

المقصد الخامس • الحلال والحرام في الأنعام من قوله - وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا - الى قوله - وهم بربهم يعدلون -

المقصد السادس • بعض المحرمات والهدى والتوبة المقبولة ومضاعفة الحسنات وأنواع من الفضائل وأضدادها من قوله تعالى - قل تعالوا أتبعوا ما أحرم ربكم عليكم - الى آخر السورة

المقصد الأول من هذه السورة قسمان • القسم الأول من أول السورة الى قوله تعالى - ويعلم ما تكسبون - • القسم الثاني من قوله تعالى - وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين - الى قوله - وهو الحكيم الخبير -

(المَقْصِدُ الْأَوَّلُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَعْسِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ *

(التفسير اللفظي لهذا القسم)

(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) تقدم معنى الحمد في سورة الفاتحة ويقول أهل المعاني لفظه
خير ومعناه الأجر أى اجدوا الله وصيغة الخبر هذه المقتضية معنى الأمر أبلغ في البيان من اجدوا ثم بين
المحمود عليه فذكر خلقه للسموات والأرض وجعله للظلمات والنور والجمل بمعنى الخالق أى وخلق الظلمات
والنور فالظلمات كظلمات الليل والكفر والجهل والنور نور الكواكب والشموس والعلم والإيمان (ثم
الذين كفروا) بعد هذا البيان وأن الله مستحق للحمد لهذه النعم العظيمة حمده الحامدون أم لم يحمده
(برهم يعسلون) أى يعملون بالله غيره ويجادلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بأن الله خلق
السموات والأرض والجللة عطف على جلالة الحمد لله (هو الذي خلقكم من طين) أى ابتداء خلق أيكم آدم
منه وهكذا أنتم ترجع أكثر المواد التي تتغذون بها الى عناصر مشبوبة من الطين ولا جرم أن خلق الانسان
أشرف من خلق الطير المذكور في السورة السابقة أنه نفخ فيه عيسى فصار طيرا باذن الله خالق الانسان من
الطين أحق بالعبادة ممن نفخ في صورة الطير من الطين فجى باذن ربه وهذا فيه تفرع للعقول الانسانية
الصغيرة المقلدة التي تعبد المسيح جهالة وغفلة وقوله (ثم قضى أجلا) أى أجل الموت وقوله (وأجل مسمى
عنده) أى أجل القيامة (ثم أنتم تمترون) أى تشكون أو تجادلون من المرية أو المراء (وهو الله في السموات
وفي الأرض) أى وهو المعبود فيهما (يعلم سرركم وجهركم) الجللة خبر ثان والأول لفظ الجللة (ويعلم
ما تكسبون) من خير أو شر انتهى التفسير اللفظي لهذا القسم

اعلم أن هذا المقام يستدعى أن تتصل هذه السورة بما قبلها ولما أخذت أكتب حضر صاحبي الذي كان
يسألني في آخر المائدة وقال ان هذه السورة لا بد أولا من معرفة ربطها بما قبلها * وثانيا قد كنت أنت كتبت
تفسيرا لأول هذه السورة وهو هذا القسم الذي نحن بصدده من أول السورة الى قوله تعالى - ويعلم
ما تكسبون - في محلة الملاجئ العباسية وذكر في محجائب النور المشتقة من الظلمات الدخانية والنفح
وكيف يكون الدخان المزدرى بين الناس متبع الكهرباء تشتق منه فأرجو اثباته هنا لانه يفيدنا عجائب من
هذه الآية التي جمع الله فيها بين الظلمات والنور كما جمعهما في أعمالنا المشاهدة * ثالثا لابد من معرفة سبب
ترتيب هذه الأربعة وهي السموات والأرض والظلمات والنور * وهل للكشف الحديث أثر في هذا الترتيب
واذا كنا نرى الأئمة رضي الله عنهم في سورة المائدة قد أطنبوا في ترتيب أعضاء الضوء حتى ان الشافعي
أوجب الترتيب فيها غسلا لترتيبها في القرآن ذكرنا فن الجهالة أن لا يفكر علماء الاسلام في هذا الزمان في هذه
المذكورات الأربعة ومعلوم أن العلم مقدم على العمل واذا كانت عناية القدماء بالأعمال فلتكن عناية
علماء المستقبل بالعلوم أى العلوم الطبيعية ويقولون لم ذكرت السموات والأرض فالظلمة فالنور كما ذكر
الوجه فاليدان فالرأس فالرجلان * ما السبب في ذلك (فقلت) * أما مناسبة هذه السورة لما قبلها فذلك
أمور * الأول أن المائدة قد كثرت فيها ذكر ما يحصل من الطعام وما يحرم في أول السورة وفي خلاطها وفي
آخرها وسورة الأنعام فيها ذلك كما سيأتي حتى انها سميت باسم الأنعام وهي داخلة في باب الحلال والحرام *

الثاني أن السورة المتقدمة مخنومة بقوله تعالى - لله ملك السموات والأرض وما فيها - والأنعام مستفتحة بقوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - الثالث أن سؤال الله لعيسى ابن مريم في أواخر السورة تضمن توبيخ أهل الكتاب على طاب البراهين التي تكون من قبيل خوارق العادات كالمائدة التي تنزل من السماء وذكر أيضا أن عيسى كان يحيى الموتى وينفخ في الطين فيكون طيرا باذن الله وكأنه قيل له إذا لم يكن طاب انزال المائدة من السماء من الأمور المحموده وقد أئذ الله الحوارين لما طلبوها وذكر هذه لما سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خوارق العادات منه وقيل لهم لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم فإذا لم يكن ذلك محمدا فما العمل لمعرفة الحقائق قال الله بعد ذلك - اقرؤا هذه السكائنات وأخذ يذكر الحمد على خلق السموات وخلق الأرض وجعل الظلمات والنور - وكأنه يقول إذا كنت أنعمت على المسيح أن يخلق طيرا من الطين وينفخ فيه فيكون طيرا باذننا فأنا خلقناكم أنتم من طين والتفكر في الطبيعة أهم من التفكير فيما أنعمت به على عبد من عبادي وهو عيسى فكيف تتركون أيها الناس هذه السموات وهذه الأرض وهذه الظلمات وهذا النور ثم تقولون لأنبيائكم أرونا آيات وعجائب مثل طلبكم مائدة من عيسى ومثل أسئلتكم لمحمد ونحو ذلك فيقول له الرجل من أبي ويلحق آخر في السؤال - وكيف تغضون عيونكم وتصمون آذانكم عن هذه المناظر العجيبة وتطلبون البرهان من المخلوق مع أن الخالق أراكم الآيات فأعرضتم عنها

أيها الناس إن العقول القاصرة والنفوس النائمة والأسم الكاسلة هي التي تذر الآيات الباهرات في الطبيعة وتعلمس ما هو أقل منها بما لا يتناهى من الأنبياء والأنبياء يشيرون إلى الطبيعة وهم مرسلون من عند خالقها ليعرفوكم صنعهم ويعلموكم قدره من فعله وبديع خلقه وكيف تكتفون بمائدة تنزل على عيسى أو طير من طين أمصرت أن ينفخ فيه ومائدتي أوسع مساحة وأبهى نظاما وأجل احكاما وأرقى مأكلا وأنا من الطين خلقت آلافا من الطير والحيوان والانس فمائدتي السموات والأرض لا أرغفة وسمكة وخل وزيتون بل في هذه الأرض ما تشتهيه كل النفوس وما يملأ العيون بهجة وانقلاب حكمة - ولست أقول لكم آمنوا فحسب بل أقول لكم قولوا - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - أي فلتحمدوا الله فضلا عن الاعتراف بقدرته والايان بوجوده فان الايمان في هذا المقام ليس يكفي ذكره بل نطلب منكم أن تحمدوا الله على النعم التي شملتكم والأنوار التي غمرتكم والجمال الذي غشاكم والفضل الذي عمكم ولما كان هذا المقام عظيما ومبدأ سورة الأنعام في مقام سام لأن هذه المسألة من أهم المسائل وهي مسألة المجربات وخوارق العادات والعلاوم الطبيعية والانتقال من دور الأطفال إلى دور الرجال وخلق أمة تكون أرقى من الأمم البائدة ناسب أن يؤتى هنا بالحمد لله

واعلم أنه لم يذكر في القرآن من أوّل إلى هنا الحمد لله إلا في الفاتحة وفي هذا المقام أما الفاتحة فانها أوّل القرآن والحمد ابتدئت لأن الحمد شأنه عظيم وقد وضحت معناه هناك أيضا تاما ولم يعد الحمد بعده إلا هنا يقاظا للنفوس وتحريكا للهمم وترقية للنفوس وتنبيها لها أن تخرج من دور التقليد إلى دور النظر ومن مقام الجهلاء إلى مصاف العلماء ومن دركات الضعفاء إلى درجات الأقوياء ومن صف العلماء إلى مقام الحكماء فالحمد هنا هذه الحكمة المذكور - ألا ترى إلى ماسيأتي في هذه السورة من ذكر نظرات الخليل في النجوم والقمر والشمس - ألا ترى إلى ما بعد ذلك من ذكر فلق الحب والنوى وإخراج الحى من الميت والميت من الحى وفلق الاصباح والاهتداء بالنجوم وانزال الماء من السماء وإخراج الثمرات المتشابهات وغير المتشابهات - أفلا ترى أيها الدكي الفطن أن هذا هو بعينه الآيات البينات الطبيعية الالهية التي أشار إليها بقوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - فإذا كان الحمد في الفاتحة على تربية العالمين فهو أجمالى ولما استأنس العاقل بذلك

أخذ هنا يفصل العالم فذكر السموات التي هي محل الاشراق ومنها اشتقت الأرضون ثم كانت تلك الأرضون تأخذ في الجود شيئاً فشيئاً حتى تصير مظلمة ثم يكون الانسان من الطين و يأخذ في النور والعلم شيئاً فشيئاً حتى يصل الى مبداء الجمال والبهاء وعالم النور والصفاء ثم تعرج روحه نيرة الى عالم النور ولا تزال ترقى من نور الى ما هو أنور منه - وأن الى ربك المنتهى - كما سيأتي ايضاحه في الجواب على السؤال الثالث . فالله هنا يقول هذه الآيات والنعيم هي التي يجب أن تعقلوها ومتى عقلتوها عرفتم محمداً ثم الله لانه خلق السموات والارض هذا ما أردت ذكره في الجواب الأول

﴿ أما الجواب على السؤال الثاني وهو أن أذكر ما كتبه في مجلة الملايحي العباسية في هذا المقام ﴾ فأقول قلت هناك بعد ايراد الآيات من قوله - الحمد لله الذي خلق السموات - الى قوله - ويعلم ما تكسبون - . يقول الله ان الله يستحق الحمد على نعمه الجسيمة وآلائه العظيمة ومنحه الكبيرة حده المأمدون أم لم يحمدا كغيره الناس أم عبده ثم عدد من صنوف نعمه أربع نعم خلق السموات والارض وانشاء الظلمات وانشاء النور فالسماء ذات الكواكب والشمس والقمر والظلمات كثيرة كظلمة الصخر والبحر والكهف والليل كما أن الضلال متنوع الصور متكثر الأشكال بخلاف الهداية فهي الصراط المستقيم والنور كله هاد للناس لا ضلال فيه ولا غرور

وكانه عز وجل يقول الله محمود على هذه الهجائب البديعة أي مستحق الحمد لانه خلقها نعمة على العباد - ثم الذين كفروا بربههم يعدلون . عن الحمد بل يكفرون بنعم الله عز وجل أو يسوون برهم غيره كالاولئان - وكيف يسوون به غيره مما لا يقدر على شيء وهو الذي خلق هذه الهجائب

(س) اذ كرلى مثلين اثنين بحيث يكون المثل شاملاً - لهجائب السموات والأرض - وبدائع الظلمات والنور

(ج) تصور أعظم قصر منيف للملك عظيم . صرقت السقوف مزين الجوانب والاركان - والحيطان والسقف بما لا يرى الا في خزائن الملوك وفيه سرر مرفوعة وأكواب موضوعة وعمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وترى الطنائف (نحو السجاجيد) طويلة الوبر خالية الشعر خلاصة النظر وفي وسط ذلك القصر حجرة بهية جميلة مزخرفة معلقة على بابها ثمان ستائر فالسبعة الاولى فانها ذات ألوان مختلفة فمنها الاحمر ومنها الاصفر ومنها الازرق ومنها النيلي ومنها البرتقالى ومنها الاخضر ومنها البنفسجى فهذه الستائر السبع المختلفة الالوان فانها تتضام وتتداخل وتتهد وتسير ستارة واحدة ذات لون أبيض تسر الناظرين واما الستارة الثامنة فهي سوداء . فيرجع عدد الستائر الى اثنتين بيضاء وسوداء

هذان الساتران يتعاقبان على تلك الحجرة التي في وسط القصر وفي داخلها رجال كثير ونساء فاذا أسدل الستار الاسود ظهر ما في القصر من الحجرات والاركان ونقوش السقف والجواهر المرصعة في اكناه فاتضح بالظلمات ما في القصر من الفرش المرفوعة والاكواب الموضوعة والجواهر المرصعة والدرارى الالامعة واليوافيت البهجة

فاذا أسدل الستار الابيض حجب القصر وما فيه وحجب البياض عن سكان الحجرة كل جمال و بهاء ولم يروا الا النقوش المبدعة واختلاف الالوان في اشعار الطنائف المفروشة تحت الارجل من احرقان وأخضر فاضر وازرق زاهر واصفر فاقع وابيض ناصع فالساتر الابيض يحجب القصر عن سكان الحجرة ويضيء داخلها والساتر الاسود يظلم داخلها ويضيء خارجها .

(س) هذا التمثيل غير معقول وكيف يدون الظلام معطيا الابصار وكيف يكون الضياء حاجبا عن العيون بدائع القصر وغرائب النقش

(ج) أما القصر فهو العالم من السموات والأرض وأما السائر الأسود فهو الليل وأما الأبيض المشكل من سبعة الألوان فهو ضوء النهار وأما منقش السقف ومزوق الجدران والحيطان فهي النجوم وأما الحجارة التي فيها السكان فهي الأرض عليها نوع الإنسان والليل إذا أرسل سدوله ونشر مطارفه السود فإنه يحجب عنا ما اقلت الأرض من الأشياء الجميلة والنقوش البديعة . ويرينا النجوم وضياءها من السيارات الصغيرة والثوابت الكبيرة والمنازل العالية والبروج المشيدة ومن ذابري النجمة القطبية أو بنات نعش أو الفرقدين الساهرين أو الثريا أو السماك الراح إذا حجب الظلام زينة الأرض عن الأنام وطمس نقوشها فبرز جمال العالم في سمائه وزينت بهائه ولا جرم أن الأرض المعبر عنها هنا بالحجارة أصغر من كل نجمة من نجوم السماء والنجوم لانهاية لعددتها ولا احصاء لأجرامها فهذه الكواكب السماوية هي العالم كله ولست نراها إلا في الظلام فاما الضياء النهاري فإنه يحجب عنا العالم كله . ولا يرينا إلا ما تحت أرجلنا وهي الأرض ونقوشها وزينتها من النبات والحيوان والإنسان والبحر والطيور فقد وضع إن الظلمة أضواء من النور وإن النور حجب الابصار . عن رؤية كل ثابت وسيار (س) لقد فهمت ما وصفت ولكني لم أفهم كيف صارت الألوان السبعة لونا واحدا

(ج) إن ما تراه من الضوء المنبسط على الأرض الذي يشع من الشمس إنما هو الألوان السبعة كما وصفنا فالضياء مركب من سبعة ألوان والظلمة واحد بسيط قال كيف تفسر القرآن وتقول بلا برهان قلت ألم ترى قوس قزح الذي يظهر في السماء حين المطر وتراه ذات سبعة ألوان يقابل الشمس أينما كانت فإن كانت في الأفق الشرقي قابلها في الأفق الغربي وإن تبدت في الأفق الغربي بدا ظاهرا في الأفق الشرقي فإن ارتفعت ارتفع وإن انحطت فهو بخدائها تابع لها . أليست تلك الألوان لون الشمس تحلل ألوانا وتظهر للناس عيانا (س) فاضرب لي مثلا أقرب وأنت بمرهان أوضح

(ج) ألم تر البوار المضلع الذي تراه في النجفات المتقدات . ألم تركيب حلال النور في زواياه وصار الضياء الأبيض ألوانا وقد تراه في قطرات الماء المنتثرات في الرشاش ذلك بيان ما عنده سألت وإيضاح ماله طلبت . ألا وإن هذه لمحة من لمحات قوله تعالى - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور -

(س) اضرب لي مثلا يمثل حالنا على الأرض وحال الكواكب الجارية

(ج) إن مثلنا على الغبراء كمثل سمك يجرى في بحر لحي يجرى من فوقه السفن الجاريات في البحر كالجبال فوق سطح الغبراء وما أجهل السمكات بالسفن الجاريات فهكذا حالنا مع الكواكب انهم لي جريين في السماء ولا علم لنا بها إلا كما يعلم السمك من حال المسافرين في السفن الجاريات في البحار

(س) كيف تعرف أن الألوان السبعة ترجع إلى لون واحد ومن أي علم تقف على ذلك

(ج) على المسلمين في أقطار الأرض أن يتعلموا العلوم الطبيعية عليهم أن يفهموا ما ذرأ الله في الأرض والسماء عليهم أن يفهموا الحيوان ويدرسوا النبات ويقفوهوا ما ذرأ الله لهم في العالم من الجمال والبهجة والبهاء ألم تركيب كان معنى الآية التي نحن بصددتها . هكذا الله مستحق الحمد على النعم التي أنعمها على العباد من السموات والأرض والظلمات والنور ومع أنه مستحق الحمد والشكر ترى الذين كفروا بربههم الذي رباهم بهذه النعم يعدلون عن الحمد فيكفرون بنعمه ولا يشكرونه عليها وكيف يشكر المسلمون نعم ربهم إذا جهلواها فالشكر لا يكون على المجهول . ألا فلتعلم هذه العلوم في مدارس الاسلام والاحقت علينا كلمة العذاب

(س) اذن تريد أن تقرأ كل علم مما يقرؤه الغربيون وكأن ديننا يطلبها كلها

(ج) نعم اني أقول بأعلى صوتي مادام المسلمون يجهلون هذه العلوم فانهم عن شكر الله غافلون ولذلك ضرب عليهم الذل خيامه وأوردتهم الجهل موارد الهلكة وسلط عليهم جيرانهم فأحاطوا بهم من كل فيج عميق

فمن نفر الناس عن هذه العلوم فإنه ضال مضل جاهل حقود . هذا كلام الله وهدى شريعة نبيه وهذا حجة الاسلام الغزالي لما شرح باب الشكر في الجزء الرابع من الاحياء ذكر السماء ونجومها والارض وجبالها والسحب وبرقها والرعد وصوته والبرق وضوءه وقال من عرف الله بهن هذه المخوقات وتأمل هذه الكائنات ودرس هذه النظامات فهو الشكور ومثله القطب الشيرازي والفخر الرازي . فهل هؤلاء الاعلام ضالون وأضدادهم ممن يصدقون عن هذه العلوم مهتدون . واذا كان القرآن ونصوص العلماء لا تقنع الجاهلين فهل الجاهلون هم المحقون اللهم ألهم أمة الاسلام وعلم طلاب الدين جلالك وجلالك وارهم محاسن صنعك حتى يقولوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففما عذاب النار

(س) لقد قرر الامام البيضاوي في هذه الآية تفسيرين فهل توضحهما وتأني بمثل آخر عليهما
(ج) التفسيران اللذان ذكرهما الامام البيضاوي يرجعان الى تقدير الاعراب فان جعلنا التقديران نعطف الجملة الثانية على جملة الحمد كان المعنى هكذا الله المستحق الحمد على نعمه المذكورة ثم الذين كفروا بالله الذي رباهم بتلك النعم يعدلون عن حمده ولا يشكرونه وان عطف على جملة خلق صار المعنى هكذا الحمد لله الذي خلق ما ذكر ثم الذين كفروا يسوون برهم الذي خلق ذلك غيره من الأوثان التي لا تخلق ويكون أول التفسيرين كقوله تعالى - ان الله لنوفض على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - وعلى التأويل الثاني كقوله - أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون -

(س) ففرب لي مثل نعمة الله التي نجعلها وكيف يكون الجاهل مانعا من الشكر وكيف تكون العلوم التي يدرسها التلاميذ في أوروبا شكر الله عز وجل فبين هذا بمثال محسوس مشاهد في المنازل ودع السماء ونجومها والشمس وقرها والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فقد تكرر على أسماعنا وتوالت على عقولنا
(ج) هل تعرف الفحم الحجري والفحم البلدي وهل شاهدت الدخان المتصاعد منهما المدنس للثياب المسود للفرش الذي يظلم المكان وتدمع منه العينان . أخير هو أم شر . فقال بل شر قلت ان ذلك الدخان المنبعث عن الفحم الحجري نعمة من الله كبرى على العلماء ومصيبة على الجهلاء فان هذه الظلمة المغشية للمنازل المدنسة للثياب ذات الرائحة الكريهة والمنظر القبيح تعطى للناس نورا وتصبغ الثياب بأجمل الألوان وتولد الكهرباء وتدير الدولاب وتسوق القطار كما يسوقه البخار . وتسير السفن في البحار وقطرات الترام في شوارع الاسكندرية والقاهرة فتعجب كيف أبدع الله النور والظلمة وسواءهما وأحكمهما بحيث اتخذ النور من الظلمة والحركة من السكون والجمال من القبح ان الله لنوفض على الناس ولكن أكثر المسلمين نائمون

(س) هذا خارج عن المعقول وكيف صار الدخان نورا أوضح لي هذا المثل
(ج) اعلم أن الله عز وجل أدهش العقول بهجائب حكمه وبدائع صنعه وجعل هذا الفحم الذي تراه في بيوتنا على أربعة أنواع الحجري والعظمي والنباتي والطبيعي المسمى فحم الجرافيت . وهذه الأنواع الفحمية كلها من نوع الظلمات . وهناك فحم آخر يسمى فحم المعوجات وهو الذي يتخذ مما يتراكم من الدخان المستطير من الفحم الحجري حين احتراقه المتصاعد الى أعلى فيتخذ ويحصر ويضغط عليه ويجعل أشكالا مستطيلات وهذه هي المسماة فحم المعوجات . فاذا أخذت قطعة من تلك وألبست من أعلاها بقطعة نحاس سميت العمود النحاسي فاذا وضع ذلك العمود النحاسي في إناء من الفخار الذي كثرت مساقه ووضع ذلك في بطارية ثم أتى بعمود من الزنك الذي يسميه علماء الكيمياء بالخنارصين ويسميه العامة بالتوتيا وهو الذي يتخذ منه الأدلاء (جمع دلو) التي يستقي بها المسماة (جرادل) فيحصل عندها الآن العمود النحاسي وعمود التوتيا الموضوعان في البطارية ثم يوتى بملح النوشادر الذي يبيض به المبيضون ويذاب في الماء ثم يوضع ذلك

الماء المنساب فيه ملح النوشادر في البطارية فتحلل أجزاء من التوتيا ويحلل الماء كذلك الى أوكسجين وأودروجين ويحصل تفاعل ما بين الفحم وما أحاط به من المركبات الجديدة فيتولد تيار كهربائي ما بين الموجب وهو هود المنحاس أو فحم المعوجات وبين السالب وهو الزنك . فالخلاصة أن دخان الفحم الحجري المضغوط الذي سمي فحم المعوجات اذا وضع في بطارية وقرن بقطعة من الزنك وجيء بهما بماء منساب فيه ملح النوشادر فان الله عز وجل يولد بين تلك الأشياء الآتفة كهرباء . فتعجب كيف كان دخان الفحم المظلم مشرق الأنوار ومولد الأضواء وبحرى العربات ومسير السفن والقطارات وسائق الترام وموقد البيوت وشارح الصدور وضارب أجراس المصرة (التلفون)

(س) مامعنى قولك كهرباء

(ج) انها مثل ما يحصل للفلاح حين يغثر على سمك يسمى (أبا الرعاش) فهذا السمك يحدث حالة في جسم الذي يصطاده فهذه كالكهرباء

(س) كيف يحدث الدخان ضوءاً وهو ظلمة

(ج) ان الفحم الحجري اذا أحرق بالنار في إناء عظيم تطير دخانا فيستقر بهاونه في ماء كما يمر دخان مدخن الحشيشة في ذلك الذي يسمونه (الجوزة) فاذا صر من ذلك الماء رسب فيه القطران وصر خالص الدخان الى ماء آخر ثم آخر حتى يصير دخانا صافيا تاما وماتخلف في تلك المياه فانه يعطي أصباغا من أحمر وأصفر وغيرها حتى أوصلها بعض الألمانين الى ألفي لون وأما الدخان الصافي فانه يمر في الأنابيب متجها الى الشوارع والمنازل وتجعل له منافذ في المكفة المراد إيقادها فتى لمست بالنار اشتعلت وذلك المسمى (غاز الاستصباح) الذي نستنفس به في شوارع القاهرة والاسكندرية وذلك غير ضوء الكهرباء التي شرحناها فانها تولد النار والضوء والحرارة والحركة

(س) عرفت فحم المعوجات والفحم الحجري وكيف ولدت الكهرباء منهما وكيف كانا مصدرين للأضواء والألوان فما فائدة الفحم العظمى والنباتى والجرافات

(ج) الفحم العظمى هو المتخذ من العظام المحرقة ومن خواصه سلب ألوان السوائل المارة به حتى ان الخيل الأحمر اذا تخلله سلب لونه . والفحم النباتى المتخذ من الأشجار يذهب بالعفونة وله منافع أخرى ليس كلامنا فيها فان الكلام في تفسير قوله تعالى - وجعل في الظلمات والنور - وهكذا ليس لنا أن نشرح فحم الجرافات الذي خلقه الله عز وجل في الجبال كهيئة صفائح وجعله نافعا للكتابة وهو الذي يسمى بعد وضعه في خشب الدر دار (أقلام الرصاص) على أن الفحم العظمى والفحم النباتى يصلحان لما يصلح له الفحم الحجري من إحداث الأضواء واسكنه هو المستعمل النافع . ومن عجب أن الماس من الفحم حتى ان العالم (دافى) ضغط على الكربون الخالص فصار ماسا وحل الماس فرجع الى كربون . أليس من العجب أن يكون الفحم منبع الكهرباء والنور والحركة وأن يصير ماسا تحسلى به الغايات ويجعل ذخيرة في الخزائن فما أجل العلم وما أعجب الحكمة . فمن ذا الذي يعلم هذا ولا يأخذه العجب كل مأخذ من الجهل الفاضح الذي حل بنا معشر المسلمين يقول الله عز وجل - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - يقول انه أهل للحمد على هذه النعم والذين كفروا يعدلون عن الحمد على أحد التفسيرين ونحن غافلون من حكمه في عجائب صنعه فاذا جهلنا نعمة الدخان فكيف نشكره تعالى عليه . اللهم علم أمتنا وأهلنا الحكمة اللهم إني بريء ممن يصدون عن العلوم اللهم انى أعجب هذه الأنوار الناجية من تلك الظلمات . أتعجب كيف جعلت النور من الدخان . كيف أدركت الدولاب بالكهرباء الناجية من الدخان وهو فحم المعوجات . أتعجب كيف خلقت الماس من الفحم . اللهم انك أعزرت قوما بالعلم وأذلت قوما بالجهل

بالجهل اللهم ألهمنا العلم والحكمة إنك أنت السميع العليم . فهذه جوهرة من جواهر بحور أنوار أسرار
قوله تعالى - وجعل الظلمات والنور - وهبة من نسمائها ونفحة من نفحاتها وسر من أسرارها . اللهم
ألهمنا العلم والحكمة وأدق أمتنا الإسلامية حلاوة العلم كما أذقتها حرارة الجهل وألها دجات العز كما نزلت
لسوء طالعها في دركات الجهل إنك سميع عليم

﴿ الآية الثانية والثالثة ﴾

(هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تموتون وهو الله في السموات وفي
الأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون)

أثبت الله عز وجل فيما تقدّم وحدانيته بما أبان من خلق السموات والأرض وما أوقد من النور المنبجج
وما أرنخى على الكون من ستائر الظلمات في جنح الظلام فأورد في هذه الآية دلائل البعث بما صدى من الحق
وما أراح من الشك وأبان من السلطان والحجة والبرهان إذ يقول - هو الذي خلقكم من طين - فان أصلكم
وهو آدم منه وأنتم يا بني آدم من التراب خلقتكم . ألا ترون إلى أجسامكم كيف كانت من العناصر الأرضية
مركبة وكيف لا وأنتم تعتدون بما أنبتت الأرض مما حلت على ظهرها من كل نابتة أنفدت عروقها في بطنها
فاخضرت واستوت على ساقها وازينت . النبات إنما ترعرع ونما بما سقى اليه من الهواء وما أوتي من
الماء وأتمم من العناصر الأرضية وليس للحيوان إلا النبات والمخلوقات العامة من الماء والهواء الخ فليس جسم
الإنسان غريبا عن هذا العالم فهو من ذلك كله ركب ونظم على أعجب نظام وأبدع اتقان . ومن ذا الذي
يذكر عناصر الجسم الإنساني ونظامه وتركيبه ثم لا يتعجب كيف ضم عناصرها إلى عنصر وهواء إلى ماء
وفسفورا إلى حديد ورملا إلى جير فجمعهنّ عز وجل بمقدار وسوّهنّ بحسبان ووزنهنّ بميزان . الإنسان
طين يمشي وجاد يتحرك وموات يعقل . جسمك مركب مما تدوسه بقدمك وتأكله بفمك وتستنشق
بأنفك من الأرض والغذاء والهواء . أنت تعقل وتفكر وتصوّر العالم في عقلك تزن الدنيا والآخرة بفطنتك
وذكائك . ثم إذا حلت جسمك ألفتة مما تعاقبه الأنفس ولا تلم به الأعين ففي العظم فسفور وجير وفي
العين رمل مصنوع مع مواد أخرى تكوّن الجسم الزجاجي فيها كما يفعل الزجاجيون ولولا الحديد ما صلح الدم
الحيواني . لا ينطق الرمل كلا ولا الجير ولا الحديد ولما اجتمعت وانتظمت هي وغيرها وتآلفت واتحدت
أحدث الله فيها سرّه المصون وعلمه المكنون ونفخ الروح وأنزل العلم وقال إني جاعل في الأرض خليفة
ومن ذا الذي جعل مقرّ الشهوة في المعدة وما تحتها ثم أحل آثار الغضب في القلب إذ يحتاج ساكنه ويغلي
مرجله ويحمي وطيسه إذا ما أغضب الإنسان وكيف جعل العقل مستقرّا في الدماغ . تراب وماء وهواء
وعناصر شتى اتحدت معا فكان أعلاها للملك ودولته وأعوانه من سمع وبصر وذوق وشم فالعقل هو الملك
الأعلى وله المكان الأعلى (وهي الرأس) فأما القلب فستوى الغضب ومثار الدم ومصدره ومورده . ولقد
تجلى للعالماء والحكماء فضل العقل على القوة الغضبية وهي أعلى من قوة الشهوة . فتعجب كيف كان الأعلى
لأعلاها والأوسط لأوسطها فأما الأدنى فهو أجدر بالشهوات وتعاطي الماديات المغذيات من المواد الأرضية
فستقرّها المعدة والأمعاء ثم كيف نظمت الأعضاء وكوّنت العضلات . أليس هذا كله من العجائب وكيف
يكون طول كل إنسان ثمانية أشبار بشبره وإذا مدّ يديه إلى أعلى كان طوله عشرة أشبار وتكون سرّته
إذ ذاك في وسطه بحيث أنك لو قسمت من أسفل القدم إلى السرة ومنها إلى أصابع يديك الممدودتين لكان كل
جزء خمسة أشبار وإذا مدّ يديه إلى الجانبين على طول الباع كان طوله كعرضه وكل ثمانية أشبار . ذلك
كله من الطين المركب . ذلك العجب في صميم الإنسان وجسم الإنسان مركب من عناصر الأرض والماء
والهواء والمعادن وهي لا تعقل ولا تحس ولا تبصر فلما اجتمعت نظمت بأبدع نظام وقسمت وربّت وهندست

وجعلت بقياس بحيث صار طول الوجه كطول القدم شبر وربيع بشبر الانسان اذا اعتدلت خلقته واستقامت في سائر ما تقدم ثم تحركت ونطقت وعقلت ودبرت النفس والمنزل والمدينة وربما أدارت ادارة الكرة الأرضية وهي كما تعلم عناصر مبسوثة وأجزاء ملقاة فمن ذا الذي كوّنهما ونظمها وهندسها وأنطقها وسوّاها وعلمها وألهمها فجورها وتقواها نعم هو الله فهذا كله داخل في قوله تعالى - هو الذي خلقكم من طين - ومعنى قوله - ثم قضى أجلا - قدر لكل امرئ وقتا يموت فيه ويطلق الأجل على مدة الحياة ما بين نفخ الروح والموت وقوله وأجل مسمى عنده هو أجل القيامة أو المدة ما بين الموت والبعث وعلى ذلك يصير المعنى هكذا استدلالا على البعث هو الذي جمع العناصر المفرقة من الطين وما في معناه فنظمها وهندسها فصوركم منها ونفخ فيها الروح وقضى لكم أجلا تفنّهون اليه وغاية تصاونها وهو الموت وارتضى لكم مدة تعيشون فيها وهي ما بين نفخ الروح في الجسم وقبضها بالموت وعنده أجل آخر قضاه لكم وهو القيامة أو المدة التي ما بين موتكم وقيام الساعة فإذا كان الله عز وجل قادرا على جمعكم من شتات العناصر المفرقة والأجزاء المبددة وعلى ضرب أجل لبقائكم فكيف تترون وتشكون في البعث وقد شاهدتم أول الخالقين وأول الأجلين ومن قدر على ما سمعتم من المدهشات في خلقكم وترتيب أبدانكم فهو أقدر على إعادةكم فالحظف بتم هنا استبعاد لامرأتهم وشكهم من بعد أن علموا أنه خالقهم وخالق أصولهم ومنظمهم ومحييهم إلى آجالهم فان من قدر على خلق العناصر وترتيبها وتنظيمها وتصويرها ونفخ الروح فيها وإبقائها إلى ما يشاء كان أقدر على جمع تلك المواد وإحيائها ثانيا فظهر بهذا أن الآية السابقة توحيد واللاحقة استدلال على البعث . وما كان الناس كثيرا ما يخدعون أنفسهم فيقولون نعم آمنا بالله وباليوم الآخر ولكننا لنفعل المعاصي بحمل نبتغيها نقلناها عن السابقين كأن نحتال على عدم الزكاة ببيع المال لولد أو قريب أو زوج قبل أن يحول الحول فيتجدد الزمن وتسقط الزكاة ويظن الفقيه أنه بذلك نجا من الاثم وتخلص من العقاب أو يأكل الرجل ويشرب في رمضان في كسر بيت يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم أو يصلي ساهيا قال الله بعد ذلك - وهو الله في السموات وفي الأرض - كأنه عز وجل فيهما الكمال علمه واحاطته بالكميات والجزئيات وقوله يعلم سرّكم وجهركم بيان وتقرير . يقول بعد أن قرر التوحيد والبعث ان الله أحاط بالسموات والأرض علما لا تخفى عليه فيهما خافية فكأنه إفيهما فهو يعلم سرّكم وجهركم ما يخفى وما يظهر من أعمال أنفسكم فأنها من العالم ويعلم مكتسبكم من أعمال الجوارح والأعضاء خافوا عقابه فهذه الآيات الثلاث منظمة هكذا أولاها توحيد والثانية للبعث والثالثة اثبات علم الله بما في الآفاق والأنفس ليخاف الناس يوم الحساب ويستقيم أمر المعاش ليفوزوا يوم القيامة بالثواب وينجوا من العقاب * تم الكلام على السؤال الثاني

الجواب على السؤال الثالث . وهو ما كشفه العلم في ترتيب هذه الأربعة وهي السموات والأرض والظلمات والنور

﴿ عجائب القرآن في العلوم الحديثة ﴾

وانه حرام على أهل العلم في أقطار الاسلام أن يخفوا على قلوب الشبان فلا يفتوهم لهذا الجمال لنبتدى الآن في شرح السؤال الثالث . الكلام على خلق السموات ولماذا قدّم . فقلت لصاحبي . اعلم أن ترتيب هذه الأربعة هو الذي جاء به العلم الطبيعي والفلكي وعلم طبقات الأرض . قال حدثني كيف كان ذلك . قلت تصور أنك في مكان خال ليلا في فضاء متسع وقد رأيت حولك ظلاما حالكا وهناك نجوم مبعثرات في أقطار السموات . قال تصورت ذلك . قلت والنسمات تهب عليكم وحفيف الاشجار وصرير الماء وأصوات الحشرات في الحدائق الغناء والأحراش والزرع وليس في المكان إلا أنت تسمع هذه النغمات المختلفة وقد صفت نفسك وانشرح صدرك ورأيت جمالا يحيط بك . قال تصورت ذلك . قلت وأنت تعلم أن النجوم الجيلات التي

أحاطت بك تبلغ مئآت الملايين • قال نعم • قلت وكل واحدة منها غالباً أكبر من مئآت الملايين • قلت من هذه الكواكب سيارات مثل أرضنا • قال نعم • قلت ان لم تكن قرأت في المدارس فقد صرت في هذا التفسير قال قرأت هذا وذاك • قلت فهل تدري أى شئ من هذه خلق أولاً قال اعلم أن العالم كان أصله مادة لطيفة جداً لا تؤثر فيها المؤثرات فلا الحر ولا البرد يؤثران فيها وهذه هي المسماة بالاثير ثم هذا الاثير يكون منه ضوء وحرارة وحركة وكهرباء ومغناطيس وهذه المذكورات ينقلب بعضها الى بعض فالحرارة تكون حركة وبالعكس • قلت له لأفصل لك هذا المقام بعض التفصيل • فأقول ان الجرم يشاهد على ثلاثة أحوال إما أن يكون جامداً فتكون فيه الصلابة واللدونة والتباور مثلاً والأشكال المختلفة وإما أن يكون سائلاً كالماء وهو يفقد كلها فلا صلابة ولا لدونة ولا تباور ولا شكلاً ثابتاً بل هو سائل لالون له بل هو شفاف ولا كثافة بل هو لطيف وإما أن يكون (غازاً) أى جسماد خائفاً والماء اذا صار غازاً بالهخر مثلاً زاد تمدداً وانبساطاً فيزيد حجمه ١٧٠٠ مرة عن حاله وهو سائل وتصبح الأجسام الغازية كلها شفاقة متحدة لا أثر فيها للصلابة ولا للدونة ولا للون ولا للشكل ولا لغيرها وتعتبر من كل ما تنوع به السوائل والجوامد ولا تختلف الغازات عن بعضها الا في عوارض قليلة كالوزن وبعض أعراض أخرى

وقد أثبت العلامة كوكس حالاً رابعة بتجارب خاصة تصير فيها المادة اللطيفة من الغازية فيسرع التهايمها وتضيء ويكون بها شعاع كهربائي تقوم به أشعة وتنفج وتسمى الحالة المشعة وهي تبعد في اللطافة عن الغازية أكثر من ابتعاد الغازية عن الحالة المسائية • وهناك حال خامسة وهي الاثرية أى ان تكون المادة أثيراً وهي لا تقبل الوزن وتكون منتشرة مائة الكون بأسره وباختلاف اهتزازها تولد الحرارة الكهربائية والاشعة المرئية والتي لا ترى • وهناك حال سادسة لم يقل بها الاعلاء الارواح ان للروح جسماسيالا لا يفعل فيه أقصى الحر ولا أشد البرد وأى فعل فهذه الأحوال الست هي آخر ما وصل له العلم الحديث في المادة فألففها الشفاف الذي هو أقرب الى الارواح ثم الاثير ثم المشع ثم الغاز ثم السائل ثم الصلب • فترى الزرع والحيوان والأشكال الكثيرة في حال الصلابة فيكون هناك الاختلاف أكثر ويكون الاختلاف في الماء أقل فالاختلاف في حال الغلظ وكما صفا الجسم كان أقرب الى الوحدة فالوحدة في اللطافة والكثرة في الكثافة • وأصل هذه العوالم من مبتداً أمرها كانت لطيفة بالحالة الاثرية وما يقرب منها ثم حصل تجاذب وتدافع فتكونت شمس كثيرة لما تقدم وتلك الشمس هي التي تراها • وهذه الشمس دارت مئآت الملايين حول نفسها وهي في حالها الفورية الشفافية ثم أخذت تنقلص شيئاً فشيئاً وأخذ بعضها يفصل عنها من عند خط الاستواء فيها بسبب سرعة الدوران فتكون السيارات كالأرض والمريخ والمشتري الخ فالارض اذن تكونت بعد الشمس • وعلى هذا تكون السموات وهي الاجرام الاثرية والشموس التي تجرى فيها مخلوقة قبل الأرضين لأن الأرضين ما هي الا تلك الكرات المنفصلات بعد تكون الشمس التي خلقت من الاثير أو فيه فثبت بهذا ثبوتاً علمياً لا يشك فيه أحد من أهل الأرض أن السموات خلقت قبل الأرض فهذا هو السبب في ذكر الأرض بعد السموات • فقال ولماذا أفرد الأرض قلت له أذكرك بانى قلت لك اجلس في أرض قفراء والسماء حولك فهل رأيت الا أرضاً واحدة وهي التي أنت عليها أما الأرضون الأخرى فلم نرها قال نعم قلت هو ذاك • قال حدثني إذن عن الأرض وعن الظلمات وعن النور كما وعدت بالكلام على خلق الأرض • فقلت أما الأرض فانها لما انفصلت عن الشمس كانت حارة حرارة شديدة • قال إذن هي كالشمس • قلت كلا إن الشمس ربما كانت حاررتها تقدر بمئآت الآلاف من الدرجات ونحن لا ندرىها ولكن الأرض أمكننا معرفتها • قال وكيف ذلك • قلت بعلم طبقات الأرض قال حدثني عنه وأوجز • قلت له ان وجه الأرض كانت حرارته إذ ذاك نحو ٣٣٠٠ ثلاثة آلاف وثلاثمائة درجة من الحرارة • قال أنا أعرف معنى درجة الحرارة ولكن أرجو إيضاحها لمن لم يقرأ علم الطبيعة • قلت أنت تعلم أن

الماء يكون ثلجاً قال نعم قلت فإذا كان مقطراً فإنه في حال سيلائه تسمى درجته صفراً فإذا سلطنا عليه النار وغلا وفار فهذه تسمى مائة فالأحوال التي طرأت على الماء حتى أوصلته للغليان قسموها مائة درجة وجعلوا هذه الدرجات مقياساً قال فهمت ولكن قل لي من أين جاء لنا أن الأرض كانت حرارتها ٣٣٠٠ درجة عند انفصالها من الشمس ومن أين جاء لنا أن الشمس كانت أكثر منها حرارة قلت لأن قشرة الأرض تبلغ مائة كيلومتر عند علماء طبقات الأرض وكل ثلاثين متراً تنزلها في باطن الأرض ترتفع الحرارة درجة ففي عمق ٣٠٠ متر عشر درجات وفي عمق ثلاثة آلاف متر مائة درجة وفيها يغلي الماء فإذا ضعفنا هذا المقدار ٣٣ مرة وثلاث بأن تعمقنا إلى مائة كيلومتر صار عندنا نحو ٣٣٣٣ درجة أي تكون درجة الحرارة بعد قشرة الأرض مقدار ما يغلي الماء نحو ٣٣ مرة وثلاث أي حرارتها أعلى ٣٣ مرة وثلاث من حرارة غليان الماء وهذه الحرارة أقل من حرارة الشمس لأن الأرض لم تنفصل إلا لأنها كانت بالنسبة للشمس قشرة ظاهرة فانفصلت فهي أبرد منها والشمس التي نراها يذوب فيها كل شيء فتكون العناصر فيها إما معدومة وإما قليلة فان النجوم البيضاء التي هي أشد حرارة من الشمس لا تحوي من العناصر إلا الأودروجين والفسفور ولم تظهر عناصر أخرى فيها أما الشمس فلما كانت أقدم عهداً كانت عناصرها كثيرة لتولدها وطول عمرها والحديد فيها بحسب ما ظهر من أنوار الطيف عنصر مركب من عناصر مجهولة عندنا لتكونه هناك أكثر حرارة فاتضح أمره فيها أما في الأرض فهو معتبر بسيطاً . قال ثم ماذا حصل لما انفصلت الأرض . قلت إن الأرض كانت كروية تدور حول الشمس وأخذت حرارتها تتناقص بالنسبة لصغر حجمها قال حسن ثم ماذا قلت أخذت الأرض تبرد وتربى لها قشرة في ملايين السنين فتكوّنت ٢٦ طبقة كل طبقة متميزة عن الأخرى وهذه الطبقات في ستة عصور تقدّم ذكرها وهي . العصر الأصلي والانتقالى والثانوى والثالثى والطوفانى واللاحق للطوفانى وهو الحالى . فالقشرة الأولى حجر صوّاني شديد الصلابة . والقشرة الثانية في العصر الثالثى كان فيها طبقات راسبة وبعض الحيوانات والحشائش . وفي الثالثة ظهرت الأشجار . وفي الرابعة ارتفعت الجبال الشواخ وارتفع مافي جوف الأرض من الاصداف وظهرت الطيور والحيوانات البرية . وفي الخامسة حصل طوفان عام وبرد القطبان فجأة وكانا حارين كخط الاستواء . والسادسة هي التي نحن فيها الآن

فلما كان العصر الأول أيام الطبقة الصوّانية كانت جميع المعادن من الذهب والفضة والنحاس والقصدير تكوّن جوّاً حول الأرض وتمطر سحباً كما يمطر السحاب الآن . فقال ولماذا قلت له لان البلاتين يصهر على ١٧٧٥ من الحرارة والذهب يحتاج إلى ١٠٧٥ والنحاس إلى ١٠٥٤ والفضة إلى ٩٥٤ والالمنيوم إلى ٦٢٥ والخرصين إلى ٤١٥ والرصاص إلى ٢٢٦ والقصدير إلى ٢١٠ والكبريت إلى ١١٤٥ والفسفور إلى ٤٠٤ وهكذا والماء إلى صفر

﴿ السحب التي كانت تمطر ذهباً وفضة وبقية المعادن ﴾

فأنت ترى أن حرارة الأرض في الأزمان الغابرة لما كانت مرتفعة بحيث تبلغ نحو نصف ما ذكرناه بأن كانت ألفاً وخمسة مائة وألّفى درجة في العصور السابقة أو أكثر من ذلك كانت المعادن في تلك الأيام وقبلها تزجى سحباً ثم تؤولف بينه ثم تجعله ركناً ثم تنزل في خلجان في باطن الأرض وهي تجري على اليابسة فكان هناك أنهار من ذهب ومن فضة ونحاس وقصدير وخرصين وأمثالها . وأول ما جسد من المعادن التي ذكرناها البلاتين فالذهب فالنحاس فالفضة فالالمنيوم فالخرصين فالرصاص فالقصدير فالكبريت فالفسفور . وبينما كنت ترى الخارصين أصبح جامداً إذا بالكبريت لا يزال بخاراً في الجوّ والفسفور كذلك فان الخارصين يعوزه حرارة أشد من الكبريت والكبريت يعوزه حرارة أشد من الفسفور وهكذا على هذا الترتيب

فهذه الأمطار التي صارت أنهاراً من المعادن لا تزال باقية للآن لأنها جددت بالبرودة وصرت عليها أجيال في

تلك الطبقات الصخرية ثم حصلت زلازل وعوامل هامة فارتفع ما كان باطنا ووصل إلى أعلى بتلك العوامل ورفع ما كان فيه من المعادن وذلك هو الجبال التي نراها اليوم فإن الأرض قد رفعتها كما ترتفع أسنان الطفل في فمه . فقال صاحبي مامعنى كما ترتفع أسنان الطفل . فقلت لأن الجبال لما كانت صلبة وفيها منافع اقتضت الحكمة أن ترتفع إلى أعلى لا أن تبقى في أسفل الطبقات وأسنان الطفل كانت مواد في الجسم فاجتمعت وتجمدت وظهرت في الفم فنضجت في هضم الطعام هكذا جبال الأرض فيها ذهب للنافع وللزينة وحديد ونحاس وقصدير إلى آخره وهذه الآن تفعل فعل الأسنان فهي زينة وطاحنة للأحجار كالحديد ومهلكة للحيوان وللإنسان فالحيوان يذبح بالحديد وكذا الإنسان يموت بالمدافع وهكذا . فالجبال أسنان الأرض والعظام التي في أفواهنا خلقت لنافعنا . أأست بهذا تفهم قوله تعالى - وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس - وهذا كقوله - أنزل من السماء ماء - فسكاهما أنزال وكلاهما من السماء وهذا مطر وهذا مطر وهذا نهر وهذا نهر وهذا تلج وهذا معدن ظهر في جبالنا . فإذا استخرج الناس المعادن اليوم من الأرض فتلك أمطار أنزلها الله في قديم الأزمان لتبقى لنا مخزونة إلى وقتنا الحاضر . ان المسلمين لنافلون إن المسلمين لنائون إن المسلمين لا يقرؤون ولكنهم سيقروا بعد انتشار هذا الكتاب وأمثاله وقد ظهرت بوادره بانتشاره في الأقطار كما ألهمت من المبدع الحكيم بل كما بشرت بعموم ارتقاء المسلمين في المستقبل القريب

﴿ قشرة الكرة الأرضية والكرة النارية فيها ﴾

قد قلنا ان قشرة الأرض طبقات ٢٦ ولها عصور ستة وانها مائة كيلومتر ونقول ان قطر الأرض نحو ١٣ ألف كيلومتر فيكون نصف القطر فوق سبعة آلاف كيلو وهذا المقدار أكبر من القشرة المذكورة نحو سبعين مرة والقطر كله أكبر من القشرة ١٤٠ مرة فليس ذلك كقشرة التفاحة والبيضة والبطيخة فقشرة الأرض قشرة تفاحة وقشرة بيضة والأرض الحقيقية هي النار

﴿ الأرض التي خلقها الله كلها كأرضنا ﴾

ولقد علمت أن هناك شمساً تعد بمئات الملايين وكل شمس حولها أرضون وبعبارة أخرى حولها سيارات كسيارات شمسنا ومن السيارات ما أصبح له قشرة كقشرة أرضنا ومنها ما لا يزال دخاناً وناراً منتشرة جداً . ولقد قال علماء العصر الحاضر أن أقل ما يكون حول كل شمس من الشمسوس المعروفة من الأرضين لا يقل عن ثلاث فاذا تصورنا ذلك وقلنا ان بقية السيارات حولها لا يزال متقدماً فانفا على الأقل نتصور أن هناك ثلثمائة مليون أرض باعتبار أن الشمس مائة مليون والتحقيق انها مائة ملايين كما تقدم في هذا التفسير فلنقف في العدد للأرضين عند ثلاثمائة مليون ولنقل ان فيها سكانا لانه ليس يعقل أن تكون حالية ويكون لها قشرة كقشرة أرضنا وهذه القشرة قد تكون رقيقة وقد تكون سميكة فاذا كانت رقيقة كأرضنا أيام ان كانت حاريتها هي تفعه فان اضطرابها وغليانها يمنع سعادة سكانها ويقلل راحتهم واذا كانت سميكة كانوا أقرب إلى الراحة والطهانة والسعادة

هل كشف العلم عالم جهنم ويكون ذلك مجهزة للنبي صلى الله عليه وسلم وللقرآن . أفلا نقول ان الأرض التي تعد بالمئات كلها نار وان سكانها اذا كانوا على حال فيه نيران تلظى يكونون أشقياء واذا كانوا في حال أصلح يكونون سعداء وان الشقاوة والسعادة نسبية وان العوالم التي تكون نورية جميلة غير هذه الأرضين مشرقة حقيقة تكون هي الجنة وتلك التي امتلأت نارا هي جهنم . أوليس هذا عينه ما تقدم في سورة آل عمران أن النار في الأرض كما نقل عن سيدنا علي وغيره وقد ذكرنا هناك أننا لا نقول ان هذه نفس النار ولكن تشبهها وعلى المسلمين الجد في البحث فالعلم يعوزه الجد

قد عرفت فيما تقدم أن حرارة الشمس لا يعرف منتهى درجاتها وعرفت درجات حرارة الأرض وان

البرودة هي التي بها الثلج والمعادن كلها وأقول الآن ان أقصى درجات البرودة ٢٧٣ تحت الصفر فالبرودة هذه درجاتها والحرارة لا تنتهي لدرجاتها فالحرارة والبرودة بالمدة والجزر فيهما نوى شمسنا وأرضنا ومعادن وأنهارا وجنات وأعشابا وإنسانا وحيوانا هذا أول العالم وهذا آخره . وقستين لك أن العوالم كلها كانت أقرب إلى الجود كانت ممتازة متفرقة متناقضة وكلما كانت أقرب إلى البساطة كانت أقرب إلى الوحدة وإن قشرة الأرض هي المظلمة فطبقاتها مظلمات وأصل هذه الطبقات أيضا نور فأصل كل شيء النور والنار بل أصل كل شيء هو هذه الوحدة الصرفة التي لا تعدل . وكلما كان الجسم ألطف وأقل تركيبا كان أديم بقاءه وكلما كان أكثر تركيبا كان أقل بقاء . ولقد قال العلامة بلغورستيوار إن جسم الإنسان والحيوان والنبات أشبه بالبارود السريع الانفجار الذي يلهب لأقل احتكاك . فالعوامل الحيوية تحلل التركيب السكيموي دائما فيه والدم يصلح ماتلف من الأجسام بفعله المستمر أما التركيب المعدني فإن حياته تطول إلى أمد طويل جدا . ألا ترى أن قطعة من الكربون تتركب بسهولة مع الأكسوجين فيصدر عنها حامض الكربونيك وإذا أردت أن تفرق هذين العنصرين احتجنا إلى ١٢٠٠ ألف ومائتي درجة من الحرارة أي مقدار ما يغلي الماء مضاعفا ١٢ مرة فأما العناصر البسيطة فليس هناك حرارة في أرضنا تفرقها والمادة الأصلية التي منها العناصر لا يمكن تحليلها . ولعلك بهذا فهمت قوله . وجعل الظلمات . فهو أول خلق السموات أي خلق هذا العالم المضيء المشرق ثم جعل الظلمات والجعل فيه معنى التحويل فكأنه يقول حوّل النور إلى ظلمات والظلمات هي الطبقات المتقدمة وهي حقيقة ظلمات بعضها فوق بعض فأما النور فهو في أصله واحد فجمع الظلمات جاء من هذا القبيل فهذا سرّ قوله . جعل الظلمات والنور .

ارتقاء الأرواح في عالم النور وسرّ قوله تعالى . الله نور السموات والأرض . وكيف كان

الإنسان يسمى ليخرج من الظلمات إلى النور وكيف أظهر الكشف الحديث هذا كله

أفلا ترى أن هذا سرّ قوله تعالى . الله نور السموات والأرض . فانه ظهر لك أن العالم كله نور في نور ولا ظلمة الاقشور الأرضي التي تعدّ بمئات الملايين وان هذه الظلمات طارئة وانها لا بدراجعة لحاها الأولى ويقال في الكشف الحديث الروحي ان الأرض مغموسة مغمورة في ذلك الأثير العام المائي لسائر الفضاء وان الأرواح لها غلاف كما تقدم لطيف ألطف من الأثير وان هذا الغلاف بما اعتراه من أدران المادة التي في الأرضين كأرضنا هذه يجب على الروح أن تسعى لتتقى من تلك الأدران لترقى في العوالم الجميلة وتخرج من ظلماتها وكأن المادة نجستها فهي تتخلص منها لترجع لصفاتها الروحي وحالتها الجميلة . ولقد تقدم لك فيما ذكرته في جواب سؤالك الثاني أن الدخان تنبع منه نور وكهرباء وذلك بالتفاعل ما بين فحم المعوجات والنحاس والزنك والسوائل المحيطات بها فجاء نور عظيم من ظلام دامس هذا ما ذكرته هناك وأقول هنا إن قوله تعالى . هو الذي خلقكم من طين . فتبع لهذا الباب وكأنه يقول كما جعلت من الظلمات نارا في السكهرباء المضيئة المشرقة هكذا جعلت في أجسامكم المظلمة عمالية وتحليلا وتركيبا يخرج منه نور لا ترونه أو ترونه كما أن السكهرباء فيها نور ترونه ونور لا ترونه فإذا قال الله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا في الدنيا لهذا الجسم وأجل مسعى عنده بعينه الموت فعناه أنه يصفيه من هذا الظلام ليجعله خالصا كما قال في آية أخرى . وأن إلى ربك المنتهي . فالله نور وهو المنور للشموس والعوالم ثم جعل الظلام وخلقنا فيه لنجد حتى نرجع إلى النور ككرة أخرى بحال أجل وأبهي وكما أن السمك لا يقدر أن يعيش في البر والحيوان البري لا يعيش في البحر وعالم الطير لا يعيش في التراب وعالم التراب لا يعيش في الهواء ولا في الماء وذلك لطبعه وغريزته . هكذا نحن في الدنيا يألف كل منا ما كان على شاكلته صلاحا وفسادا وهكذا بعد موتنا نكون في عوالم على مقتضى جبلتنا فإذا كان الإنسان متعلقا بالعوالم المظلمة لم يجده قوة يدخل بها عالم النور وإذا دخل عالم نور قليل لم يقدر أن يدخل ما هو أضوأ وأنور

بل لا يقدر أن يصل إليه ولا يستطيع ذلك كما لا يستطيع في الدنيا أن يطير في الجو وكما لا يستطيع السمك أن يعيش في البر إنما يموت السمك في البر . فأما هناك فإن تموت الروح بل تجرد جاذبية تجذبها لمركزها كما يجذب الحجر إلى أسفل فاذن عالم الآخرة مبني على الاستعداد لا غير وهذا سرّ قوله صلى الله عليه وسلم * إنك مع من أحببت واذن يكون الإنسان من الآن عالماً بموضعه في العوالم المقبلة * فقال صاحبي هل لك أن تذكر شيئاً من العلم الحديث في هذا ثم تتبعه بما قاله القدماء حتى نعتقد ما تقول قلت أما في الحديث فاسمع

﴿ الإنسان مضيء وهو في هذا الجسد ﴾

لقد جاء في صحيفة الماتان الفرنسية سنة ١٩٢٤ وتقاتها الجرائد المصرية في شهر مارس من السنة المذكورة أن معهد العلوم الروحية في باريس منذ شهر يواصل العمل مع التكتّم الشديد في تجارب مع الوسيط الإيطالي المشهور (ايرتو) وقد شهد هذه التجارب الدكتور (جيلي) وقد قال الدكتور (ستيفان نشوفيه) وهو من معاونين المخلصين للدكتور جيلي . إن هنا عجائب خارقة للعادة فإن من الوسطاء المتؤمنين بفتح الواو من إشعاع النور منهم شعاعاً ظاهراً ولكن الوسيط الإيطالي (ايرتو) ظهرت منه أنوار أجلى فقد جرد السنيور (ايرتو) من ملابسه تجرّداً تاماً وفحصت جميع تجاريفه الطبيعية فحصاداً دقيقاً وبعد ذلك ألبس غلالة من النسيج صنعت له وهي ضيقة جداً بحيث تلتصق بجذعه فلما نؤم تنويماً مغناطيسياً ظهرت منه أنوار ما كان ليصدقها العقل فكانت تذبذب منه كرات نورية في كل مكان من الحجرة غير متصلة بشيء بتاتا في سماء تلك الحجرة فلم يكن هناك قوس ضوئي منير بينها وبين الوسيط وتارة ينبعث شرر كل شرارة أربعة أمتار وطورا يرى برق مختلف الأبعاد وأحيانا ضوء عظيم ينتشر بين الوسيط والجدار والضوء غالبا يكون أحمر وأخضر أو فيه بعض غلب ليل قليل وهذه الأضواء لا يمكن إفتعالها بالكهرباء ولا بمواد مضيئة وهذه بشهادة أشهر علماء الطبيعة فقد بحث السنيور (ايرتو) فحصاداً دقيقاً بأشعة (اكس) في نهاية جلسة عقدت يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٤ فلم يعثر على أي أثر غير عادي في جسمه وبهذا تأيد نهائياً وجود ظاهرات منيرة كقنبلة بأن تثير انقلاباتاً تاماً في جميع معلوماتنا الفزيولوجية (وظائف الأعضاء) والبيولوجية (علم الحياة) وفي نظرياتنا في المادة والقوة (وقد حدث انقلاب من هاتين المادتين الأخيرتين منذ بضعة سنوات) ومن الممكن أن تؤدي دراسة هذه الظاهرات في أيام قليلة إلى كشف الضوء البارد اهـ

فانظر كيف كشف الناس نورا في الروح الانسانية بالتنويم المغناطيسي كما أن الأجسام تضيء بالكهرباء وبغيرها ولكن هذا سرّ جديد ليس معارف قديما الاعلى سبيل السماع من الأنبياء والقديسين وقدامتلات به كتب الميانات من أن الصالحين لهم إشراق ونور جسمي وضياء مشرق يظهر على وجوههم أحيانا فكأنهم بجهدهم أخذوا يخرجون من الظلمات إلى النور كما قوله تعالى - كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور - فأنفسنا مضيئة ووضعت في الأجسام المظلمات لتجاهد وترجع إلى النور مرة أخرى فهي باستمرارها في الترقى في الأنوار تصل إلى الله قال الله تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - وقال - نورهم يسبح بين أيديهم وبأيمنهم بشراكم اليوم - فاذن مآل الإنسان النور والجمال . ولا تظن أنني أعتبر النور الظاهري المذكور الامتددة فليس النور الذي شهده أهل باريس في السنيور (ايرتو) هو المقصود من النور في القرآن وإنما هو مقدمة له ومعنى هذا ان النفس الانسانية كافرة أو مؤمنة أو مشركة مستعدة للإشراق بالنور متى جاءت أسبابه بشرط الايمان فأما النور الظاهري فممكن بالتنويم المغناطيسي وأما الباطني فلا يمكن الا باجتهاد الانسان وهذا هو الذي أذكركه من القرآن ومن كلام المتقدمين

﴿ ارتقاء الانسان بهد الموت في درجات الكمال الى أن يكون مع الملائكة النوريين من نفس القرآن ﴾

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى - والنازعات غرقا - مامليخصه
الوجه الثالث في تفسير هذه الكلمات الخمس (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا
فالسابحات سبقا فالمدبرات أصرا)

يقول الله تعالى أقسم بالأرواح التي تنزع من الجسم نزعا شديدا فمعنى غرقا نزعا شديدا ومعاوم أن نزع
الروح من الجسم يحتاج إلى شدة حتى تخلص الروح ومتى نزعته نشطت للخروج من الجسم فهي الناشطات نشطا
بسهولة ومتى خرجت الروح وكانت قوية لا تتعلق بالعالم المادي وقل اتصالها به واشتاق إلى عالم أعلى من هذا
وهي تريد أن تتخلص من عالم الأجساد فانها تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس أسرع ما يكون فمهر عن
ذهابها على هذه الحال بالسباحة فقال والسابحات سبحا ثم قال بالحرف الواحد إن مراتب الأرواح في
النفرة عن الدنيا وسحبة الاتصال بالعالم العلوي مختلفة فكما كانت أتم في هذه الأحوال كان يرها إلى هناك
أسبق وكما كانت أضعف كان سيرها إلى هناك أثقل ولا شك أن الأرواح السابقة إلى هذه الأحوال أشرف
فلا جرم وقع القسم بها ثم إن هذه الأرواح الشريفة العالية لا يبعد أن يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم
فهي المدبرات أصرا ثم قال

أليس إن الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن مشكاه فيرشده إليها . أليس إن الابن قد يرى أبيه
في المنام فيهديه إلى كنز مدفون . أليس جالينوس قال كنت مريضا فحجزت عن علاج نفسي فرأيت في
المنام واحدا أرشدني إلى كيفية العلاج . أليس إن الفزالي قال إن الأرواح الشريفة إذا فارقت أبدانها ثم
اتفق إنسان مشابه للإنسان الأول في الروح والبدن فانه لا يبعد أن يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن
حتى تصير للمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على أعمال الخير فتسمى تلك المعاونة إلهاما ونظيره في جانب
النفوس الشريرة وسوسة وهذه المعاني وإن لم تكن منقولة عن المفسرين إلا أن اللفظ محتمل جدا انتهى
كلام الرازي

فصار معنى الآية . إن الله يقول أقسم بالنفوس الشريفة التي تنزع من أجسامها ناشطة إلى مقرها سابقة
لفرحها بالعالم الجديد الجميل مدبرة للعالم كما تدبر الملائكة أقربها من جلالنا وعظمتنا وهذا الذي قرره
الرازي هو بعينه ما نقل في العلم الحديث عند محادثة الأرواح في الجمعيات النفسية
(مراتب الأرواح في العلم الحديث)

قالوا لا يستطيع الأرواح ذات الأميال البهيمية الانتقال إلى مركز أعلى إلا إذا سعت في تغيير أخلاقها
بتجردها من الأميال البهيمية وإصلاح ما بها من الرذائل والشوائب وتطهرها من الأوزار فبهذه تتدرج شيئا
فشيئا إلى المراتب العالية كما يتدرج رويدا رويدا . انظر من عاش كثيرا في الظلام الدامس إلى ضوء النهار
ثم إلى نور الشمس . قالوا أيضا وكما اكتسب الروح رقا في عالم انتقلت إلى ما هو أعلى منه وليست الأجسام
بغليظة إلا في العوالم السفلية ثم بعد ذلك تكون ألطف وأقل مادة شيئا فشيئا حتى تشابه الجسم الروحاني في
لطفها وهي في كل عالم من العوالم التي تحل فيها تعطي قوة ترتقي بها إلى ما هو أعلى ولا يزال كذلك حتى يصبح
من عداد الملائكة الذين يدرون حركات العوالم اه

هذا ما جاء في علم الأرواح وهو في مجموعة أشبه بما جاء في الرازي وهي أن آخر درجات الأرواح أن تكون
من المدبرات أصرا ولا يكون هذا الرقي إلا بكمال الفضائل والعلوم والبصر والعزيمة ويؤيد هذا قوله تعالى
- يوم يقوم الروح والملائكة صفا - فجعل الروح والملاك في صف واحد وهذا ظاهر من أن الأرواح تكون
مدبرات أصرا

وأما ما نقله الفخر الرازي من العلاج بالرؤى فهذا كثير ومعلوم أن الرؤى فيها الفث والسمن وأكثرها

كاذب ولكن قديص بعضها

﴿ رؤيا مؤلف هذا الكتاب ورؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم ﴾
أقول أنا نفسي وأنا مجاور بالجامع الأزهر لما توجهت الى بلاد الريف مرضت بعيني أياما كثيرة رأيت كأنى واقف بعد الفجر في هواء طلق وقائل يقول لى إني فتحت عيني في الهواء الذى مثل هذا فشفيت فأصبحت وفعلت كذلك يومين أو ثلاثا فشفيت وكان الوقوف في ذلك الوقت بحيث لا يكون هناك غبار ورأيت رؤى كثيرة مثل ذلك لا محال لذكرها الآن . وأصل تأييدى لهذا التفسير من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم صهرا فلقد رأيته وأنا لا أزال تلميذا بالأزهر وقد كنت نائما في منزلنا بكفر عوض الله حجازى والمرحوم والذى نائم بجانبى وكانى فى المكتب الذى كنت أعلم فيه ببلدة تسمى الغار بجوارنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأنا واقف أمامه وكأنه أخذ يعلمنى تفسير القرآن فأسمعى كلاما ثم قلت زدنى فزادنى وأنا أقول فى نفسي إن هذا هو النبي فيلزم الأدب أمامه هذا هو النبي ثم خرجت من عنده وقابلت والذى فى المنام أيضا وأنا خارج من المكتب فقال أين كنت قلت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال وماذا فعلت قلت علمنى التفسير وسأكون كالصحابة أقول على القليل من الآيات معانى كثيرة فاستيقظت حالا وأيقظت والذى وأخبرته فسر وقال خيرا إن شاء الله . وأنا أقول هذه أول رؤيا رأيته لأجل القرآن والعلوم . ولقد تركت ما هو أجل منها وأشرف وأوضح وأنور وأجلى حتى تكون فرصة أخرى أذكرها وسأقص إذ ذاك ما أخبرنى به رب العرش جلّ جلاله فى المنام وكيف أخبرنى بأن العالم الاسلامى سيقى وكأنه يشير الى أن الرقى بنمو هذه العلوم التى تقرأها فى هذا التفسير ونحوها ولولا هذه المنبهات ماسطرت حرفا واحدا ولكن ذكرت هذه الرؤى الآن لمناسبة كلام الرازى ولأنه قد تحقق أن تفسير القرآن على النمط الذى فسره فى المنام فى نفس المنام وأنا أقول ولا أخشى لومة لائم

﴿ بشرى المسلمين ﴾

أقول ولا أخشى لومة لائم إننى يامعاشر المسلمين بشرت من الحق سبحانه وتعالى بارتقاء الاسلام وأن ما أكتبه لكم الآن سيكون من المبادئ التى يرتقى بها المسلمون . أقول هذا بعد ما شاهدت بنفسى مصداق تلك الرؤيا الالهية التى ربما أذكرها ولم أقل هذا إلا بعد ما أيقنت أن المسلمين فى أقطار الأرض قد أقبلوا على هذا التفسير فعلمت أن الله يريد ذلك وأن تلك الرؤيا التى كنت أراها وأنا تلميذ تارة وبعد ذلك أخرى لم تكن أضغاث أحلام بل تحققت فعلا بالاقبال على هذا التفسير الذى أصرنى به النبي صلى الله عليه وسلم صهرا وأنا لست ممن يصدقون الأحلام أو يخدعون بالأوهام ولكنى ذكرتها لعلاقتها بارتقاء الأمة وارتقاء الأرواح فليبشر المسلمون فقد آن لهم النجاح ولا بد لهم من الفلاح والعلوم قد فتحت لهم أبوابها وسيردون على زمن السعادة والهناء ولتعلمن نبأه قريبا وبعد حين

﴿ عجائب القرآن التى ظهرت فى هذا المقام ملخص ما تقدم ﴾

- (١) جمع الظلمات . لأجل أن طبقات الأرض ٣٦ وعصورها ست
- (٢) أفراد النور . لأن أصل العالم مادة واحدة نورية كما انضح حديثا
- (٣) تقديم السموات . لأن عالم السموات أقدم من الأرضين التى أرضنا واحدة منها لأنها مشتقات من الشمس المقدمة عليها
- (٤) كون جهنم فى الأرض . لأن جميع الأرضين التى تعد بالملايين أو مئات الملايين كرات نارية فيها حديث العهد فهى مضطربة ومنها قديمة العهد فهى ثابتة
- (٥) ورد ما يدل على أن نار الدنيا أقل من نار جهنم نحو ٧٠ مرة

وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث لأن النار في جوف الأرض وقد بردت صرارا فإذا كانت تحت القشرة الأرضية بم ٣٣٣٣ درجة فهذه الدرجات تعادل ما يغلي الماء بم ٣٣٣ صرة تقريبا وكل واحدة منها إذا انقسمت الى قسمين صارت ٧٥ تقريبا فتصبح نار جهنم أقوى من نارنا نحو ٧٥ صرة ومعلوم أن الحرارة الجوية إذا كانت مساوية لجسم الانسان لم تؤذنه فان ارتفعت الى ٥٥ أحس بالحرارة فيقول هذه نار وهذه بتكرارها وتضاعفها تبلغ حول السبعين تقريبا وليس المقام للتحديد وإنما هو للتقريب

(٦) يقول الله - نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمنهم - فقد ظهر أن جسم الانسان في الدنيا فيه نور ويسمى للارتقاء في النور كما في الرازي وكما في علم الأرواح

(٧) تقديم الظلمات على النور - لأن الانسان يخاف في ظلمات الأرض ثم يرتقى

(٨) نزول الحديد وجميع المعادن من السماء أيام أن كانت الأرض تكون الطبقة الصلبة

(٩) الجبال التي على الأرض التي برزت في العصر الرابع المسمى بالثاني لولاها لمالت الأرض بالزلازل لأن هذه الجبال نابتة من الطبقة الصوانية التي حول النار وهذه الطبقة الصوانية حافظة لاكرة النارية التي نحن عليها ومن هذه الطبقة الصوانية برزت الجبال الى الطبقة السادسة وسماها رواسي لأنها ترسو على الطبقة الصوانية وقبعت عليها ومنها نبتت ولم يظهر من الطبقة الصوانية الا هذه الجبال والطبقة الصوانية هي التي حفظت الأرض من طغيان النار على ظاهرها فتضطرب - فافهم وتجب واعلم أنه كما خلقت الجبال من الطبقة الصوانية خلق الفحم من الطبقة الثانية المسماة انتقالية ثم ارتفع بعد ذلك بالعوامل الطبيعية وفيها المعادن التي كانت تطهرها سحب الذهب والحديد والقصدير الخ وهذا قوله تعالى - أن تئيد بكم -

(١٠) - ثم استوى الى السماء وهي دخان - وقد علمت أن الحالة الدخانية هي الحالة العامة للمادة كما تقدم

(١١) - قالتا أتينا طائمين - فالسموات والأرض جرتا في الدوائر طائعة أى بالتجاذب العام لا مكرهة كما يجري الحجر الى أعلى بالحركة القسرية انتهى الكلام على العجائب

(اعتراض على المؤلف وجوابه)

فقال صاحبي لقد أعجبني ما قلت ولكن هناك ما يهدمه من أساسه ويقوضه - فقلت وما هو ذلك - قال قوله تعالى - قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجمعون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان - وقوله تعالى - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات - قلت هذا برهان لي ومؤيد لقولي - قال وكيف ذلك - قلت لانه يقول - ثم استوى الى السماء - فاذن السماء موجودة قبل خلق الأرض وغاية الأمر أنه عهد إليها واستوى وهو دائما عامد لها ومستوى ليقول لها وللأرض أطيعا إطاعة تامة أى يجريهما جريا بالجاذبية - وفي الثانية يقول - ثم استوى الى السماء فسواهن - فاذن السماء كانت موجودة ثم عهد لها كما هو عامد لها دائما وذلك ليسويها فهو دائما يسوى أى ينظم السماء وهو دائما يديرها - فأما خلقها فقد تقدم والافكيف يقصد إليها فافهم

(تفصيل الكلام على قوله تعالى - وجعل الظلمات والنور - بذكر سلسلة المخلوقات الأرضية من

ابتداء كون كرة الأرض نارية الى أن يصل الخلق الى أعلى علاه)

(١) عصر الطبقة الصوانية التي تكاملت فوق الكرة النارية الأرضية بعد انفصالها من الشمس وفيها خلقت المعادن ويقدر أن مدتها بنحو ٣٠٠ مليون سنة كما قال العلامة ليل

(٢) عصر الطبقة الثانية الانتقالية - ظهرت فيها الحشائش والحيوانات البحرية والسمك والغابات

العظيمة المتلاصقة المتسككة فكان منها الفحم الحجري
(٣) العصر الثانوي وفيه كوّنت الطبقة الثالثة . كانت حيواناته أرقى وكانت تماسيحه تتجاوز
عشرين وثلاثين ذراعا

(٤) العصر الثالثي فيه تكوّنت الطبقة الرابعة . ارتجت الأرض بعنف وزلزلات زلزالها وأخرجت
أثقالها فظهرت الجبال الشوامخ والطبقات الصدفية وبعض أماكن من الطبقات الصوانية الأولى . ظهرت
كما تبرز أسنان الصبي ولذلك نجد المعادن في جبالنا وهي إنما تكوّنت هناك من أمطار الذهب والحديد الخ
وفي هذا العصر ظهرت الوحوش البرية الهائلة كالفييل والكركدن والماموث الخ

(٥) العصر الطوفاني . في هذا العصر حصلت نكبة في الأرض قلبت كل شيء حتى ان القطبين
كانا بلادا حارة فانقلبا فجأة أرضا مكسوة بالثلج وترى الفيلة الآن لا تزال مطمورة لما فاجأها الزلزال فدفنت
وهي الى الآن باقية قد عثر عليها الكاشفون وكأنها كانت خط استواء فانقلبت حالا قطبين

(٦) العصر الحالي وفيه زاد الهواء قساوة وقد عثر الناس في هذا العصر على عظام عديدة من الوحوش
والسكواسر عاشت قبل حصول تلك الفاجعة فوجدوها مطمورة في المغاور في أعالي الجبال فهلكت هناك جوعا
أو افتقرت بعضها بعضا أو خنقا في وسط المياه المتدفقة عليها ونسبوا ذلك كله الى زمان العصر الطوفاني . وليس
هذا هو الطوفان الذي جاء في الكتب السماوية لأنه قبل مئات الملايين من السنين ولكن طوفان الكتب
السماوية في هذا العصر كان يمتد من البحر الأسود الى الاوقيانوس الشمالي وان بحر الخزر والاندون
والبحيرات العديدة الماخطة في القبر وروسيا إنما هي من بقايا بحر عظيم كان هناك فلما ارتفعت جبال
التوقاس اندفع قسم عظيم من المياه الى الاوقيانوس الشمالي وقسم آخر الى الاوقيانوس الهندي ففرقت بلاد
ما بين النهرين وجميع البلاد التي يسكنها أسلاف العبرانيين ﴿جدول الحياة على الأرض﴾

(٧) أولها مادة هلامية تسمى (بروتوبلازما) في قعر البحار وهي مادة رخوة لزجة تشكل بسائر
الأشكال وباجتماع مقادير منها تكوّن ما يسمونه في الاصطلاح (الخلية) وباجتماع الخلايا تكوّن الأعضاء
وتفرغ هذه الخلايا يكون بالتكاثر وهذا التكاثر يكون منظما بطريق الانقسام ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ وهكذا
الى ما لا نهاية له وهذا به يكون النمو مع النظام في الأعضاء طولا وعرضا

(٨) باجتماع هذه الخلايا ظهر النبات في البحر والبر فأولا كان النبات

(٩) نباتا حيوانيا كأنواع النوفيت فهي حيوانات على شكل النبات وكأنواع الاخطبوط وهي
هلامية الجسم ولا تمتاز عن النبات الا باحكام التنقل وفيها معدة وبعض ظواهر الأعصاب وليس لها نظر
ولاشم ولا سمع

(١٠) السود هو أكمل أعضاء وأشد نشاطا وأكمل من الاخطبوط

(١١) الحلزون وذوات الأصداف التي ليس لها فقرات

(١٢) سرطان البحر

(١٣) عقرب البر له سمع وبصر وحركة غذاء ودورة الدم

(١٤) ذوات الفقرات كالسمك له نخاع شوكي

(١٥) الدبابات الأرضية

(١٦) الطيور وهي تبيض

(١٧) حيوان باستراليا الآن له كيس يحمل فيه صغاره ودماغه بسيط جدا

(١٨) ثم ذوات الأربع الباقية وأعلاها القرد فالإنسان

(١٩) جنين الانسان في بطن أمه يكون أولا خلية بسيطة كالتي في البحر
(٢٠) ثم دودة (٢١) غلزونه (٢٢) فسمكة (٢٣) فذبابة (٢٤) فقردا
(٢٥) ويتوارى ذنبه بعد ذلك في بطن أمه

(٢٦) ومنه متوحشون (٢٧) وعقلاء (٢٨) وعلماء (٢٩) وأنبياء
(٣٠) ثم ينتقلون في العوالم النورية طبقا عن طبق - وان الى ربك المنتهى -

هذه السلسلة ذكرتها لتكون مطالعا في كلمات قليلة على النظام واشتقاق الحياة من الجاد وانها سلسلة واحدة أى انها منظمة بحيث لا تترك درجة الا خلق فيها نوع . وليس معنى ذلك أن كل نوع خلق مما قبله كلاب هو النظام السائد . فانظر كيف كانت طبقات الأرض في عصورها الست وكيف تولد النبات والحيوان وكانت هذه السلسلة منتظمة . ألا ترى سرّ قوله تعالى - وجعلنا من الماء كل شئ حي - . أفلم تستر أن حياة الخلية ابتدئت في البحر وعلماء العصر الحاضر يقولون ان كل حيوان أصله من البحر . أولست ترى هذا سرّ قوله تعالى - أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها وصرعها والجبال أرساها - فقوله والأرض بعد ذلك دحاها هو عين ماجاء في العلم الحديث إن طبقات الأرض بعد السموات وانفصال الأرض من الشمس وقوله أخرج منها ماءها وصرعها إشارة للعصر الثاني وقوله والجبال أرساها إشارة للعصور التي تلتها فان بروز الجبال الى أعلى لم يكن الا بعد العصر الثاني كما تقدم . أليس القرآن اليوم أصبح يفسر فعلا بالعلم الحديث تفسيراً لفظياً . وإذا كان قوله تعالى هنا الجدلة الذي خلق السموات يدل على أن خلق السموات قبل الأرض بطريق الإشارة كما قد مضى في هذه الآية صارت الإشارة فيها عبارة والسكنانية صريحة والقوة فعلا فجعل العلم

وأياها هذه السلسلة التي ظهرت في الحيوانات وفي الجنين في بطن الأم هي التي يشير لها قوله تعالى - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - فهو لا يخلق الأعلى الا بعد خلق الأدنى فلم يخلق الحيوان الا بعد النبات ولم يخلق الانسان الا بعد الحيوان ولم يخلق الجنين الا انساني في بطن أمه الا بعد ما يمر على الطبقات الدنيئة لان الطفرة محال فلا بد أن يمر على حال الأحياء في أول أمرها وهي في البحر ثم ينتقل الى أعلى وأعلى كما قال تعالى - خلق الانسان من نطفة - وقال - من ماء مهين - ولقد أطلت في هذا المقام في أول سورة آل عمران وذكرت هذه الطبقات واعلم أن ما كتبه هنا وهناك ليس يمر على سائر الطبقات بل فيه الاكتفاء ببعض تقريرا للأذهان . فأما السلسلة التي هنا فليست كلها واحدة . ألا ترى أن أول نبات بحري وحيوان بحري لم يكن بعد العصور الستة الأرضية بل ابتدئت الحياة في العصر الاثني عشر الذي كان فيه الفحم الحجري ولكن ذكرناها سلسلة لتسهيل النظر على القارئ فتأمل في عجائب العلم والحكمة

فأنت ترى أن الأرض ظلمات والحيوان خلق في ظلماتها والانسان كذلك . والعلم والعقل والدين أنارت الأبصار فيرجعون للنور ككرة أخرى فهذا قوله - وجعل الظلمات والنور - أقول الحمد لله على التوفيق لهذا المقال . انتهى تفسير الآيات من يقوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - الى قوله - ويعلم ما تكسبون -

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ
قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * وَلَوْ نَزَّلْنَا
عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ *
وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ
مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَخَافَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلْ لِلَّهِ ، كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا
سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُضَرْفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *
قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ
بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ
وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَقْتُلْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ *

أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَنَهَمُ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
 وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
 حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
 وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا
 يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ
 مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا
 نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ
 فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ
 السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ
 مَا يَرِثُونَ * وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ *
 قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 يَجْحَدُونَ * وَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
 وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ
 فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بآيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى
 يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
 يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
 إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
 بآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
 قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ
 بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَدْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى
 أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا

وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ *
 فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ
 وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
 يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ
 الظَّالِمُونَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * قُلْ لَا أَقُولُ
 لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى
 إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ * وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْفُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
 إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
 بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ
 شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنْ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
 تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ
 الْمُجْرِمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ
 ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ
 بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ
 لَقُضِيَ الْأَمْرُ يَدَيَّ وَيَدَنَّكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا
 رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ
 ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا
وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ *
قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ *
قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ
يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أُنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ *
وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ
غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ
يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَعِبًا وَّكَلْهًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ
شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا
يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ
أَفْصَحُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُثْنِتْنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرٌ نَاكِسٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *
وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *

﴿ التفسير اللفظي لهذا القسم ﴾

(وما أتاهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) من الأولى زائدة ومن الثانية للبيان والاعراض
ترك النظر (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) وهو القرآن (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) أى
يظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم في الدنيا كانهزامهم في الحرب وكظهور الاسلام وفي
الآخرة بعذاب جهنم (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) القرن الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن
وليس له عدد معلوم • فاذا جعل مائة أو أكثر أو أقل • فذلك ليس حاصرا له ولا المعنى قاصرا عليه (مكناهم
في الأرض ما لم نمكن لكم) جعلنا لهم فيها مكانا وأعطيناهم من القوي وسعة الرزق والتصرف في الأرض ما لم

نعطىكم (وأرسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) مفرارا (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) فعاثوا في الخصب والريف بين الأنهار (وأنشأنا) وأحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس) مكتوبا في ورق (فاهسوه بأيديهم) فحسوه بالأيدي (لقال الذين كفروا) منهم (إن هذا إلا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هلا أنزل عليه ملك يكلمنا أنه نبي (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) لا يمهلون (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولجعلناه عليهم ما يبايسرون) أي ولو جعلناه قرينا لك ملكا يعاينونه لمثلناه رجلا فان القوة البشرية لم تتأهل لرؤية الملائكة في الصور الأصلية ويأمرهم الأنبياء بقوة أخرى قدسية ولو جعلناه رجلا خلطنا عليهم ما يخاطون على أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم * وسيأتي إيضاح هذا من العلم الحديث بعد تمام التفسير اللفظي لهذا المقصد * فهو يقول إن المانع من إرسال الملك أمران * الأول أن الملك إنما ينزل بالعذاب لمن يقترحون الآيات * والثاني أن الملك لن يراه الناس بصورته الأصلية فاذن يكون رجلا واذن يختلط الأمر عليكم فتقولون هذا رجل ونحن نريد ملكا * ثم أخذ يسلي النبي ﷺ بذلك الأنبياء السابقين وأمرهم فقال (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أساط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي وبالاستهزائهم * ثم أخذ يذكركم بالأمم السالفة ويأمرهم بالسير في الأرض ليروا الأمم الهالكة بالكذب فقال (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) سيروا في الأرض على سبيل السفر تارة وعلى سبيل الفكر والاعتبار تارة أخرى بحيث يكون النظر العقلي تابعا للسير الجسمي * فانظروا كيف أهلك الله الأمم بعذاب الاستئصال لما كذبت (قل لمن مافي السموات والأرض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت (قل لله) وهو المتعين للجواب (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا منه والرحمة في الدارين (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) اللام للقسم والجملة بدل من الجملة قبلها بدل بعض لان جمع الناس يوم القيامة بعد موتهم من الرحمة (لأريب فيه) لاشك فيه (الذين خسروا أنفسهم) بتضييع الفطرة الانسانية وهي رأس ما لهم والذين مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون) وقوله (وله ما سكن) عطف على الله أي لله مافي السموات والأرض وما سكن بالليل والنهار من السكنى أو من السكون أي ما سكن فيها أو تحرك فاكتمى بأحسد الضدين عن الآخر * وعلى

الأول يكون بمعنى ما اشتمل عليه (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم وههنا فصول الفصل الأول في الرد على دعوى الكفار للنبي ﷺ أن يتخذ وليا أي ربا ومعبودا وناصرا ومعينا من معبودات العرب قال وإذا كان الله له مافي السموات ومافي الأرض المتحرك والساكن فكيف أتخذ وليا غيره وهذا قوله تعالى (قل أغير الله أتخذ وليا) انكار لا يتخذ غير الله (فاطر السموات والأرض) مبدعهما * قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بشر فقال أحدهما أنا فطرتهما أي ابتدأتها * ولما كان أصل الطعام به بقاء الأجسام خصه بعد التعميم فقال (وهو يطعم) يرزق الحيوان والإنسان (ولا يطعم) لانه ليس من جنس المخاوقات * ثم ارتقى إلى ما هو أخص وأبدع وهو الاختصاص في العلم والحكمة والنفع العام فقال (قل إني أصرت أن أكون أول من أسلم) أول من انقاد لله وأخلص له من أممي فكيف إذن أتخذ وليا غيره أأتخذ غير المبدع المطعم وهو لا يطعم الذي خصني بالحكمة والعلم وهداية الناس وفي هذه معنى أقرب إلى الأخلاق الالهية كما في الحديث تخلقوا بأخلاق الله ولذلك قال (ولا تكونن من المشركين) لما لك من ذلك الاختصاص الرفيع والعلم العظيم ولو أنك بعد هذه المعرفة أشركت لعظم عذابك لأن من يعلم ليس بمن لا يعلم والعالم عذابه أكثر من الجاهل والغنى القادر والقوى الجسم يعذبان على إهمال النفع بهما للناس وهذا ما يشير إليه قوله (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فكيف تطمعون بعد هذا كله أن أعبد غيره اطاعة لدعوتكم * ثم وصف العذاب بقوله (من يصرف عنه

يومئذ) أى يوم القيامة (فقد رحمه) بأن أنجاه من العذاب (وذلك) أى صرف العذاب وحصول الرحمة (الفوز المبين) ولما كان فى العادة أن المرء يخاف من قوى قادر وهذا القوى قد يكون له نظراء فهو ان عصاه فر بما صرف العذاب عنه غيره من القادرين بجاههم أو شفاعتهم وإن أطاعه وأنعم عليه فر بما منع هذا الانعام غيره من القادرين فقال كاذب (وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له الا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شئ قدير) فهو الجالب للخير الدافع للضرر فاتخذ وليا لك ونصيرا ثم ختم تلك الصفات الالهية بأعمالها وأشملها فقال (وهو القاهر فوق عباده) القاهر لهم وهم المتهورون وهذه صفة عامة دخل فيها النفع والضرر وايصال الخير والشر ولما كان القاهر قد يكون ظالما باطشا جبارا عنيدا يفعل ما لا تقتضيه الحكمة قال (وهو الحكيم) فى تدبيره (الخبير) بشؤون عباده . وإذا كان الله هو القاهر فوق عباده فهو الحكيم بينى وبينكم (قل أى شئ أكبر شهادة) يقال ان أهل مكة قالوا سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر (قل الله) أكبر شهادة وهذا جواب الاستفهام فلا علماء اليهود ولا النصارى ثم ابتداء فقال هو (شهيد بينى وبينكم) وهو الذى يخص من يشاء بما شاء ويكون هذا التخصيص آية بينة وشهادة ناطقة أبلغ من شهادة اللسان الانسانى الذى قد يعتاد الحكم الكاذب والقول المخطئ فإذا أعطى الله الأم قوة الارضاع والعالم قوة الافصاح والجامل المتواضع حب الاستماع فتلك الفطر الظاهرة فى هؤلاء شهادات من المبدع الحكيم أنهم يقومون بما خلقوا له وإذا خلقت العين للنظر والأذن للسمع والعقل للفكر فهي أيضا شهادات ناطقة أنها أهل لما خلقت له من سمع وبصر وفكر فهكذا شهد الله لى بالرسالة بان أنزل على هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة ومن بلغه من الأسود والأحر وهذا قوله تعالى (وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) وإذا ثبت لكم أن هذه شهادة من الله لى أن أنذركم أيها الموجودون ومن بلغهم بعدكم فلا تبلغ رسالتى بعد أن رفضت دعوتكم لى بالشرك وتخاصت من إثمها وأقت الحجة على عدم قبولها فأقول لكم هل أنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى فهذا قوله (أنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهو استفهام تقريرى مع الانكار والاستبعاد (قل لا أشهد) بما تشهدون (قل إنما هو إله واحد) أى بل أشهد أنه إله واحد (وانى برىء مما تشركون) يعنى الأصنام وبهذا تم الكلام على شهادة الله له ثم أخذ يذكّر شهادة الخلق له أيضا بشهادة الله سبحانه وتعالى إذا دعيت قریش أن علماء اليهود والنصارى زعموا أنه لم يذكر فى كتبهم كما تقدم فقال (الذين آتيناهم الكتاب) من علماء اليهود والنصارى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) كما قال عبد الله بن سلام لعمر بن الخطاب لما أسلم يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ولأنا أشد معرفة بمحمد ﷺ منى بابنى قال وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدري ما يصنع النساء . فإذا شهد الله برسالتى وشهد علماء النصارى واليهود كذلك فلم يبق الا الخسران على من لم يؤمن وليس خسران ذهب ولا فضة بل خسران النفس بحرمانها من كمالها الخاص بها وهو قوله (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ثم وصفهم بعد الوصف بالخسران بأنهم ظالمون بل هم أظلم من غيرهم فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) كهؤلاء الذين قالوا ان الملائكة بنات الله افتراء عليه وكذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا (انه) ضمير الشأن (لا يفلح الظالمون) ولما فرغ من إثبات ظلمهم أخذ يذكر نتائج يوم القيامة فقال (ويوم نحشرهم جميعا) يوم منصوب بمحذوف (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم) أى آلهتكم التى جعلتموها شركاء (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونهم شركاء فيكون جوابهم أن يجيبوا كعادتهم فى الأرض عند القضاة فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين وهذا قوله (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) والفتنة هنا المعذرة التى يتخلصون بها تقول فتنت الذهب اذا خلصته (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بنفى الشرك (وضل عنهم) غاب وذهب عنهم (ما كانوا يفترون) أى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الأصنام تشفع لهم

وتنصرونهم فبطل ذلك في ذلك اليوم ثم أخذ يصف فرقامتهم فقال (ومنهم من يستمع اليك) حين تتأول القرآن كأبي سفيان ومن معه فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين فقال أبو سفيان إني لأرى حقاً فقال أبو جهل لا قال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كان وهو ما يستر الشيء كراهة (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) صمما وثقلا يمنع من استعماله (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى إذا جاؤك يجادلونك) أي إلى رحتي هذه هي التي تقع بعد الجدل ولا تعمل لها والمعنى بلغ تكذيبهم إلى أنهم إذا جاؤك حال كونهم يجادلونك (يقول الذين كفروا إن هذا الأساطير الأولين) والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو أسطورة أو أسطار جمع سطر والسطر الخط (وهم ينهون) الناس (عنه) أي عن النبي والإيمان به وبالقرآن (وينأون) بأنفسهم (عنه) فلا يؤمنون به كأبي طالب (وان يهلكون إلا أنفسهم) أي ما يهلكون إلا أنفسهم (وما يشعرون) أن ضرره لا يتعمدهم وجاء في تفسيرها وجه آخر أن أبا طالب كان ينهي قريشا عن إضرار النبي ﷺ وهو كان ينأى عن الدين حتى أن قريشا قالوا له خذ شاباً من أصدقائنا وجهاً وادفع إلينا نجداً فقال ما أنصفتهموني أربي ابنكم وأدفع ابني لتقتلوه . ولما دعاه ﷺ للإيمان قال لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينك ولكن أذب عنك ماحيت ومن آيات منسوبة له

والله لن يصابوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * ابشر بذاك وقر منك عيوننا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أميننا
وعرضت ديننا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية ديننا
لولا السلامة أوحنا مسبة * لو جددني سمحاً بذاك مينا

ثم قال تعالى (ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نسكذب بآيات ربنا وفكون من المؤمنين) أي ولوتراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها فيقولون ياليتنا نرد إلى الدنيا الخ وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً عجيباً وموقفاً شنيعاً ثم أضرب عن تمثيلهم الرد وعدم التكذيب والإيمان فقال (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) أي ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبائح الأعمال فتمنوا ذلك للضجر من العزيمة (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصي لأنها صارت سجية فيهم (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم (وقالوا) عطف على عادوا (إن هي إلا حياتنا الدنيا) وضمير هي للحياة (وما نحن بمبعوثين ولوترى إذ وقفوا على ربهم) عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أي يقول يوم القيامة أليس هذا البعث والشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (قالوا بلى وربنا قال فأنسووا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) إذ فاتهم النعيم وكال أنفسهم (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) غاية لكذبوا وبغتة فجأة (قالوا يا حسرتنا) أي تعالى فهذا أوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) في الحياة الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) هذا تمثيل لاستحقاقهم الآثام (الأساء ما يزررون) أي بئس شيئاً يزررون وزرهم (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي وما أعمالها إلا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة وهذا جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا (والدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها ولأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا تكليف ولا غم (أفلا تعقلون) أي الأمرين خير (قد نعلم) قد هنا لزيادة الفعل وكثرته كما قال الشاعر * قد يهلك المال نائله * (انه) أي الحال والشأن (ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك) فقد قال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس أحد هنا يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنوقصي باللواء

والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فإذا يكون لسائر قريش وهذا تعزية للنبي ﷺ فان قومه لا يكذبونه وانما هم يريدون أن لا يعالو عليهم أحد أي فانهم لا يكذبونك في السر (ولكن الظالمين) أي الكافرين (بآيات الله يحدون) في العلانية وقال في حق غيرهم وسجدوا بها واسميتها أنفسهم ظامسا وعاولا ه ثم أخذ يسليه تسليمة أخرى فقال (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم واذا هم (حتى أتاهم نصرنا) وهكذا جميع الصابرين على الحق وأنت منهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده ومنها وعده للصابرين فلا يبدل وعده معك ه ومعهم أن هذه السورة نزلت بمكة ولم يكن هنالك نصر بل كانوا في حال ضعف فنصر بعد ذلك وهذا في الحقيقة معجزة نبوية (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي من قصصهم وما كابدوا من قومه ومن هنا صلة كما قال الأخفش كقروهم أصابنا من مطر أي مطر وهذا تسليمة للنبي ﷺ وأن الأنبياء بعد تكذيبهم قد نصروا على أنك يا محمد على كل حال مأمور بالصبر على اعراضهم والوقوف عند حد ما أمرناك به واقتضت حكمتنا أن نفعله معك ولم يكن في حكمتنا أن نزل الآيات التي يطلبها قومك لان تلك الآيات ما كنا نرسلها الا تخويفا فانزال الملك يقضى عليهم بالعذاب فلم يبق الا أن تنتظر الفرج انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في طلب الكفار الآيات عنادا ﴾

(وان كان كبر عليك اعراضهم) أي اعراض قريش لما طلبوا آية خارقة للعادة كما كان للأنبيا السابقين آيات فطمعت في ذلك وأحببه ونشئت لم نزل ذلك حكمة (فان استطعت أن تبتغي) تطلب (نفقا في الأرض) سربا والنفق سرب في الأرض تخلص منه الى مكان آخر (أو ساما في السماء) يعني أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) أي ان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت أن تذهب في الأرض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدل على صدقك فافعل فأنا الذي حكمت بأن قوما يؤمنون وقوما لا يؤمنون (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) فان الناس مختلفون استعدادا كما اختلف كل حي وجماد فكيف أشاء اتحادهم وأنا الذي رتب الدرجات كدرجات السلم ولا يرى اتحاد الناس في كل شيء مرضا وصحة ه وغنى وفقرا ه وعلماء وجهلا ه وطولا وقصرا ه الا الذين تبرؤا من الحكمة وابتعدوا عن العلم وحاشا أن تكون منهم (فلا تكونن من الجاهلين) واذا كان الناس فريقين فهل يؤمن الا المستعدون للايمان كما لا يعقل الا من استعد للعقل في سنن معام (انما يستجيب الذين يسمعون) سماع تعقل وتدبر وأما هؤلاء فكلهم كالموتى فكيف يسمعون (والموتى) أي الكفار الذين هم كالموتى في أنهم لا يسمعون (يجمعهم الله) يوم القيامة فيسمعهم فيؤمنون حيث لا ينفهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء ولما أعلم النبي ﷺ أنه لن ينزل عليه ما يطلبون من الآيات كالأهم السابقة أخذ يعلمه كيف يرد عليهم حين طلبهم فقال (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما رأوه من الآيات الكثيرة (قل) يا محمد (إن الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) عاقبة انزالها فانه سبب البلاء والهلاك والاستئصال ه وكيف نزل آية من خوارق العادات التي تخرق النواميس الطبيعية المعروفة وأنا رتب العوالم ونظمت السكائنات وأقت الأم والطوائف كلا بنظامه ولو اني خرقت النواميس لاختل نظام مخلوقاتي وبدلت كلماتي ولا مبدل لكلمات الله ه فأنا الذي أقت الطير في الهواء والدواب على اليابسة والهوام في التراب والسمك في الماء وأعطي كل حيوان خلقه وهديته لمعاشه ونظمت طوائفها وأحكمت ألفتها وجعلت بينها تفاهما بلغاتها الخاصة بها وعامت ذكرانها واناثها أن تعيش جماعات منظمات ولم أذر مخلوقاتي يتخبطون في دياجير الحياة ه وأنا لولم أحافظ على تلك القوانين لاسود وجه الحياة ولمات معظم الجماعات ولم تكن لها حياة بل كل ذلك مسطور ه انكم يا معشر بني آدم أمة تسكنون مع

أهم أخرى من هذه الطوائف الحيوانية وأنا الذي رزقتها وعرفت مستقرها ومستودعها وكل قواينها وأنظمتها وأحوالها في كتاب مبين أي اللوح المحفوظ . فهل ترون فارقا بين الانسان والحيوان إلا في قوة الإدراك فأما ما عدا ذلك فهم والحيوان سواء فلها جماعات منظمات وذكران وإناث وقوانين وآداب على قدر طاقتها ولها سياجيات كجماعات الطيور في الجو والحمر الوحشية والفيلة والبقر الوحشي والسمك وكل ما دب ودرج وما أنتم أيها الناس إلا من الحيوانات ذات الفقرات فأن ارفعتم عن الطير ذي البيض وكانت صغاركم ترضع اللبن من أمهاتها بجميع الدواب من ذوات الأربع تشارككم في هذه المزية وأن كنتم تسوسون مدنكم فان النحل يسوس خليته والنمل يحفظ مدنه وان كنتم تحفظون أولادكم فأكثر الحيوان لأولاده حفيظ وأن كنتم تذبحون الحيوان وتأكلون لحمة وكذلك تنحرونه وتشربون لبنه فما ذلك فضيلة فيكم فكم من أكل لحم أضربه الطعام وشارب لبن أورثه السقام . على أن الآساد تشارككم في أكل اللحوم وبالجملة فهذه الحيوانات أهم أمثالكم ولست غافلا عن مخاوفي أيها كانوا - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فأنا أعطي كل طائفة من هذه الطوائف ما هي أهل له ولا أتعدى الحكمة كما أني يا محمد أردت أن قوما ممن تدعوهم للإسلام لا يؤمنون وذلك على حسب نظامي العام وهذا قوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) وكما انكم تحشرون الى ربكم فهم كذلك يحشرون فهذا العالم نظام واحد وله مقصد واحد متجه الى حال يجعلها الناس والعلماء وأفاضل القوم من أمم الأرض يبحثون وهم محجودون فهذه الأمم سائرة على نظام تام جميل في الحياة (ثم الى ربهم يحشرون) لافرق بين الانسان والحيوان * روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يؤخذ للجسماء من القرناء * وفي رواية مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لتؤذين الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء واعلم أن الساموم الحديث قد أيدت ذلك وان لم تكن بلغت مبلغ التحقيق أي ان الحيوان باق بعد الموت كالانسان سائر لغرض نجهله ونحن هنا على الأرض التي حبسنا فيها لمعرفة ما في هذا الغالم ثم نكون في عالم آخر فلعلنا نطلع على ما هو أدق والطف وأجل . ثم أخذ يتم الكلام على موضوع هؤلاء الذين لا يسمعون وهم قد جعلوا في منازلهم فلم يعقلوا كلام ربهم وكذا نبه على مقتضى نقص نفوسهم فقال (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات) فهم لا يزالون في الظلمة الأرضية التي تقدم ذكرها في أول السورة ولم ينفذ نور الهداية الإلهية الى قلوبهم إذ لم يستعدوا لها لعنادهم ونقصهم بحسب درجتهم ولوانهم كان لهم استعدادا لأدركوا ما أحاط بهم من عجائب الحيوان وغرائب الطير وبدائع الحيوان البري والبحري وما أودع فيها من فطر وفهم وذكاء وتقدير وتدبير فيعرفون خالقها ولكنهم لم يصلوا الى درجة الفهم - انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - فهم صم لا يسمعون وبكم لا ينطقون بالحق ثم بينه فقال (من يشأ الله) اضلاله (يضلاله) لأنه وضعه في موضعه اللائق به كما وضع كل طائفة من الأمم في مركزها حفظا للنظام (ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) ومستحيل أن يكون ذلك الا عند الاستعداد - وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - ما فرطنا في الكتاب من شيء - فنحن لانصنع الا بحكمة . ولما كان الكلام في خوارق العادات وفي انزال آية كالأمم السابقة قد انتهى القول فيه كان الأجدر أن ينظر في أمر نافع للإيمان ولا شيء أفضل من البحث في أمر النفس والبحث في الأحوال العارضة لها فأما الأحوال العارضة للعالم في الآفاق بالخوارق فلا فائدة منها . وأن النفس اذا نزل بها لم أوجد لها حدث عظيم كأن ينزل أمر عظيم من السماء كصاعقة أو من الأرض كزلزلة أو تقوم الساعة فبالله ماذا يحس الانسان في نفسه لاجرم انه يحس باضطراب والتجاء الى قوة فوقه يلتمجئ اليها فيدعوها وما هي هذه القوة هي الحضرة العلية فان الناس عند عظام البلايا يلتمجون الى ربهم بفطرهم

ولا يحسبون بأصنام ولا شيوخ ولا عظماء فهذا هو البرهان على وجود الله تعالى . فأنتم يا أهل مكة ليس ينبغي أن تعرفوا الله بطريق الأمور المزعجة في العوالم العسوية والسفلية أو بأن جبال مكة تصبح قانا صففا ويحل محلها الجنات أو تسكون أمهارة أو يأتي لكم بكتاب من السماء فهذا كله لا يفيدكم اليقين وإنما اليقين يأتي لكم من طريق أنفسكم فأنفسكم إذا حل بها كرب تلجأ إلى الله فهذا هو البرهان على وجوده من هذا القبيل فأنتم نظرتم إلى الأرض وتركتم الجوهر وهذا هو قوله (قل أرأيتمكم) استفهام تعجب ومعناه أخبروني تقول أرأيتم زيدا ما شأنه أي أرأيتم زيدا ما شأنه فالكاف حرف خطاب لا محل لها من الأعراب وهي مجرد تأكيد الخطاب وأصله أرأيتم وتقول العرب أرأيتمك بمعنى أخبرنا بحالك (إن أنا كم عذاب الله) بالصواعق أو الخسف في الدنيا كما حصل في الأمم السابقة (أو أتاكم الساعة) القيامة (أعبر الله تدعون) في كشف العذاب (إن كنتم صادقين) أن الأصنام آلهة (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه) أي ما تدعونه إلى كشفه (إن شاء) أن يتفضل عليكم (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في الفطر من توجه النفوس إلى من فطرها . فن هذا فلتؤخذ البراهين والدلائل على وجود الله . وقد جعل لنا الله الفقر وشدة . والمرض ووقعه . والبلايا وكثرتها . بابا من أبواب هدايتنا ونعمة من نعمه علينا فهي في الظاهر عذاب وفي الحقيقة نعمة عظيمة فهي . باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . نسلطه على من نشاء من عبادنا كي يفتنوا لما نزل بهم ويفكروا في أمور نفوسهم فاما أن يعرفوا فيتضرعوا واما ألا تلين قلوبهم فينتدبهم فإلى العذاب يكون أشبه بامتحان فمن آمن أبقيناه ومن لم يؤمن أهلكناه لأن النفوس الجامدة التي لا تعرف زمانها ولا تسير في طريق الصلاح هالكة حقا وهذا قوله (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) من زائدة فسكفروا (فأخذناهم بالبأساء) الشدة والفقر (والضراء) الضر والآفات (لهلهم يتضرعون) يتذللون ويتوبون ويرجعون عن ذنوبهم (فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا) لولا هنا للتقديم لدخولها على الماضي وهي للحض إذا دخلت على المضارع ويدخل في معناه أنهم لم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فلأمانع لهم إلا قسوة قلوبهم وأعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم

والأم إذا لم توقفها الحوادث ولم تغلبها النوائب وبقيت محبة بأنفسها متهجة بما زينته لهم شياطين الانس والجن من الأعمال يلحقها البطر ويملؤها الأشر وتمتلئ أعجابا فتتمادى في غيها ولا تسمع نصيح الناصحين ولا تذكّر المذكرين وتسكون أشبه بالدين يمتلئون من الماء كل الدسمة من اللحم واللبن والبيض ولا يصيغهم مرض في أجسامهم بل تزداد وجوههم لضرة وجسومهم قوة وغيرهم مهزولون مرضى يستريحهم ما يستخرج من أجسامهم كثيرا من المواد فهؤلاء كما قال أطباء العصر الحاضر بأوروبا لاسيما في النمسا وألمانيا يأتيهم الموت فجأة ويموتون ولا هم يدركون وعلاوا ذلك بأن أجسامهم القوية إنما نشأت من تلك الماء كل التي هي كثيرة التغذية فاذا دخلت في خلأ الأجسام دخلت بكثرة فلا تمها بلاتوان بخلاف الأطعمة الخفيفة فاما تستدل بالتدريج في الخلأ حتى إذا جاء أجلها خرت صريعة للدين والنف في يوم أو بعض يوم . فأما أولئك المرضى فان أجسامهم قوية أن تطرد عن أجسامها تلك الأمراض أي الخارجة بالبشور والقروح مثلا والأمراض المتنوعة فمن يظنه أكثر الناس صحيحا هو المريض ومن يظنونه مريضا هو الصحيح لأن الجسم الضعيف ظاهرا أصبح قادرا على طرد البقايا المتخللة فيه . فأما ذلك الذي ملأ جوفه من المطاعم الدسمة فقد قتل نفسه وملأ الجسم بارودا وحشا نارا فتفتك به بعد حين وقالوا ان الامتلاء من الأطعمة الدسمة هذا فعله وأمره وأن يقلل الانسان منه وأن يكثر من القواكه والأطعمة الخفيفة والحبوب والخضر . هذا ما جاء في الطب الحديث وهو عينه ما يحصل في الأمم التي أنذرهم المندرون وحذرهم المخدرون وهي لا تسمع

ما يقولون ولا تهيئ ما يذكرون وسارت على طريقها المرسوم ولم ترجع عن غيها المأموم وهذا قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من النعم لتكمل الحجة فيسكنون قسدا ذاقوا العسر والميسر والنفع والضر والخير والشر (حتى اذا فرحوا) أعجبوا (بما أوتوا) من النعم كالصحة في الأبدان والسعة في المعيشة والأمن في الأوطان (أخذناهم بغتة) كما حصل في أجسام الناس الذين لا يتقون الماء كله السممة (فذاهم مبلسون) آيسون متحسرون (فقطع دابر) آخر يقال دبره دبرا ودبورا اذا اتبعه (القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) على قيام الحجة وظهور الحقيقة وذهاب دولة الجاهلين وانتصار الحق على الباطل فالحمد حمدان حمد في أول السورة على نعم النور والارض والسموات والارتقاء . وحمد هنا على ابداء الجهل وحلال العلم محله وغلبة الحق على الباطل فهو رب العالمين

ولما كان العذاب اما من خارج واما من داخل وقد قدم العذاب الخارج بخسفه أوزلته أخذ يذكركم هنا ما في داخل الأجسام فيقول لو أن الله سلبكم موهبة السمع والبصر فلا تسمعون ولا تبصرون وموهبة العقل فلا تعقلون فهل غير الله يأتكم بأمثال ما فقدتم

ولما كان العذاب ربما يتوهم أنه ينصرف لغير الظالمين قال ان العذاب مهما جاء سواء كان بغتة أو جاء بعد مقدمات فهل يهلك الا القوم لظالمون وهذا قوله تعالى (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم) فلا تسمعون ولا تبصرون ولا تعقلون (من إله غير الله يأتكم به) بما أخذ (انظر كيف نصرف الآيات) كيف نبين لهم العلامات الدالة على توحيد الله بأنواع مختلفة فمرة بأحوال الأمم ومرة بالتخويف ومرة بالنظر في أنفسهم فانهم لو فكروا فيها لعلموا أن السمع والبصر والقلب وما يشعربه كل واحد من نفسه لا يخلقه سوى الله تعالى وكذلك اذا وقع في غرق أو مرض عظيم فانه لا يرى في نفسه مدعوا سوى الله تعالى فنحن نصرف لهم ذلك (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها ويطلبون غيرها كآيات التي كانت تنزل على الأنبياء السابقين وفيها هلاك أمهم هلا كما معنوبا لانها لا تورث اليقين فأما الأمور العقلية فانها أنفع للقضية (قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (أو جهرة) يتقدمه اشارة تؤذن بحاوله وقيل ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) وبعد أن استوفى الكلام على المرسل اليهم أخذ يصف حال المرسلين فقال (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم يرسلهم ليقتلهم عليهم ما ليس لهم أن يصنعوه فيتلهم بهم أناس (فمن آمن وأصلح) ما يجب اصلاحه على حسب الشريعة (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولا هم يحزنون) بفوات الثواب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) أي بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة . ثم أخذ يصف حاله ﷺ

﴿ الفصل الثالث في أقواله ﷺ مع المتواضعين ﴾

يقول ﷺ ليس عندي خزان رزق الله ولا علم لي بالغيب ولا أنا من جنس الملائكة فأقدر على ما يقدرون عليه ولست أتبع إلا ما يوحى الي . وهذا الوحي انما يعرفه المستعدون له المبصرون فأما عمى القلوب فهم لا يفهمونه وهذا قوله تعالى (قل لا أقول لكم عندي خزان الله) فأوسع عليكم وأمنع فقركم وأجعل ما حول مكة جنات بدل هذه الجبال الجرداء (ولا أعلم الغيب) وهو من جملة المقول فأخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل كما تقترحون على أن أطلب لكم من الله سعة الرزق في الأول واخباركم بمصالحكم ومضاركم في المستقبل (ولا أقول لكم اني ملائكة) حتى لا آكل الطعام ولا أمشي في الأسواق ولا أتزوج النساء كما فاتهم - ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - وحيث أقدر على ما لا يقدر عليه غيري من الاخبار بالمستقبل فأنا لست كذلك (إن أتبع إلا ما يوحى الي) وانما الأمر يرجع لاستعداد النفوس فن تكبر وأعجب بنفسه قتله الاعجاب وباء بالنكال ولم يجب الدعوة وهم الأغنياء والمتكبرون (قل هل يستوى الأعمى والبصير

أفلا تتفكرون) فتهدوا (وأفذر به) أى القرآن (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) وهم المؤمنون المفرطون في العمل . وهكذا كل من يجوز الحشر من المؤمنين والكافرين فالانذار نافع لكل كافر مجوز للحشر وكل متردد . ولكل مؤمن مذنب . فاما أولئك الجاحدون المكذبون فكيف ينجع فيهم الانذار ولا انذار إلا حيث تجوز النفوس ما أنذرت به . وهى نفوس الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم حال كونهم (ليس لهم من دونه ولي) قريب ينفعهم (ولاشفيح) . يعنى يشفع لهم وليست الشفاعة التى تكون من الأنبياء والعلماء والشهداء وأعجمها شفاعته سيدنا محمد ﷺ التى بيناها فيما تبيان فى سورة البقرة وحققنا هذا المقام تحقيقا مستفيضاهناك . ليست هذه الشفاعة للمؤمن الا باذن الله فأصبح الشفعاء شافعين بأمر الله فهى اذن ليست من دون الله فلا إشكال . واعلم أن الشفاعة التى ذكرناها فى البقرة لاتدع شكاً لمرتاب . انها غير ما يفهمه كثير من الناس بالتحقيق فهى صكوزة على التعليم وعلى الاقتباس والقوة فلم يجعل الله الدين الا للهداية ولا الأنبياء والشهداء والعلماء الا لتعليم الناس بالسلم وبالقدوة لا أن يتكل الناس عليهم فاقراً هذا الموضوع هناك فان المعنى هناك جمع جميع الأقوال وأصبحت الشفاعة مناسبة للترتبة العالية الاسلامية فى المستقبل والله هو الهادى

الفصل الرابع فى معاملة رسول الله ﷺ للفقراء من المؤمنين وأمر الله له باكرامهم وهو اتمام للفصل الثالث

أمر الله النبى ﷺ بانذار غير المتقين فلما فرغ من الكلام عليهم أخذ يذكر حكم المتقين فالأولون غالباً كانوا من ذوى الجاه والغنى والثروة الطائلة فهم متكبرون فهم أشبه بذوى الأجسام القوية الممتلئة بالمسا كل الدسمة كما تقدم فهم فى الظاهر أقوياء وفى الباطن ضعفاء فأما الفقراء فانهم أشبه بالأجسام الضعيفة التى وصفها الأطباء فى العصر الحاضر انها كثيراً ما تكون أقوى كما حصل للضعفاء الآتى ذكرهم فانهم أصفاء نفوسهم وسلامتها من الاعباء الدنيوية والغرور بالمال والولد والصيت والقوة والجاه قبلت نفوسهم الدين فهم عند الناس ضعفاء وعند الله أقوياء . فيأليت شعري أى فرق بين هؤلاء وبين أمثالهم فى المرضى والأصحاء فالمشابهة بينهما صحيحة تامة

والنبوة لانهم بالمظاهر واذا كان الطب النبى لا يهيمه الا الأجسام لم يرعه قوة الأجسام بل قال القوى عندى قد يكون ضعيفا والضعيف قد يكون قويا . هكذا هنا

(١) قال ابن مسعود صرّ ملاء من قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضىت بهؤلاء بدلا من قومك هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم فعملك ان طردتهم ان تتبعك فنزلت هذه الآية

(٢) قال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحرث بن نوفل فى أشرف بنى عبدمناف من أهل الكفر الى أبى طالب عم النبى ﷺ فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمد يطرد عنه مواليه وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم فى صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فأتى أبوطالب النبى ﷺ فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون والى ماذا يصيرون فأنزل الله النهى بالآية فاعتذر سيدنا عمر من مقالته

(٣) وروى نحوه عن سلمان وخباب بن الارث فقد قالا ان الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن حقرا أن يجلسا مع صهيب وبلال وعمار وخباب فى نفر من ضعفاء المؤمنين وطلبا أن يجلس النبى ﷺ فى صدر المجلس ويبعد هؤلاء لراحتهم فقال - ما أنا بطارد الذين آمنوا - فطلبوا أن يكون لهم مجلس ليس معهم فيه هؤلاء الفقراء فلما دعا عليا ليكتب نزلت الآية فألقى ﷺ الصحيفة من يده ثم دعا هؤلاء

الفقراء فأتوه وهو يقول - سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة - فسكننا نعيم معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله - وأصبح نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية - فسكن رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد ذلك ونؤمن منه حتى كانت ركبتا تمس ركبتيه فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم

(٤) هكذا روى عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر فطلب المشركون طرد هؤلاء الخ وهذا أخرجه مسلم

(٥) وقال الكلبي قال أشرف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما فأبى قالوا فولّ ظهرك اليهم وأقبل علينا فأبى

(٦) وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني ابن مسعود لما بعثناك هذه الروايات التي ذكرتها مختصرة لأحضرك أيها الذكي ماورد في هذا المقام ففي كل رواية يقال فنزلت هذه الآية وكل هذا محتمل ولكن النزول لا يكون إلا في واحدة فإذا كان سامان الفارسي وهو بالمدينة يقول فينا نزلت وسورة الأنعام مكية فإن النزول إنما يكون بمكة كما في رواية عكرمة وابن مسعود والكلبي فعلى هذا لاتنافي بين الروايات إلا في اثبات الانزال وذلك من نصرف الرواة الذين فسرنا الآية برواياتهم والخطب سهل في ذلك

والمقصود من الآية مكارم الأخلاق فأياك أيها الذكي أن تضيع وقتك في جمع الروايات والترجيح بينها فالمقصود من هذا كله الأخلاق والفضيلة لنقتدي بالأنبياء في أخلاقهم ونعمل لأصلاح المجتمع الذي خلقنا فيه ولنكون أئمة يقتدى بمتبعو عظماء العظم فلتقرأ الآية ولتفسرها وإياك ونصيام الوقت بل سرفي الآية وهي (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الصبح والعصر والمراد الدوام حال كونهم (يريدون وجهه) أي محققين في الدعاء (مأعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) أي مأعليك حساب رزقهم وإيمانهم فالله يرزقهم وإيمانهم ربما كان أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار البواطن فإذا كان باطنهم ليس فيه إخلاص لحسابهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك لا يتعداهم اليهم (فتطردهم) فتبعدهم وهذا جواب النفي (فتكون من الظالمين)

(الكلام على الفريقين الكافرين والمؤمنين)

هنا يذكر الله عاداته في خلقه وأنه يبتليهم ويختبرهم • فاعلم أن الله عز وجل جعل التريفة عامة في خلقه فكل ما عشنا في حياتنا الدنيا إنما يكون نتيجة لتربيتنا شئنا أم أبينا وليس في الأرض من الكمال الا النادر والناس اذا قلّ علمهم ونقص اختبارهم وساءت نفوسهم كانت النعم العامة مصيبة عليهم فيصبحون وهمومهم محصورة في الموازنات والمشابهات والمناظرات وكل يقول في نفسه لم فضل فلان بالعلم أو بالمال أو بالصحة أو بقبول الناس أو بالجمال وما أشبه ذلك • وما من امرئ في الأرض الا واجد من هو أحسن منه في صفة أو صفات فاما أن يصبر ويرجع ويدرس الحياة درسا نافعا حتى يعقل واما أن تتحير نفسه وتدل ويصبح حاسدا لنعم يجب أن يتصف بها الناس ليساعده في حياته ولكن لغباوة أكثر الناس لا يبالون بهذه القضايا ويحزنون ولذلك قال الله (وكذلك) أي مثل ذلك الفتن وهو اختلاف الناس في أحوالهم في الدنيا سعة وضيقا فجعلنا أمثال عبيدة بن حصن الفراري أغنى من مثل سامان الفارسي مثلا (فتنابعضهم ببعض) في أحوالهم العقلية وأمورهم النفسية فجعلنا أمثال سامان الفارسي أرقى عقلا وأحلم نفسا لا يمانه بالله تعالى (ليقولوا) أي الذين ارتقوا في المال وانحطوا في العقائد (أهؤلاء) الفقراء والضعفاء (من الله عليهم من بيننا) بالعلم والإيمان والاهتداء وكيف يكون ذلك ولو كان خيرا ماسبقونا اليه فنحن أولى بالعلم وأهدى سبيلا فالقوة سائدة عندنا علما

ومالا فأجابهم الله قائلا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي الذين هم مستعدون للعلم والايمن وليس في هذا العالم عطاء الاعلى مقدار الاستعداد وهؤلاء لما هدبت نفوسهم وارتاضت بالفقر تارة والضعف وقلة العيت أخرى خفت حمل الحياة عليهم ولم يؤثر في نفوسهم الشره والطمع والرياسة والحرص والحسد والكبرياء وأمثالها مما يغطي على العقول فتصدأ فيكون الران عليها فلا تبي ما يقال لها كبرياء وحسدا ه هؤلاء لما سلموا من ذلك استعدت نفوسهم لسماع الوحي وأخذت تقترب من الفضائل والسعادة النفسية فكانها خفت الدين سهل الوفاء والمال والجاه والكبرياء والبطشة كل ذلك مبعدين العلم والحكمة والله هو الذي جعل الدرجات متفاوتة كما تتفاوت المعادن كما في الحديث الناس معادن كعادن الذهب والفضة نخيركم في الجاهلية خياركم في الاسلام فمن كان اصدق قولا وأصح رأيا وأقبل للحق في الجاهلية بما أودع في فطرته فإنه في الاسلام كذلك يقبل الحق فالأمر يرجع الى الفطرة الانسانية والقابلية النفسية ه والشمس تشرق على البر والبحر فيمنعها النبات ولا ينمو بها الحجر ولا التراب ولا الطين ولا المعادن وليست الشمس بمحجوبة لأجل أن الأشجار لا تنمو بها بل هي طالعة لتعطى القابلين الحياة باذن الله ه هكذا الأنبياء يعلمون الناس ولا يهمهم أن يتعلم الا الشاكرون كما أن المؤلفين يضعون كتبهم والمدرسين يلقون دروسهم ويقصدون بذلك المستعدين فأما غيرهم اذا لم يعبا بكتبهم ولم يسمع لدروسهم فليس ذلك بضارهم كما لا يضر الشمس أن ضوءها لم يؤثر في الحجرة وإنما يحيا بضوئها النبات كما يحيى القرآن والعلم والتأليف الشاكرين المستعدين لقبول النعمة فالمغرم بالشئ الحريص عليه هو القابل له والقابل باستعداده هو الشاكر لأن الشكر صرف العبد نعم الله عليه فيما خلقت له وهذا صرف نعمة الله وهو الاستعداد فيما خلقت له وهو الفهم وهكذا متى تعلم أفاد الناس فيصرف العلم في المنفعة العامة كما فعلت الشمس في ارسال ضوئها ه هذا هو الشكر وهؤلاء هم الشاكرون ولذلك وصى الله عليهم فقال (واذا جاءك) يا محمد (الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) ولا تكثف بعلم طردهم من مجلسك وبقائهم مع الأغنياء بل حيهم بالسلام وبشرهم بانى كتبت على نفسي الرحمة ه فأنا أغفر ذنب من أذن من ذنبهم اذا تاب فأنا لست أعابا الا بالقابول ولا أنظر الا الى النفوس فأما مظاهر الأجسام والنعم الظاهرة من المال والولد فلم أجعلها مقياسا للسكالم ولا دليلا على الارتقاء والعزة الفعساء وإنما هي آلات تصلح للخير والشر والنفع والضرر فهي اما أن ترفعهم الى العلياء واما أن تنزل بهم الى الدركات ويؤخذ بعض هذا من قوله (أنه من عمل منكم سوءا بجهالة) بفتح أن على البدل من الرحمة أو بكسرها على الاستئناف وقوله بجهالة في موضع الحال وذلك كما كان من عمر رضي الله عنه لما اعتذر من مقاتله التي قاطها فيما تقدم في هذا المقام فلما نزلت الآية اعتذر ه فعمر وغيره اذا عمل سوءا بجهالة (ثم تاب من بعده وأصلح) بالتدارك والعزم على أن لا يعود (فأنه غفور رحيم) لمن تاب من ذنوبه بفتح أن وهو اما خبر مبتدأ مضمرة أى فأمره غفرانه واما مبتدأ خبره محذوف أى فله غفرانه

﴿ الفصل الخامس في ذكر نتيجة ما تقدم في الفصول السابقة على سبيل اللف والشر المرتب ﴾
ولما أكمل الكلام على الجاحدين والمؤمنين أخذ يلقى درسا عاما يرجع لأصل المقال من دعوتهم له الى الشرك وعبادة غير الله ومن اقترحهم عليه آية من السماء فلما قتل هذا الموضوع درسا وتحقيقا وقال لا أتبع دينكم وأما الآيات المقترحة فان الله لا يأذن لي فيها ولست ملكا وليس عندي خزان الله الخ وأرجع الأمر كله الى الاستعداد وأن النفوس المستعدة للايمان تؤمن فأما القلوب المتكبرة فهي لا تؤمن ه رجع الى أصل الموضوع ليجعل له نتيجة فهو هناك كقضية يراد البرهنة عليها فلما أتى بالبراهين على هذه الأمور أخذ يذكر النتيجة فقال (وكذلك) مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين وانزال الآيات وكيف كان المقترح منهم ليس ينفع في الحياة ولا الايمان ليظهر الحق (ولتستبين سبيل المجرمين)

أى ولتبيين سبيلهم على قراءة رفع سبيل أو لتستبين أى لتستوضح يا محمد سبيلهم على قراءة النصب فتعامل كلا بما يلائمه . واعلم أن مثال هذه الجملة تقال في المواضع العظيمة من القرآن وهذا الموضع فيه أسرار تقدم بعضها وسيأتى كثير منها فيما سيأتى بعد آخر هذا المقصد والحق أن هذه السورة منبع حكمة وستراها قريباً . ثم شمع في نفس النتيجة بعد التمهيد لها بالاجمال فقال (قل انى نهيت) صرفت بما نصب لى من الأدلة وأنزل على من الآيات فى أمر التوحيد عن (أن أعبد) أى عن عبادة (الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم) وهذه الجملة تأكيد لقطع أطماعهم (قد ضللت اذا) أى ان اتبع أهواءكم فقد ضللت (وما أنا من المهتدين) وما أنا فى شئ من الهدى وفى هذا تعريض انهم هم غير مهتدين واذا كنت لا أتبع أهواءكم فانى أتبع ما يوحى الى (قل انى على بينة من ربي) على بيان وبصيرة فى عبادة ربي (وكذبتم به) الضمير لربى فانكم أشركتم به غيره وهذا نتيجة لدحض اتباعهم فى الشرك بالله كما طلبوا فيما تقدم . ثم أعقبه بالنتيجة الثانية وهى أن لاحق لهم فى اقتراح الآيات فقال (ما عندي ما تستعجلون به) من الآيات المقترحات كما تقدم تقريره (إن الحكم الا لله) كما تقدم فهو الذى جعل العالم درجات وكما رتب الحيوان ورتب الانسان فى الدنيا والأخرى وفن بعض الناس ببعض ليقول الفنى كيف أصبح الفقير عالماً ويقول الفقير كيف صار هذا الكافر غنياً وبهنا يتم ما أريد منهم كما سبق توضيحه (يقص الحق) أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به على مقتضى ترتيب الدرجات التى رتبها إذ نظم العالم من أعلاه الى أسفله ثم من أسفله الى أعلاه أى من عالم العقل الى عوالم الضياء والنور وهى الأجسام الأثرية فالشموس فالأرضون فما يحيط بهما من الطبقات فالمخلوقات التى فوقها مرتبة درجات بعضها فوق بعض فالله يتبع الحق الواضح فى هذه الدرجات التى رتبها ونظمها يقال قص أثره اذا تبعه هكذا يتبع الله الحكمة فيما يعمل وليس يضر الله شئاً أن الناس يجهلون بها وانما ينزلها فى القرآن لتقتلى حتى اذا جاء جيل رشيد أخذ يقص الحق الذى قصه الله فيقف على شئ منه فى الدنيا ثم اذا مات أخذ النور الذى أشرق على النفس فى الدنيا وهو العلم والحكمة يسمى بين أيديهم ليهدىهم الى ما هو أنور وأشرق هذا هو المقصود من قوله يقص الحق أى فليس الله يتبع أهواءكم فى ائزال الآيات فيخرج النظام المتبع فى الطبيعة ويجعل العالم مضطرباً لأن عالم الطبيعة اذا اختل نظامه لم يبق له وجود واقتراحكم يصاد هذا وأنا لا أتبع الا الحكمة فى عملى فعلى الناس أن ينهجوا نهجى ويقرؤا نظامى ويدرسوا حكمتى فى دواب الأرض ونظامها وانما أهم أمثالكم فادرسوها لتكونوا حقيقة أرقى من فى الأرض فأما اذا عشت كما تعيش العامة والبهائم فلکم منزلة فى الآخرة على قدر عقولكم ونفوسكم وأنتم محرومون من العالم الأعلى الذى هو فى جوار الملائكة والأرواح العالية واذا اتبع الله الحكمة فى عملة فهو قاض يفصل بالعدل على مقتضى القوانين التى سنها (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو أن عندي ما تستعجلون به) من ائزال العذاب (لقضى الأمر بينى وبينكم) أى لو ثبت أن فى قدرتى وامكانى ما تستعجلون به من العذاب لأهلكتكم عاجلاً لغضب ربي واقتصاصاً منكم لتكذيبكم (والله أعلم بالظالمين) أى انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه

﴿ الفصل السادس فى شرح عام لما تقدم كاه ﴾

- (١) وهو يرجع الى أنه يعلم الغيب كما تقدم من أنه جعل الحيوانات أمثالنا فهنا يقول هو محيط علماً بالعوالم كلها فى البر والبحر والورق والحبة فى ظلمات الأرض والرطب واليابس كل هذا فى كتاب مبين
- (٢) والى أنه يموتى الناس ليلاً وبعثهم نهاراً
- (٣) والى أنه قاهر فوق العباد بدليل انامتهم تارة وإيقاظهم تارة أخرى فهكذا بعد موتهم الذى هو كالنوم يحيمهم بعد الموت كما أيقظهم بعد النوم

(٤) وإلى أنه كما قهر أجسامهم فأجأها للنوم واليقظة يسلم عليهم شدائد البر والبحر فيستغيثون وهو الذي ينجيهم

(٥) وإلى أنه كما قهر الأجسام وأرواحها بالنوم واليقظة وبالظلمات في البر والبحر سلط عليهم صواعق من السماء أو زلازل من الأرض وقذف في قلوب بعضهم كراهة بعض إماما حسدا وإماما دينيا

(٦) فكل هذه الأمور الخمسة المخصصة للفصول السابقة تلخيصا أكمل تدعو العقل الانساني أن يفكر هل هذه الحياة تستحق أن تكون نهاية كلال هي مقدمة والا فلهذا هذا الاضطراب والقهر والزلازل والحروب والنوم واليقظة كلال ان هذا أمر له ما بعده فلذلك أتى آخر بما ينبغي أن قومك يا محمد كذبوا به وهو الحق فأعرض عنهم اذا خاضوا في القرآن والوحى مكذبين ولا تجالسهم وكيف تجالس من اتخذوا دينهم لعبا وهوا وتركوا العلم والحكمة والجهد ولم ينظروا الى ما يحيط بهم من العوالم والمحن هؤلاء قوم لا يعقلون فنفسهم ستسلم الى الهلاك لا شفيح لها ولا تقبل منها فدية وليس لهم الاشراب من ماء مغلى في بطونهم وعذاب ألم في أجسامهم وقل لهم أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونكون كالذي أضلته الشياطين في الأرض متعجبين ومعه رفقة يقولون ائتنا قل لهم لا تفعل ذلك فلاهدى الاهدى الله ونحن مأمورون أن نخلص له وأن نقيم الصلاة لأننا سنحشر اليه وهو الذي خلق السموات والأرض الخ . هذا اجمال هذا الفصل السادس وهو (وعنده مفاتيح) جمع مفتاح بكسر الميم كالمفاتيح جمع مفتاح وهو ما يفتح به المغاليق وان جعل مفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم فهو الخزن وسواء كان الأول أو الثاني فالمعنى أن الله عنده الغيب كله فمن عنده المفاتيح للشيء فعنده ذلك الشيء . ألا ترى أن من عنده مفاتيح الخزان فانه يتوصل بها الى ما في تلك الخزائن وان جعل بالمعنى الثاني كان المعنى وعنده خزائن الغيب (لا يعلمها الا هو) قال ابن مسعود أوتي نبيكم كل شيء الا مفاتيح الغيب ومفاتيح الغيب المذكورة أهم مما جاء في الحديث المروي عن عبيد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يدرى متى يجيء المطر أحد الا الله . وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تفيض الأرحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخارى . وأعم أيضا مروي عن مقاتل والضحاك أنها خزائن الأرض وعلم نزول العذاب . وما قاله عطاء وهو ما غاب من الثواب والعقاب وما قاله غيره من كاتبي الآجال وعلم أحوال العباد من سعادة وشقاء وخواتيم الأعمال وعلم ما لم يكن بعد وعلم خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق وغيرها بل فوق ذلك علم كل ممكن وجد وكل ممكن لم يوجد . فمفاتيح الغيب شاملة لذلك كله وكل هذه الأقوال داخلة فيها وانما يقال في كل مقام بحسبه على حسب قبول المخاطبين . ثم أخذ يشرح عموم علمه بالمشاهدات ليعرف الناس كيف يعلم الغائبات فيقول ان الغيبات في علمه منظمة على مقتضى ما ترون في هذا العالم المشاهد ولذلك قال (ويلعلم ما في البر والبحر) فليدرسها الناس ليظهر لهم كيف كانت خزائن علمه مقفلة على الناس قبل أن تبرز هذه الهجائب في البر والبحر . ان الذي برز في البر والبحر من عجائب الخلقة وبدائع الصنعة من أنواع الجاد والنبات والحيوان والانسان يدلنا على كيفية ترتيبها في علمي القديم وهو بعض ما كان معلوما لله ولا يزال معلوما فسائر الهجائب التي لا تحصى وهي عنده مخبوءة من العوالم التي قدرها وستكون في المستقبل لها نظام يشبه ما تشاهدون ومتى درستموه دلتم على حسن الاتقان وأدركتم طرفا من الجلال يسوقكم الى استكناه الحقائق وفهم الدقائق وعلى مقدارها تقرّبون من خالقها مع علمكم أنكم لاتصلون الى نهاية علمه ومهما درستم وصفت نفوسكم فانكم لاتدركون منتهاه وهذا ما يديم لكم الشوق والجهد لتسيروا في أنوار المعارف مجتدين . ان جميع الأرض اما بحر أو بر

فكانت قال جميع ما في الأرض (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) أي فهو عالم بالجزئيات ما عظم منها وما دق وما هو أدق من ذلك (ولاحية في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس) معطوفات على ورقة (الافى كتاب مبين) مقدارها ووقتها والكتاب المبين اما علم الله أو اللوح المحفوظ . ومعلوم أن جميع الأشياء امارطبة أو يابسة فعمم تارة بالبر والبحر وأخرى بالرطب واليابس وذكر الدقائق في الورقة والحبة فلتخصمه أنه يعلم الكل وهو البر والبحر والرطب واليابس والأعم منه هي مفاتيح الغيب والجزئيات الحقيقية كالورق والحبة في باطن الأرض وهي الحبة قبل أن تنبت فاذا نبتت لم تكن حبة وقوله الا في كتاب مبين بدل من قوله لا يعلمها الا هو بدل الكل على أن الكتاب علم الله وبدل اشتمال على أنه اللوح المحفوظ . الى هنا انتهى ما في المقام الأول من هذا الفصل

﴿ المقام الثاني ﴾

(وهو الذي يتوفاكم بالليل) ينيكم فيه ولا ريب أن النوم أخو الموت فكل منهما ازالة للاحساس ولكن الموت أشد استئصالا له فاستعير له (ويعلم ما جرتكم بالنهار) كسبتم فيه كما هو العادة أن الليل للنوم والكسب للنهار (ثم يبعثكم فيه) يوقظكم وهذا ترشيح للاستعارة المتقدمة فان البعث من ملائمة المشبه به وهو الموت (ليقضى أجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر أجله الذي قدر له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبثكم بما كنتم تعملون) يوم القيامة بالمجازاة . وهذا القول خطاب للكفار ولكل عاقل فهو يقول أيها الناس انكم في الليل كالخيف الملقاة وفي النهار تكسبون الآثام والليل والنهار بدوران عليكم لا يفتران فأما أنتم فانكم لم تستيقظوا من غفلاتكم بل المؤمن منكم والكافر جميعا لا يفكرون في أكثر الأحوال كيف كان نظام الليل والنهار واليقظة والنوم وهما دأبان فأما أنتم فساهون لاهون أو ما علمتم أيها الناس أن هذه الحوادث المتكررة التي لا مفر منها تشعر بطريق البرهان الاقناعي والقياس الظاهري أن هذا النوم وهذه اليقظة قد ضربا مثلا للنوم الأكبر واليقظة الكبرى وان ذلك الاثمين على الموت والحياة فان ممت فلا تجزعوا من انقطاع الحياة لانها لا مقطوعة ولا ممنوعة ولكن اجزعوا من غفلاتكم فأنتم لا بد مبعوثون بدليل استيقاظكم من نومكم وهذا من احدى الأدلة التي ذكرها سقراط لتلاميذه وأفهمهم أنه برهان اقناعي يورث الظن لا اليقين فقال . ألم تروا أن الفقر يتبعه الغنى والغنى يتبعه الفقر والمرض بعده صحة والصحة بعدها مرض وهذه قاعدة أن الضد يتبعه ضده فالاضداد متتاليات والليل يتبعه النهار . هكذا فلتكن الحياة يتبعها الموت والموت يتبعه الحياة . هذا كلام سقراط وقد تقدم في سورة البقرة . فانظر كيف ذكر الله النوم واليقظة والليل والنهار ثم أتبعهما بقوله - ثم اليه مرجعكم - ياليت شعري أين جزيرة العرب وأين سقراط وأنا موقن أن المسلمين ليس فيهم الا قليل قد اطاعوا على هذا البرهان من كلام سقراط وفيها هذا البرهان . وكيف يذكر النوم واليقظة وبنو آدم جميعا لا يفكرون فيهما الا الأطباء لأجل الصحة والمرض والا العشاق للاجتماع بمن يحبون والا المرضى للتألم مما أصابهم وهكذا وأهل الأرض جميعا الاحكاماء هم لا يفكرون في اليقظة والنوم من حيث ان الحياة الأخرى تعرف بالقياس لهما . فاذا كان الناس اليوم يقرؤن اللغات هذه القصة في كلام سقراط مع تلاميذه ولا يطلع عليها بلغة الانجليز والفرنسيين وغيرهم الا قليل من المسلمين وفيما بالك بالعرب في جزيرتهم أيام النبوة فلهمرك لم يسمعوا بحديثه هذا ولا كانوا يحسنون الكتابة العربية الا قليلا منهم فكيف باللغات الأخرى وكيف بفلسفتهم أن يراد مثل هذا البرهان في هذه السورة من عجائب الحكمة التي تأتي في البيانات والناس عنها لاهون ساهون . بمثل هذا تكون المعجزات وبمثل هذا تكون البيانات على صدق النبوة وبمثل هذا يجب على المسلمين أن يكونوا أول حكماء الأرض وفلاسفتهم . أيها المسلمون هاتحن أولاء بينا لكم ما يجب عليكم فافتقوا أثر القرآن وادرسوا هذه الدنيا ونظامها فلا اتباع

للمقرآن ما لم تدوسوا البر والبحر والسموات والأرض

﴿المقام الثالث من هذا الفصل﴾

(وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ أعمالكم (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) ملاك الموت وأعوانه وهم لا يفرطون بالتواني أو التأخير (ثم رددوا إلى الله) إلى حكمه وجزائه (مولاهم) الذي يتولى أمرهم (الحق) العدل وإذا كان كذلك فهو يحكم بالعدل (ألا له الحكم) وحده (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب

إن قهر الله لعباده غلبته لهم والقهر نجده فوق كل شيء وبهذا القهر ثبتت هذه الكائنات فقهر الليل بالنهار والنهار بالليل والحر بالبرد والبرد بالحر ووضع الحار والبارد والرطب واليابس في النبات والشجر وكسر هذا بهذا ففصل التفاعل كما هو ظاهر في علم الكيمياء فلا مركب من المركبات إلا والقهر هو الذي حفظ تركيبه وأبقى هيئته وشكله وترى الأجزاء الداخلة في تركيب النبات من الأكسوجين والودروجين والاوزوت والكربون والأملاح المختلفة وكذلك الحيوان كل هذه العناصر تفاعل في الأجسام العضوية فكل لكل قاهر فيتميز الجسم ولولا قهرها وتذليلها ما عاش حيوان ولأنما نبات ولقيت العناصر ملقاة كهيئتها يوم خلقها الله بل الماء نفسه لولا القهر الطارئ على جزئيه الأكسوجين والودروجين ما كان سائلا جاريا ولا ثلجا ثابتا بل كان جسما غازيا منتشرا في الكون هوأيا لا يصلح للأحياء . فالقهر هذين العنصرين أبرز هذا الماء من العدم حول الكرة الأرضية . ومستحيل أن يكون ماء أو نبات أو حيوان إلا بحساب متقن على مقتضاه يكون دخول هذه الأجزاء في التركيب وعلم الكيمياء الآن أشهر من نار على علم يفهم منه هذا الحساب بسهولة . إذا فهمت هذا فتعجب كيف يذكر بعدها قوله - ويرسل عليكم حفظة - فهو يقول قهرت العناصر فتفاعلت بالحساب . فإذا كان القهر عم كل شيء فالناس مقهورون والعناصر الداخلة في أجسامهم بحساب لأنها مقهورة أيضا ومن قهرها أن المواد الزجاجية الشفافة لا تكون إلا في الأعين بحيث تقابل الضوء الداخل إليها ولولا هذا القهر مارأيتم شبحا . هكذا فليكن أعمالكم فأنا أحفظها في سجل مكنون عندي فهناك ملائكة يحفظون أعمالكم بل أنتم ترسم في نفوسكم كل ما عملتموه من خير أو شر فإذا عرفه الحفظة فأنتم كذلك كما في قوله تعالى - بل الإنسان على نفسه بصيرة - فكل أعماله مرسومة في نفسه وتبرز يوم القيامة واضحة له فيندم ويحزن على القبح الذي يشاهده من نفسه - ووجدوا ما عملوا حاضرا - فإذا كان المرء يشهد على نفسه ويقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فبالأولى تشهد عليه الملائكة فهذا قوله - ويرسل عليكم حفظة الخ - وأما قوله - وهو أسرع الحاسبين - فذلك ظاهر في علم الكيمياء وتراكيبها وعلم الفلك فان النبات والحيوان وكذلك حركات الفلك كلها تعرفك كيف كان سريع الحساب . وقد ذكرنا هذا مفصلا في سورة البقرة وغيرها بأمثلة علمية مفيدة في السموات والأرض

﴿المقام الرابع في هذا الفصل﴾

ان الناس من عاداتهم جميعا أنهم إذا نزل بهم مكروه من غم أو هم تمنوا زواله واستغاثوا بربههم وفزعوا ونذروا أنهم ان خرجوا من ذلك المكروه أقبلعوا عن الذنوب وأخلصوا في أعمالهم ونفعوا الناس . وهذه قاعدة مطردة في الناس حتى إذا ذهب غمهم وزال بأسهم رجعوا إلى عاداتهم ونسوا عهودهم وساروا على طرقهم الأولى اعتبر ذلك في الذين يديمون الخمر والميسر وشرب الدخان وسائر الذين يعتادون شهوة من الشهوات فانهم حينما يضيقون ذرعا من الشهوات يقلعون عنها ثم لا يلبثون أن ينغمسوا فيها انغماسا وهكذا الفقراء فانهم يقولون ان أغنانا الله سكا أرحم بالفقراء فإذا صاروا أغنياء كانوا أشد حرصا على المال منهم في أيام فقرهم . وهكذا المرضى يقولون لو كنا أصحاء لفعلنا كيت وكيت ثم إذا صحوا رجعوا لعاداتهم ونقضوا عهودهم مع ربهم

فعبّر الله عن هذا كله قائلا (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أي من الأحوال والشدائد المصير عنها بالظلمات على سبيل الاستعارة يقال لليوم الشديد يوم مظلم فظلمات البر والبحر جميع المصائب الواقعة على الإنسان (تدعونه تضربوا وخفية) معانين ومسررين (إن أنجيئنا من هذه لنكونن من الشاكرين) الذين يعطون الحقوق لأهلها ويجعلون النعم في مواضعها التي خلقت لها ولا يرضون بحماها ولا مال ولا علم ولا قوة أي يقولون إن أنجيئنا الخ (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) غم سواها (ثم أنتم تشركون) تعودون للشرك ولا توفون بالعهد وكان مقتضى النظم أن يقال ثم أنتم لا تشكرون فعبّر بالشرك عن رأس الخطيئة لأن انحراف القلب عن الحقائق هو الذي يحرف الجسم عن العمل النافع

﴿المقام الخامس﴾

إن الله عز وجل كثيرا ما يأمر السماء أن تنزل صواعق ويأمر الأرض بالزلازل ويضع في قلوب الناس الطمع والشره والحسد والحرص فيكونون الحرب للمال وللدين ولاحتلال الأرض كما هو الحال في كل زمان فالزلازل في الأرض كثيرة وأهمها زلزلة بلاد اليابان في هذه السنة وهكذا قد تنزل الصواعق وترى هذه الحرب الكبرى فيها قتل الناس في الشرق والغرب بعضهم بعضا وزالت عروش وقامت أمم وانقسمت دول ووضع العزيز ورفع الدليل وهذا قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشأ القتال بينكم (وينيق بعضهم بأس بعض) بأن يقتل بعضهم بعضا * روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية - قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم - قال رسول الله ﷺ أعوذ بوجهك - أو من تحت أرجلكم - قال أعوذ بوجهك - أو يلبسكم شيعا وينيق بعضهم بأس بعض - قال هذا أهون أو هذا أيسر * وفي حديث مسلم ما يفيد أنه ﷺ سأل الله ثلاثة أشياء فأجيب إلى اثنين وهما ألا يهلك أمته بالفرق وبالجدب ومنع الثالثة وهي ألا يجعل بأس أمته بينهم شديدا * وفي رواية الترمذي بدل الفرق ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم . واعلم أن الآية عامة لسائر الناس وهي بيان لما عليه هذه الدنيا والحياة فيها وانها مضطربة فعلى الناس أن يفكروا في أمرها قبل الخروج منها . وما هذه المذكرات إلا ليقظ الناس ويتفكروا على أن كل امرئ متى ضعف أو كبر أو دنا أجله فأت فها قد قامت قيامته والدنيا في حقه قد ذهبت فلا سماء ولا أرض لديه مما عندنا فهذه المحن للتذكير بما نحن عليه من قلب الأحوال فمنحن على كل حال راحلون من الأرض فان لم يكن بصواعق السماء ولا بزلزلات الأرض ولا بالحرب فيما بيننا فان أجسامنا فيها من التبدل والتغير والتفاعل ما يجعل أعلاها أسفلها فنذهب من الوجود فعلى أن نتفكر في هذه العوالم عسى أن نهتدي للحقائق فان لم يكن موتنا باضطراب الجسم العام وهو العالم كله فليكن ذلك باضطراب أجسامنا لافرق بين الاضطرابين (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (اعلمهم يفتقرون)

﴿المقام السادس﴾

(وكذب به قومك وهو الحق) الواقع لاحالة (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل إلى أمركم فكيف أمنعكم من التكذيب أو أجازيكم (لكل نبي مستقر) أي لكل خبر يخبر به الله في القرآن وقت ومكان يقع فيه (وسوف تعلمون) عند وقوعه في الدنيا والآخرة وهذه السورة نزلت بمكة وقد تم وهذا الله وفتح مكة وانتشر الاسلام وظهر صدق القرآن فانه لما قرأ هذا بمكة لم يكن هناك غزوات ولا فتوح ولا أم دخلت في دين الله أفواجا ولم يكن هناك هلاك لقريش كالثي في وقعة بدر وأحد ولا غيرهما وانما حصل هذا كله بعد هذه السورة وأمثالها بزمان طويل وهذا هو الإعجاز الحقيقي (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء والطمع فيها (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) غير القرآن لأن الآيات

منه (وإيايدينك الشيطان) بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي (فلا تفقد بعد الذكري) بعد أن تذكره (مع القوم القوم الظالمين) أي معهم وضع الظاهر موضع المضمر لأنهم ظلموا حيث استهزؤا بما يجب أن يؤمنوا به (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) أي ليس على المتقين المجالسين لهم شيء مما يحاسبون عليه (ولكن ذكرى) ولكن عليهم أن يذكرهم ذكرى يمتنعوا عن الخوض ويظهروا كراهة فعلتهم (لعلهم يتقون) يحتملون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم

واعلم أن الكفار في زمن النبي ﷺ كان دينهم عبارة عن لعب وطمع كالتخاذ الأصنام والاستهزاء بالقرآن لأنهم يستهزئون به معتقدين أنهم يحافظون على دينهم الفاسد بل يلعبون ويلهون عند سماع القرآن ولكل أمة عيد في دينها شرقا وغربا فتلك الأعياد اتخذتها الأمم لها ولعبا بخلاف عيد المسلمين فهو صلاة وتكبير واحسان فلذلك قال (وذروا الدين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) يشمل هؤلاء كلهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى أنسكروا البعث (وذكر به) بالقرآن مخافة (أن تبسل نفس) تسلم إلى الهلاك وترهن وتحبس وتحرم من الثواب (بما كسبت) من الآثم وأصل البسل في اللغة التحريم تقول هذا عليك بسل أي حرام ممنوع فالقرآن تذكير للنفس حتى لا تمنع من الثواب وتحبس في جهنم (ليس لها من دون الله ولي) أي قريب يلي أمرها (ولا شفيع) يشفع في الآخرة (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لأنها تعادل المفدى (لا يؤخذ منها) أي ذلك العدل والفدية (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أسلموا إلى العذاب بسبب سوء أعمالهم وانحراف عقولهم (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) فيشربون ماء مغليا في بطونهم وتحرق أجسامهم في جهنم بالنار (قل أتعبدون) أعبد (من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) ونرجع إلى الشرك (بعد إذ هدانا الله) إلى الاسلام (كأنهم استهوتهم الشياطين) كأنهم ذهبوا به صرعة الحق إلى الملامه والاستهواء استفعال من هوى يهوى هوى إذا ذهب (في الأرض حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له أصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونهم إلى الهدى) أي يهدونه إلى الطريق المستقيم يقولون له (اقتنا قل إن هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال (وأمرنا) بذلك (لنسلم لرب العالمين وأن أقموا الصلاة) أي للاسلام ولإقامة الصلاة (وهو الذي إليه تحشرون) يوم القيامة • ثم أفاد أن خلق السموات والأرض إنما يكون لحكمة وهكذا قول الله الحق حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء نطقه الخلق لحكمة وقوله حق يوم يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء وتكون نتيجة ذلك أنه يخلق بالحكمة ومتى قال قولا يقتضي الإيجاد تم وتحقق وهذا قوله (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) والحكمة فكيف يترك هؤلاء الضالين وشأنهم فالحكمة تقتضي أن يهذبوا ويؤدبوا • وكل من فعل بالحكمة من المخلوقين كالمهندسين والنجارين والمصورين يصعب عليهم العمل ولا يطاوعهم المصنوع من حديد أو ذهب أو حجارة فيختالون ويجتدون فأما هو فان قوله الحق كائن حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء بلا نصب ولا تعب ولا آلات هندسية ولا حفر ولا تنقيب ولا مدارس ولا معلمين وهذا قوله (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) فيوم واقع خبرا لقوله قوله الحق أي وقوله الحق كائن يوم يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء فهو نافذ في الكائنات بخلاف الناس (وله الملك يوم ينفخ في الصور) جمع صورة والنفخ فيها إحيائها بنفخ الروح فيها ولقد قالوا يا رسول الله كيف نفعل قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وأجمع أهل السنة أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب والقول الأول لأبي عبيدة (عالم الغيب والشهادة) يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم الخبير) هذه الجملة ملخص الآية • فذلكها • انتهى المقصد الأول من السورة تفسيرا لفظيا

﴿ وفي هذا المقصد لطائف ﴾

اللطيفة الأولى هـ في قوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - وكيف كان أول فسر المؤلف فيهما إذ قرأ أول كتاب في علم الفلك

اللطيفة الثانية هـ سؤال أحد الفلاحين له في نهاية العالم من حيث المكان
اللطيفة الثالثة هـ قوله تعالى - ولوجعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً - وكيف كان العلم الحديث قد بين هذه
بيانا شافيا وبه فهمنا معنى - وللبسنا عليهم ما يلبسون -

اللطيفة الرابعة هـ قوله تعالى - كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة - وكيف
كانت القيامة رحمة لانقمة لأنها احياء هـ وبيان المعجزة في قوله - وله ما سكن الخ -

اللطيفة الخامسة هـ قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير - وكيف كان القهر في
علم الكيمياء وغيره مصححاً بالحكمة

اللطيفة السادسة هـ قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر الخ - وبيان ما كان من اختلاء المؤلف
في المزارع ليلاً وتفكره في أصح الحيوان وذكر الفرائض الحيوانية العجيبة التي تدل على نوع ادراك الحيوان
ومحادثة المؤلف مع فلاح في أصح الضفادع واجابة اصهاة مع عجز الرجل وتبيان ان هذه المسألة من أمهات المسائل
التي عجزت عنها أهل الأديان وان المسامين قد قصروا تركهم هذه المباحث العالية المرقية للأمم

اللطيفة السابعة هـ قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب - وبيان أقوال علماء الهند في علم الله للغييب
وقول علماء الأمم في ذلك وعلماء العصر الحاضر ثم اظهار أن ذلك كله تقريب

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(أقص عليك أيها الذي نبأ ما كنت أزاوله في أول حياتي وأنا مجاور بالجامع الأزهر)

كنت في الجامع الأزهر حوالي أول القرن الرابع عشر الهجري ولم أكن إذ ذاك أعرف شيئاً عن المدارس
المصرية التي كانت حافلة بالطلاب والتلاميذ فيها يقرؤون علم الفلك والعلوم الرياضية ولكن هو التقليد يعنى
ويصم فلم أكن لأعلم أن في الأرض من يقرأ علم الفلك المتقدم وهذا يدل أن الانسان يحجب عما حوله
وأمامه وخلفه مادام الأستاذ لا يعلمه وكان الناس في هذه الأرض مسجونون لاني مسجون جسمي بل مسجون
عقلي وبينهم حجب قد أسدلت فكلم من علم يعرفه صاحبك وأنت تشكره بما أسدل من الحجب العقلية على
الأنفس فتوارت بالحجاب هـ أقول فكرت ليلة في هذه السماء ونجومها وصار فكري هائماً واشتعل القلب
ناراً وصرت أسأل فلا أجاب حتى اذا قابلني أحد العلماء فقال عندي كتاب فأخذته وكان ذلك وقت العطلة
فأخذته وسافرت مع المجاورين في المراكب الشراعية والكتاب هو (الجفمين) فقرأته في يومين وأنا لا أتوكله
ساعة حتى اطلعت على البروج والمنازل والأفلاك وسير الشمس مع أنني اذ ذاك لم أقرأ علم الهندسة والحساب
فعرفت ذلك معرفة عامة وهو يحيل في البراهين على اقليدس هـ الكتاب على طريقة القدماء وهو يصور
الأفلاك التسعة وكواكبها وأما طبقات بعضها فوق بعض الخ هـ وأنت تعلم أن هذه الطريقة جاء بعدها غيرها
كما قدمناه في هذا التفسير هـ والمقصود أني بعد ما اطلعت على ملخص الكتاب فرحت فرحاً كأنني أعطيت
ملك سليمان وصرت أشد الناس اغتباطاً ولما توجه المجاورون الى أهلهم بقيت خارج القرية قبيل الغروب
وجلس في أرض قرية (بردين) بين الحشائش الخضرة والأشجار النضرة والنسمات تهب والأوراق ترف
والأرض قد اكتست جلابيب صفراء وهي تسر الناظرين وبجاني نهر فيه لجين قدوشاه ذهب الأصيل

والريح تعبت بالغصون وقد جرى * ذهب الأصيل على لجين الماء

فأخذت أصلي العصر وأنظر للشمس وقد دنت من الغروب وأرفع طرفي الى السماء وأحمد الله أن أراني

ما كنت إليه مشتاقا وبقيت كذلك فرحا مستبشرا حامدا شاكرا حتى اذا أقبل الظلام توجهت الى البليدة
 قرير العين . وكانت العطلة لا تزيد على أسبوعين فصرفتها في نقل هذا الكتاب ولكن بعد مدة دخلت
 مدرسة دار العلوم فتعلمته بعد علم الحساب والجبر والهندسة . ويأبى الله الا أن يتم نوره .

ولعمري ما أوردت هذه القصة الا لأبشر المشتاقين للعلم المغرمين بالحكمة أن الله حاضر عندهم سيهديهم
 رشدهم ويعطيهم طلبتهم . ولقد تعلمت بعد يأسى من العلم ولكم كنت في ظلمات الليالي أرقب النجوم
 ويحجبنى جهالها وأسرت لمرآها وأقول ماذا وراءها . وما كنت أعلم أن في الأم من يرقبون وينظرون
 فلما دخلت المدارس وقرأت عن أهل الغرب ألفت الغرام بالعلم عاما ولا يعشق العلم الا الأكابر
 ففر بهلم تعيش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

كنت مرة في قرية بنا ببلاد الشرقية فقال أحد أقاربي يا ابن أخي أظن هذه الأرض أليس لها آخر
 عندكم في العلم . قلت بلى . قال ووراء الأرض السماء . قلت نعم . قال وهكذا سماء وراء سماء وماذا
 بعد السموات . هل يعلم أحديا . وهل أحد في الأزهر عندكم يعرف ذلك . وكان هذا السؤال من أسباب
 البحث في هذه العلوم

ولقد كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر كثير الشغف بجمال النجوم وكنت ليلة بتها ساهرا أحس في القلب
 بحزن عميق الجهلي بهذه العوالم وكنت أقول في نفسي ليت شعري ماذا يقول الناس في هذه العوالم . ولقد
 بت ليلة ونساء قرية بنا يندبن على ميت من سراة القرية وهن يرتلن أصواتا منتظمتا ناديات هذا السرى
 والقوم جالسون في خيمة في الخلاء والنجوم باهرة في السماء تتلأل كأنها فسكان لأصواتهن رنة حزن . ودام
 ذلك الحزن ليالى ذوات عدد فكانت رنة الأصوات تحدث في النفس رقة محزنة وكأن الباكيات يندبن لئى
 جاهل بمافي العالم من الجمال

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

يقول الله - ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا - ومعنى هذا أن الملائكة لا يظهرون للناس الا بصورة
 بشرية . ولقد ظهر في العلم الحديث وذلك أنهم قد بحثوا في علم الأرواح . كيف تظهر الروح فوجدوا أن
 أرواح الأموات التي تتجلى للأحياء تستعير من جسم الوسيط (أى الشخص المنيوم بالفتح) المواد التي تتشكل
 بها وجسم الوسيط إذ ذاك ينقص وزنه على مقدار ما أخذه منه . وهذا الأمر حققه العلامة (اسكا كوف)
 والمسيو (أرمسترونج) والمعلم (أولكوت) الانكليزي وخلافهم من المجر بين الذين أجمعوا على أن جسم
 الوسيط ينقص وزنه عند انتقال مادته الى جسم الروح ويقولون ان للأرواح جسما لطيفا يدوم لها أمدا
 طويلا كأنه غلاف للروح وهذا الجسم اللطيف كأنه قالب للجسم المشاهد لنا وفناء الجسم المشاهد لا يغير
 هيئة الروح مع غلافها واذا كان ذلك في الأرواح فهو في الملائكة أولى لأن الملائكة ألطف من الأرواح
 يقول الله لوجعلت الملك رسلا اليكم لجعلته رجلا فترونه ويرجع اللبس وإذن لابد من مادة حقيقية
 لا مجرد وهم أو خيال فبهذا وافق الكشف الحديث القرآن وهو أن عالم الأرواح لا يشاهد الا بشكل مادي
 فما دمننا في الحياة فلا نرى ذلك العالم الاعلى أشكال حسية عنصرية . قالت مدام ماريات الانجليزية في
 تأليف لها في الحادث الروحاني أوقفني العلامة ويليام كروكسي وقت الجلسة لمراقبة وزن الأنسة فلورنس
 كوك بعد أن وضعها على آلة للوزن اخترعها بنفسه فوجدت ثقل الوسيطة قبل تجلي كاتي ١١٢ ليبره ولما
 تجلت الروح تناقص وزنها الى ٥٦ ليبره أى زهاء النصف انتهى

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

قوله تعالى - كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة - هذه الآية تعرف الناس رحمة الله . فهو يقول خلتكم في الأرض مفترقين متخاصمين متعادين وانى وان كنت شملكم برحمتي فيها فهناك رحمة أوسع ومجال أوسع وكال أبداع وهو اجتماعكم في عالم السموات وأكثاف العوالم اللطيفة المزدانة بالجمال للفرغة في قالب الكمال وأنتم هناك محتممون بعد التفريق وأى رحمة أعظم من اطالة الحياة وانها ليست منتية بالموت بل دائمة البقاء . وقوله - وله ما سكن في الليل والنهار الخ - في هذه الآية عجب عجيب من دلائل النبوة وعجائب الحكمة فكيف جمع الله بالتعبير بسكن بين لطائف العوالم التي نشاهدها . فانظر هناك الله كيف ترى أن الأرض والسكواكب والشموس والأقمار جميعها متحركات لا سكن لها فلا أرض ولا شمس ولا قمر بل لا ذرة في هذا الوجود ساكنة فالتعبير بالسكن مناقض لحال هذا العالم المشاهد ولكن اذا وقفت ليلا تنظر النجوم وتلاحظ الأرض حولك لا تجد حركة فالكواكب والأرض والعوالم حولك تراها ساكنة ثابتة وأنت مطمئن قدير العين بسكون هذه العوالم هذه هي الحكمة بل المجهزة . كون متحرك ولكنه ساكن مطمئن للنفوس . هذا هو سر قوله - وله ما سكن - كأنه يقول ان الابداع في العالم جعله ساكنا مع أنه متحرك انتهى

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير - القهر فوق العباد مصحوب بالحكمة والعلم واعتبر ذلك في كل ما هو ضروري للبقاء ونعمة الحياة . وتأمل كيف ترى أن كل حي من إنسان وحيوان مقهور على الغذاء مفطور على طلبه فهناك في داخل جسمه داع حثيث يقهره على طلب الغذاء وألم باطنى يسمى بالجوع وداع آخر يسمى بالشبع وهو كراهة الأكل ولولا سائق الجوع وقائد اللذة في الطعام وسائق العطش وقائد اللذة في الشراب وسائق الشبق وقائد اللذة في الوقاع ما أكل الناس ولا شربوا ولا ولدوا فالأولان بهما بقاء الأشخاص والاخير به بقاء الأنواع في كل حيوان . ومعلوم أن حياة الأشخاص وحياة الأنواع هي المقصود الأعظم من هذه الدنيا ومن عليها فكيف كان قهر الحيوان على الحياة . ومن عجب أنه لم يوكل الينا أمر البقاء ولا التناسل بل قهرنا عليهما قهرا ولم نكن فيهما الا مضطرين بخلاف بناء المنازل وزرع الأرض وحرقها والتجارة فاننا نهندس ونحفر الترع وليس هناك الا قائد وسائق عقليان . فأما حياتنا فقد وجدنا أن نفوسنا فيها لكل شئ سائق بسوطه ليقهرنا ويلجئنا أن نأكل ونشرب ونواقع وقائد مشوق لذلك كما يكون للحيوان في الأمكنة الخيفة رجل يقود وآخر يسوق حتى يسلم من العطب مباغتة في المحافظة عليه وكما يجعل للدابة سائق بالعصا وآخر معه حشائش تنظرها لتتبعه فيكون ذلك أعون على سرعة سيرها . فهذا هو القهر والغلبة ولكن لا مع الظلم ووضع الشئ في غير موضعه بل هو القاهر وهو الحكيم الذى يضع الشئ في موضعه وهو الخبير بما يصنع

واعبر ذلك في المرأة ترضع ولدها والناقة ترضع فصيلها والدجاجة والحمامة والنعامه تحضن بيضها فانهم جميعا مقهورات على ذلك العطف قهرا لا مفر منه بل اعتبر ذلك أيضا في الخترعين والمؤلفين الذين يجتدون في أعمالهم وهم لا يعلمون شيئا في مستقبل أمرهم ويجتدون ليلا ونهارا وربما ضاعت أموالهم في سبيل أعمالهم وصحرتهم وحياتهم وليس يجنى الثمرة الا أنهم كما لم يجن ثمرة الحياة الا فصيل الناقة وولد الطيبة وكل لكل مستخرون وهم لا يعلمون بل العالم هو الحكيم الذى سخر الآباء والأمهات بالعطف والحنان

ومن عجب أن الناس مستخرون ولا يعلمون أنهم مستخرون ومقهورون وهم لا يشعرون . والناس يضربون المثل في الظلم بجامع الرفاعي بمصر قديما وهو قريب من قلعة الجبل بمصر ويقولون ان الوالى كان اذا

أمر رجلاً أن يعمل فيه وأبي أن يطاوعه يقول له الوالي لا بالله ويقهره على العمل فيه حتى سمي المسجد إذ ذاك
(بمسجد لا بالله) وقيل فيه

بني مسجداً لله من غير حيلة فمكان بحمد الله غير موفق

فهذا القهر ضرب به المثل ولكن نحن مقهورون في دائم الأوقات قهراً بحكمة وعلم فلم نحس بأننا مقهورون .
وترى القهر في السموات فوقنا فالكواكب تسير بالقهر والشمس والقمر وهذا القهر منظم لأنها أطوع منا
فلذلك قال - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظالماً جهولاً - فلم يسم هذه العوالم
ظالمة لأنها لا تخالفه منها فترى مواعيد الكواكب لا تتغير فيها وكذا الحيوان لا يقرب أثناء أيام حملها ولا يأكل
الأم ما يصلح جسده أما الإنسان فكثيراً ما يخطئ في تقدير الأكل والشرب والوقاع فيقع في الضر فقل مرض
الحيوان وكثير مرض الإنسان وخطؤه وذنوبه لاسيما في المدن والقرى بجهله وخطئه فهنا حمل الإنسان الأمانة
والتكليف ووجب عليه أن يتجاني عن أشياء ضارة به كالادخار وكلف بذل المال والعبادات وما أشبه ذلك
وحتم عليه تربية القضاة لفصل قضاياه والأطباء لمداواة مرضاه في المدن وقل ذلك في الأعراب بالبوادي . فأما الحيوان
فهو غير محتاج إلى الأطباء مادام بعيداً عن الناس أصفاً عيشه وحسن تقديره لطعامه فتكون الحيوانات
الوحشية في الأعراس والغابات والقفلات وطيور السموات سليمة لأنها سائرة في القهر مع حكمة الحكيم كما
سارت الكواكب والشمس والقمر فلم تكلف بما يصلح خلاها كما كلف الإنسان

ولما جرت الكواكب والشمس والقمر بحساب أرسلت الحرارة على الأرض فقهرت الثلج فذاب فصار
ماء والماء أقرب إلى البساطة لأنه مركب تركيباً قليل الغناصر فأصبح وهو جامد ثلجاً منظمًا نظاماً بديعاً
فإن قطرات الماء إذا ضربها البرد في درجة أقل من الصفر وقعت ثلجاً في البيوت بالبلاد الشديدة البرد فإذا
اجتمع خلق كثير في قاعة صغيرة هناك وفتحت نافذة من نوافذ القاعة والبرد شديد جمد البخار في هوائها
ووقع ثلجاً والثلج مركب من بلورات من الجليد ابرية الشكل يصل بعضها ببعض على أشكال تدهش الناظر
وتبهر الغواظر وقد رسم بعضها بالأشكال الستة المستديرة في سورة آل عمران . فانظر كيف كانت
مستديرة الشكل وليس في الأشكال مستديرة منها يشابه المستديرة الآخر . فتجد وحدة في التسديس واختلافاً
في الأشكال كما ترى نظام بيوت النحل فهو مستديرة الشكل ولكن شكله واحد . أما هنا فالقديس
واحد والنظم مختلف لأن مستديرات النحل في بيومها من صنع حيوان ضعيف أما هنا فإنه صنع الحكيم الخبير
فهنا العمل واسع وهناك ضيق وهذا هو قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير -

اعلم أن الأكسوجين لم يوجد حرّاً في الطبيعة خالصاً من الشوائب وهو داخل في التراب ومع الكربون
أي الفحم في حامض الكربونيك وهو داخل في تركيب المواد التي حولت مثل الصخور والرمل والتراب
وكذا المعادن إذا حصل لها الصداً وكل ماصدئ وزاد وزنه فزيادة الوزن ناجمة من الأكسوجين الذي هو داخل
في الهواء وفي الماء وهو المصلح لدمنا بالتنفس . فانظر لقهر الله وحكمته أنظر كيف ترى أن المعدين
المتشابهين كالرصاص والقصدير إذا تركبا كان المركب قريباً منهما . أما العنصران اللذان لا تشابه بينهما
كأكسوجين والهيدروجين فانهما غازان والأول ضروري للاشتعال والثاني قابل للاشتعال ويكون منهما سائل
ليس من طبع أحدهما وهو الماء فهو يطفى النار ويمنع الاشتعال . فتعجب من قهر الله فوق عباده حيث قهر
الغازين فصارا سائلاً وهذا السائل أطفأ ما أشعله ومنع ما قبله انتهى

﴿ اللطيفة السادسة ﴾

قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمثالكم - لقد كنت أيام مجاورتي

بالجامع الازهر أرجع الى بلاد الريف أيام العطلة فاذا غابت الشمس وأخذ الليل يرشني سدوله وأقبل الظلام من المشرق خرجت من البيوت طالبا الحقول والخلوات فأجلس حتى لا يهوش على عقلي المهوشون وكنت أنشد قول مجنون ليلى

وأخرج من بين البيوت لعلى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

وكانت النظرات في تلك الخلوات للنجوم وجالها والحقول وسماع النغمات باجتماع الحشرات فيها بتلك الظلمات والنجم مشرق والقلب مستيقظ والنفس تواقه . وتارة أحضر القرون الخالية والأيام الماضية وتمر الجيوش تلو الجيوش والملوك تلو الملوك على الأرض التي أنا عليها من الفراعنة العظام والملوك الفخام وكان يحيل الى أنها دول تتبعها دول قد صرّت في مكاني الذي أنا جالس فيه والزمان مقبل والمواكب حافلة والجنود مصطفة وكل مطيعون ولساداتهم خاضعون . وتارة أنظر في ذلك الجو البعيد الذي الكثير الجدا الواسع الأكناف البعيد الأطراف وأرى كيف خيم على الحقول والأحراش والفياض والغابات وأنا أمل كيف جلس قبلي أناس فسمعوا ما سمعت من نغمات الحشرات في دياجي الظلمات وهم لا يسمعون ما تقول ولا يسمعون الأصوات . وهم جالس قبلي وهو دهش من حيث يرى ولا يرى ويجب قائلا كيف تحلي الليل بالأنوار والنغمات وقد هبت النسبات وتمايلت الأغصان وأخذ الفكر يجري مجراه وهو لا يعلم الا قليلا والنظام الليلي في أصواته وهوائه وحقوله واحد لا يتغير فاهواء مهب والريح تلعب بالنصون والحشرات المغنيات الفرحات بالخبب والريف لم تنقص نغمتها ولم تتغير بهيجتها فمن سمعها منذ ألف سنة وسمعها الآن يظن أنها هي بعينها وذلك لشدة النظام وحسن الاتقان كما تقوم الدولة اثر الدولة والولد اثر أبيه بعد موته والآخر يتبع الأول والمتأخر يتبع المتقدم

﴿ حكاية الانسان والحيوان ﴾

بينما أنا جالس ذات ليلة إذ مرّ ذئب أو ثعلب سريها فقلت في نفسي يا للجب لهذا عقل وكيف رأينا الدئاب والثعالب وسائر الحيوانات البرية لديها ذكاء كأنه عقل وكيف كان علماءنا لا يقولون لنا الا أن هذه غريزة فأخذت أشك فيما قرأت وقلت في نفسي يقولون الانسان حيوان ناطق فالنطق الفكري خاص بالانسان ومع ذلك نرى هذه الحيوانات عندها من الذكاء ما لا ينكر ومن ذلك الوقت أخذت أفكر في أنواع الحيوان وواليت الدرس والتنقيب ورأيت بعض رجال الدين يقولون ان الحيوان لا يحشر لأنه ليس كالانسان وان حشر لا يدوم وهكذا فكانت هذه الأقوال عندي مربكة للفهم من عجة للنفس فهل كانت هذه الحيوانات كلها مخاوقة لا غاية ثم نظرت فوجدت الامم الحالية قد صرقت كثير من المتعلمين منها من الديانات بشكوك ومنها هذه المسألة قالوا كيف يكون الانسان والحيوان مخلوقين معا في درجات الرقي منتظمة من أدنى حيوان الى أعلى انسان ثم لا يحظى بارتقاء بعد الموت الا الانسان ولم هذا الاختصاص وكيف كان أدنى الانسان يحيا بعد الموت وهو قريب من الحيوان والحيوان لا يحيا وهكذا . والقرآن يقول - وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون - فالآية صريحة واضحة والناس لا يبالون بالدين ولا بالعقل وانما هم المتعلمين في ديار الاسلام محصور في أمرين العلوم الفقهية للمسائل القضائية والكلمات الفلسفية في الكتب الوراثية فأما غير ذلك فالعقول في غطاء والناس نيام وهذا القرآن جاء ليفك العقول من عقلها وينشط الناس الى العمل والفكر فعكس الناس الامر وأرخوا على العقول حجبا وحبسوا النفوس في أقفاصها ومات قوم شهداء الجهالة قتلى التقليد صرعى الاوهام فلم ينبغ نابغون الا فيما سطره المؤلفون من المعتقدات وأورثه المتقدمون من المجادلات مع أن العقول مصنوعة صنفا إبداعيا مفطورة فطرة قوية فكان حقها أن يطلق سراحها وأن لا يكبح جناحها وأن يطلق لها العنان فتنتظر في كل شيء نظرا

يرضيها وتسريح الطرق فيما يريها فيما أسفا على أم درست وعقول غفلت ونفوس هلكت وهم مسجونون
اللهم الاقليلا من شرفهم الله وأنعم عليهم برضاه فكتسبوا العلم خوفا من السيف والسمان وجور السلطان
وتقول الجبهة الطغام فأولئك هم السادة الأخيار . وكان حق المسلمين أن يكونوا أول العالمين مفكرين
ناظرين لامقلدين جامدين

القرآن هنا صريح أن الحيوان له حياة تماثل حياتنا فله مستقر ومستودع وله علم بحياته وهكذا
سيحشر كما تحشر . هذا هو الحق الصراح فأمام مستقبله فجهول كمستقبلنا لأننا لانعرف ماذا يكون الا
بما سمعنا أو فكرنا

الهداة تخاطبني قائلة قد سخر لي ما في السموات وما في الأرض

ورأى المرحوم أستاذي الشيخ حسن الطويل

بينما أنا يوما واقف بقريتنا أمام منزلنا إذ لمحت هداة ترفرف بجناحيها كي تبحث بحدة نظرها عن حيوان
صغير تحتطفه أو ميت تلتقطه نفيل لي وهي في الجو ترفرف أنها تقول لي لقد سخرت لي الممالك والملوك
والزارع والزرع والحيوان والنبات وعالم الأفلاك . ألم يكن عيشي على فراخ دجاجكم التي ربيت في أحضانكم
وتحت إشرافكم واقنات من حبكم الذي زرعتموه ومن حقلكم الذي رويتموه ومن أنهاركم الجارية
ونيلكم العظيم . وهل يتم هذا النظام أو يقوم هذا العمل الا بهندسين ومنظمين ومدارس ومدرسين
وحاكمين ومحكومين وقضاة ومتقاضين وجيوش وعليها مهيمنون . أنتم المربون للدجاج وأنا الخاطفة لها
ولا يتم لكم شيء من هذا الا بنظام تام وحكومة صادقة ولا يتم شيء على أرضكم الا بحرارة جووية واشراقات
شمسية ودوران الكواكب الدرية . فالعالم مسخر لي فأين دعواك إذ تقول سخرت لي الأفلاك وأنا
شريكتك في دعواك . فأنتم الزارعون المربون للحيوان وأنا قاطفة الثمرات فإذا ادعيت أنك سخرت
لك الأرض والسموات فهذه دعوى الكاذبين فلأن سخر لك الحيوان فقد سخرت أنت وهو لي كل
لكل مسخر فما هذا الضلال والافك والبهتان . ومن عجب أن الهداة ظلت ترفرف بجناحيها حتى انتهى
الفكر الى هذا كأنها كانت تعطيني هذا الدرس ثم طارت الى حيث تريد ورجعت حائرا في أسري حتى اذا
رجعنا الى المدرسة حدثت أستاذي الشيخ حسن الطويل وكان طويل الباع رحمه الله في هذه الآراء . فقال
نعم هذا حق ولكن الانسان أوسع مجالا وأكثر نوالا وأبعد ارقالا وأغزر أملا وأعز نفرا لأنه لانهاية
لكمالته ولا غاية لسعادته . وهذه أقوال إقناعية على الطريقة المعروفة والآراء الموروثة تقنع السامع إقناعا
وقتيا ورضيه مليا . ثم يرجعه الفكر كرتين ويؤتيه طالب اليقين ولا يقين الا قوله تعالى - وما من دابة
في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم - يا حسرة على الأمة التي داسها الفرنجة وهم نائمون وسخر
منها الغرب وهم ساهون لاهون ماتوا وهم أحياء وكانوا أعزاء شقوا وكانوا سعداء . ذلك للبلاء النازل
على العقول والكسل الخيم على النفوس والنوم الذي أحاط بالناس . فلا الحوادث بصرتهم ولا الكتاب
أيقظهم ولا العقل بصرهم . فلتسكن الأجيال المقبلة والعقول الجديدة بعدنا أصفي وأنقى وأرقى وإبرجعوا
بعدها ضاع وعزأذهب وليوقدوا نارا خبت وليكونوا خيرة أمة أخرجت للناس

نظري في الحقول ومحادثة مع فلاح واجابة امرأة عنه

كنت يوما مارا في حقول قريتنا وما كنت في الحقول الادارسا ولا أمرا فيها الاقارنا فالقراءة انما
تكون في الحقول وفي نظر النجوم فأما القراءة اللفظية فما أبعداها عن الأمور العقلية وكان الخاطر في أول
أصري هكذا - وأوحى ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كل من كل
الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم

يتفكرون - وتارة يكون هذا الخطأ - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير - وتارة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر - الخ الآية في سورة البقرة وكنت أجد ذلك ملازماً لفكرى لا يفارق عقلى

ولقد حدث أحد الفلاحين صرّة عن العسل الذي يشتاره الناس من الجبال وأنه يكون هناك بكثرة وقد يجمد في الجبل وفي حالوته ميل إلى طعم الملح لأنها تشرب من الماء المعين • وكان الحديث ليلاً والهواء صافياً فكنت أشعر بميل شديد وشوق إلى معرفة عجائب النحل وكان الحديث والسمعون يتذكرون القطع العسلية التي يحملها المسافرون من ذلك العسل • فأما أنا فقد كنت مشغولاً بالفؤاد مهتم القلب بعجائب النحل وفوائده

﴿ محادثة ﴾

وصرّة صرّت بجانب نهر فيه ماء قليل من بقايا ماء النيل وفيه حيوانات صغيرة تسمى (أبازنية) ترى ذاهبة جارية في المستنقعات وكنت في تلك السنة قد قرأت في مدرسة دار العلوم أن هذه الحيوانات أصل الضفادع ولم أكن لأعلم ذلك إلا من المدرسة فقلت لرجل من الفلاحين يا إبراهيم أتدرى ما هذا • فقال ومن أين أعرف وكانت امرأة تحمل جرّة على رأسها قدملاها ماء قد سمعت هذا القول فقالت أيها الرجل كيف تجهل هذا وأنت شائب • ألم تعلم بأن هذا هو أصل الضفادع قد ولدتهن الضفدعة فحببت من قوطها غاية الحب وقلت إن في القرى والفلاحين من هم أهل للحكمة والعلم رجالاً ونساء ولكن قلة التعليم منعت الناس من السعادة والارتقاء وهالك عجائب مما جاء في العلوم في الحيوان

﴿ عجائب الحيوان ﴾

الحجبية الأولى • قد شاهد العلماء قروداً في الممالك المتحضرة تبنى قنطرة من أغرب ماسمعه البشر وذلك أنها إذا أرادت عبور نهر اتخذت أفراداً منها وأمسك واحد بنصن شجرة على شاطئ النهر وأمسك يديه ورجليه ثم أمسك آخر فآخر حتى تنتظم سلسلة من القروود ثم يصنع أسفلهن اهتزازاً في السلسلة فلا تزال في ارتفاع وانخفاض حتى يمسك القرد الذي في طرف السلسلة شجرة على الشاطئ الآخر وتتكوّن قنطرة محببة من القروود ثم تمرّ عليها مئات منهم عبوراً اعتماداً بالآخر حتى إن الصغار ليمتدحمن فوق تلك القنطرة فإذا انتظم عقد جمعها في الشاطئ ونجوا جميعاً سالمين أنزل الذي أمسك بالشجرة في الشاطئ الأول يديه ومعلوم أن الآخر مثبت يديه في الشاطئ الثاني فتنقل السلسلة للشاطئ الآخر ويصبح أول القردة امساكاً بالشاطئ الأول أدناها في الشاطئ الثاني وقد خرج بالسلامة فيه ثم تتبعه بقية السلسلة مع باقي القروود • وهذا قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كل في كتاب مبين - وقوله هنا - وما من دابة في الأرض إلا طائر يطير بجناحيه إلا هم أمثالكم الخ - انتهى من كتابي جلال العالم نقلا عن الكتب الأفرنجية

﴿ الكلب وفضائله وذكاؤه ﴾

الحجبية الثانية • حكى أن امرأة كانت في سفينة بخارية معها ظئر تحمل ولدها فوقفت الظئر في نافذة مشرفة على البحر وأطلت على الماء والصبي في يدها فجاء رأسه فسقط في البحر فصرخت الظئر واهتاج أهل السفينة وأما أمّه فأغشى عليها وكان في أخريات الناس شاب في يده كتاب وبجانبه كلب من بلاد الأرض الجديدة فأسرع إلى الظئر وقال لها هل معك شيء من أثر الصبي فقالت لا إلا خرقاً من ثيابه بقيت في يدي حين سقط في البحر فأخذها منها وأشار إلى الكلب بها متوجهاً إلى الموضع الذي سقط فيه الصبي فما كان إلا كلب البصر حتى وثب الكلب إلى تلك النقطة وغاب تحت الماء وكان هناك سفين شراعية تحاول أن تقف للصبي على أثر فلم يمكنها فبينما هم كذلك والناس منتظرون إذا بالكلب قد أقبل يضارب الأمواج وفي فمه شيء قد ثقل عليه فأسرعوا

اليه من ككل صوب حتى انقلبه والصبي في فمه حيا سليما فلما رأت أمه ذلك خرت منفضيا عليها ثم دنت من الكلب وأخذت تمسحه وتقبله وتمشط رأسه ثم قالت لما لك اني غنية ذات ثروة واسعة فهل تعطيه لي بكل ما تطلب من ثروتي ولو كانت كلها فتبسم ضاحكا وقال الحمد لله إذ أدنى لك الكلب هذه الخدمة ولكن لا أبيعها ولو عملت الأرض ذهبا فرؤى الكلب إذ ذاك يتمسح برجلي سيده كأنه فهم ما يقولان انتهى من كتابي جمال العالم

﴿ الحجيبة الثالثة كلب البحر ﴾

من كتابي جمال العالم أيضا هذا الحيوان في جهات كندا وفي أمريكا الشمالية وهو يكون جماعات تتحد على الأعمال وتفعل فعل الأم الراقية في الصناعات وفنون المهارات وطها مغارات وسرايب تحت الأرض لتسكن فيها من الحر ولا تزال فيها حتى إذا أقبل الشتاء وهجم بخيله ورجله عرفت تلك الحيوانات بوادره فاجتمعن زوافات وجماعات ما بين المائتين وثلاث المائة فأخذن يردن الأماكن وينظرن أصلحها وأحسنها على شريطة أن يكون على شاطئ نهر جار لبينين مساكنهن فيه ليكون الماء حصنا حصينا من هجمات الأعداء كما ستري ومخزنا نفيسا يقيها من الشاج القارص القابض وعلى ذلك قاي هذه الكلاب ليلا إلى الأشجار المقطعة على ضفتي النهر وتقطع غصونها وكنملها الكبيرة حتى تسقط على سطح الماء الجاري فيأخذها في تياره ويسير بها حتى إذا حاذت المكان المنتخب للبناء أوقف أولئك الكلاب سير الأخشاب ثم أخذن يكسرنها قطعاً قطعاً حسبما يقتضيه بناء السد ثم أخذن يفرسنها في أسفل النهر بهيئة تكون سداً منتظماً بين الشاطئين معارضا جري الماء كسد العرم لبلقيس وخزان اصوان وملآن ما بين تلك الأخشاب بالأحجار والطين ولورأت ثم رأيتن غاديات رائحات والطين والأحجار بين أفواههن وأيديهن وبعد الفراغ من ذلك يجتمعن كل عشرة أو اثني عشر منهن ويبينن بقاذا غرفتين عليا للسكنى وسفلى لخزن الأقوات من قشور خشب الأشجار كالخور ويتسكّون من تلك البيوت هيئة قرية . ومن الحجب أن الأبواب لا تفتح الا تحت الماء بنحو ثلاثة أقدام أو أربعة حتى لا يصل إليها أحد بسوء وليس لها أبواب سواها فإذا اشتهت الأكل وهي في الغرف العليا تداد إلى السفلى المملوءة بالماء الداخل من الباب فتناولت تلك القشور الآمنة من الشاج المتراكم على سطح البسيطة والماء إذ إعادة الماء من أسفل أن يوقى من الشاج ولما علم أهل تلك الجهات ذلك وأن هذا الحيوان حريص على سده أخذوا يحاولون على صيده بفتح سده فتخرج تلك الحيوانات سراعاً سراعاً إلى سده في أسرع من لمح البصر فيصطاد منها الصيادون أثناء محاولة إصلاح السد فتأمل كيف اتحد هذا الحيوان على المصلحة وكيف عرف مادرسه الانسان في قضايا ارشמידس التي بها تجرى السفن في البحار وكيف اتحد على الأعمال وفعل فعل أعظم الأمم المتمدينة وكيف عجز أهل الشرق عن تقليده في اتحاده وكيف وضعت له أسنان حادة بها يقطع تلك الأشجار أغتته عن الآلات والأدوات وكيف عرف ذلك كله بلاتعلم ولا تعليم (فسبحان الخلاق العظيم)

﴿ الحجيبة الرابعة الكلب الذي هو نوع يسمى الدرواس ﴾

روى المعلم بال في المجلة العلمية حادثاً شهده عياناً قال سار كلب من نوع الدرواس على ماء مجمد وإذا بالجليد انقض تحتها وتكسر وكاد يغرق فحاول التشبث بطرف غصن مدلى لينجوه من الفرق فلم يتوصل اليه وإذا بكلب آخر من نوع (الترنوف) كان مراقباً للحادثة فأسرع إلى نجائه وسار على الجليد بما أمكن من التحفظ إلى أن دنا من الثقب الذي سقط فيه الدرواس وعض على طرف الغصن وأدناه من رقيقه فتشبث هذا به ونجا من الفرق . قال المعلم بال ان التعقل والحزم والشهامة التي بدت من هذا الكلب في عمل لم يكن له فيه محرك آخر الا وجدانه الداخلي تدل على وجود عقل فيه قريب من العقل البشري . انتهى

﴿ الحجبة الخامسة القرد والفيل ﴾

ان أغريب رواية دلت على تعقل الحيوان ذكرها المعلم (بواتسوله) في تأليفه قال حدثني (توت بيانكا) انه كان جالسا مع اسرته في غرفة والخدم مشغول بشئ فكلمته من (الكستنا) أي (أبي فروة) وكان هناك قرد داجن ينظر اليها بنهم واذا خرج الخادم لقضاء حاجة نظرت القرد الى ماحوله واذا لم يجد شيئا يستعين به على انتشال الكستنا من وسط الرماد وثبت على قط راقده هناك وأمسك يده بعنف وجعل يحرق بها النار ويخرج الكستنا واذا سمع أهل البيت ولولة اهتزت أسرعوا الى المطبخ فوجدوا القط يبيع الماء والقرد يأكل ماغرم اه

﴿ الحجبة السادسة ﴾

ان القردة المعروفة (بالاورنجوتان) و (الشانباوا) تكتشف من نفسها بسهولة كيفية فتح الأقفال وقد ذكرها عن القرد المسعود (مافوكا) في حديقته الحيوانات في مدينة (دريسد) انه سرق مرة مفتاح قفصه ليتيسر له الخروج منه متى شاء . وكثير من الكلاب والقطط والمواعز تتعلم من نفسها فتح الأبواب وقد روي ذلك أيضا عن البقر والخيول والحمار والبغال . أخبر المعلم (هرمان فول) انه في إحدى زرائب مدينة (لانسي) اضطر صاحب الزريبة بعد بناء الخوض بمدة الى أن يستبدل لولب الماء البسيط بلولب آخر ذي مفتاح لأن البقر كانت تعلمت من نفسها فتحه ومثل ذلك حدث في مدينة أخرى بناها (أري بوريت) في مدينة (تورينو) ولقد نرى القردة تتسبب ظهور الكلاب تسير بها بحيلة أسوة بالخيالة . اه من الكتاب المذكور

﴿ الحجبة السابعة . القرد والفيل والكلب يخفن من الاستهزاء ﴾

قال في الكتاب المذكور ان القرد والفيل والكلب يخشيان الهزؤ ويحزن على من يكرهن . روي المعلم (رومانس) من كلب له طفق يوما يقتنص ذبابا من فوق زجاج شباك ولما رآه الميسو (رومانس) يخطئ الغرض أخذ يهزأ به ويضحك بهقهة لكل اخفاق يصديه فحق الكلب غيظا وسؤلت له نفسه أن يتظاهر بقنص ذبابة وسحقها على الأرض فالحظ صاحبه الحيلة وأبأنها له فتضاعف عندها نجل الكلب وهول مستترا تحت الأثاث

﴿ الحجبة الثامنة . القرد والقردة وشغفهما ﴾

روي العلامة (لوره) عن قرد ماتت أنثاه فأخذ يعتنى بجروها الرضيع أشد من اعتناء الأم بواحدتها فكان يحمله كل ليلة على ذراعيه ويمشي به لينيمه وفي النهار لا يغفل عنه لحظة واحدة . وذكر أيضا عن قردة نادرة الاشفاق كانت لا تقتصر على تربية صغار القردة التي من غير نوعها بل كانت تسرق أيضا جراء الكلاب جزوا وهكذا صغار القطط لترضعها وتربيتها فاتفق صرة أن قطيطا صغيرا خشيها فاعتراها من يد الاندهاش وشرعت تبسح في يديه الى أن أحست بأظافره فقرضتها بأسنانها بكل لطف اه

﴿ الحجبة التاسعة . حكاية عن الدب من كلابي (جبال العالم) نقلا عن الكتب الافرنجية ﴾

حكى أن رجلا رأى ذئبان كأنهما يتشاوران في أمر ثم أسرع أحدهما الى حفرة في عرض الوادي وأسرع الآخر الى الناحية الأخرى منه فيها قطيع من الأطباء يردن فأزعجهن حتى جرين الى تلك الحفرة التي فيها صاحبه فانقض ذلك المختفي على واحدة فأخذها وأتى الثاني معه فقتلها وأكادها فتأمل قوله تعالى - الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - اه

﴿ الحجبة العاشرة . الثعلب وتعقله والدب ونحيله ﴾

روي المعلم (رومانوس) في أحد أعداد المجلة العلمية سنة ١٨٧٩ أن ثعلبا غم بطة داخل حقل ولما تعذر عليه بعد أن حاول ثلاثا أن يقفز من فوق الحائط وفريسته في فمه مكث قليلا يتأمل في الحائط القائم أمامه ثم وثب

بعد قليل وأخذ البطة برأسها وارتفع به به ما أمكنه على الحائط وأشب منتار البطة في شق هناك ثم وثب على رأس الحائط وتدلى إلى أن بلغ فريسته فأخذها ورمى بها إلى الناحية الأخرى وبعدها انعدس من مكانه وأخذها بقمه ومضى . وأخبر العالم (فلوران) أنه لما تكاثرت الدبة في حديقة النباتات عزم أولياء الأمر على قتل اثنين منها فألقوا اليه قراصا مشربة بحامض البروسيليك وهو سم زعاف فما كادا يشمان الأقراص حتى أجفلا وهربا ولكن الشره تغلب عليهما فأخذها بأيديهما وجعلا ينفضان منها السم في حوض الماء وأكلاها بعد تطاير السم منها فحجبوا لكاهما وفطانتهم وكفوا عن قتلهما

﴿ العجينة الحادية عشرة منه أيضا شفقة الغربان والخليل ﴾

أخبر المسيو بايت عن غربان رآها تطعم ثلاثا من رفقاتها فاقدى البصر . وهكذا المسيو بورتون شهد ببهاء له كانت تعتنى بطائر تلفت رجلاه من غير جنسها فتبظف ريشه وأطعمه وتدفع عنه صدمات الجوارح وأغرب رواية من هذا القبيل ذكرها المسيو (بوسانيل) قائد فرقة (البوفيليه) قال في سنة ١٧٥٧ طعن في السن جواد أصيل من حصن فرقنا وتلفت أسنانه إلى حد أنه لم يعد في وسعه مضغ علفه فجعل الحصانان اللذان كانا يرافقانه في الجري يمنة ويسرة يأخذان كل ليلة علفه وبعد أن يمضغه جيدا يلقمانيه في الملعف ليأكله واستقامت الحال هكذا إلى أن فطس الجواد بعد شهرين وشهد هذا الحادث كثير من القواد والجنود

﴿ العجينة الثانية عشرة طائر هندي يبنى بزخرف قصورا تسر الناظرين ﴾

ان الطائر الهندي المعروف (بطير الفردوس) لا يكتفي ببناء عش بسيط بل يشيد أيضا أوكارا للزينة في غاية الاتقان والجمال والابداع وتكون هذه المساكن أحيانا فسيحة الأرجاء ودخلها أروقة مسقوفة وأكثرها موشاة بالصدف والحجارة اللامعة وريش الببغاء وقطع النسيج وكل ما يصلح للزخرف والتزيق . وأما النوع المعروف (بالامبليورنيس) فيحوط مسكنه بحديقة صناعية يصوغها من تراب مكسور بالخضر ويزينها بثمار وزهور يجتدها كل يوم . وكما للطيور من بنايات هندسية ضربنا عنها صفحا اجتزاء بالقليل وعسى أن ترى في ثنايا التفسير عجائب من هذا النوع في غير هذا المقام

﴿ العجينة الثالثة عشرة هل للحيوان لغات ﴾

قال في الكتاب المذكور . ان النطق اللفظي خص به الانسان وحده ولكن الحيوانات التي من نوع تستطيع أن تظهر مقاصدها كل منها لأخيه . فالكلب الداجن يلك من النطق ما لم ينله أسلافه في وحشيتها فله عواء مخصوص دال على الغضب وآخر على الجزع وآخر على اليأس وآخر على الفرح وآخر على الالتماس هكذا الدلالة بالإشارة يبلغ أمدده في الحيوانات التي تعيش بالألفة كالخيل الوحشية والفيلة وكلاب الماء والنمل والنحل الخ وأسراب الخطاطيف تتفاوض وتتساور قبل الرحيل إلى أقطار بعيدة . وبالأجمال ان أفكار البهائم بسيطة محدودة ومقصورة على حاجاتها الطبيعية فلا تحتاج للتعبير عنها إلا إلى حركات وأصوات بسيطة اه

﴿ العجينة الرابعة عشرة الزنبور وذكاؤه ﴾

روى العلامة (داروين) أن زنبورا حمل ذبابة وطار بها ولما ارتبك من مصادمات الرياح في طيرانه لتلاعبها بجناحي الذبابة هبط بها إلى الأرض وجز جناحيها وعاد فطار بها

﴿ العجينة الخامسة عشرة التنويم المغناطيسي واثبات وجود الأرواح الحيوانية بعد موتها ﴾

قال في الكتاب المذكور . روى داسيه ماتيريسه . كنت مقما بمدينة (نوردو) في أواخر سنة ١٨٦٩ إذا بصديق لي في إحدى الليالي دعاني إلى حضور جلسة مغناطيسية فلبيت الدعوة ولم أشهد في هذا الاجتماع شيئا جديدا يختلف عما يجري في اجتماعات كهذه إنما حصل في هذه الجلسة أمر ذوبال أذهاني وهو أن أحد الحضور رأى في الأرض رتيلاء (عنكبوت) فداسها برجله وإذا بالنائمة هتفت قائلة أرى روح رتيلاء يرتفع

من الأرض فسألتهما ما شكل هذا الروح قالت شكلا الرقلاء بعينها . وذكر داسيه في هذا الصدد شواهد أخرى عديدة تؤيد وجود الشكل السيمال في الحيوان حتى أنه يمكن انطلاقه من الجسد في مدة الحياة وأخبرت المجلة الروحانية الفرنسية في أحد أعدادها سنة ١٨٩٤ عن وسيطة ناظرة رأت حول الكونيت دي ليثوف شيخ كلب له مات منذ بضع سنين وكان الشبح على قول الوسيطة يتقفر فرحا ويهز ذنبه كالحي عند تذكر صاحبه له اه

يقول مؤلف هذا الكتاب ان هذه الحكايات كلها وأمثالها هي تفسير قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم الخ - وبهذا وأمثاله يظهر سر القرآن وعجائبه وحكمه البليغة البديعة . اه

ثم انه أثناء طبع هذا الكتاب جاء في إحدى جرائدنا المصرية في تاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥ ما يأتي فأحييت أن أثبته هنا تفسيراً للآية تحت هذا العنوان

﴿ بحث تاريخي طبيعي في عجائب ذكاء الجرذان ونظامها ﴾

اطلعنا في إحدى الصحف الانجليزية على نبذة غريبة في بابها عما أسفرت عنه أبحاث تاريخية طبيعية قام بها بعض علماء التاريخ الطبيعي فيما يختص بشؤون الجرذان . وهالك ملخص هذه النبذة يرى الكثيرون من الأوروبيين والامريكانيين في هذه الأيام أن الجرذان السمر الألوان هي أشد الحيوانات غير الأليفة خطراً وأكثرها ضرراً فخذ وضعت الحرب الأوروبية أوزارها أبان بعض البحوث أن هذا النوع من الجرذان يتفوق في ذكائه وفي قدرته على تنظيم شؤون معيشتة حتى على المل والنحل وما كشفه فيهما السيرجون لبوك من عجائب الصفات

وقد قضت الضرورة بعد الحرب على أهل مدينة نيويورك الاميركية أن يدقوا البحث في حياة الجرذان لكي يكشفوا نظمها الحكومية المختلفة (كذا) ويعرفوا وهل هذه النظمات كاملة . ففي أثناء الحرب تكسدت مقادير عظيمة من المؤن هناك حتى يأتى الوقت الذى تقضى فيه الضرورة بنقلها الى أوروبا فجمعت الجرذان في المكان الذى وجدت فيه تلك الأكداس تجتمعاً عظيماً حتى يقدر ما تجمع منها الآن في جزيرة مانهااتان بثلاثين مليون فأر

ومعلوم أن قسماً من مدينة نيويورك قائم على تلك الجزيرة بحيث لم تنجح مجهودات كثيرة بذلت للقضاء على هذا الجيش من الجرذان أو طرده من تلك الناحية فبدلاً من أن تعنى تلك الجرذان بالانصراف الى ناحية أخرى تكون فيها المعيشة أسهل . تبينت انها محصورة في بقعة تحيط بها المياه من كل جهة . فلمت تلك الجرذان شعها ونظمت شؤونها وصفوفها وازدادت مكرًا ودهاء وأظهرت من المهارة والحنكة في مقاومة تلك المجهودات ما اضطر أولياء الشأن الى استنباط وسائل جديدة لمحاربتها

وقد كشفوا الآن أنها لا توجد هناك بصفة فرادى أو وحدات أو أزواج أو عائلات بل بصفة هيئات اجتماعية منظمة كالهياكل الاجتماعية الانسانية التى توجد في المستعمرات وكل عضو في هيئة جرذان اجتماعية خاضع لنظام أدبى معين . وهالك مثالا للنظام الذى تعمل به تلك الهيئات

توجد ناحية واقعة تحت مصابغة أولياء الشأن ويوجد فيها خمسة وسبعون مخزناً أو أكثر تخزن فيه المؤن والجرذان متفشية في جميع تلك الأبنية ماعدا بناء واحداً يخزن فيه القمح والدقيق ولم يدخله جرذ واحد من هذا النوع الأسمر الكبير . وإنما اكدت بفيران صغيرة من النوع المسمى (بالسيسى) الذى يفترسه هذا النوع من الجرذان السمر فكان من العجيب أن لا يدخل هذا الأخير في ذلك المخزن ولقد عنى الرجال بمراقبة ذلك المخزن المنعزل شديد المراقبة ووجد الحراس أن الجرذان الكبيرة بدلاً من

أن تدخل في شؤون ذلك المخزن وبعبارة أخرى ذلك المكان الذي اتخذته الفيران الصغيرة كمنشأة مستعمرة طاعتها باستحضار أغذية إضافية لجعل تلك الفيران الصغيرة ذات سمن وصفة وعافية إذ كانت الجرذان تجلب إلى تلك الفيران خضراوات ولحوما وقشور الفاكهة مع جوارحها وألبانها أي كانت تلك الجرذان تصلح غذاء الفيران بما كانت تضيف إليه من أنواع الادمه فلا عجب إذا سميت هذه الأخيرة وصحت أجسامها ثم أتى على الذين كانوا يلاحظون تلك التدابير وقت لاحظوا فيه عددا من الجرذان الكبيرة يتقدم إلى بلدة أو مستعمرة الفيران الصغيرة وسرعان ما عمدت تلك الجرذان إلى فتحات موجودة في جدران ذلك البناء وكانت الفيران الصغيرة تتخذها كداخل ومخرج لها فوسعت الجرذان تلك الفتحات لكي تتمكن أجسامها الكبيرة من الدخول والخروج منها ثم دخل فيها أكبر الجرذان وأكثرها وحشية وماهى الإلحظت حتى خرج الفزاة يحمل كل منها فأرا سميناً ثم يضعه ويعود إلى داخل البناء ويخرج بفأراً آخر وهكذا استمرت هذه العملية حتى تجمعت في خارج البناء أكاداس من الفيران وعادت الجرذان فحملتها إلى مستعمراتها ليتفكك بها صغارها فظهر من هذا أن الجرذان ما كانت تمد الفيران بالطريق من الأغذية لتسمينها إلا لأن مثل مخزن الفيران ليسها لم يكن إلا كمثل الاحشاش التي يربي فيها الأثرياء من بنى الانسان مختلف الحيوانات ليصيدها متى نمت وترعرعت

فاما أتممت هذا المقال قال صاحب لي أصدق أنت ما تقول الأرواح . قلت له أصدق ما يقوله القرآن نص القرآن على بقاء الحيوانات وجعلها أمما أمثالنا فاذن قلنا ان العمل يقتضى بقاءها لحكم لا نعلمها والا كان خلقها أشبه بالعبث والله يقول - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا - رأى باطل أضل من خلق حيوانات لا تنهاى ثم تذروها الرياح فلا يكون لها وجود وما المانع أن تكون أمثال أرضنا محل زرع لاوائل الحيوانية ثم ترتقى في عوالم أخرى على مقدار درجاتها في التثوير والروحاني . وإذا كنا في شك من كلام الروحانيين وجب علينا أن نبحث في عاومهم فالجهل هو العائق عن السعادة ومن يجهل شيئا لم ينله كما أن من يجهل التجارة والزراعة والصناعة مثالا لم ينل الغنى هكذا الجهال بالعوالم لا يحظون بالرقى فيها والدنيا دار التجربة والعلم والعمل

اللطيفة السابعة - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر الخ - لقد يعلم الناس الحوادث المستقبلية ببعض القواعد فانك لا تشك أن الليل والنهار والشهور والسنين والخسوف والكسوف لها أوقات محددة وساعات معينة ودقائق ثابتة فترى الناس يعرفون الخسوف والكسوف والأيام والشهور بعد آلاف السنين فيحكمون على المستقبل القريب والبعيد من حيث ظهور الكواكب والخسوف والكسوف وغيرها حتى ان الشيخ محمود الشيرزورى ذكر في كتابه الشجرة الالهية كثيرا من آراء الأمم في الأدوار والأكوار فقال مالمخصه . ان العقول التي هي أرقى من عقل الانسان تقدر أن تعرف المستقبل الذي لانهاية له وذلك بمعرفة الأدوار الفلكية فكل دور من أدوار الفلك يكون مابعد ماثلا له سنة فسنة وقرنا فقرنا فاذا كان ذلك العقل مطالعا لسعته على حوادث ذلك القرن فان كل قرن بعده إلى مالا نهاية له مثله وتكون الحوادث واحدة فيها ويقال حينئذ انه عرف مالا نهاية له . أقول وقد تقدم في هذا التفسير من المسائل الفلكية الحسابية المطردة التي تقرب أمثال هذا القول

وإذا كانت حوادث العوالم الأرضية تتبع السماوية فاذن يتم العلم بالمستقبل . وترى علماء العصر الحاضر يرصدون حوادث المطر يوما فيوما عسى أن يجدوا سبيلا لعلم ما يكون في السنين المقبلة من أدوارها الحاضرة وفي هذا اليوم وأنا أكتب في هذا التفسير نقلت بعض جرائدنا المصرية يوم الجمعة ٢٨ مارس سنة ١٩٢٤ سير العلم في شهر مارس من هذه السنة وقد كثرت السيول والحوادث في إيطاليا وان عالما إيطاليا يسمى الأب

غير يال قستم تقريراً الى أكاديمية العلوم الفرنسية في ١٧ مارس الحالى عن العواصف والسيول واسكان التنبؤ بها قبل وقوعها بأشهر وسنوات فقد أعلن أن تجاربه التى قام بها فى حياته أثبتت أن العواصف والسيول لها أدوار كأدوار الفلك وقال ان الأربعين سنة التى تبتدى من سنة ١٨٨٣ وتنتهى سنة ١٩٢٣ تضمنت ثلاثة أدوار بالنظر الى السيول والعواصف وشرحها شرحاً وافياً ولكل دور هو وصفه . ثم قال ونحن الآن فى السور الأول الخ وقد أثنى عليه رجال الأكاديمية ثناء عالياً لأنه سينفع الناس بهذا الكشف وسجل أيضاً كشف آخر قدمه الاستاذ بريتون لأكاديمية العلوم وهو ما توصل اليه العالمان (لومان وكوماندون) اللذان صوراً حركات القلب والرئتين والمعدة وسائر أعضاء الجسم الداخلية بالسينما توغرا فيها بمساعدة أشعة رنتجن . وقد أصبح من الممكن رؤية كل ما يحدث فى داخل الجسم من الحركات الغريبة على ألواح الصور المتحركة فى دور السينما قالوا وهذا الكشف سيحدث انقلاباً كبيراً فى أساليب التعليم ويسهل على الأطباء معرفة كثير من الأمراض الداخلية . وكذلك اخترع الدكتور بازسكى من مدينة (كييف) من أعمال روسيا آلة حجمها كحجم آلة التصوير الشمسى وقال انه عرف بها الأمراض الانسانية من بدنية وأدبية وعقلية وقال انه امتحنها فى مئات من المجرمين المسجونين بسجون مدينتى (كييف ووارسو) فكان فى بضع ثوان يقرر أن المجرم نمرة (١) قاتل عمدا وأن السجين نمرة (٢) متهم بالقتل ظالماً وأن فلانا نمرة (٣) لص شكس ونمرة (٤) مهيج سياسى عنيف ونمرة (٥) بريء . ولما وقف على ذلك رجال الشرطة الروسيون اعترفوا بصحة جميع النتائج ويقول ان للخ ٧٨ خلية رئيسية هى مدار كل أعمال الانسان فاذا أريد معرفة ما يستعد له الطالب من العلوم فليرسم رأس صناعى من الجبس ولترسم هذه الدوائر عليه وليصنع بواسطة الكهرباء أعمال تبين مقدار استعداد الطالب فى علم الطب أو الأدب وما أشبه ذلك بهيئات مخصوصة بحيث ان الكهرباء المسلطة على خلية من خلايا المخ الصناعى المماثل للخ الانسانى صورة تؤثر فى نفس ذلك الممتحن (بفتح الحاء) متى اتصلت تلك الكهرباء به اذا أمسكها بيده تأثيراً يختلف باختلاف تلك الخسلايا المسلطة عليها الكهرباء فى الرأس الصناعى وعلى مقدار التأثير يحكم باستعداداته وعلمه . وليس من المطالب لنا أن نعرف الطريقة بتمامها وانما المراد معرفة ما وصل اليه الناس فى أيامنا . ولقد أوقفناك على جل مايجول فى عقول الناس قديماً وحديثاً من علم الغيب وان القدماء يلجئون الى الفلك وأدواره حتى أن بعضهم كان يجعل حساب حروف الجمل ذا تأثير فى علم الغيبات وهكذا المحدثون يبحثون فى باطن الأعضاء ويعرفون الخواطر وكذلك الأمطار والعواصف المستقبلية . ههنا ماوصل اليه البشر كما يعرفون الانسان بخطوط ابهامه اذا ختم بها على الورق وعملت به الحكومات

﴿ هل هذا علم غيب ﴾

أقول ان هذا كاه أشبه بما يفعله الأطباء من الاستدلال بالبول وبالحرارة على نوع المرض فاذا صح بعض ما تقدم أو أكثره فلم يخرج عن استدلال على أمور عاقبة أو خاصة كاستدلال الطبيب بحمرة الخد أحياناً على صرض فى الرئة . فهنا وأمثاله لا يعد علماً بالغيب اذا صح ولكن علم الغيب ومفاتيحه فوق طاقة البشر ولو أن البشر علموا الغيب لسكانت حياتهم وبالا عليهم لأنهم لا يرتقون فالارتقاء يكون بالجد والتشمير والعمل والاقدام فاذا عرف المستقبل ساءت الحال ونام الناس . فأما بعض الرؤى التى يراها الناس وقد تصيب نادراً فذلك لمساعدة المرء مساعدة قليلة فى النادر . هذا ما أردت ذكره وفيه الكفاية

﴿ مفاتيح العلوم فى هذه السورة ﴾

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر فى هذه السورة أن عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو لم يخل هذه السورة من مفاتيح للعلوم فذكر مفاتيح منها . مفتاح تفتح به علوم السموات وهو ما قصه من أنبأ إبراهيم ونظره فى

الكوكب والقمر والشمس حتى انتهى الى الله هذا هو المفتاح الأول من مفاتيح العلوم
المفتاح الثاني ما قصه الله من فلقه الحب والنوى وهكذا حتى انتهى الى قوله - انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه -
ولا جرم أن الثمر لا يكون الا بعد الزهر والزهرة ستري رسمها هناك إن شاء الله في هذه السورة وستعجب من
كونها مع بساطة حجمها كانت مفتاحا لعلوم النبات وعبرت بنظامها واختلاف أعدادها عن مئات الألوف من
النبات . هذان مفتاحان سترهما في هذه السورة مفتاح للسموات في قصة ابراهيم وستري الصور السماوية
التي هي مفتاح العلوم هناك وكيف اجتهد العلماء اليوم في هذا ومفتاح للعلوم النباتية الأرضية في الزهرة
الرموز لها بالثمر . فهذان المفتاحان المذكوران بعد قوله - وعنده مفاتيح الغيب - يفتح بهما الله على
الناس علم السموات وعلم الأرض ايضا لقوله تعالى في أول السورة - الحمد لله الذي خلق السموات
والأرض الخ - ولما كانت السموات والأرض لا يعلمان الا بتعليم جعل لهما مفتاحين على سبيل اللبس والنشر
المرتب المنظم فتعجب من القرآن ونظامه وسيترك ماترى من الصور السماوية والمجائب النباتية وليست كمفتاح
العلوم للعلامة السكاكي وفرق بين مفتاح الله ومفتاح السكاكي فمفتاح السكاكي يفتح علوم اللسان العربي
أي بعض القواعد التي تعرف بها البلاغة والبلاغة مقدمة لا اعتقاد أن القرآن مجز . فأما مفاتيح الله هنا
فليست لتعليم اللغة التي هي مقدمة للعلوم لانها هي العلوم المقصودة بل هي لتعليم الحقائق التي لأجلها نزل
القرآن ولأجلها أرسل الله الرسل وما الرسل إلا مبالغون ولا يبلغون إلا بلسان فهذه علوم اللسان وليست
مقصودة إلا للمعاني فهذه هي المعاني وهذه هي العلوم التي ارتقت بها أوروبا والمسلمون نائمون ساهون لاهون
يفتح الله لهم باب العلوم فيقفون عليها على أنفسهم وقد آن أوان رقي الأمم الاسلامية - والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم -

هذا ما أردت ذكره في علم الغيب ومفاتيح العلوم والله علام الغيوب . انتهى تفسير المقصد الأول من
سورة الأنعام

(المقصد الثاني)

وفيه المفتاح السماوي من المفتاحين المذكورين قال الله تعالى
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *
وكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بَشَرٌ يَهْدِينِي رَبِّي لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا
رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ
قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأُولَئِكَ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَمَعْنَاهُمْ فِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِّلْعَالَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ شَمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوَاضِعِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ *

﴿ التفسير اللفظي لهذا المقصد ﴾

(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) هو اسم أبي إبراهيم (ألتخذ أصناماً آلهة) تعبدوها من دون الله (إني أراك وقومك في ضلال مبين) ظاهر الضلال (وكذلك نرى إبراهيم منكوت السموات والأرض) أى ومثل

هذا التبصير نبصره عجائب السموات والأرض وبلدانها واللكموت أعظم الملك والثناء فيه البانسة يستدل
(وليسكون من الموقنين) الذين تزول شبهاتهم بسبب التأمل والتفكير والايقان أعظم من الايمان لأن الايمان
بالتسليم والايقان بالاستدلال والتأمل وهو الغاية العظمى للانسان في هذه الحياة (فلما سمع عليه الليل)
ستره بظلامه (رأى كوكبا) هو الزهرة أو المشتري (قال) مجازاة لقومه ليدين لهم فساد عقائدهم (هذا ربي
فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) فضلا عن عبادتهم وكيف ينتقل ويختجب ويتغير وصف من هو إله
العالمين (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا في الطالع (قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لا أكونق
من القوم الضالين) أظهر الجوز وكل الأصر إلى الله لتساقب الظواهر الخيرة للعقول في الألوهية (فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) كما يشعر به قومه ليقم الحجة عليهم (فلما أفلت قال يا قوم إني برىء
مما تشركون) من الاجرام المحدثه التي تحتاج إلى موجد (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
حنيفا وما أنا من المشركين) وقوله (وحاجه قومه) جاداره وخاصمه في التوحيد (قال أتحتاجونني في الله) في
وحدانيته (وقد هذان) إلى توحيدهم ولما خوفه قومه آلهتهم أن تضمره قال (ولا أخاف مما تشركون به) أي
لا أخاف معبوداتكم لأنها لا تنفع ولا تضر (إلا أن يشاء ربي شيئا) أي لكن أن يشاء ربي شيئا كان ما يشاءه
لأنه قادر على النفع والضرر هذا استثناء منقطع وإنما استثنيت ما يشاء الله فأقررت بأنه يقع لأنه (وسع ربي
كل شيء علما) أي أحاط به علما فلا مانع أن يكون في علمه أصابتي بمكرهه (أفلاتنكرون) أي أفلاتعتبرون
أن هذه الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع ثم قلب الموضوع عليهم فقال وكيف أخاف أصنامكم وهي لا قوة لها
وأنتم لا تخافون من الله وقد أشركتم به فأينا أحق بالأمن من يعصى أوامره أم من يطيعه وينفذ الأوامر التي
أتم عليها أنا أحق بالأمن وأنتم أحق بالخوف وهذا قوله (وكيف أخاف ما أشركتم) أي معبوداتكم وهي
مأمونة الخوف (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما ينزل به بشرا) (عليكم سلطانا) حجة إذ الاشراك ليس يكون
عليه حجة أي ومالك تنكرون على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف
(فأي الفريقين) أي فريق الموحدين والمشركين (أحق بالأمن) من العقاب (إن كنتم تعلمون) ما يحق
أن يخاف منه ان الذين يستحقون الأمن يوم القيامة هم (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) معصية
(أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) أي إلى سبيل الرشاد فهؤلاء يأمنون العذاب في أودية جهنم لأن نفوسهم
خلصت من هذه الأرض ومن المادة وظلامها • فأما الذين ارتكبوا الآثام أو مالت نفوسهم إلى الحياة الدنيا
وظنوا أنها هي كل مقصود من الوجود فأولئك يعذبون وينتهي أمرهم بالنجاة • وعلى هذا ما روي في
البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال لما نزلت - الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم - شق ذلك على
المسلمين وقالوا أين لا يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون قول لقمان عليه
السلام لابنه - يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم - وفي رواية ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان
لابنه وذكره • فانظر قوله ﷺ ألم تسمعون قول لقمان لابنه وذكر - ان الشرك لظلم عظيم - وهذا
من أدق الأجوبة كأنه ﷺ يقول لهم الظلم المؤثر أثره باقيا إنما هو الشرك فأما الظلم الذي يزول أثره بعذاب
مؤقت فهو الذنوب وأكثر الناس إنما يخافون من العذاب الدائم ولو نظر إلى الخالص الذين لا يعذبون فانهم
قلييل • فالأمن العظيم لمن لم يذنب أو تاب توبة نصوحا ورد الحقوق إلى أهلها فأما المذنبون فانهم أقل
درجة من أولئك فانهم أقل • هذا هو المفهوم من جوابه ﷺ فالمقصد من ذكر الظلم العظيم أنه لا يؤبد
العذاب إلا به والمؤمنون لا يؤبد لهم العذاب هذا هو المقصد قوله (وتلك حجتنا) أي ماجرى بين ابراهيم
وقومه (آتيناهم ابراهيم) أرشدناه إليها وعلمناه حجة (على قومه) حجتنا بدل من تلك وآتيناهم ابراهيم حجة
على قومه خبر (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة (إن ربك حكيم) في رفعه وخفضه لأنه يعطي على

حسب الاستعداد (عليهم) بحال كل واستعداد (وهيئنا له اسحق ويعقوب كلا) منهم (هدينا ونوحا هدينا من قبل) من قبل ابراهيم (و) هدينا (من ذريته) ذرية نوح (داود وسليمان وأيوب) وهو من ذرية اسحق بن ابراهيم (ويوسف وموسى وهرون وكذلك) الجزاء (تجزى المحسنين) أى تجزى المحسنين جزاء جزاء ابراهيم إذ رفعنا درجاته وباركنا في ذريته كثرة ونبوة (وزكريا ويحيى وعيسى والياس) وهو من نسل هرون النبي بن عمران (كل من الصالحين) السالكين في الصلاح وهو الايمان بما ينبغي والتحرر عما لا ينبغي (واسماعيل واليسع) هو اليسع بن أخطوب ابن الجوز (ويونس) بن متى (ولوطا) هو ابن أخى ابراهيم وأبوه يسمى هاران وهو أخو ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) أى فضلنا كلا من هؤلاء بالنبوة والاسلام على عالمي زمانهم . يقول فضلنا كلا من هؤلاء على العالمين وبعض آبائهم أى آباء الذين سميناهم وذرياتهم واخوانهم ثم عطف على فضلنا قوله (واجتبييناهم) اصطفييناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم) أى ثبتناهم على طريق مستقيم فأما آبائهم فمثل شيث وأما الذرية فمثل أولاد يعقوب وأما الاخوة فمثل اخوة يوسف (ذلك) الصراط المستقيم (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) لأن الله هو المتفضل على الناس لأنه هو أصل الوجود والخلق منه واليه (ولو أشركوا) أى ولو أشرك هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع عظيم قدرهم (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فهم كغيرهم في سقوط الثواب بالشرك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) أى جنسه (والحكم) أى الحكمة أو الفصل في الامور على ما يقتضيه الحق (والنبوة) الرسالة (فان يكفروا بها) بهذه الثلاثة (هؤلاء) أى قریش (فقد وكلنا بها) بمراءعنا (قوما ليسوا بها بكافرين) من الأمم الأخرى كالفرس والتتار والترك وأهل جزائر الهند الشرقية وأهل الصين وقوم من السودان وأمم أخرى لا يعلمها إلا الله سيلدها الزمان المقبل لأنى لا أنزل علما ولا أخلق نباتا ولا شجرا إلا فيه مصلحة مستقبله وهذا القرآن أنزلته الى أهل الأرض لا الى قریش وحدهم فاذا كفروا بها فكم من أمم ستأتى كقوم من الانجليز فى هذه الأيام وآخرين من أمريكا وسيظهر من الجبابرة ما لا يخطر بالعقول قريبا . أقول أنا وستأتى أمم تنهم الاسلام على الحقيقة التى فسرت القرآن بها فى هذا الكتاب عاجلا أو آجلا . بهذا أنا موقن وتكون أمم أرقى من الأمم الماضية واسلام الأمم التى ذكرتها مجزة لأن النبي ﷺ كان بمكة وليس معه إلا قليل وهؤلاء جاؤا من بعد حتى الأنصار لم يكونوا أسماوا (أولئك) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فى أمر الدين الذى اجتمعوا عليه من توحيد الله وتنزيهه ووصفه بالصفات التى تليق به وفى جميع الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة كالصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم فلتكن كريما ومجاهدا كابراهيم وصابرا كاسحق ويعقوب وأيوب وشاكرا كداود وسليمان وجامعا بين الصبر والشكر كيوسف وصاحب معجزة باهرة وشريعة ظاهرة كموسى وزاهدا كزكريا ويحيى وعيسى والياس وصاحب صدق كاسماعيل وصاحب تضرع كيونس فعليك يا محمد أن تجتمع فيك هذه الصفات وعلى أمتك أن تقلدك فى ذلك حتى يكونوا - خيرا مة أخرجت للناس - والهاء فى قوله - اقتده - للوقف وقد أثبتنا فى الوصل فأجراه مجرى الوقف ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وجعلوها ساكنة ويحذف الهاء فى الوصل حمزة والكسائي وهناك روايات أخرى لانطيل بها وقوله (قل) يا محمد (لا أسألكم عليه) أى على التبليغ (أجرا) جهلا من جهنكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وأنا أمرت أن أقتدى بهم (إن هو) أى التبليغ أو القرآن (إلا ذكرى للعالمين) إلا تذكرة وموعظة لهم (وما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) هذه السورة وان نزلت بمكة فان فيها آيات نزلت بالمدينة كما قال ابن عباس انها نزلت جملة واحدة ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها نزلت بالمدينة وهى - قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم - الى آخر الثلاث آيات

وقوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره الآية - وقوله - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى
 ولم يوح إليه شيء - إلى آخر الآيتين فالذين قالوا - ما أنزل الله على بشر من شيء - هم اليهود - ذلك أن
 مالك بن الصيف خاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في
 التوراة أن الله يبغض الخبثاء السمين وكان حبرا سمينا فنضب وقال - ما أنزل الله على بشر من شيء - فنضب
 عليه قومه بعد ذلك وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت - ما أنزل الله على بشر من شيء - فقال
 مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فزعموه عن
 الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وفي ذلك ومحوه نزل قوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به
 موسى) حال كونه (مهدى للناس فجعلوه) تسكتبونه (قراطيس) أى فى قراطيس أى فى صحف مقطعة
 (تبدونها) أى تظهرون كثيرا منها مما لا يخالف أهواءكم (وتخفون كثيرا) مما يخالف أهواءكم كصفات النبي
 ﷺ (وعلمتم) يا أهل الكتاب ويامسكين على لسان محمد ﷺ (مالم تعلموا أنتم ولا آبائكم) من قبل
 زيادة على ما فى التوراة عندهم أيها اليهود وبيان لما التمس عليكم وعلى آبائكم كما فى آية أخرى - إن هذا
 القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون - ثم أجاب على قوله - من أنزل الكتاب الخ -
 فقال (قل الله) أى أنزله الله أصلى الله رسوله أن يجيب عنهم اشعارا بأن الجواب متيقن (ثم ذرهم فى خوضهم
 يلعبون) أى فى أباطيلهم فانما عليك البلاغ (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) كثيرا الفائدة والمنفع (مصدق الذي
 بين يديه) الكتب التى قبله فهذا الكتاب أنزلناه للبركة (ولتندر أم القرى) أى أهل أم القرى وهى مكة لأنها
 مجمع القرى وأعظم القرى شأنا (ومن حولها) من أهل المشرق والمغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون
 به وهم على صلاتهم يحافظون) فان من خاف الآخرة تدبر ومن تدبر آمن وأهم الإيمان الصلاة فانها عماد
 الدين فيها يخاطب العبد ربه بطلب الهداية ويستحضر الصالحين جميعا واعداء لهم بالسلامة والأمان برحمة الله
 بعد وصف الله بأنه هو المستحق للحامد وله كل الطيبات والصلوات - فهؤلاء يتكرر ذلك على ألسنتهم وهم
 مستحضرون بقلوبهم تنعرت نفوسهم على ذلك العالم الأعلى فيقربون من ذى الجلال والاكرام وكما قال
 اليهود - لم ينزل الله على بشر من شيء - سيأتي قوم بعد ذلك يدعون أنه يوحى اليهم كذبا وزورا فالأولون
 بانكارهم النبوات كالآخرين بادعائهم نبوات كاذبة وكلاهما فى ضلال والذين يدعون النبوات الكاذبة مثل
 مسيلمة صاحب اليمامة وقبيلة قومه من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات فاعتز قومه بذلك وقتله وحشى فى زمن
 خلافة أبي بكر رضى الله عنه ومثل الاسود العنسى بن عبيدة بن كعب وكان يقال له ذوالجبار ادعى النبوة باليمن فى
 آخر عهد النبي ﷺ وقتله فيروز الديلمي قبل موته ﷺ بيومين وأخبر أصحابه بقتله كما تقدم فى غير هذا
 المقام - وفى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع فى يدي
 سواران من ذهب فكبر على وأمهاني فأوحى إلى أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين الذين
 أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وهذا قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كأولئك
 الذين ابتدعوا بدعا فى الديانات وكاليهود المحرفين للتوراة وغيرهم (أوقال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء)
 كهؤلاء الذين ادعوا النبوة (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) كالذين قالوا - لو نشاء لقلنا مثل هذا - (ولو
 ترى) الظالمين (إذا نظالمون فى غمرات الموت) شدائد وسكراته من غمره الماء إذا غشيه (والملائكة باسطو
 أيديهم) أى يمسطون أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم مشددين فى الازهاق من غير تنفيس واهمال وهو قوله
 (أخرجوا أنفسكم اليوم) أى وقت الامانة (تجزون عذاب الهون) أى الهوان (بما كنتم تقولون على الله
 غير الحق) كاذباء الولد والشريك لله ودعوى النبوة والوحى كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأمنون
 فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب (فرادى) منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما أثرتموه

من الدنيا وعن الشفعاء والأصنام وعن كل ناصر (كما خلقناكم أول مرة) * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا - كما بدأنا أول خلق نبيه وعدا علينا إنا كنا فاعلين - وفيهما أيضا من عاثت سمعت رسول الله ﷺ يقول تحشرون الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الأعمى أشد من أن يهتبعهم ذلك * وفي رواية الطبري - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال قال تعالى (وثركم ماخولناكم) أعطيناكم (وراء ظهوركم) من الأموال والأولاد والخدم والخول وقوله - وراء ظهوركم - أي في الدنيا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) يزعم المشركون أنهم عبدوا الأصنام لأنها تشفع لهم يوم القيامة لأنها شركاء الله فيوجب الله المشركين يوم القيامة ثم قال (لقد تقطع بينكم) أي قد تقطع ما بينكم عند من قرأها بفتح بين أو تقطع الأسماء بينكم ومن رفع كان المعنى قد تقطع وصلكم والبين من الأضداد يكون وصلا وهجرا (وضل) ذهب وبطل (عنكم ما كنتم تزعمون) تكذبون في الدنيا أنها شفعاءكم أولا بعث ولا جزاء . انتهى التفسير اللفظي لهذا المقصد .

وفي هذا المقصد لطائف : (اللطيفة الأولى) قوله تعالى - وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر الخ - (اللطيفة الثانية) قوله تعالى - فبهداهم اقتده - (اللطيفة الثالثة) قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تعبونها وتخفون كثيرا (اللطيفة الرابعة) قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطة أيديهم الخ -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن هذه المباحث في هذه السورة من أدق المباحث العامة والآيات الحكيمية وكيف كان إبراهيم قد ابتلى بالصابئين الذين هم كانوا مغرمين بالعوالم العاوية الروحانية من الملائكة وانهم كانوا يجعلونها وسائط لهم بينهم وبين الله تعالى فهم آلهتهم بهم يتقربون إليه وهؤلاء الآلهة لهم هياكل كهياكلنا الجسمية وهي الكواكب السبعة ولما طال الأمد عليهم اتخذوا في الأرض أصناما لتمثل الهياكل الكوكبية التي هي أشباح وأشخاص للنفوس القدسية والملائكة العاوية فبالأصنام يتقربون إلى الكواكب وبالكواكب يتقربون إلى من يسيرونها ويجرونها في السماء في أوقات معينة فانحطت عزائمهم ونامت فطرهم فجاء الخليل إلى أصنامهم فكسرها وإلى عقائدهم فسفهاها وإلى عقولهم فأرشدها وإلى تقاليدهم فخرها . وكان أبوه آزر أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ورعاية الأصناف النجومية حق الرعاية فأخذ يذكر له ضلال ما يفعلون ويبين فساد ما كانوا يفترون . واعلم أنني لا أريد من شرح هذا المقام ذكر القصص التاريخية ولا أحوال الأمم الماضية سردا للتاريخ ولا غراما بالسير ولكني أريد أن يكون المقام مقام عمل لنا نحن الذين نعيش فوق الكرة الأرضية اليوم . فإذا كان إبراهيم كسر أصنام قومه وقرأ الرسول ﷺ ذلك على قومه ثم فعل كما فعل فكسر أصنام قومه في مكة حذوا القذة بالقذة كما فعل أبوه إبراهيم فمن الجهالة العمياء والندالة الخفاء أن يقرأ المسلمون القرآن تغنيا لا تعلما وتعبد لا تذكيرا بل عليهم أن يقتدوا بمن أرسوا إليهم اقتداء بكل ما فعل فلا شرح لك أولا مذاهب الصابئة . وثانيا فعل الخليل معهم . وثالثا الحكاية التي يذكرها بعض المفسرين عن الخليل أيام صغره . ورابعا اقتداء الأمم وإن كانوا لا يعلمون كأفلاطون في جمهوريته . وخامسا خلو النبي ﷺ في غار حراء كما ورد في قصة الخليل نوعا وكذا الاعتمكاف في المساجد وخلوات الصوفية وتوجه الهمم بحصر الفكر وأن قصة الخليل يقصد بها نشأة عالية اسلامية

﴿ الفصل الأول من اللطيفة الأولى - الصابئة ﴾

اعلم أن النوع البشري كان يبحث من العصور القديمة في صانع العالم ولهم طرق في ذلك مختلفة كثيرة

وأعظمها في تلك العصور جمال الأنوار والبهجة والأضواء والكواكب وإشراقها حتى أنك لتجد الأمم الجرمانية والعائلة الآرية قد جاء في لغتها أن الله عندهم هو النور والشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور اللامع ويشترك منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة على الله ففي لغة السندسكريت (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيوس) وعند اللاتينيين (دورس) و(دوفس) وتصرّفوا فيها إلى أن قالوا (جويتر) وفي الألمانية القديمة (ذيو) وفي السلاف (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أمم الشمال والفرنساويون يعبرون عن الخالق (ديو) صرخته والاطاليون (ديو) والأسبان والبرتغاليون (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد كما تقدّم

فهؤلاء الأمم الذين أغرموا بهن هذه الأجرام السماوية وأنوارها وصاروا لا يذكرون الله إلا باسم النور أو بما هو مشتق من النور كانوا عاشقين لهذا الجمال في الدنيا فأرجعوه لموجاهة وسموه باسمه وتري في القرآن - الله نور السموات والأرض - ومن أسماؤه النور فالقرآن يسمي الله بالنور كما سمته تلك الأمم القديمة الأوروبية والجماعات الآرية والجرمانية وأمم الهند القديمة فاتفق الأمم قديما وحديثا على الاتجاه إلى النور في الاسلام وغير الاسلام كان دليلا على أن الأمر عظيم فلنوجه العناية لهذا المقام ولنبحث في الصائبة فانهم من هذا المقام وجهتهم • الصابئون قوم ينتسبون للروحانيات ويظهرون مذهبهم في القرون الخالية والأجيال البائدة كان القديس والطهارة وجمال النفوس والمروج إلى المقام الأعلى والتشبه بالملائكة والصعود إلى الملائكة الأعلى كما هي القاعدة أن كل دين يتبعه الناس فانه في أول أمره هداية للناس مناسب لفطرهم نافع لمتبعيه هاد لعنقيه ثم يسقط سقطة عظيمة لا يصلح بعدها للانسانية • كانوا يعتقدون أن للعالم صانعا مقدسا عن صفات المخلوقين وأن له ملائكة وهؤلاء الملائكة هم المدبرون للعالم العلوي والسفلي

فالكواكب السبعة لها ملائكة تدبرها كل كوكب يدبره ذلك ويصل التأثير من الأعلى إلى الأدنى فتكون الهياكل أي الكواكب آباء والعناصر أمهات ومن هذا يكون كل موجود من حيوان ونبات وإنسان وهؤلاء الملائكة يشمل نظرهم كل شيء فهم وإن كانوا متصرفين في المادة طاهرون لا يعصون وليس لهم طعام إلا التسبيح والتقديس لرهبهم وهم أنفسهم في لذة وحبور وسعادة ليس لها نظير في الأرض ومن عليها • وهذه الطائفة تقول نحن نهذب أنفسنا ونزيل الغضب والشهوة والأحقاد ونزقي فينا النفس الانسانية العقلية فنقرب من هؤلاء الملائكة الذين بهم تتقرب إلى الله تعالى وقالوا نحن انما أخذنا هذا المذهب من (عازيمون وهرمس) العظيمين وعلى ذلك أخذوا يتقربون إلى الهياكل التي هي السيارات السبع فعرفوا منازلها ومطالعها ومغارها واتصالاتها على أشكال المواقفة والمخالفة هيئة على طبائعها وقسموا الأيام والساعات والصور والأشخاص والأقاليم وتعلموا العزائم والدعوات وعينوا لكل يوم من أيام الأسبوع كوكبا فجعلوا لزحل يوم السبت وجعلوا ساعتها الأولى وتختتموا بخاتمة المعمول على صورته وهيئته وصفته ولبسوا اللباس الخاص به وبخروا ببخوره الخاص به ودعوا بدعواته الخاصة وسألوا حاجتهم منه ولشترى يوم المريخ وهكذا كما في زحل وقالوا الله رب الأرباب وهؤلاء هم الأرباب • ومنهم من جعل الشمس هي إله الآلهة فيتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات وإلى الروحانيات تقربا إلى الله

ولما طال الأمد وقست القلوب قالت طائفة منهم أن الهياكل أي الكواكب السبعة قد تغيبت عنا فآخذوا هياكل في الأرض وهي الأصنام وهؤلاء يسمون أصحاب الأشخاص على مثال الهياكل السبعة وهي النجوم فكل شخص في مقابلة هياكل فتقربوا وتبخروا ولبسوا وتطهروا وراعوا الوقت والساعة والشكل والدعوات والعزائم مثل ما كانوا يصنعون للهياكل وقالوا هذه الأصنام شفعاء عند الله أي بواسطة الكواكب والكواكب للملائكة والملائكة لله • فيعجبا لهذا الإنسان شأنه في كل أمر أن يتنزل فيه إلى أدنى حتى يذهب من الوجود

﴿ الفصل الثاني مجادلات الخليل إبراهيم عليه السلام معهم ﴾

كسر إبراهيم الأصنام وهي الأشخاص النائية مناب الهياكل وقال - أتعبدون ما تفتخرون والله خلقكم وما تعملون - وكان أبوه أزر هو أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ورعاية النجوم وكانوا يشتركون منه الأصنام لعلمه بمواقع النجوم حتى يعمل الأصنام على طريققتها ولذلك كان الجدال معه - وما قاله له - أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين - وقال - يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا - وقوله - يا أبت اني قد جاءني من العلم - الى قوله - أهدك صراطا سويا

فهؤلاء هم الصابئون وهذا هو الدين الحنيف أي المائل عن الأديان - فاذن الصابئون لا يقرّون بأنبياء ويقولون تنقرب الى الله بأنفسنا ثم تنزلوا الى عبادة الأحجار والأصنام - وأما الحنفاء كأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فانهم يقولون تتبع هؤلاء الأنبياء - وهذا ملخص ما ذكره الشهرستاني في غاية الاختصار المناسبة المقام لتحيط علما بما كان في الزمان الغابر

﴿ حكمة هذه الديانات ﴾

واعلم أن الله عز وجل جعل هذه الأمم مفرمة بالكواكب السبعة تدرّيا لهم وتعلّما في زمن كان الفلك غير معروف منه إلا هذه الكواكب السبعة وقد علم الله أن الفلك سيتغير في الأزمان الحاضرة فهيا أنبياء وأمرهم أن يكسروا الأصنام التي على منوال تلك الهياكل لأمرين - الأول ان هذا الدين أصبح أرضيا لاسماويا معكوسا منكوسا فوجب زواله من الوجود ونسخه - الثاني ان هذه الكواكب السبعة والشمس علم الله أن ستصبح في العلم الجديد لقيمة لها فما هي شمسنا وأرضنا وكواكبنا السبعة بل كواكبنا صارت أكثر من سبعة والشمس التي كانت إلها أصبحت في أخريات الكواكب الكبيرة بل أصبحت جزأ صغيرا جدا وقد مهد الله للنوع البشري لذلك من أيام إبراهيم فلهجج الناس بالله وقالوا لا شمس ولا قمر وإنما الله قاهر فوق عباده حتى تأهل العقل البشري للنظر في الغاء تلك الألوهية واتسع العقل الانساني فلا يحجبه شمس ولا قمر ولا سيار ولا هيكل ولا صنم ولا صورة - هكذا فعل إبراهيم وهكذا فعل موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ولولا هذا ما تجرأ العقل البشري على تلك الآلهة في نظره أن يبحث فيها - وهذا من السرف في فكسر الأصنام أيام إبراهيم ومحمد عليهما السلام

ولما جاء الاسلام كانت الأمم لا تزال في رأيها العام على رأي الصابئة وهو أن الهياكل السبعة هي ذات السلاطان على الدنيا فتكون الكواكب سبعا والسموات سبعا والأيام سبعا وهكذا فليعدد السبعة كان السلاطان اذذاك فنزل القرآن باللهجة المعروفة بين الأمم فقليل فيه سبعا شادا وقيل - سبع سموات - ومن الأرض مثلهن - ومعلوم أن الأقاليم عند القدماء سبع فالقرآن جاء في أواخر أيام العلم القديم فجاء على مقتضاه ولكنه أشار بطرف خفي الى أن السموات والكواكب ليست سبعا فقال في آية أخرى - ويخلق ما لا تعلمون - فهذه الآية يقول لنا أنا وان كنت أخبرتكم بأنني خلقت سبع سموات فاني أترك ذكر غيرها حتى تعلموه لأنني أخلق ما لا تعلمون وما ذكرت لكم الا ما يمكن أن تعلموه

﴿ الفصل الثالث - الروايات التي وضعها الناس في هذا المقام ﴾

اعلم أن كل أمة من الأمم لها أسلوب في التعليم خاص وأعم الأساليب نفعا الروايات بحيث يجعل العلم على هيئة رواية ولقد كان بنو اسرائيل أبرع الناس في الروايات المنسوبة للأنبياء وقصة الخليل هذه كان لها شأن يذكر في الأمم السالفة بلفظها تارة ومعناها تارة أخرى واعلم أن كل عالم وحكيم ونبي وفيلسوف قد عثر الناس على أحوال له تخالف الناس في الانفراد والعزلة أو

الفرغ والعبادة والخلوة والاقطاع لما خلق له ولم يوجد في النوع الانساني منهم من ليس كذلك . انتهى ذلك في رسول الله ﷺ لما تعبد في غار حراء وهكذا جميع الأنبياء يهبطون ويتبتلون ومنهم ابراهيم الخليل . ولقد وضعوا قصة يستفاد منها انه كان في غار لم يتعرف بأهل الأرض سنيين ثم لما خرج نظر الكوكب والقمر ليلا فبهره مارآه ودهشه ما فاجأه فقال لقومه مارأيتنه في الآيات والقرآن ليس يتعرض الا للحقائق فأما الروايات فهي تدل على روح المقصود وخلاصته عند أولى القول وما خصها

ان النمرود رأى في منامه أوقراً في كتب الأنبياء ما يفيد أن مولودا يولد في تلك السنة في تاجيته يكون هلاكه على يديه فأصر بعزل النساء عن الرجال ولكنه اتعن آزر أنه لا يقرب امرأته حين أرسله الى القرية فحملت بما قدره الله ثم انها لما وضعت اخبرت أباه ثم وضعوه في مغارة وصارت تختلف اليه وترضعه وقيل انه مكث سبع عشرة سنة وصار يسأل أمه من ربك ومن رب أبي ومن رب نمرود فضربتة وخافت وعرفت أنه هو الذي تخوف منه النمرود فلما أخرجاه من السجن بهره بهال النجوم فقال ما تقدم . انتهت الرواية

﴿ الفصل الرابع ﴾

جئنا الى المقصود من هذه القصة . اعلم أن أفلاطون جاء بعد اخلايل عليه السلام بقرون لأن أفلاطون كان قبل المسيح بنحو أربع قرون وقد ألف كتابا يسمى (جهورية أفلاطون) وهذه الجمهورية عشرة أقسام يسمى كل منها كتابا وقد اطلعت عليها باللغة الانجليزية ولم تترجم الى العربية والناس في انكلترا والمانيا وفرنسا يدرسون منها فصولا لطلبة العلوم لتربية الأخلاق في التلاميذ لاسيما الطلبة مدارس المعلمين . وقد جاء في أوائل هذا الكتاب مقال أشبه بقصة الخليل يوضح المقصود منها فقال مملخصه . لو أن قوما عاشوا تحت الثرى في سراديب وهم لم يروا وجه الأرض ولا شمس ولا قرا ولا نجوم ولكنهم في ظلام حالك ثم ان هناك فيما يقرب من هذا السرداب كانت نار متأججة والناس غادون وأخون في الطريق بجانب النار والشمس تشرق عليهم ومعهم صور حيوانات ونبات وملابس وهذه الصور قد ارتسمت في جوانب السرداب بنوع ما فأخذ أولئك الجالسون في السرداب يسمون الصور النباتية والحيوانية بأسماء بحسب ما يرون ويحسبون مسافاتها وسيرها وسرعتها ويقولون هذا هو الوجود كاه فهذا هو النور وهذه هي المحاورق ثم قلبه جماعة منهم فقالوا يا قوم لقد أخطأتم ان هذا النور صناعي وهذه الأشياء ليست حقيقية ان هي الا صور وأسماء فاختلفوا على ثلاثة أقسام فقسم صدق هؤلاء المفكرين وقسم كذبهم وقسم متردد فقام من هؤلاء المفكرين جماعة فقالوا لابد أن نخرج من هذا السرداب لننظر فلما خرجوا منه لم يقدروا أن ينظروا الا صور النجوم في الماء في ليالى الظلمات ثم ارتقوا الى منظر القمر ثم ضوء الشمس فقالوا ان النار التي أشرقت بجانب السرداب والصور التي رسمت في أضوائها ان هي الا من آثار الشمس فالنار أوقدت في الحطب والحطب نما شجره بالشمس فلا شراق من الشمس الا من الحطب اصالة وهذه الصور الحيوانية والنباتية ليست حيوانا ولا نباتا على الحقيقة وانما هي صورها فلا ضوء النار المتقدة في الحطب أصل النور ولا الحيوانات والنباتات هي الطبيعية بل نور الشمس هو أصل نور الحطب والنبات والحيوان الناميان هما الطبيعيان . ثم ان أولئك الذين خرجوا من السرداب وخالفوا جماعتهم نظروا فوجدوا الشمس لها سير منظم وفصول أربعة شتاء وصيف وربيع وخريف ومن هذا الاختلاف كانت الزروع المختلفة والزهر والثمر وعجائب الخلقة فأخذ منهم العجب كل مأخذ ورأوا حسابا منظما وعجبا عجبا فقالوا ان هذه النظم العجيبة والهندسة والاحكام في الصنعة لها عوالم وراء هذه ومماثل هذه الشمس الى المبدع لها وهذه الحيوانات والنباتات الى العوالم التي كانت سببا لها من العالم النفسى الا كضوء النار عند السرداب وصور الحيوانات والنباتات المصنوعة المنعكسة على جوانب السرداب المظلم الى الشمس والى الحيوانات والنباتات الحقيقية . هذا ملخص مثل أفلاطون

ومن هذا المقام وأمثاله فيل (المثل الأفلاطونية) أي أن هذا العالم المنظور على مشوأل عالم غير منظور ولهذا المقام فروع عند الصوفية وجدال عند الفلاسفة فأعرف هذا فهو الأصل واعلم أنك الآن تقرأ لب العلوم ثم إن هؤلاء الذين صرفوا هذا رجوعوا إلى السرداب وبثوا الفسكرة فيهم واشتد بينهم الجدل والصراع فهذه حال الحكماء مع أممهم فأنهم يرون مالا يراه الناس ويرجعون إلى عالم المعقولات . فأما المحسوسات فأنما هي مظاهر والحقائق هي العوالم الروحية واعلم أن مذهب أفلاطون الذي كثر جدال القدماء فيه هو شبهة علم الأرواح الحديث فإذا ثبت ظهور الأرواح أو وجودها كما هو الأقرب كان هو شبهة مذهب أفلاطون لأن هذا العالم هو الباقي وهو بمائل لعالمنا هذا فالحيوان والإنسان كلاهما ثابتان عند هؤلاء العلماء

﴿ الفصل الخامس في سيدنا محمد ﷺ ﴾

اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ في غار حراء شأنه عظيم ولو أنك قرأت مقاله هنري الفرنسي في كتابه (خواطير وسوانح في الاسلام) وكيف ذكر أنه ﷺ في غار حراء وهو ينظر إلى النجوم كان قد شغفه الجمال والبهاء والحسن في تلك القبة الزرقاء والنجوم في ذلك القفراً كثروا وضوحاً وأبهروا وضواً وأعجب شكلاً لصفاء الحق وبهيجته إذ ذاك تجلى له الملك فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ الخ

وإنما ذكرت لك كلام (هنري الفرنسي) لأن الرجل عبر بحرية على مقتضى ما تجرى به العادة في العلم بين الأمم

والقصد أنه ﷺ كان في السخاوة وكان له نظر في النجوم . أفلاتتجيب من أن فكرة النور عند الصابئين وكانت حقيقة باهرة وهي عند إبراهيم الخليل فهو وإن كسر الأصنام لم يترك النجوم التي عبسوها بل جعلها وسيلة للاستدلال على مبدعها وفاطرها وإنها تدل على أنه صدها ومدبرها ومكملها ثم ترى النبي ﷺ في غار حراء ينظر في النجوم وكان في آخر الليل وقت التهجد حين يقوم يقرأ - إن في خلق السموات والأرض - الآيات وفي القرآن - فسمبح بحمد ربك قبل طالع الشمس وقبل غروبها - وجميع العبادات مرتبة على الأوقات التي هي مرتبة على سير النجوم . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية قوله تعالى - فبهدهم اقتده - ﴾

يقول الله لنبيه ﷺ فبهدي الأنبياء اقتد . ويأيت شمرى لم تقرؤها الآن ولم تناوها صباحاً ومساءً أقتلوا لأن نبينا ﷺ الذي هو في عالم الأرواح اليوم وعند ربه والملائكة مكلف باتباع الأنبياء . كلا بل تناوها لأجلنا نحن ونحن المكلفون باتباعهم . فيماذا مكلفون باتباعهم . في الصبر والشكر وجميع أنواع الكلمات يا عجبا كيف يقول الله في داود عليه السلام - وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا - ويقول انه سخر لسليمان الريح . فهل كان ذلك مجرد قول نسمعه لتنفكه به . كلا والله ثم كلا لقد كذب الجاهلون . سخر الريح لسليمان والحديد لداود ونظر إبراهيم في النجوم وعرف تدرجها من كوكب إلى قر إلى شمس وانتقل من الأدنى إلى الأعلى كما في أمثال أفلاطون حتى كان الانتقال من النار إلى الشمس وهكذا حتى وصل إلى العوالم المجردة . وكان داود خليفة في الأرض يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى . ان ذلك ليقتدى النبي ﷺ بهم أي لنقتدى نحن بهم ولا معنى لاقتداء أحد من قبلنا ولا من بعدنا لأنهم ليسوا معنا الآن ولنا نقرأ القرآن لأجلهم إنما نقرأ القرآن لنا والاجتهاد بأن قراءته للرحمة ليست مطمئنة نظر الدين والنبوة إنما هو العلم والحكمة . فماذا أعاد المسلمون للريح حتى يسخروها . لقد سبقهم الفرنجة فسخروا الريح لا تقليداً لسليمان ولكن اتباعاً لعقولهم . الله يقول لنا اقتدوا بهؤلاء ومنهم داود وسليمان وهما اللذان كانا شاكرين نعم الله ومن نعم الله تسخير الريح وإن كان ذلك معجزة ولكن نحن ننظر لها من جهة الشكر فكيف نشكر نعمة لأملاكها . ولقد أخضع الألمان الهواء إخضاعاً عجيباً حتى أنهم قد جعلوا في أيام الحرب

نحو ثمان معامل كل معامل فيه نحو ٥٠٠ تليفونا للخطابة كلها يستخرج فيها ترات النضة من نفس الهواء وكانت نافعة في أعمال الحرب ثم الآن استعملت في سجاد الزرع ٥ كل هذا من نفس الهواء مع أعمال أخرى أفليس من العجب أن الهواء يسجد الأرض ويساعد الجند بمادته ٥ فإذا فعل المسلمون لشكر نعمة الهواء ولاشكر إلا بحصول النعمة وإن صدمهم عن هذا أنه هناك معجزة ولين الحديد لداود معجزة ٥ قلنا ليس الشكر على الحديد والهواء قاصرا على المعجزة فالعمل الانساني له فيهما ما رب ظهر كثير منها حديثا وكان على المسلمين أن يتفهبوا قبل الأمم ولكنهم إذ تأخروا عنهم في التشبه فاماذا لا يسمعون في الانتفاع بالهواء والحديد بل بكل شئ مما علم وما لم يعلم ٥ المسلمون يا الله اليوم عالة على النوع الانساني والله لا يرضى ذلك وكيف يكونون عالة وهم - خير أمة أخرجت للناس - والعالة لا يكونون خير أمة وقد آن أن ترجع الأمة كما كانت في أول عهدا ٥ اه

﴿ اللطيفة الثالثة قوله تعالى - تجاونه قراطيس تبتونها وتخفون كثيرا - ﴾

لقد وخب الله اليهود على أنهم قد أخفوا كثيرا من قراطيس التوراة وأظهروا كثيرا ٥ ولقد خطر بنفسى لماذا ذكرت في هذا المقام لعمرى ان هناك سرا مخنيا وعلميا يجب نشره وحكمة يجب اظهارها ٥ كيف يقول الله هنا هذا ولم خصه بهذا المقام ٥ ومعلوم أن هذه الآيات لم يقصد بها أحد سوانا نحن الذين نعيش الآن من المسلمين لأن المسلمين الذين ماتوا والذين سيأتون بعدنا ليس الخطاب موجها لهم الآن فعلى المسلمين الذين يقرؤن القرآن في أى زمن أى في زماننا هذا أو بعد ذهابنا من هذا العالم أن يقولوا ان هذا القول يقصد به تنبيهنا الى خطر فلتلاف ذلك الخطر ٥ أما انا اليوم في هذا الجيل في القرن العشرين في السنة الرابعة والعشرين الميلادية وهى السنة الثمانية والأربعون الهجرية أرفع صوتى للعالم الاسلامى وأقول لهم بكل صراحة ووضوح وجلاء لا شك فيه ولا غموض ان هذه الآية منطبقة علينا في مصر وفي الشام وبلاد العرب وبلاد الغرب وبلاد الترك وبلاد جاوه وبلاد الهند وبلاد الصين وبلاد روسيا وبلاد السودان وبلاد الحبشة وبلاد البربر ٥ أقول أيها المسلمون جميعا خذوا حذركم ٥ أحذركم اننا فعلنا في القرآن ما فعله اليهود في التوراة ولو أرسل لنا نبي الآن لقال لنا أيها المسلمون ان القرآن قد جعلتموه قراطيس تبتونها وتخفون كثيرا ونحن قد اتبعنا الأمم التي قبلنا خذوا القذة بالقذة وخذوا النهل بالنهل كما في الحديث لتتبعن سنان من قبلكم شبرا بشبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضرب لدخلتموه ٥ ونحن قد دخلنا حجر الضب الذي دخلناه ٥ قد دخلناه وأنا أرى الحجر بعينى ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم في حجر ضب

﴿ فصل في محاورات بينى وبين أحد الفضلاء ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام حضر أحد الاخوان من أهل الفضل فاطاع على هذا وأنا سائر في الكتابة فقال يا فلان أربع على نفسك ماذا تكتب هذا والله الكفر بعينه وأى عاقل يقول هذا القول فضلا عن مؤمن وما كان ينبغي لك أن تكتب هذا بل أقول لا تكتبه في التفسير لئلا يأخذ الناس بظاهر قولك ويحكمون عليك بحكم لا رضاه فتضيع الثمرة من الكتابة

قلت لم ذلك ٥ قال لأنك تزعم أن القرآن مغير وبعضه مخفي وكأنك تزعم أن النبي ﷺ لم يبلغ بعضه أو بلغ الكل والقرآن بعضه مخدوف أو ان المصحف ناقص وهذا هو الكفر بعينه ٥ قلت هوّن عليك يا صاح ولوائى خطرتى هذا القول لم أجد دليلا فى العقل ولا فى النقل عليه ٥ قال إذن مامعنى كون المسلمين أخفوا بعض الدين ٥ قلت أليست تعلم أن الفحم الحجري والحديد والنحاس كانت تستخرج من باطن الأرض من قديم الزمان ٥ قال بلى ٥ قلت والبخار كان يراه الناس فى غدوهم ورواحهم وفى منازلهم ٥ قال بلى ٥ قلت فكأن الفحم الذى علمه الناس والذهب وبقية المعادن منتفعا بها أما ما رأوه بأعينهم فى مراحلهم وعلى شراهم

وطبخ طعامهم وهم لم يعلموا عامه ولم يعرفوا ثمرته فقد حرموا منه . قال نعم . قلت هكذا القرآن فانك ترى آية الوضوء وآيات الحج والصلاة قد قتلها الأئمة رضوان الله عليهم بحثا وتنقيبا حتى لم يدعوا زيادة مستزيد فنجسد في غسل الوجه من الأقوال مالا يدع قولا لقائل وتري ابن عباس يقول تغسل العين من الداخل وتري غيره يوجب غسل الفم والأنف أي المضمضة والاستنشاق وغيرهم يوجب غسل مقدم الأذنين بالماء وذلك لاختلاف الاعتبارات والنظر في العبارات والهمة في المعاصم واستيفاء العلم والحكمة في الآيات وهكذا الفرائض والاعاوى والبيئات والزكاة والصلاة والحج ومسح الخف وما أشبه ذلك وقامت متون هذه العاوم ١٣ قرنا حتى ألفت الناس ذلك وصرفت أذهانهم وعقولهم ورغباتهم عما سواها حتى أصبح القرآن إنما يقرأ للتبرك وضاعت الثمرة المقصودة منه وتري من جهة أخرى آية ابراهيم مثالا في هذه السورة وأنه رأى القمر والشمس والكواكب طالعات ففكر فيها وذكر الأنبياء بعدهم ذكر الأمر الختم يقول الله - فبهداهم اقتده - أي يقول لنا نحن الآن اقتدوا بهؤلاء ونحن نسمع هذا القول فنقول جميعا بلا استثناء في مشارق الأرض ومغاربها الشمس والقمر والنجوم والأنبياء واقتداء النبي ﷺ بهم كل هذا مفهوم عندنا كتب الفقه فيها جميع الأحكام ولم يبق زيادة مستزيد وأما النجوم فانها لازوم للنظر فيها فقد عرفنا الله وأما الأنبياء فقد اختلف العلماء فيهم هل شرع من قبلنا شرع لنا وهكذا ويقف الذكي عند أمثال هذا المقام وقد أسدل على جميع العقول الاسلامية الحجاب إلا الراشدين وهم الذين ميزهم الله بنور العلم وانزوا في زوايا الأرض لا يعلمون ولا يرشدون

فياليت شعري أي فرق بين قوله - اغسلوا وجوهكم - وقوله - فبهداهم اقتده - وأي فرق بين قوله - ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد - وبين قوله في هذه السورة - فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي الح - ولم يفصل الكلام في الميراث ولا يفصل في الاقتداء بالأنبياء وفي النظر في الكواكب والشمس والقمر والمعدن والنبات والحيوان والتشريح . أليس هذا كله في القرآن وكيف يقول - وألنا له الحديد - ويقول - نسخرنا له الريح - ويقول - وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه - وهذا يشمل الريح والحديد والنحاس وغيرها . فاذا كان الأنبياء قد أعطوا بعضا فقد سخر الكل لعباده . يقول الله لنبيه ﷺ اقتد بالأنبياء والأنبياء كان منهم من شكر الله على نعمة الهواء ومنهم من شكره على نعمة المعادن ومنهم من بحث في النجم والشموس وهكذا أفلا تتقبل نعمة الله ونسبح في كل ما على الأرض وما في السماء اقتداء بالأنبياء واجلالا لقوله تعالى - وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه - وقبولا لعطيته . ومن أعرض عن عطية الكريم الحكيم عاقبه بالحرمان ولا معنى لشكر النعمة إلا صرفها فيما خلقت له وقد أمرنا أن نشكر نعمه فقد قال - اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم - وقال تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - وقد عرفنا معنى الشكر . أفليس من نكران النعمة ومن العصيان أن ندع ما يمكن الاتفاف به من المخوقات فلا نستعمله وبذلك نصبح غير شاكرين وهل يليق بالمسلمين أن يكونوا غير شاكرين . فأين العقول وأين الحكمة وأين الاستنباط وأين العقول الكبيرة التي خلقها الله

ان تلك العقول قد وضعت في أغلال وحكم عليها بالارهاق فان العقول الكبيرة التي خلقت في البلاد الاسلامية قد حكم عليها أن تضيع الذكاء المفرط في علم الكلام من الرد على المشاغبين الذين ماتوا فكتب التوحيد أول مصيبة حلت بالأمة الاسلامية وقد استعصى بها عن النظر في السموات والأرض كمنظرات ابراهيم الخليل فهذه الكتب لا هي بمعطية اليقين ولا هي بمرقية للعاوم . فأما نظرات الخليل عليه السلام في الفلك وبقية آي القرآن في الطبيعة والعاوم الأخرى فانها ترقى العقول الانسانية وتعطي المعومات اليقينية وترقى الجامعة الانسانية . فياليت شعري أي فرق إذن بين قوله تعالى - فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر - وبين ظهور البخار قبل معرفة منفعه . لعمر كانه لافرق بين خفاء الشيء وبين ظهوره

مع النفلة عنه وإذا وضعنا أمام الأعمى أجل صورة في الوجود فأننا لاندعي أنه عرف جلالها وأدرك محاسنها قال صاحبي وهل يقال إن المسلمين أخفوا هجفا من القرآن . قلت النتيجة واحدة بل الخفي يمكن الاطلاع عليه بعد البحث أما الظاهر المكشوف الذي يراه كل إنسان وقد صرفت عنه الأذهان فإنه لا ينتفع به اعتبار ذلك في الديانات وفي المخاوف فإن دين المسيح لا يعرفه إلا المسيحي مع أنه يكون في بلاد الاسلام ودين الاسلام لا يعرفه إلا المسلم وهو في ديار النصراني مثلا وذلك لانصراف النفوس عن كل مالا تشوق اليه فالمسألة مسألة تشويق ورغبات . ونرى الصناعات والسياسات والتجارات في أوروبا قائمة السوق رائجة والشرق ناظم وهو يرى بعينه صليل السيوف ودوى المدافع وحصد النفوس في الشرق واستنزاف الثروة بالتجارة وهو ساكت غافل ولماذا هذا . لأن العقلاء لم يحركوا النفوس المصروفة ولم يشوقوها للأشياء النافعة المفيدة فتكون لها مشوقة . قال صاحبي فإذا تريد إذن . قلت اذا قالوا في الكتب الدينية كتاب الصلاة والزكاة والحج والبيوع والفرائض والاعاوى والعقود فلم لا يقال كتاب في نظام الطبيعة وكتاب في نظام الفلك وكتاب في عجائب الحيوان وفي النبات وفي الحشرات فيطلع أكثر أهل العلم على مجمل هذه العلوم وكما يخصص قوم بالقضاء يخصص قوم بالفلك وآخرون بالطبيعة التي هي علم التوحيد حقا وصدقا وآخرون بعلم الحشرات وآخرون بعجائب غيرها . فقال ذلك الفاضل أو يكون هذا دين الاسلام . قلت نعم ولا اسلام غيره فهذا هو الاسلام الحقيقي . قال عجبا لك أفلم تسترى أن المسلمين السابقين قد ألفوا في هذه العلوم كلها . قلت نعم ألفوا باعتبار انها علوم اما كفرية واما مستحسنة وكان ذلك عملا فرديا أو دينويا ولكني أقول بأعلى صوتي هذه العلوم دينية كالوضوء والصلاة والحج ولماذا يعتنى المسلمون بشروط البيع ولا يعتنون بعلوم المعادن ولماذا خصصوا للقضاء طائفة ولم يخصصوا نظيرها لعلم الحشرات أو لعلم النبات أو لنظام الحدايق الغناء مع المشاركة في سائر علوم الدين . أتول هذا وأنا موقن أن هذا هو الدين حقا فعلى المسلمين أن يحياه والا فأنت تعلم أن الله قاهر فوق عباده فقد تقل الاسلام من قوم الى قوم ولما ناموا جميعا أنزل عقابه على الجميع وأذهب للفرنجية فسادوا عليهم أجمعين هذا هو الحق الصراح . ان هذه الآية

﴿ برزخ بين البحرين ﴾

وهي - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا - الى قوله - وهذا كتاب أنزلناه مبارك الخ - يجب المتأمل لهذه الآيات ويدهش من نظامها كيف لا وانها لم تذكر إلا في برزخ بين البحرين من العلم البحر الأول علم السموات المفهوم من نبأ ابراهيم ونظره في السموات * البحر الثاني العلوم الأرضية في النبات والحيوان الخ

أيها الذكي أنظر وتأمل وتجب هذان بحران من العلم . أولهما في الفلك ولا يتم إلا بجميع العلوم الرياضية من الهندسة والجبر الخ . ثانيهما علم النبات والحيوان ولا جرم أن العلوم الحكيمة لا تخرج عن هذين فهى علوم للعالم العلوى وعلوم للعالم السفلى والأخيرة هى العلوم الطبيعية والنظر العام فيهما معا هى العلوم الإلهية . إذن هذه السورة جمت علوم الحكمة كلها وقدمت الرياضيات كما هو منهج التعاليم في العالم كله وأخرت الطبيعيات هذا واضح ظاهر ولكني أريد أن أحدثك حديثا عجبا وهو المقصود . أحدثك عن وضع هذه الآية في البرزخ بين البحرين وما حكمتها ولم لم توضع قبل البحر الأول أو بعد البحر الثاني . انما جعلها الله هنا لحكمة شريفة ظهرت في هذا الزمان وأبرزها العلم والتاريخ

ذلك أن اليهود المذكورين في الآية قد خبؤا كثيرا من علوم التوراة وأظهروا بعضا على حسب أهوائهم والمسلمون اليوم وان لم يخفوا القرآن وأظهروه ولكن العلوم التي بحث عليها قاموا ببعضها وتركوا أكثرها أما البعض فهى العلوم الفقهية وأما الأكثر المتروكة فهى العلوم المذكورة في هذه السورة وهما البحران المحيطان بهذه الآية فكأن وضعها هنا إشارة الى أن هذه العلوم ستختفي زمنا ما في الأمة الاسلامية والقرآن يطلبها ومتى

عرف ذلك رجعت الأمة الى قراءة تلك العلوم وأنت أيها النكبي لا تتصور ما قلته لك الآن مما تضمنه هذا الوضع إلا اذا قصص عليك قصص الأمم الاسلامية فأقول

لقد دوت الأمم الاسلامية العلوم عن الأمم السابقة الذين لم يعلم الناس عنها شيئاً إلا أن المصريين هم الذين نبشروا في العلوم وقفي على آثارهم المصريين والكلدان واليونان وأجل هؤلاء (سقراط وأفلاطون وأرسطو) ثم انتقلت الحكمة والملك الى الرومان وكان منهم (شيشرون وسنيكا)

ثم لما كان آخر القرن الثاني حدثت شريعة الاسكندر بين الذين كانوا يوفقون بين العلم والدين هـ ولما تنصر الفرنجة هجروا أكثر تلك العلوم هـ ثم ظهرت الأمة العربية ودانت لها الأمم فأرسل أبو جعفر المنصور الى ملك الروم أن يرسل له كتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب (اقليدس) وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واشتاقوا الى العلم لاسيما انهم خالطوا الروم والفرس والصابثين فأثار ذلك شوقهم الى العلوم هـ ولما جاء المأمون سعى جده السعي في استخراج تلك العلوم وهناك ظهر المترجمون من اليونانية الى العربية وكان ابتداء ذلك من سنة ١٣٩ وانتهى في نصف القرن الرابع الهجري ومن الترجمة في تلك العصور (يحيى بن البطريق وجورجيس بن جبرئيل ويحيى بن البطريق ويوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش ويوحنا بن البطريق وحنين بن اسحق واسحق بن حنين ويحيى بن عدي) وغيرهم وهذه الترجمة كان فيها اختلاف كبير فلخصها الفارابي ومحصها ابن سينا

✽ انكشاف التعاليم فيما بعد ذلك ✽

ثم أخذت ربح العلوم تركد والأمة ترجع القهقري فأخذ صغار العلماء يحرقون هذه العلوم وأصيب العلماء بهذه العلوم بمصائب الحسد والعداوة والضنك والحبس كما حصل لعبد السلام الجيلي المعروف بالركن الذي اشتهر بهذه العلوم في القرن السادس من الدولة الامامية الناصرية وحصل له تقدم عند رجال الدولة فأخذ أطفال العلماء يذقونه ويوقعون به حتى برزت الأوامر الناصرية باخراج كتبه الى موضع ببغداد يسمى (بالرحبة) وخطب الرجل المسمى (بابن المارستانية) فوق منبر وصار يلعن علم الفلك وعلم الحيوان وغيرها ويلقي كتبها في النار وحبس ذلك العالم في السجن ولم يخرج إلا بعد مدة في سنة ٥٨٩ هجرية

هذا ما كان في بلاد الشرق هـ ثم انظر الى ما حصل في بلاد الغرب فان القوم أحرقوا كتب الفزالي في الأندلس والمغرب الأقصى ولقد وصل الأمر الى ما حكاه أبو حيان في تفسيره البعهر أن أهل المنطق بجزيرة الأندلس كانوا يعبرون عن المنطق بالمفعل تحرزا عن صولة الفقهاء حتى ان بعض الوزراء أراد أن يشتري لابنه كتابا في المنطق فاشتراه خفية خوفا منهم مع انه أصل كل علم وتقويم كل فن

ثم ان القوم اضطهدوا ابن رشد فتحوّل العلم بهذه الأسباب من الشرق والاسلام الى أوروبا من طريق تلاميذ ابن رشد البصارى واليهود فدار الزمان دورته

هذا ما كان من أخلاق الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى فانظر ماذا فعل الله حالا ساط عليهم المقول والتتار المعبر عنهما في علم الجغرافيا قديما كما سيأتي في سورة الكهف بلفظ - يأجوج ومأجوج - جمعهم جنس كيزخان وتوجه بهم الى بلاد الاسلام لما وجد من قطب أرسلان ظالما لتجاره ونكثا بعهوده كما سيأتي ايضاحه في تفسير سورة الكهف غلب البلاد وقتل الشيوخ والصفيان والفساء وقد يقتل البهائم ويدهس كل شئ تدميرا

وأحرقوا كتب الخزان العلمية في بخارى وسمرقند وحلب فقد مزقوا ما فيها من الكتب لما دخلوها وهكذا ضاعت ومزقت كتب المكاتب الاسلامية وعما زاد في الطين بلة الحروب الصليبية هـ اذن الأمم الاسلامية أولا غيروا ما بأنفسهم من العلوم وحبا لله حالهم فأغار عليهم الأمم - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

ماباً أنفسهم - ثم جاءت دولة الترك وفتحوا القسطنطينية وكان فيها خول في العلوم الحكمية والدينية كالعلامة
شمس الدين الففارى والفاضل قاضى زاده الرومى والعلامة خواجه زاده والعلامة على قوشجى والفاضل ابن
المؤيد وميرچلبى والعلامة ابن الكمال . قال العلامة التركى منلا كاتب چاپى مؤلف كتاب (كشف الظنون)
المتوفى فى القرن الحادى عشر الهجرى

ولما حلّ أوان الانحطاط ركبت ربح العلوم وتناقضت بسبب منع بعض المفتين من تدريس الفلسفة
وسوقه الى دروس الهداية والأكل فاندست العلوم بأسرها الا قليلا من رسومها فكان المولى المذكور سببا
لانقراض العلوم من الروم كما قال مولانا الأديب شهاب الدين الخفاجى فى خبايا الزوايا وذلك من جملة أمارة
انحطاط الدولة اه منلا كاتب چاپى

فانظر كيف ذهبت دولة الاسلام فى الشرق بجنكيزخان وخلفائه الذين أماتوا ألف ألف انسان فى بغداد
وجعلوا الكتب جسرا تمر عليه جموشهم بدجلة . وانظر كيف جاء الملك (فرديناند) وزوجته (ايزابلا)
وقتلوا المسلمين بالاندلس ومن بقي تنصروا ولم يفر منهم الى بلاد شمال أفريقيا الا القليل وأبناؤهم اليوم فى صرا كش
وتونس والجزائر . وانظر كيف انحطت دولة الترك البائدة الجاهلة فى زماننا وحلت محلها الأمة الحالية التى
يقودها الغازى (مصطفى كمال باشا) وهى تتجدد فى تعلم العلوم بأسرها ولله عاقبة الامور

هذا تاريخ الأمة الاسلامية . أليس هذا الذى بسطته أمامك الآن معناه أن المسلمين لما أحبوا جميع
العلوم كانوا فى منعة ولما غيروا ما بنفوسهم غير الله حالهم - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ماباً أنفسهم وإذا
أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له - أليست ترى أن هذه الآية منطبقة على تلك الأمم فأنهم لما غيروا ماباً أنفسهم
أراد الله بهم سوء ولم يكن لتلك سوء مرد . وقد حصل فعلا قتل المسلمون فى أقطار الأرض . أولست
ترى معنى أن قوله تعالى فى هذه الآية مخاطبا لليهود - تبحاؤنه قراطيس قبدونها وتخفون كثيرا - يقرب مما ذكرناه
فالتقرآن وان كان مقروأ ولم يغير فالذى غير وبدل هو طرق التعليم . فالمسلمون فى أول أمرهم كانوا
يدرسون كل العلوم أو يجيزون دراستها ولما منعوها صاروا كأنهم أخفوا بعض الكتاب وأظهروا بعضا .
ألا ترى أنك تدخل المعهد الدينى فلا تسمع الا ان المطالب هو علم الفقه وعلم التوحيد ولا يقرؤن للطالب جمال
الطبيعة والفلك ولا يذكرونه بأن العلوم جميعها فروض كفايات ويوزعونها على الأفراد . أليس مثل اخفاء
القرآن تماما بل هذا هو المقصود من الاخفاء . لهذا جىء بهذه الآية بين العلوم الفلسفية والعلوم الطبيعية
تنبيهاً للمسلمين

اننا ورثنا عن أسلافنا الأقرين علما ناقصا وتركنا أهم العلوم فكأننا نبدى بعض الكتاب وهو الفقه
ونخفي كثيرا وهى العلوم الحكمية التى لها (٧٥٠) آية بخلاف الفقه الذى له مالا يزيد عن (١٥٠) آية فتشجب
من عجائب القرآن . هذا ولما ترك المسلمون هذه العلوم رأينا وعامنا أن كل طالب علم ارتقى عن الوسط
الاسلامى فى الشرق والغرب نزل الاسلام فى عينه عن مكانته كما سمعت ذلك من جميع طبقات المسلمين

قال لى أحد علماء الصين ان أبناء الأغنياء المسلمين بعد رجوعهم من أوروبا ينظرون الى دين الاسلام
نظراً لمستغفر الأشياء وأدناها درجة لعلمهم أنه لا يخرج عن الوضوء والطلاق وعقد العقود . هذا كلامه
وقال ان هناك سبعين مليوناً من المسلمين . قد رأينا آثار قصة الخليل فى الأمم السابقة فأين آثارها فى الاسلام
قد قلت لك قد عثرنا على طريقة تعليم القدماء قبل المسيح بأربعة قرون وكيفية البحث فى العالم العلوى
والعروج الى الكمال فى كتاب (جمهورية أفلاطون) وقد رأينا فيها انه انتقل من العالم العنصرى الى العالم
الفلكى وجعل أصل المجد هناك ثم جعل العلم الرياضى كالحساب والهندسة والجبر هى محور العالم الانسانى وأن
الأعداد وأعمالها أقرب الى عالم المجرى فالفكر يصعد بها الى العدل والجمال والخالص من شقاء المادة

وجعلها وكذلك أوجب الرياضة الجسمية إيجاباً عظيماً وحتم على كل رجال الجيش ورجال الحكومة أن يكونوا في علم الرياضة بارعين وفي الحساب مدققين وأكيد ذلك تأكيداً أكثر في أمراء الأمة من الملوك والوزراء وأمثالهم فأوجب عليهم تعلم الرياضيات العقلية أكثر من قواد الجيوش وهكذا

هذه المباحث كانت تقال قبل المسيح وبعضها يكاد يكون كتعليم الخليل كما تقدم . فإذا استنبط المسلمون من قصص الخليل ونظرة في النجوم ومن قصص سائر الأنبياء . نعم قد اكتفوا بأن نبينا ﷺ فعل بالأصنام ما فعله الخليل وكسرها وقال آمنوا بالله فآمنوا بالله وانتهى الأمر وأصبح القرآن يتلى للعبادة . أما التفكير فأصبح في كتب الفقه وكتب أصول الفقه وكتب علوم التوحيد وغاب عن الناس اشراق شمس الدلائل الحميدية والعلوم الكونية والأنوار القدسية والنجوم السماوية والأنوار الخليلية فعظمت البلية وقتلتنا الأمم الغربية . كل ذلك حاصل ولكن الناس لا يتذكرون يحسون به ولكنهم لا يشعرون يعذبون ولكنهم لا يتوبون ياليت شعري أرى المسلمين بذلك فناموا أم السكرة أحاطت بالسكرة فأصبحوا خامدين . لقد جاء وقتكم وأقبل سعدكم وأمر بكم أنكم إلى طريق السعادة سائرون وإلى مقام الرشد مهتدون

قال صاحبى فإذا ذكر نبذة من جمال الفلك تكون تبصرة للقارئ وذكرى للذاكرين لمناسبة قصة الخليل واقتهاء النبي ﷺ به في نظره الجليل امتثالاً للأمر بالاقتداء على شريطة أن لا يكون مما ذكرته في هذا الكتاب

سأذكر لك نبذة في الفلك قريباً وعند قوله تعالى - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر - وشياً من أبعاد الكواكب وعددها وأكتفي هنا الآن بذكر مسألة تختص بهذا النظام الشمسى فأقول . اعلم أن الأرض تدور حول الشمس وكذلك السيارات ثم القمر يدور حول الأرض كل ذلك في مدارات مقشابهة ويسمى كل منها (الشكل الاهليجى) فإذا رأينا الربيع والخريف والصيف والشتاء فإن ذلك حاصل من سير الأرض حول الشمس وهذا المدار تعرفه بأن تذهب إلى الحدائق وفيها أشكال ذات أزهار منتظمة الوضع بطرق هندسية يعقلها البستانيون . وطريق ذلك أن يضعوا في الحديقة وتدين في الأرض وبينهما بعد يعينونه على حسب المصلحة والنظام المطاوب ثم يأتون بحبل أطول من ضعف المسافة بين الوتدين ثم يربطون طرفيه فيصير مقفلاً ويأتون بخشبة يضعونها على ذلك الحبل من الداخل ويجذبونها إلى الخارج ويدورون حول الوتدين فيرسمون بذلك شكلاً تاماً وهذا هو (الشكل الاهليجى) فتراه كدائرة مستطيلة وتراه في البساتين المحيطة بالقاهرة بديارنا المصرية وقد ألهم الله رجال البساتين أن يصنعوا هذا الشكل حتى إذا جاء من لم يمارس علم الفلك واطلع عليها وقد قرأ هذا الكلام أدرك أن هذا هو مدار السيارات حول الشمس ومدار القمر حول الأرض وموضع الوتدين في ذلك الشكل يسميان (البورتين) أو (نقطتي الاحتراق) أو (المحترقين) وترى الشمس دائماً بالنسبة للأرض وللسيارات في إحدى البورتين والأرض والسيارات جاريات على هذا الشكل وكذلك الأرض بالنسبة للقمر الدائر حولها أى أنها في إحدى البورتين دائماً

كيف قصر المسلمون ونبغ الغربيون في القرون الأخيرة وفلاسفتهم الأقدمون

تلاميذ علماء الاسلام بالأندلس كما هم به معترفون

لقد ذكر العلامة (سديو) الفرنسى الذى ألف كتاب (تاريخ الأمة العربية) أن علماء أوروبا في القرن الرابع عشر والخامس عشر المسيحي قد ادَّعوا أنهم كشفوا مسائل في الفلك والطبيعة وغيرهما وهم في ذلك كاذبون سارقون وأثبت تلك السرقة بعشرة أدلة مثل أن أوربا لم يكن بها مرصد في ذلك الزمان وإنما كانت في ديار الاسلام . ومثل أن بعض المسائل المكشوفة وجدت في كتب عربية بعد الكشف تاريخ تأليفها قبله بقرون وهكذا الخ

أقول فهؤلاء الأوروبيون الذين هم تلاميذ آباءنا كما ذكره العلامة (سديو) القائل انهم كانوا تلاميذ المسلمين بالأندهلس الخ قد أصبحوا اليوم أرقى من المسلمين في جميع العلوم والمسامون نائمون خامدون جاهلون ولأذكري لك آخر ما يصنعون بالفلك وهو

{ عجيبتان }

(الأولى) منظار للبحث في القمر • (الثانية) خريطة السموات

أما الأولى وهي منظار القمر فذلك أنه في هذه السنة أي سنة ١٩٢٦ يصنع في باريس منظار (تيلسكوب) يزيد حجمه عن ضعف أي منظار فلكي في العالم حتى اليوم ويؤمل أن يرى بواسطته الكواكب التي لا تشاهد الآن على مسافة خمسة عشر ألف مرة منها وهذا المنظار يقيسه الآن العالم الفلكي الأمريكي (جورج رتشي) وسيرى القمر بواسطته على بعد عشرة أميال فقط وهكذا يتضاعف أمام النظر الكون المرئي مليوناً وخمسة مائة ألف مرة في الحجم ويقولون أنه مستعد للعمل في صيف هذه السنة

أما العجيبة الثانية وهي خريطة السموات • فاعلم انه قد اشترك ١٨ مرصداً في عمل هذه الخريطة وابتداء العمل كان في سنة ١٨٨٧ وسيستغرق ٧٥ عاماً وقد أتم ثلاث مرصداً العمل الآن وهي مرصد الكاب في جنوب أفريقيا وجرينوثن واكسفورد في انكلترا • وقد بلغت تكاليف الخريطة حتى الآن مليوناً من الجنيهات وستحتوي على قسمين مختلفين عند تمامها أحدهما صورة تخطيطية عامة والآخر الأسماء والأوصاف والمقاسات لما يقرب من نصف مليون كوكب وعلى كل مرصد أن يأخذ ألفاً ومائتي لوحة تصويرية مرتين وعلى كل لوحة ما يتراوح بين أربع مائة وخمسة مائة كوكب يقاس كل منها ويقيد بأصوله ويبلغ ما يخص كل مرصد عندئذ نصف مليون من الكواكب اه من الجرائد الانجليزية في هذه الأيام

هذا عمل أوروبا • وهذا هو الذي يرمى اليه التحليل عليه السلام ومقصد القرآن • هذا هو الذي يطلبه الاسلام • كان هذا واجبا على المسلمين وجوبا كفاً

إن هذه الصور السماوية التي يأخذها الأوروبيون نافعة من الوجهة العلمية والتوحيد ومن جهة ارتقاء النفوس ومن جهة التجارة فان كثرة المعارف السماوية للكوكبية تسهل طرق الملاحة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

{ قطرة من بحر ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله لابراهيم عليه السلام

والكلام على الكوكب والقمر والشمس المذكورات في هذه القصة }

(١) الكواكب على قسمين • ثوابت وسيارات • أما الثوابت فهي أكثر التي نراها في السماء كل ليلة وهي تبلغ مئات الملايين بالمناظير المعظمة وقد ذكرنا هذا في مواضع من هذا التفسير ونريد الآن أن نبين أن القدماء قد قسموها الى عدة صور • والمنقول عن بطليموس أن تلك الصور (٤٨) صورة منها ٢١ في الشمال و١٥ في الجنوب و١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المثلث ويشمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على ١٠٢٩ نجمة عند القدماء منها ٣٦٩ للصور الشمالية و٣١٨ للصور الجنوبية و (٣٥٠) للصور المنطقية والاثنى عشرة صورة المنطقية هي المنازل المعروفة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والمثلث والحوت والاحدى والعشرون الشمالية منها الدب الأصفر أو بنات نعش الصغرى والدب الأكبر والشعبان والمثلث والعواء والجاثي على ركبتيه والمرأة المسلسلة والخمس عشرة صورة الجنوبية منها • قيطس • الجبار • نهر الأردن • الأرنب • الكلب الأصفر • الكلب الأكبر • السفينة • الشجاع • الكاس • الغراب • الجمر • سنطورس الخ وقد جعلوا هذه النجوم أقدارا فأضوؤها القدر الأول ويليه الثاني وهكذا • والمتأخرون حافظوا على

هذا التقسيم ولسكنهم وأما أن النجوم أكثر حتى جملوها ستة آلاف نجمة لنوى الأيصار الحادة ومئات الملايين بالآلات الراسمة كما تقدم ايضاحه في سورة البقرة . ومن هذه الثوابت الآتى

(١) النجوم المتغيرة فلا يحفظ ضوءها شدة واحدة وهذا التغير فيها اما لمدة معلومة واما ليس يعلم له دور
(٢) ومنها النجوم الوقفية الجديدة فقد تظهر نجوم في محال من السماء لم يرف فيها نجوم من قبل ثم تختفي
مثل النجمة المشهورة التي رصدها سنة ١٥٧٢ في وسط ذات الكرسي فكانت أضوأ كوكب في السماء ثم
أخذت تنقص تدريجاً ثم اختفت بعد ١٧ شهراً

(٣) ومنها النجوم التي ظهرت ثم بقيت مثل نجمة ظهرت في صورة الاكليل الشمالى سنة ١٨٦٦ ظهرت
كلؤلؤة ثم ضعفت ولا تزال الى الآن ولسكن ترى بالمنظير

(٤) ومنها النجوم التي اختفت ولم ترجع

(٥) ومنها النجوم المزدوجة إذ بعض النجوم التي نراها واحدة بالعين تكون في الواقع نجمتين وقد عثوا
منها (٧٠٠) مجموعة الى الآن

(٦) ومنها النجوم المضاعفة بأن تكون النجمة واحدة بنظر العين ولسكنها تكون ثلاثاً وأربع شمس
بالمنظار ومنها نجمة من الجبار مركبة من ست شمس

(٧) ومنها القنوان والسدام . فالقنوان جمع قنو مثل صورة الثريا الموضوعة في صورة الثور وهي
مركبة من (٨٠) نجمة و (٦) منها ترى بالعين والسدام جمع سديم وهو الضباب الرقيق وعند الفلاسكيين
نجوم صغيرة القدر جداً متقاربة حتى ترى كأنها سحابة أوضاب أو قطعة نيرة سحابية لا تحل الى نجوم مفردة
بالنظارات القوية . وملخص هذا النوع ثلاثة أقسام فان أمكن حله بالنظارات سمي مجموعة كوكبية مثل
(قنوتوكان) وهذا في قسم السماء الجنوبي ويرى دائماً بالعين (العادية) وان أمكن حل البعض منها فانها
ترى على هيئة شكل منتظم كثيراً أو قليلاً وان لم يمكن حلها أصلاً فشكها الذي يرى يكون غير منتظم

(٨) ومنها طريق التبانة أو المجرة وهي منطقة ضيقة بيضاء يراها الناس جميعاً في الليالى الصافية تقسم
الكرة السماوية الى قسمين متساويين تقريباً ولا تقل النجوم التي فيها عن ١٨ مليون نجمة ولبعد هذه
النجوم ترى كأنها لبن أوتبن . هذه هي النجوم الثابتة

أما السيارات فانها قليلة جداً والفرق بينها وبين الثوابت أن الأولى ضوءها هادئ ساكن وأن الثانية
متلاثلة الضوء وتظهر كأنها نقط مضيئة قطرها الظاهري صغير جداً بحيث لا يمكن قياسه ولبعض السيارات
أشكال كأشكال القمر . وقد لاحظ الناس قديماً أن بعض النجوم لها حال خاصة مثلاً يرون في ليلة ما أن
كوكباً من هذه الكواكب ظهر بجوار نجم ثابت وفي الليلة الثانية يرون انه قد تأخر قليلاً الى المشرق وهكذا
كل ليلة ولا زالوا يراقبون كوكباً فكوكباً حتى عرفوا هذه الكواكب على هذا الوصف وهي عطارد والزهراء
والمرنج والمشتري وزحل وأضافوا الى هذه الخمسة القمر والشمس

ولما رأى علماء العصر الحاضر أن الشمس مركز العالم وأن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض تدور
حول الشمس بعكس ما كان يظنه الأقدمون أن الأرض مركز العالم والشمس والقمر وغيرهما يدورن حولها
أقول لما عرفوا ذلك لم يعتبروا الشمس ولا القمر من السيارات بل جعلوا الأرض سياراً كأخواتها الخمس
المدكورات وزادوا عليها ما كشف سنة ١٧٨١ وهو (أورانوس) وما كشف سنة ١٨٤٦ وهو (نبتون)
فتكون السيارات إذن ثمانية والأرض منها وكل هذه السيارات تتم دورتها حول الشمس في أزمان غير
متساوية وغير متغيرة . وقد وجدوا أنه كما أن للأرض قمرًا فالمرنج قران والمشتري ولأورانوس لكل منهما
أربعة أقمار ولزحل ثمانية ولنبتون واحد . والأرض ترى للزهراء ابتعاداً عن الشمس بعد غروبها

ولا تزال تبعد ليلة قليلة بحركة تسمى طردية الى أن تبلغ (٤٨) درجة تقريبا يراها جميع الناس مساء وكان يسميها الأقدمون (نجمه الليل) ثم تكرر راجعة بحسب صرأى المين حتى تختفي ثانيا تحت أشعة الشمس وبعد أيام قليلة تظهر قبل شروق الشمس وتسمى (نجمه الصبح) وهذه تسمى حركة تقهقرية لأنها من الشرق الى الغرب حتى تبلغ (٤٨) درجة ثم تصير حركتها طردية ثانيا أعني من المغرب الى المشرق وتدخل تحت أشعة الشمس وهذا كله بحسب الظاهر والا فان الحقيقة أن لا رجوع ولا وقوف وإنما ذلك بسبب النظر الظاهري الذي يحصل بسبب دوران الكوكب في مداره كما هو معروف في محله بالبرهان . وبهذا ففهم قول الشاعر

والنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طواع

وهذه الظواهر التي تراها بعينك للزهراء أيضا لعطارد الذي هو وهي سياران سفليان وإنما يتبعاه هو (٢٣) درجة فقط ومدة الدورة الاقترانية للزهراء (٥٨٤) يوما ولعطارد (١١٦) يوما وأما المريخ فانه يبتعد الى (١٨٥) درجة فله ولسائر الكواكب العليا اجتماع واستقبال كالقمر أما الزهراء وعطارد فليس لهما الا الاجتماع أما الاستقبال فهو مستحيل إذ الاستقبال لا يكون إلا بالمقابلة على بعد (١٨٥) درجة وهذا لا يتصور ان إلا الى (٢٣) درجة لأحدهما و (٤٨) درجة للثاني فكيف يكون استقبال كاستقبال القمر والمريخ حركة طردية وتقهقرية بحساب أوسع مما تقدم

﴿ هذا بيان وصف السيارات ﴾

(عطارد) أقرب السيارات الى الشمس يتم دورته في ٨٨ يوما تقريبا وترى الشمس فيه أكبر سبع مرات مما ترى من الأرض وشدة ضوئها وحارثتها تكون أكبر سبع مرات أيضا منهما على الأرض وله أشكال كأشكال القمر

(الزهراء) الشمس ترى فيها أكبر مما ترى من الأرض مرتين تقريبا وكذا الحرارة والضوء وحجم عطارد صغير جدا . أما حجم الزهراء فانه يقرب من حجم الأرض وأيام دورتها ٢٢٥ يوما تقريبا

﴿ الأرض ﴾

محيط الأرض يبلغ (٤٠) مليون متر . ونصف قطر خط الاستواء ٦٣٧٨٠٤٠٠ متر
أعلى الجبال المعروفة لا يزيد ارتفاعه عن سطح البحر عن (٩٠٠٠) مترا وهو جزء من سبعة أجزاء جزء من نصف قطر الأرض وإذا رسم على كرة قطرها متر لا يزيد ارتفاع أعلى الجبال كجبال همالايا عن السطح العمومي بأكثر من مليمتر ونصف (١٤) مليمتر . العمق المتوسط للبحار (٦٠٠) متر
نهاية عمق البحار (١٠٠٠٠) متر

السطح الكلي للأرض يبلغ (٥٠٩) مليون كيلومتر مربع
مياه البحار تشغل منه (٣٨٣٠٠٠٠٠٠٠) كيلومتر مربع . اليابسة (١٢٦) مليون متر مربع
حجم الأرض يزيد عن ألف مليار كيلومتر مكعب (١٠٠٧٩٥٠٠٠٠٠٠٠) أي أكثر من ألف ألف ألف كيلومتر مكعب . سمك الجوّ قدره (٤٨٠٠٠) مترا

مدة دورة الأرض حول الشمس ٣٦٥ يوما و ٢٥٦ جزءا من ألف جزء من اليوم
بعد الأرض عن الشمس يساوي (٢٨٠٠٠٠٠٠٠٠) فرسخا تقريبا أو (٩٢) مليون ميل تقريبا
ويقطع الضوء المسافة المذكورة في ثمان دقائق و ١٨ ثانية والقطار السريع في (٣٥٠) سنة تقريبا وقلة المدفع في (١٢) سنة تقريبا

﴿ المريخ ﴾

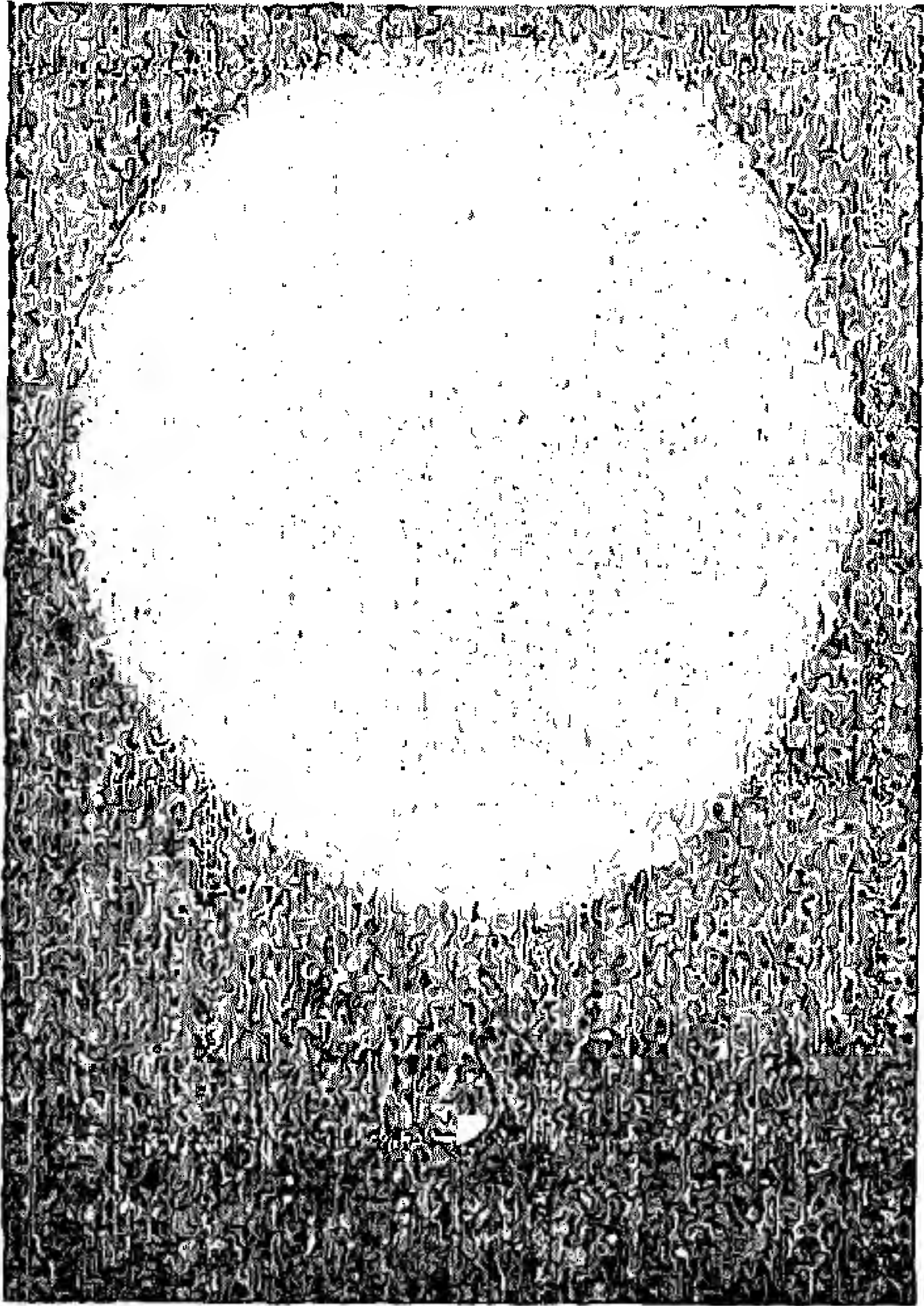
السيار الذي يلي الزهراء بالنسبة للشمس هو الأرض وقد تقدم الكلام عليها والذي يليها هو المريخ

وبعد المتوسط عن الشمس قدر بعد الأرض عنها صرة ونصف صرة ومقداره (٢٢٥) مليون كيلومتر ويرى قرص المريخ من الأرض ذا أشكال ولا يظهر وقت البدر كامل الاستدارة بل يشبه قرص القمر قبل أو بعد البدر بيومين أو ثلاثة

حجم المريخ يبلغ نحو سدس حجم الأرض ١٤٧ رة ويظن أن فيه بخارا وقارات وسحبا وقطبين يتجم عليهما الثلج ويتراكم ويمتد شتاء هناك ويقل امتداده في صيف المريخ فهو في هذا كالأرض وقد كشف قمره سنة ١٨٧٧ وهما (فوبوس) و(ديوس) وأولهما أقرب اليه من ثانيهما وستة المريخ ٦٨٦ يوما و٩٨٥ جزءا من ألف جزء من اليوم

﴿ المشتري - ابعاذه ﴾

هو أكبر جميع السيارات وحجمه قدر حجم الأرض (١٣٠٠) مرة وقطره يساوي ١٤٠٠٠٠ كيلومترا فهو قدر خط الاستواء الأرضي (١١) صرة وبعدة عن الشمس في المتوسط (٧٧٠) مليون كيلومترا . انظر صورة المشتري والأرض في شكل (١)



سنة المشتري تعادل (١٢) سنة من السنين الأرضية له جو يظن أنه سميك جدا وفيه كتل سحابية تحملها رياح كافي الأرض وهي منتظمة انتظامها

وللمشتري أربعة أقمار ولها كسوف كما في قرنا . وقد عين العلماء مدد دورات تلك الأقمار وابعادها بالفراسخ وانصاف أقطارها كما فعلوا في أرضنا وقرنا وسموا تلك الأقمار بأسماء منها (يو) و(جالليستو) الخ . هذا ما كما تعلمناه عن أستاذنا المرحوم حسن أفندي حسني منذ (٣٩) سنة ونقلته من كتابه الذي تلقيناه بدار العلوم ولكن الآن بلغت أقطاره التي كشفها الناس (٩) أقمار وآخرها كشف قبيل سنة ١٩٢٠

﴿ زحل ﴾

امتاز زحل بأن له حلقات منفصلة عن الكرة وتدور حوله في خط استوائه . والبعد المتوسط لزحل عن

شكل (١) المشتري والأرض

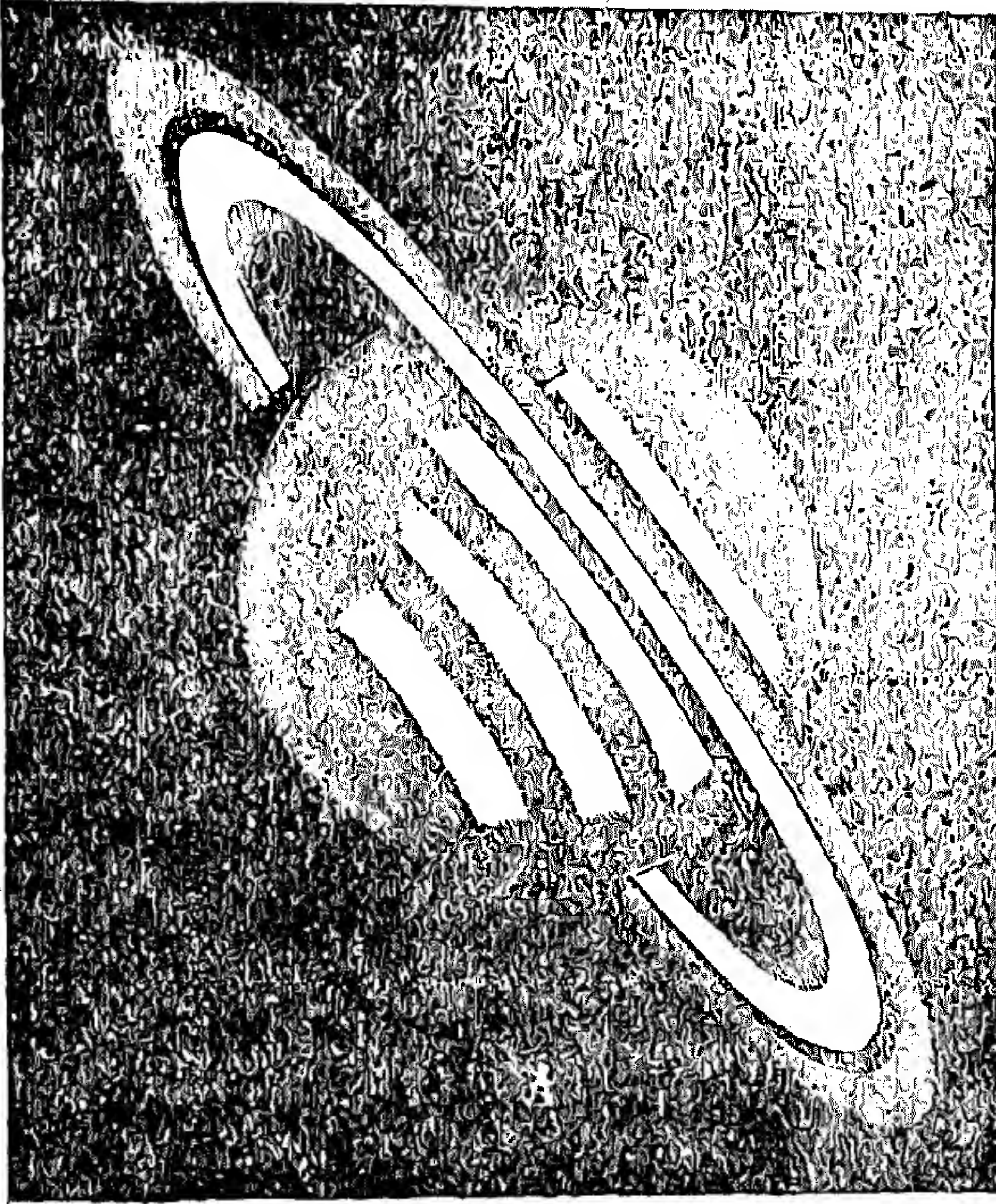
الشمس قدر بعد الأرض عنها تسع مرات ونصف أعني (١٤٠٠) مليون كيلومترا تقريبا ويقطع مداره في (١٧٥٩ رة) يوما أعني (٢٩) سنة ونصفا تقريبا وحجم زحل قدر حجم الأرض الذي عرفته (٧١٨) مرة وقطره (٩٢٩٩) بأخذ نصف قطر الأرض وحده . وفصول زحل مشابهة لفصول أرضنا وكل فصل من فصوله يزيد مدته عن سبع سنين من السنين الأرضية

﴿ مجموعة حلقات زحل ﴾

هي ثلاث حلقات سمكها رقيق جدا وعروضها غير متساوية والحلقة الخارجة مفصولة عن المتوسطة بفراغ وأما الحلقة الداخلة التي هي أقرب إلى السيار فيظهر أنها ملاصقة للثانية والوسطى ألمع الثلاثة وأكثر استضاءة من كرة زحل والحلقة الخارجة لونها سنجابي مثل الأخرمة المعتمة من القرص تقريبا وكلاهما من الحلقتين مظلمتان وتحدان على زحل ظلا ظاهرا جدا . ومجموع عروض هذه الحلقات (٦٠٠٠٠)

﴿ أقمار زحل ﴾

هي ثمانية وقد سماها العلماء بأسماء مثل (سباس) و (ديوني) و (ريا) الخ وعينوا مدة دوراتها وأبعادها بالكيلومتر وانصاف أقطارها وقالوا ان أكبرها هو المسمى (تيتان) فحجمه قدر حجم قرنا ثلاث مرات وهو أضوؤها . هذا ما تلقيناه من أستاذنا المرحوم حسن أفندي حسني ثم كشف بعد ذلك قران أحدهما سنة ١٨٩٨ والثاني سنة ١٩٠٤ كشفهما عالم أمريكي وأغرب هذه الأقمار العشرة القمر التاسع فان الأقمار كلها تدور حول الكوكب من الغرب الى الشرق ولكن هذا يدور من الشرق الى الغرب . أنظر شكل زحل والأرض



أورانوس قد كشف سنة ١٧٨١ كشفه (هرشل) والمسامون نائمون مختلفون . حجم أورانوس قدر حجم الأرض (٦٩) مرة . بعده المتوسط عن الشمس (٦٧٥) مليون فرسخ ودورته (٨٤) سنة تقريبا أو (٣٠٦٨٧) يوما بالضبط . وله أربعة أقمار وقد سماها العلماء وبينوها بالمساحات ومعرفة الابعاد ومدة الدورات مثل قولهم (أوبرون) و (اريل) وهكذا

﴿ السيار نبتون ﴾

هو لا يتم دورته حول الشمس في أقل من (١٢٥) سنة تقريبا ولا يمكن أن يرى بالعين المجردة وقطره يساوي (٣٨٠) اذا أخذ قطر الأرض وحده وحجمه قدر حجم الأرض (٥٥) مرة تقريبا . وله تابع واحد يتم دورته حوله في خمسة أيام واحد وعشرين ساعة وهو قمره

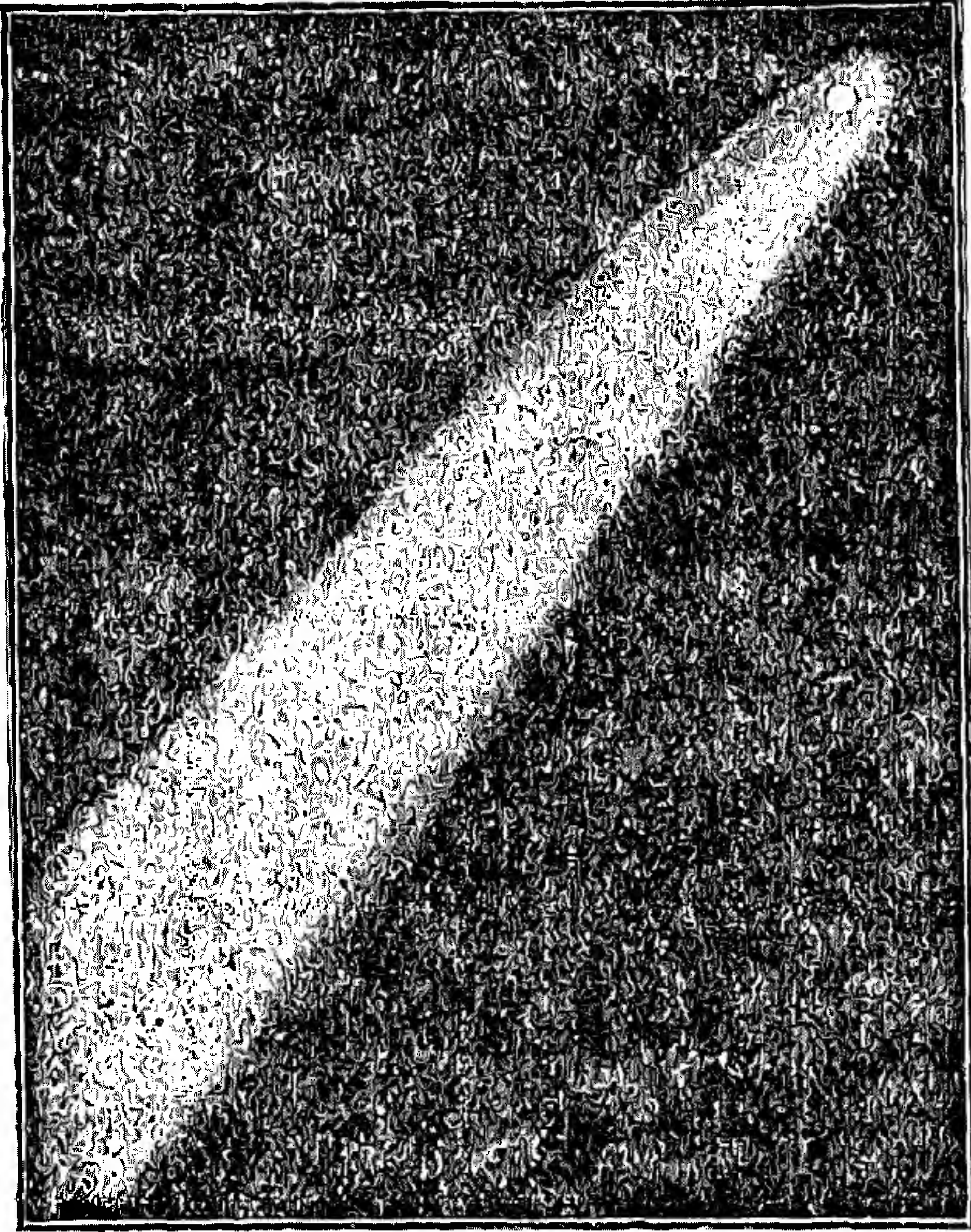
(شكل ٢) زحل والأرض

﴿ سيارات صغيرة ﴾

هناك منطقة بين المريخ والمشتري رأوا فيها كواكب صغيرة جدا كأنها كانت كوكبا مثل المشتري أو نحوه ثم تحطم وهذه شظايا وقطعه فهي تدور في مداره بين الكوكبين وهناك ذوات الأذنان المسماة عند القدماء بذوات الشعور وهي عدد عظيم من الكواكب التي تتحرك حول الشمس ولها أذنان كأنها سحابات مستضيئات وقد شوهدت نجوم ذات ذنبن بل أكثر وذوات الأذنان تزيد عن (٨٠٠) وبزيادة الكشف الحديث يحتمل أن تعد بالملايين في المستقبل وقال (كيلبر) ان عدد ذوات الأذنان كعدد سمك البحار ومن ذوات الأذنان ما علم أن مدة دورتها حول الشمس تعد بالوف السنين أو بمئات الالوف منها . ومنها ما يؤمل رجوعها عن قريب . ومن المعروفة جدا المذنب المسمى (هالي) ومدة دورتها (٧٦) سنة تقريبا حول الشمس ومنها ذات الذنب (انك) ومدتها (٣) سنين و (٣١٠) أيام وهناك ذوات أذنان قال الفلكيون برجوعها ولم ترجع وقد ظهرت في الجيل التاسع عشر ذوات أذنان لامعة لمعانا شديدا . وأشهرها التي ظهرت سنة ١٨١١ وقد أثرت تأثيرا غريبا عجيبا وهي لا ترجع إلا بعد

ثلاثة آلاف سنة • انظر شكل مذنب سنة ١٨١١ الذي سيرجع بعد (٣٠) قرنا

وذات الذنب التي ظهرت سنة ١٨٤٥



هي ألمع جميع ما روى من ذوات الأذنان حتى ان قلبها وجزأ من ذنبها كان يرى في النهار وهي قريبة من الناظر اليها • وضوء ذوات الأذنان من انعكاس ضوء الشمس

﴿ الشهب الحجارة الجوية ﴾

يرى الناس في أكثر الليالي ما يشبه شعلا نارية تمر بسرعة في الجو ترسم منحنيات مستقيمة وتختفي بسرعة بعد بضع ثوان وتسمى (نجوما ساقطة وشهب) وما هي إلا اجسام صغيرة جدا تجرى حول الشمس كما تجرى ذوات الأذنان والسيارات الكبيرة والصغيرة فتقابلت الجو الأرضي سخنت بمقابلة الهواء لها حتى تصير لامعة من الاحتراق ويرى وراءها ذيل مضيء ناشئ من احتراقها ويرى ثواني أو دقائق ثم يختفي وقد تكثر

تلك الأجسام في بعض الليالي مثل العاشر من شهر

أغسطس ونحوه والسكرات النارية كالشهب غير أن حركتها بطيئة وتحدث فرقة بالقرب من الأرض وما وقع منها على الأرض يسمى (الحجارة الجوية) والسكرات النارية قليلة • الى هنا انتهى الكلام على السيارات وذوات الأذنان والشهب والحجارة الجوية والسكرات النارية وانى أحمد الله عز وجل الذي أهدى لهم وسهل حتى اختصرت المقام اختصارا وأحضرت بعونه تعالى بين يديك بعض ملكوت السموات والأرض لتكون من الموقنين فوالله لهذا أنزل القرآن دالا على هذا

فياليت شعري ما هذا الكون الشاسع وما هذه السيارات الجميلة والأقمار الباهرة والابعاد الكبيرة والأنوار الساحرة وذوات الأذنان التي لا ترجع والتي ترجع بعد آلاف السنين وكيف كانت شمسنا لها هذه الحاشية العظيمة المختلفة الأقدار والابعاد والأشكال والأزياء والملابس والأعمال فمن زحل والمشتري العظيمي الحجم الى شهب لا تعدو الواحدة منها قدر البلاطة • كل هذه تجرى حول شمسنا كما تجرى أرضنا وبهذا انتهى الكلام على لفظ (كوكب) المذكور في الآية

﴿ الكلام على القمر المذكور في الآية ﴾

تقدم في هذا التفسير حساب السنين القمرية وذلك في آخر (آل عمران) ومعرفة السنين الكبيرة والبيسة فلانعيده وذلك من أجل سير القمر • سطح القمر يساوي واحدا من ١٤ من سطح الأرض تقريبا وحجمه يساوي واحدا من خمسين من حجمها تقريبا • والبعد المتوسط لمركز القمر عن مركز الأرض يساوي نصف قطر خط الاستواء الأرضي (٦٠٢٧٣) مرة

للقمر (٢٢) جبلا ارتفاعها يزيد عن (٤٨٠٠) مترا وهو ارتفاع الجبل الأبيض وقد سماها العلماء بأسماء وقاسوها بالأمتار مثل ارتفاع جبل (دورفيل) وهو (٧٦٠٣) أمتار • وتلك الجبال صفاتها بركانية

بالكلية ولها من أعلاها فوهات مستديرة قطرها يبلغ (١٥) فرسخا وعمق التجاويف يزيد عن الارتفاع الخارجي وقد يصل الفرق الى (٧٠٠٠) أو (٨٠٠٠) مترا وليس للقمر جو وماء على سطحه وعرفوا هذا بكسوف النجوم التي تمر خلف الحافة المظلمة بقرص القمر فانها تنطق بغثة فلا يحصل فيها نقص تدريجي بسبب غاز يحيط به واذا اتفق هذا فلا يكون هناك بخار ولا نوع من السوائل وكيف يكون هناك ماء والماء لا يحفظه من الانطلاق في الجو على هيئة بخار مرة واحدة إلا ضغط الجو الهوائي فاذا لم يكن جو ذهب الماء حالا . فاذن لا يمكن أن يكون هناك نبات ولا حيوان فالغالب على الظن أن القمر غير مسكون . انتهى الكلام على القمر

﴿ الكلام على الشمس وهي الثالثة في الآية ﴾

نصف قطر الشمس (٦٩٢٠٠٠) كياومترا وسطحها قدر سطح الأرض فيما تقدم (١١٨٠٠) وحجمها قدر حجم الأرض (١٢٨٠٠٠٠) مرة . وبعدها عن الأرض قد تقدم هناك ضوء الشمس كما قال (اراجوا) أشد من ضوء (١٥٠٠٠) شمعة وهو قدر ضوء البدر (٣٠٠٠٠٠) مرة ورأى (الستون) انه بقدره (٨٠٠٠٠٠) أي انه يلزم ثمانية ألف بدر أو ثمانمائة ألف بدر في السماء لاحتداث نهار مضيء كنهار الشمس في وقت صحو

﴿ لطيفة ﴾

وهي عجب عجاب فنقول . ان مسألة الأنوار ذات حكمة عالية ترىنا اختلافا باهرا فيبيننا نرى الكواكب في السماء وهي تبلغ نحو ستة آلاف أو أقل أو أكثر ترى بالعين المجردة وكل منها له نور ومع ذلك لا تضيء لنا الطرق والمسالك لضعف ضوءها الواصل الى أرضنا فالنجم الواحدة ضوءها جزء من ستة آلاف جزء من المجموع وهذا كله ليس شيئا من كورا بالنسبة للبدر الذي نوره جزء من ثمانمائة ألف جزء من نور الشمس ونور الشمس جزء من مائة آلاف جزء من نور السماء الراح كما نص عليه اللورد (أوفيري) والسماء الراح وراء كواكب أضواء منه . وهذا غاية العجب أن يكون ضوء الكواكب الواصل إلينا جزءا من مئات الآلاف من ضوء البدر وهو جزء من مئات الآلاف من ضوء الشمس وهو جزء من آلاف من ضوء كوكب آخر بعد عنا مائتي سنة بسير النور وهو السماء الراح كما تقدم فاذن اختلاف الأنوار للمشاهدة يفوق التصور فان نسبة البدر الى السماء الراح

١

٨٠٠٠ في ٨٠٠٠٠٠٠

٦٤٠٠٠٠٠٠٠ أي جزء من ستة آلاف وأربعمائة مليون من ضوء السماء الراح

﴿ فصل في نسبة ضوء الشمس الى أضواء الكواكب على حسب منظرها من الأرض ﴾

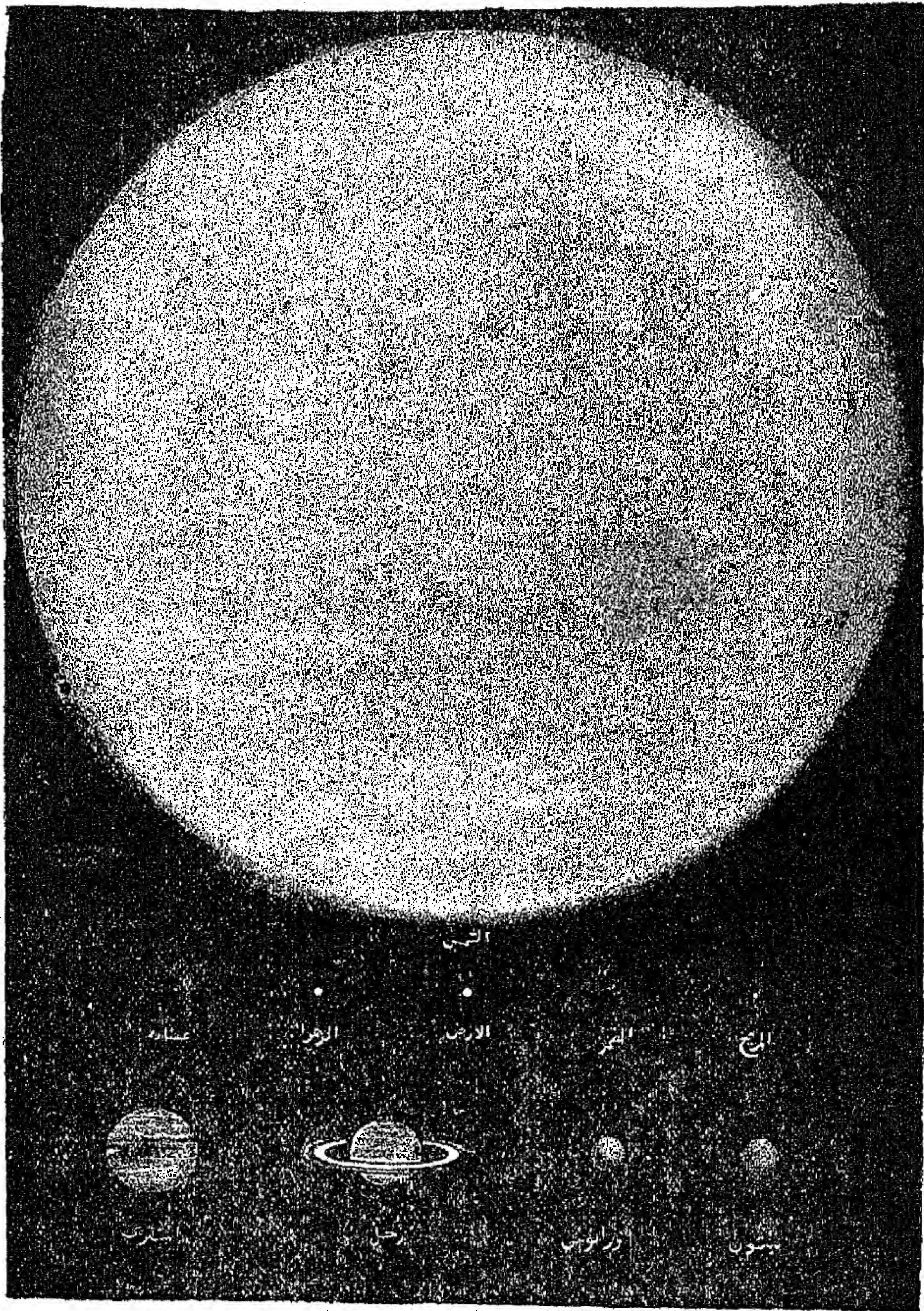
لقد علمت نسبة البدر الى الشمس وأن أعظم مقدار له قدره العلماء أنه جزء من ثمانمائة ألف جزء من ضوء الشمس أي انه لو كان هناك ثمانمائة ألف بدر لكان ضوءها مجتمعة يساوي ضوء الشمس . أما النجوم فان أضواءها وألمعها كالشعري اليمانية يحتاج ضوءها الواصل إلينا الى مقدار عشرة آلاف مليون مرة حتى يصل ذلك كله الى أن يكون كضوء الشمس

وأوسط الكواكب كالعيوق يحتاج ضوءه الى مضاعفته ستا وخسين ألف مليون مرة فلا أن هناك (٥٦) ألف مليون نجمة في ليلة واحدة لصار الليل نهارا

وأضعف الكواكب قد قيس نوره فوجد انه لو جمع نور (٥٠٠) ألف مليون من أمثاله يساوي نور شمسنا . هذه هي المباحث التي برزت على يد العلماء في أمريكا وأوروبا التي بذلت للناس قاطبة ونحن منهم والتي بها عرفنا جمال الله وبدائع صنعه وغرائب حكمه

﴿ مقايسة ﴾

ان اختلاف الأضواء الواصلة إلينا من شمس وقر وكواكب دلتنا على درجات تعدّ بالملايين وألوف الملايين والعقل والعلم شديهان بالنور فلا عجب إذا اختلفت العقول اختلاف الكواكب فن الناس من عقله كالعيوق الذي هو أضواء من نجوم ضعيفة • ومنهم من عقله كالشعري • ومنهم من عقله كالقمر • ومنهم من هو كالشمس واذ عرفت ذلك تفهم كيف يشبه النبي ﷺ بالشمس وذلك لعموم تعليمه ولا فضل لعالم إلا على مقدار ما أثر في الناس فنفعهم بعلمه - وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - انظر شكل المجموعة الشمسية



(شكل ٤) المجموعة الشمسية

هذا بعض ملكوت السموات والأرض الذي يورث اليقين

﴿ آراء صغار العلماء وجميع العامة في أمة الاسلام ﴾

يظن صغار العقول من المتعلمين والجهلاء أن نظر الخليل عليه السلام الى الكواكب والى القمر والى الشمس بالنظر الظاهري وعلى هذا لا يكون هناك فرق بين نظر الخليل ونظر العامة والجهلاء فاذن اليقين أصح سهل وهذا من الغرور الذي طمس على البصائر في أمتنا فتركوا العلوم فأرسلها الله الى أوروبا ولما اغفلها وجهها المسلمون ألا وان ما ذكرناه ونحوه ظواهر المنسكوت وأحوال الناس تختلف فمنهم من ارتقوا وأدركوا بواطن لا يدركها إلا هم - وفوق كل ذي علم عليم - اه

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - ولوترى إذا الظالمون في عذرات الموت

والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم - ﴾

يسمع المسلمون اليوم كيف أصبح القرآن يظهر تفسيره على لسان الأرواح في أوروبا . أصبح القرآن ظاهرا على ألسنة الأرواح الناطقة من عالم الغيب في أوروبا وأمريكا . في انكلترا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والمسلمون نائمون هائمون لا يعلمون شيئا والقرآن يقول - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ويقول في هذه السورة - والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق - والذي أراه أن هذا هو الزمان الذي ظهر فيه القرآن بالعلم الحديث فعلم طبقات الأرض من جهة وعلم الفلك وعلم الطبيعة كل واحد من جهة كما رأيت في هذا التفسير ولسكن من ذا كان يظن أن عالم الأرواح يخاطب البشر وبماذا يخاطبه يخاطبه بنفس مافي القرآن ومن حكمة الله أنه جعل المسلمين اليوم في مجموعهم غافلين وأنطق الأرواح وأظهر العلوم على أيدي الغربيين وهم نصارى حتى اذا جاء مؤلف هذا الكتاب ونقل عن الأوروبيين ما يفيد معجزات القرآن لم يتطرق شك للعلماء في صدق المباحث لأنها لوقاها المسلمون لقال الناس انهم يريدون تأييد دينهم . أما الغربي فليس يهتم إلا بالحقائق ولا يبالى بدين من أديان الأرض في جانب العلم فضلا عن الاسلام الذي لا يدين له . فانظروا أيها المسلمون ظهور هذه الآية على لسان الأرواح

﴿ ملخص ما نقل عن الأرواح في حال الموت في الجمعيات النفسية ﴾

إن الناس قسمان . صالحون وفاسقون والموت إما فجائي وأما أن يتقدمه مرض أو كبر في السن وضعف فالمت فالفجائي مزعج للنفس . وقالوا ان للروح الانسانية جسمين جسما لطيفا شفافا وجسما أرضيا وهو المعروف ومعنى نزع الروح أن يأخذ جسمنا الكثيف الأرضي يتخلص من الجسم اللطيف الروحي المحيط بالروح وكلما كان الانسان صالحا أو مريضا أو كبيرا في السن كان الانفصال أسهل وكلما كان الانسان أكثر ظلما وفسوقا وحبا للمال والولد والجاه وأمور الدنيا كان الانفصال أقسى وأقوى وأصعب

والشهوات والذنوب أكبر الدواعي للمصائب التي تحل بالنفس عند النزع لاسيما الذين لا يقرّون بحياة أخرى فأولئك يضطربون ويقاسون عذابا لا يطاق . فاذا انفصلت الروح من الجسم وكانت مادية متكبرة جاهلة بخيلة ظالمة الى آخره أحست بالآلام لا تطاق فرأت من هم أدنى منها منزلة صاروا أعظم منزلة وأعلى مقاما فيحصل هناك عذاب لا يطاق وتبقى تلك الروح محبوسة بغلاف ظاماني يحجبها حتى لا يخلص اليها أحد من الأرواح العالية ليعرفها حقيقة الحياة التي وردت اليها . وأما الروح التقية الصالحة فانها خلفتها واستعدادها للعلا تكون عند الموت مشتاقة غير مفكرة في الدنيا بل هي فرحة مغتبطة خلاصها من هذه الأجساد الثقيلة فهذه تشاهد مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إذ تعين هذه الكواكب والشموس وترى سكانها ونظامها وتطلع على جمال وبهاء وأنوار مدهشة حتى تسكر من تلك المناظر سكرًا يغمرها سنين ثم اذا جاء أجلها نقلت الى عالم لطيف شريف تزيد فيها معارف النفس وتعرف من العلوم مالا يتصوره أهل الأرض ثم ترتفع درجات فدرجات ألطف فألطف حتى ترى الله جل وعلا . وهذه المرتبة تقول الأرواح

عزيزة جداً • وتكون تلك الأرواح العالية مسيرة للعالم باذن الله تعالى فتدبر الملك لما طأ من اخيرة الواسعة والحكمة والعلم وليس يتولى التدبير العام إلا أرواح لاخطأ عندها ولا غلط وليس هناك اختصاص بل الأوصى بالمعدل فاعجب كيف كان كلام الأرواح على يد غير المسلمين أصبح ناطقا بالقرآن وكيف يكون المغرم بالدنيا والمذنب في ذهول وقت الموت لا يدري ما العمل وربما بقي كذلك سنين وهو في عذاب لا يطاق وكيف تخرج روحه على كره منه لتعلقه بهذه الدنيا وكيف تأتي الأرواح العالية فتلاطف الصالحين لأنه ليس حولهم حجاب يحجبهم • وكيف تكون الأرواح الصالحة متمتعة بمحادثة الأرواح العالية لتعلمها كيف ترتقي وكيف يكون ذلك كله مطابقا لنص القرآن فقوله هنا - أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون - نطقت به الأرواح ويقول في سورة أخرى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - أي عند الموت - أن لا تخافوا ولا تحزنوا الخ - وهذا نفسه ما تقوله الأرواح كما تقدم • وكيف يقول - فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم - وقد نطقت به الأرواح أيضا • وكيف يقول - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - هوعين ما قالته الأرواح أيضا وقال - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - * وفي الحديث من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه * وفي الحديث أيضا سترون ربكم وفي الآية - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - وبه قالت الأرواح وقال - كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - بل تقول الأرواح يكون الفجار محجوبين أيضا عن الأرواح الصالحة • والحاصل أن ما نطق به القرآن في الآخرة نطقت به الأرواح بعد الموت باعتبار أن الموت أول منازل الآخرة وأن الحساب من يوم ساعة الموت وهذا من أعجب العجائب - والله هو الولي الحميد - • انتهى المقصد الثاني

(المقصد الثالث)

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْذَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

(التفسير اللفظي)

يقول الله إن الله يفاق الدرة والقمح والشعير والأرز وهذا هو الحب • ويفلق النوى جمع نواة وهي ضد الحب كنوى الرطب والشمش والخوخ وهكذا البطفة والبيضة ومتى فلق هذه الأنواع خرج منها نبات القمح

والشجر والأرز وأشجار النخيل والشمس والخور والانسان والطائر وخروج النبات والشجر من الحب والنوى والانسان والطائر عبارة عن حياة فالنبات والشجر أحياء خرجت من الأموات لأن النامي حي وغير النامي ظاهرا كالميت لا حس به ولا حركة فيما يظهر للعيون كما يخرج المؤمن من الكافر والذكي من البليد والصالح من الطالح وهكذا يخرج الحب والنوى والكافر والفاسق والبليد من النبات والنخل والمؤمن والصالح هذا هو قوله تعالى (إن الله فائق الحب والنوى) المفسر بقوله (يخرج الحي من الميت) ثم عطف على فائق قوله (ويخرج الميت من الحي ذلكم) المحيى للميت (الله) الذي يستحق العبادة (فأني تؤفكون) تصرفون عنه . واعلم أن الناس لا يرون منه إلا قليلا فان ملايين من الحيوانات تعيش في نقطة صغيرة من الماء تعلق برأس الابرّة مثلا وتنمو وتتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البر في القفار وحيوانات الماء في البحار وهي تتقاتل وتتجارب ويفترس بعضها بعضا كالكواسر والجوارح لا يتناولونها مستنقع وتصعد في البخار الذي يتصاعد من الماء بحرارة الشمس وتطير في الجو مع الهباء ثم تعيش وتكثر أيها نزلت ووافقتها الرطوبة والحرارة وهذه الحيوانات مع صغرها تتعجر وتصير منها طبقات متسعة من (الطباشير) في الأرض وتربة طرابلس التي يصقل بها مؤلفه منها وكل حيوان منها في التربة يساوي $\frac{1}{1870000000}$ من القمح والطباشير مؤلف من

أصداف غاية في الدقة وكذلك ومعلوم أن لكل حيوان منها معدة والطعام يدور من أوعية متعددة في جسمه وطعامها مؤلف من دقائق سائلة وجامدة مثل الانسان والحيوان . ولا جرم أن هذه الدقائق أصغر من الحيوان المذكور فدقة الحيوان ودقة ما يأكله تحير العقول . ولقد جاء نبأ عن هذه الحيوانات في ١٧ ابريل سنة ١٩٢٤ بالجراند المصرية . ذلك أن حيوانات دقيقة كهذه ظهر منها نوعان في أميركا نوع منهما يأكل الأسلاك المعدنية ونوع هو دود يهدم قناة (بناما) ويسمى (الدودة الهادمة) وبالنوع الأول عطل خمس عدد (التلفون) في أميركا والنوع الثاني يحفر أفقا حقيقية تحت الأرض وقد أحدث بقناة (بناما) ضروا يقترب بالملايين والدودة الواحدة تلد مليون دودة في العام اه

ولما كان النبات والشجر من نتائج الأنوار السماوية والحرارة الجوية أتبع الكلام فيهما بذكر سببهما وأبان انه شق عمود الصبح عن سواد الليل فتميز بنوره عن ظلمته معترضا في الأفق الشرقي والاصباح في الأصل مصدر أصبح اذا دخل في الصباح سمي به الصبح ويصح أن يقال (فائق الاصبح) أي خالقه يقول كما شق النواة والحب والبيضة والنطفة فأنفقت وخرج منها تلك الأحياء شق الظلمة فأخرج منها عمود الصبح فتشابه العالم العلوي والسفلي كلاهما فيه العجب نور اشتق من الظلام وأحياء من الأموات - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فتشابه وتشاكل الأمر ترى النور بهر في السماء والحي ظهر في الأرض هذا من الجاد وذاك من الظلام . ثم أكمل الكلام على العلويات فقال (وجاعل الليل سكنا) يسكن الناس والحيوان فيه من التعب الذي لا قوه في النهار فلا يتحركون ومن قرأها جعل عطفها على فائق بمعنى فلق والليل مفعول لجعل أو لجاعل على القراءتين وجاعل للاستمرار في الأزمنة المختلفة وعطف عليه قوله (والشمس والقمر حسبانا) مصدر حسب بالفتح كما أن الحساب مصدر حسب بالكسر فيهما أي على أدوار مختلفة تحسب بهما الأوقات كما أوضحناه في البقرة وآل عمران وغيرها وبهذا تم الكلام على الأحياء والأموات في الأرض والنور والظلمة في السماء (ذلك) أي التفسير بالحساب المعوم (تقدير العزيز) القاهر فوق عباده بحيث سيرهما على وجه مخصوص (العليم) بتدبيره وكيف رأى أن المصلحة في هذه الدورات طولا وقصرا وظلمة واضاءة نعم هو قاهر ومع هذا القهر لا يعمل إلا لحكمة كما تقدم في قوله - وهو القاهر فوق عباده - وهو الحكيم في هذا القهر العليم انه هو الأنفع خلقه يعجبا هذه المواقف البديعة

ثم أخذ يشرح بقية الشمس المشرقة التي تسمى عندنا نجوما فقال (وهو الذي جعل) أي خالق (لكم) النجوم لتتدوا بها في ظلمات البر والبحر أي في المسالك والطرق المشتبهات في البر والبحر إلى حيث تريدون فتصدون تلك النجوم كالنجمة القطبية التي هي كأنها ثابتة لا تتزحزح من مكانها وهكذا النجوم الأخرى والبوصلة التي اشتملت على الأبرة المغناطيسية التي كسبت المغناطيس بالطرق المعروفة عنكم تقوم مقام النجمة القطبية إذا أظلم الجو بسحاب أو غيره فانها تتجه إلى الجنوب والشمال مع بعض انحراف يتغير بقوانين مخصوصة منها تعرفون الطرق والمسالك فالهداية في البر والهداية في البحر انما تكون بالنجوم أو بما يقوم مقامها

وذلك كله بحساب ولقد جعلت الدول الغربية كإنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا معاهد خاصة لتعليم حساب هذه الكواكب حتى يعرف الرمان في وسط اللجج البحرية وظلمات الليالي وفي الطرق المشتبهات النجوم الظاهرة وبروجها ومنازلها فيرصدونها ويهتدي إلى سواء السبيل

ولما كان الأمر يعوزه علم وحكمة قال (قد فعلنا الآيات) أي بيناها وأظهرناها (لقوم يعلمون) فهوؤلاء هم الذين ينتفعون بما فصلناه لأنهم به ينتفعون ويأيت شعري كيف يفوز الفرنجة بهذه العلوم ويقسمون البحار والطرق البحرية ويختصون بعلم النجوم ويحرم المسلمون من ذلك كل هذا لأنهم جهلوا دينهم جهلا تاما إلا ظواهر العبادات اللهم اني أبرأ إليك من الكتمان وأنت أحكم الحاكمين فقد نصحت لهم جهدي وأنني ذاهب إليك وقد فعلت ما في طاقتي بنشر الكتب وتأليف هذا التفسير أقول هذا وأنا موقن أن الله سينزل غضبه على من يكتم العلم بل على من يقرأ بعض هذا التفسير ولا ينصح المسلمين بالبحث في العلوم كلها ولا ينههم إلى الخطر الداهم ولما أتمم الكلام على العلويات التي ذكرها كالسبب للسفليات أي لأحياء النبات والشجر والطير والإنسان أخذ يتم الكلام على علم الحياة بعد الفراغ من فهم مصدرها وسببها فشرح خلق الإنسان وخلق النبات شرحا لقوله - يخرج الحي من الميت - ولم يشرح إخراج الميت من الحي لأن المقام مقام ظهور وحياة لا مقام موت وخفاء وأظهر جلال القدرة وجمال الحكمة وعجائب الحياة وقدّم الإنسان لأنه أكمل والحيوان بعده فقال (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) وهذه تقدمت في أول النساء فلما استقرار في الأصلاب واستبدع في الأرحام ولما كان خلق الجنين في بطن أمه من أعجب العجائب كما تقدم في أول سورة آل عمران يحتاج إلى فكر دقيق يعبر عنه بالفتة قال (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به) بالماء (نبات كل شئ) أي نبت كل صنف من النبات وهي مع اختلافها تسقى بماء واحد وتعيش في هواء واحد وبعضها أفضل من بعض في الأكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيئا أخضر يقال أخضر وخضر كما يقال أعور وعور (نخرج منه) من الخضر (حبامترا) كما (بهو السنبيل) كالطر (بضم فسكون المسمى بالسكوز في الدرة وكسنبيل القمح) ومن النخل من طامها قنوان دانية) قنوان مبتدا خبره من النخل ومن طلعتها بدل منه يقول وقنوان دانية أي قريبة من المتناول كائنة من طلعت النخل وقوله (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل وعطف على - نبات كل شئ - قوله (والزيتون والرمان متشابه وغير متشابه) حال من الزيتون والرمان أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الطعم واللون والقدر والهيئة وتري ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرها مختلف (أنظروا إلى ثمره) جمع ثمرة (إذا أثمر) أي إذا أخرج ثمره كيف يختلف زهره ولونه وأوقات طواف الحشرات على الزهرات وكيف يختلف نوع النبات باختلاف الأزهار وكيف جاء العلم الحديث فجعل مدار علم النبات على أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث وكانت هذه أهم ما قام به العلم الحديث في النبات بحيث كان المدار في تفصيل أنواع النبات وأجناسه وفصائله على هذه المسألة ولتجب كيف غفل المسلمون عن هذا العلم وكيف يقول الله - أنظروا إلى ثمره إذا أثمر - (وينعه) أي نصحه وأدراكه والينع في الأصل مصدر ثم نعت به الثمرة إذا أدركت وقيل ينع جمع يانع كتاجر وتجر وفي قراءة

- ينفعه - بضم الياء وهي لغة فيه (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) والآيات أي العلامات للمؤمنين في هذا المقام لا حصر لها فهي علم النبات وما كشفه الكاشفون وما درسه المفسرون والمسلمون هم النافعون اللهم اني موقن أن الاسلام سيكون في مستقبل الزمان - فأما اليوم فأما هي ظواهر وقشور فأما الجهل فهو ضارب أطنايه الآن في بلاد الاسلام وعسى أن أمثال هذه الآراء في الأمم الاسلامية تكون من الأسباب التي وضعها الله في بلاد الشرق ليخرج بها اصباح الاسلام وينلق بنوره ظلمة الجهالة الخالكة المدممة فنقول فائق اصباح الهدى والنور عن ظلمة الجهل والغفلة كما فلق سمود الصبح وخلصه من ظلمة الليل وكما أخرج الحي من الميت - اللهم انك تخرج العالم من الجاهل والحي من الميت فأخرج من هذا الجيل الاسلامي النائم جيلا مستيقظا بل ان في الآية دلالة على ما أقول فان الظلام بعده النور والموت بعده الحياة فهكذا الاسلام اليوم في نوم عميق وقد آن أوان ارتقائه وأقبل يوم اسعاده هذه الآية مما يشير الى هذه المعاني ويرشدنا الى تحقيق هذه الأمانى بل هذا المقام من الدلائل التي استدل بها (سقراط) على البعث والحشر فقال ﴿ كل فقر بعده غنى وكل جهل بعده علم وهكذا الأضداد يتبع بعضها بعضا ﴾ وهكذا يقول رب سقراط فليبشر المسلمون باقبال الزمان وسعادة الأمم الاسلامية - أقول هذا وأنا موقن بما أقول - ولتعلمن نبأه بعد حين - انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف ﴾

(اللطيفة الأولى) البدائع والجائب في قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى -
 (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - فائق الاصباح -
 (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتسوا بها -
 (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - وهو الذي أنزل من السماء ماء -
 (اللطيفة الخامسة) - أنظروا الى ثمره اذا أثمر - وهناك تنظر رسم الزهرة الذي جعلت مفتاح علم النبات
 ﴿ اللطيفة الأولى البدائع والجائب في قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾ فائق الاصباح -
 يقول الله عز وجل هنا - يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي - ثم يقول - فائق الاصباح - ويقول في سورة آل عمران - تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي - فليفكر المسلمون في هذا الاقتران كيف يقرن اخراج الحي من الميت والميت من الحي في المقامين بالأضواء والأنوار فهناك في آل عمران يقدم الأضواء والأنوار على الاخراج وفي الأنعام هنا يقدم الاخراج على الضياء - وباليه شعري أى علاقة بين الضوء وبين النبات والحيوان

﴿ عجائب النور وغرائبه ﴾

لا يأتبه الناس بالنور ولا بالهواء ولا يعرفون أن هذا النور الذي لا طعم له ولا وزن ولا يباع ولا يشترى ولا يخزن وإنما يرسل من الشمس والكواكب إلينا ونحن ساهون ويذهب عنا ونحن لاهون لا يدري الناس أن هذا النور هو الذي به يكون تدبير حركات الغيات وحياته وحياة الحيوان أولا ماهو النور - اعلم أن الأصوات التي نسمعها والنور الذي نراه لم يكونا إلا حركات فعدد الحركات هو الذي يجعل هذا صوتا وهذا ضوء - أفلا تعجب من هذه الدنيا كيف تكون الأصوات ليست شيئا سوى الحركات والأضواء ليست شيئا سوى الحركات فاذا تسكلم انسان أمامنا أو حدثت حركات في الهواء أو الماء أو الجراد فان الهواء المحيط بنا يتموج بموجات كثيرة بحيث لا تزيد عن (٣٢) ألفا في الثانية الواحدة واذن نسمعه حركات الهواء الحاصلة بتموجه بما أصابه من الحركات كما يتحرك ماء البحر بالقاء حجر فيه ويصنع دوائر تتسع كلما بعدت

عن المركز وتكون أضيق كلما قربت منه هي التي تحدث الصوت وتكون عدد الحركات في الثانية الواحدة لا تزيد عن (٣٢) ألفاً تقريباً لأن الصوت إذاً يكون مرتفعاً جداً فإذا زادت عن ذلك لم تقدر على استماعه وتكون حركات الهواء بعد ذلك لا علم لنا بها

وجعل العلامة (هلمهتز) صوت الموسيقى (٣٨٠٠٠) اهتزازة في الثانية وجعل ألقصها (١٦) اهتزازة فني نقصت عن ذلك لم تسمع صوت الموسيقى ومتى زادت الحركات عن ذلك لم تسمع شيئاً البتة وما فوق هذه الحركات في الهواء لا يدركه الناس ولا يعرفونه

فأما حركات الأثر فلا يعرف الناس منها إلا ما وصل إلى (٤٥٨) ألف ألف ألف أي ٤٥٨ تريليونا من الاهتزازات في الثانية الواحدة ولا تزال الاهتزازات تزيد إلى غاية (٧٢٧) تريليونا فيكون اللون البنفسجي وهو آخر الألوان التي تشاهد في قوس قزح وما عداها فهو أقل منه . فتبين لك بهذا أن الصوت حركات وأن الضوء حركات وكذلك الحرارة حركات ومقدار الأعداد في الثانية هو الذي يعين الحرارة ويعين الضوء ويعين الصوت وأن في العالم الذي نسكنه من الحركات التي لها نتائج ما لا نصل إليها ولا علم لنا بها لأن الحرارة والصوت والضوء ماهي إلا أعداد مخصوصة معاومة وما زاد أو نقص نجعله جهلاً بآنا وغاية الأمر أن الناس كشفوا أشعة رنتجن وأشعة الراديوم التي تخترق الجواجر الكثيفة فترينا ما وراءها وهذه الأشعة تهتز اهتزازات أسرع من الأضواء المعروفة وبجهاون ما عدا ذلك

فنحن الآن في جو من الجهالة العمياء فإن حواسنا لم تعرف من العوالم المحيطة بنا إلا أعداداً محدودة من الحركات وما عداها لا نعرفه وهو ما لا يتناهى . ومن عجب أنهم أيام طبع هذا التفسير صنعوا حجرة من (السنابوم) سلطوا عليها نور بعض الكواكب المسمى (كايلا) وهو يبعد عنا ملايين الملايين من الكيلومترات ثم ضاعفوا التيار الكهربي بأى الناشئ عن وقوع النور على ذلك المعدن فتحول النور إلى صوت سمعوه بأذانهم فيأله من حادث مزعج لقد أصبحت النجوم تسمع كما كانت ترى وأصبحت تناجي البشر كما يناجونها وقد أعلن في أكاديمية العلوم الفرنسية في أوائل هذا الشهر (أبريل سنة ١٩٢٤) أن العلماء يواصلون تجاربهم في هذا الشأن في معمل (الانفاليه الكيموى) وأن هذا الكشف سيحدث انقلاباً مذهباً في العلم

هذا تمام الكلام على تعريف الصوت وحركاته وأصواته التي لم نعلم إلا في هذا الشهر فلتنظر ولتتجرب من هذا العالم الذي نعيش فيه . ضوء نراه بأبصارنا يظهر لنا العلم أنه حركات وتلك الحركات مقدرة في الثانية وهذا الضوء متى لاس معدناً خاصاً وجعل فيه نوع من الكهربياء ظهر له صوت فكان النجم الذي ننظره بأبصارنا يصلح أن نسمعه بأذاننا هذه عجائب لنفس الضوء ألفتها لآعجابه

(أهمال الضوء إدارة النظام الأرضي (عالم النبات))

اعلم أن هذا الضوء الذي عرفته أنه حركات وأنه ينقلب صوتاً هو المبر والمهندس الذي يقوم بشؤون العوالم النباتية وهذا المهندس تحتته عمالان يعملان تحت إشرافه فأحد العاملين هو الورق والثاني هو الجنود اعلم أن النبات ليس له جوف ملضم غذائه ولا له قلب لإدارة سائلاته في كل أقسامه كما للحيوان بل يحص غذاءه من التراب بواسطة جذوره ومن الهواء بواسطة أوراقه وبالأوراق أيضاً يدفع إلى الخارج ما لا ينفعه . فههنا جذور تمتص وورق وههنا ورق لا يفرز ما لا ينفع . أن غذاء النبات منه المائعات ومنه الموجودات الهوائية (الغازية) فأما الجامدات فلا حظ للنبات فيها

وفي الماء مواد غازية ومعادن مذبذبة فيه فني حملت الجنود الماء الذي امتصته بسعد بما معه من المواد المعدنية والغازية في أنسجة النبات إلى الأجزاء التي فوق سطح الأرض المعرضة للهواء فيدخل الأوراق

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

اننا نشاهد أن الجو الذي نعيش فيه يحتوي على أدخنة من الآلات البخارية وتلك الأدخنة أجزاء خفيفة (الكربون) وهكذا كل أنفاس الانسان والحيوان مشتملة على نوع من هذا الفحم أو (الكربون) كالذي تتنفسه الآلات البخارية بدليل أننا اذا تنفسنا في المرآة حصل على وجهها المصفول الزجاجي طبقة تحجب عنا صورنا فيها وتلك الطبقة هي الفحم الخارج مع نفسنا من الرئة حينما صلح الدم نخرج ما فيه من المواد المحترقة الكربونية الخارجة من أجزاء أجسامنا كما خرجت المواد المحترقة في الآلات البخارية من المداخل سواء بسواء . فهذا الدخان يسير في الجو فيصل الى أوراق النبات . وهذا هو الغذاء الذي يدخل في ورق النبات فهذا هو المسمى (الخامض الكربونيك) فتتأوله الورق واجتمع بالماء الذي امتصته الجذور يقابلها النور فيكون منهما معا النشاء المعوم والنشاء هو الذي يذوب اذا مضغت حبة قمح في فرك فما ذاب منها في ريقنا سميناه نشاء وما بقى لزجا سميناه (المواد الشبيهة بالزلال) ثم ان الجذور اذا امتصت أكثر مما يلزم من المواد المائية تحولت بخارا في الأوراق وتطير في الجو فتتخفف درجة الحرارة كما تنخفض درجة حرارة الماء اذا كان في النخار وقت الحر

ثم ان هذا النشاء المركب من الكربون والأكسوجين والاوردوجين لا يتم له ذلك التركيب إلا بفعل المادة الملونة الخضراء وهذه المادة الملونة لا تتم إلا بفعل النور فيها بدليل ان الجذور لا تلون به لاحتجابها عن الشمس بجوهر الأرض ولا بد من مادة حديدية يمتصها النبات للمادة الملونة والمادة الملونة حينما يأخذ الورق الخامض الكربونيك من الهواء تحلل الخامض المذكور بفعل النور فتنبعث أحاد جزئية وهو الاكسوجين الى الهواء وترسل الجزء الآخر وهو الكربون في جسم النبات فيتحرك مع أكسوجين الماء وايدروجينه وهو النشاء فما النشاء المعروف الأبيض الا ماء ولحم تركبا ثم هذا الغذاء ينبت في أجزاء النبات فيصير قوة له ثم ان هذا النشاء مع المواد التي منها غاز النتروجين التي تمتصها الجذور من التراب مذوبة في الماء الجارية في أنسجة النبات تتكون مواد شبيهة بالزلال يتغذى بها النبات فينمو سواء أكان عشباً أو شجراً ويكون هذا الشبيه بالزلال مركبا مما تقدم (الكربون والاكسوجين والايدروجين والنتروجين) ومن الكبريت ومنها المادة الغروية (أى المادة اللزجة) التي كلما زادت في الحب كان أشد تغذية وفي النبات مواد شبيهة بالقلوي وهي (المورفين والكينين) ونحو المادة الفعالة في الشاي وفي القهوة ومادة السليكا أيضا وهو الصوان وأما القصفور فيدخل في المواد الزلالية

﴿ العجب العجيب ﴾

فانظر كيف حول النور مع ما نتج منه من المادة الملونة الكربون والماء الى نشاء وهذا النشاء يسير في الخلايا ويخزن منه في البزور ليكون غذاء في المستقبل ومنه ما يخزن في الجذور في زمن الشتاء ليتمكن به النبات فيما بعد وقد يتحول الى سكر بفعل المادة الملونة أو الى مادة زيتية أو دهنية كما ترى في بزر القطن والاوز والخروع والزيتون وبزر السكتان . وفائدة هذه المواد للنبات كغذاء النشاء . واعلم أن السكر هو نفس النشاء فاذا أضفت اليه ماء ووضع دافئ يتحول النشاء الى سكر فيصير السيل حلوا المذاق وترى ذلك في قصب السكر وعصير العنب وجذور الشمندر وفي جميع الأثمار الحلوة

ثم انظر كيف كان هذا النشاء نفسه يقابل في النبات أملاحا فيها النتروجين وكذلك الكبريت فتكون المواد الشبيهة بالزلال . وذلك كله بفعل النور فلا بد من الحرارة ولا بد من النور ذلك النور المكون للنشاء والمواد الزلالية

﴿ الحيوان والنبات ﴾

أفلا تعجب من هذا النظام وكيف يسير في الضوء والهواء ونحن غافلون يا عجباً لغفلة الانسان نرى الكربون في الهواء ونستنشق الاكسوجين ولا ندري ما فيهما من العجائب . فهذا الكربون يخرج من الانسان ومن الأفران ومن الآلات البخارية كما تقدم ويذهب في أوراق الأشجار ويحلل الاكسوجين المصاحب له ويرسل في الهواء ليصلحه وكأن الورق هو الرئة التي خلقها الله للهواء
فرثنا تصفى الاكسوجين وتدخله في أجسامنا وترسل الكربون الى الهواء هكذا الأوراق ترسل الاكسوجين الى الهواء والكربون الى النبات بعكس ما تفعل رثنا

﴿ كيف يتكوّن الحيوان ﴾

إن عظام الحيوان تكوّن من المواد المعدنية وعضلاته من النيتروجين وهو الاوزوت ودهنه من الكربون ولما ضعف الحيوان عن تناول هذه المركبات خلق النبات له حاوياً تلك المواد لتكون في بنية الحيوان فيعجبنا كل العجب نشاء ومواد زلائية مركبات من الكربون والماء والكبريت مع مواد أخرى من الحديد والمادة الصوانية والفسفور والبوتاسا في النباتات البرية والصودا في النباتات البحرية والكلسيوم أى الجص والمورفين والكينيا والاستركنين والفخسين والاثريوين وخلاصة الشاي وخلاصة البن . هذه المواد تكون في النبات ثم تكون بنية الحيوان . اشتراك عظيم ونظام جميل يارب ما أعجب هذه الدنيا وأجل نظامها

يا الله أنر بصائرنا حتى نقف على الجمال الذي أبدعته والنور الذي أنزلته . يا الله نور في الجوّ نزل من السماء نورك الجميل الذي تحوّل على بعض المعادن الى صوت يسمعه الناس في هذا الشهر وهذا النور هو الذي حوّل الفحم الى نشاء مع الماء ثم حوّل هذا النشاء مع الاوزوت والكبريت الى مواد زلائية وهذه المواد بها حياة النبات ثم هي مع مواد أخرى في النبات يكون بها حياة الحيوان . وكيف يارب كان الفحم لنا دهنا والأملاح لنا عظما والأوزوت لنا لحما . وكيف يصير الفحم في أجسامنا دهنا والأملاح عظما والأوزوت لحما وكيف نرى ما تخرجه أنفاسنا راجعا الى أجسامنا بهيئة دهن - إن ربك هو الخلاق العليم - . حقا لقد حارت الأفكار في هذه الحكم والعجائب

أوليس مما يدهشنا أن الورق له فعّال فعل ادخال الكربون وفعل اخراج الاكسوجين وبخار الماء كما ترشح القربة الماء ويخرج أيضا من الفتحات الصغيرة على قفا الورقة وقد حسب العلماء فتحات ورقة من شجرة السيليوم فوجدت (١٠٠٠٠٠٠) فتحة . ومن فوائد هذا البخار تبريد النبات في شدة الحر ألا ترى أن عباد الشمس يبخر كل (٢٤) ساعة نحو رطل ماء فكيف يكون مقدار ما يبخره شجر السنديان والبطم والخروب وأضرابها . هذه أفعال الأوراق

﴿ الجذور وعجائبها ﴾

أما أفعال الجذور فأنها أعجب فأنها تغلظ وتصير مخشوشة وتدفع التراب عن جوانبها كما تدفعه عن أطرافها وهذه القوة النامية من غرائب الدهر وعجائب البر والبحر . ألم تر أنها تدفع الحجارة السكبار أمامها وتهدم جدران الأبنية التي تمتد تحتها أو بين سجايرتها وفي الأقاليم الحارة الكثيرة الرطوبة يظهر فعل النبات في خراب الأبنية أقوى من فعل الزلازل والعواصف والفيضان والأمطار لأن هذه القوى معلات تقدر على ازاحة حجارة مثل حجارة قلعة (بعلبك) واهرام مصر وإذا وقعت خلالها بذرة تينية مثلاً تنمو وتدخل خيوط جذورها في أدق الثقوب والخلال فتزيج الحجارة من مواضعها . بهذا نفهم قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي - فهذا هو اخراج النبات من ماء وكربون وأوزوت بفعل نور الاصباح

فيها المذكور بعدها فهو يقول - يخرج الحي - كالنبات والحيوان - من الميت - وهو الكربون والاوزون والماء والأملاح - ويخرج الميت - وهي هذه العناصر - من الحي - وهو النبات والحيوان - ذلكم الله فأنى تؤفكون - وإذا كانت هذه المواد الميتة تصرف فيها فجعلها نباتا وحيوانا ثم جعلها فتصرف فيها بالتحليل والتركيب وأنتم منها فكيف تصرفون عن تصرفه فيكم . ثم أبان ما به التصرف في ذلك فقال - فائق الاصباح - وهذا هو مبدأ النور الذي به يكون تكوين النشاء وتكوين الزلازل من تلك المواد الميتة فيكون النبات ثم الحيوان . فانظر كيف أخرج الحي من الميت والميت من الحي . فبهل حسنا فليفسر القرآن للحكماء وليفهم للعلماء اهـ

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - فائق الاصباح - ﴾

هنا أمران يحدثان في الأرض والشمس غائبة عنا ، أحدهما يكون قبيل طلوعها . والآخر بعد غروبها فأول الأمرين هو الصبح وهو الضوء المنتشر قبل طلوع الشمس . والآخر هو الباقي بعد غروبها وهذان الحادثان معدومان في خط الاستواء ويقتدى ظهورهما في أول المناطق المعتدلة وكلما ازدادنا قربا من القطبين ازداد ظهورهما ولذلك ترى أهل (لابونيا وسويد وسبير) يكتنون أربعة أشهر تقريبا وهم لا يرون الشمس وإنما الشفق والفجر في هذا الليل الطويل يضيئان عليهم اضاءة كافية بتصرفهم في معاشهم واجتيازهم السهول والهضاب والجبال والمنازل والأراضي الواسعة الثلجية ويرى أهل تلك البلاد من الجبال والبهجة في الجو من اشراق النور الفجرى والشفق مالا يعلمه ولا يحلم به سكان المدارين أى مدار (السرطان) ومدار (الجدي) فالحكمة الالهية لم تكمل اشراق تلك الأنوار الثلاثة الوهاجة البديعة ووصولها الى غاية الجمال والبهاء إلا لسكان الأقطار (الجليدية) جهة القطبين فانها تنبعث من دانه بحلل سفيدية ذهبية تدهش العقول وتحير الألباب وتفتن أولى الألباب . فانظر كيف رأينا العدل جاريا مجراه فكما كانت الشمس أكثر اشراقا حين طلوعها . ترى جبرها وصباحها وشفقها أقل جلالا وكلما كانت الشمس أقل ظهورا كان الشفق والصبح مشرقين باهرين جميلين يحيران الأبصار فهذه قسمة عادلة وحكمة باهرة . فأهل السودان المصرى لم يمنعوا جمال الفجر والشفق ولكن أهل الأقطار (الجليدية) يرون من الجمال ما يحير الأبصار . اهـ

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها - ﴾

معلوم أن بعد الأرض عن الشمس (٩٣) مليون ميل وهذه المسافة يطيرها طائر بسرعة مائتميل في الساعة الواحدة وهذه أعظم سرعة للطير وهي سرعة الطائرات الخريمية أيضا فهذا الطائر بهذه السرعة يصل من الأرض الى الشمس بحيث لا يقف ولا ينام ليلا ولا نهارا صيفا وشتاء في مدة مائة سنة وست سنوات ونحو ٧ أشهر وهذا الطائر بهذه السرعة يقطع عرض النظام الشمسى من طرف الى طرف في مدة (٢٣٧٢) سنة وهذه المدة يقطع فيها هذا النظام المشتمل على الشمس وسياراتها مثل (نبتون وأورانوس وزحل) الخ فالشمس وسياراتها التي عرفت حديثا وتقدمت في هذا التفسير وعرضها ما ذكرناه لم تخرج عن كونها كوكبا صغيرا من مئات الملايين من الكواكب وابعادها عظيمة جدا . وهذا الطائر يقطع مليون ميل في ٤١٦ يوما ويقطع مليون مليون ميل فى أكثر من مليون سنة ومليون المليون من الأميال المذكورة ليس شيئا مذكورا في ابعاد النجوم فان أقرب نجم اليها من السيارات نجم يسمى الفا في صورة قنطورس وبعده عنا ٢٥ مليون مليون ميل فهذا الطائر لا يصل اليه إلا بعد ٢٥ مليون سنة فهذا الطائر لا يصلح أن نجعله مقدرًا بطيرانه بعد الكواكب وذلك جعلوا القياس سير النور وهو يقطع (١٨٦٠٠٠) ميلا في الثانية الواحدة ويصل من الشمس اليها في نحو ثمان دقائق وثمان ثوان لأن بعدها عنا (٩٦٠٠٠٠٠٠: ٥٨٦٠٥) أى نحو ستة ملايين مليون ميل فنجم الفا قنطورس المذكور يبعد عنا نحو أربع سنوات نورية وربع سنة وهو يبعد عنا

٢٥ مليون ميل فلا يصل نوره الخارج منه في هذه الدقيقة إلا بعد أربع سنين وثلاثة أشهر وقد سافر في كل دقيقة (١١) مليون ميل فأكثر وإذا أطنى هذا الكوكب جهلنا انطفاءه مدة أربع سنين وثلاثة أشهر ومع هذا فذلك ليس شياً من كونا في جانب الكواكب المدهشة في البعد جداً فلنفس الشمس ولنفس نجمة قنطورس وأمثالها ولنفس في الفوات والمساحات الواسعة السماوية ولننظر هذا الملك المعد لنا لتسيح فيه أرواحنا وتطلع على العوالم الجميلة فلندرسها الآن ولنفتشوق إليها كما قال تعالى هنا - وهو الذي جعل لكم النجوم - فهناك ما بعده من (١٢٥) سنة نورية إلى (١٤٥) سنة نورية أيضاً وهي نجوم الثريا وكذلك القلاص وهناك نحو (٧٥) مجموعة مثل مجموعة الثريا ومجموعة القلاص تبعد (١٣٥٥) سنة نورية والمسافة التي فيها هذه المجموعات السبعون تبلغ (١٠٥٥٥٥) مائة ألف سنة نورية ووجد بعد سديم ممسك الاغنه (٥٥٥٥) خمسة آلاف سنة نورية وسديم البجاجة كذلك خمسة آلاف سنة نورية وسديم العقاب بعده (١٧٥٥٥) سبعة عشر ألف سنة نورية (وقطر المجرة مائة ألف سنة نورية) وبعد السديم الذي في المرأة المسلسلة نحو (٦٥٥٥٥٥) ستمائة ألف سنة نورية وسديم مجلان بعده (٦٥٥٥٥٥) ستون ألف سنة نورية وهناك سديم سبعة مثل سعة سديم المرأة المسلسلة يبلغ نحو عشرين مليون سنة نورية هذه مخاوفات نورية في السماء لا يصل ضوءها لنا إلا في عشرين مليون سنة نورية وقد علمنا أن المسافة بيننا وبين الشمس لا تبلغ في السير إلا مدة ثمان دقائق وثمان ثوان فكيف يكون ذلك البعد الشاسع وقد سار النور فيه عشرين مليون سنة وكيف تكون مقادير الكواكب البعيدة عنا لعمري ان شمسنا بالنسبة لتلك الكواكب ذرة صغيرة

﴿ أقدار الكواكب ﴾

قد قسموا أقدار الكواكب إلى عشرين قسمًا على حسب التقسيم الحديث والعين ترى ستة أقدار فقط ويبلغ ما تراه بها (٦٥٥٥) نجم وترى العين بالمنظار المعظم الذي باورته من بوضتين إلى ثلاث (١٥٥٥٥٥) مائة ألف نجمة أي إلى القدر السابع عشر

ونجوم القدر الأول (١٤) والثاني (٢٧) والثالث (٧٣) والرابع (١٨٩) ثم (٦٥٥) ثم (٢٢٥٥) ثم (٦٦٦٥) ثم (٢٢٥٥٥) ثم (٦٥٥٥٥٥) وهكذا إلى القدر العشرين فإنه (٦٦٥٥٥٥٥٥٥٥) ومجموع هذه الكواكب ٢٢٤ مليون كوكب وهناك كواكب أخرى لا يحصرها العد لم يمكن تميزها وستظهر بعد حين

هذا ولأذكر لك آخر ما وصل إليه الناس عند طبع هذا الكتاب إذ جاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم الأحد ٨ أغسطس سنة ١٩٢٦ ما يأتي بالحرف الواحد

قد قام أخيراً العلامة (كنوت لندسرك) باحصاء مدهش سلم بصحته أشهر علماء الفلك وبين فيه عظم المسافات التي تفصل بيننا وبين السدم الحلزونية فالسديم (اندرميد) يبعد عنا مسافة يقطعها النور في مليون ونصف مليون سنة (وسرعة النور ثلاثمائة ألف كيلومترا في الثانية كما هو معلوم) وهو عظيم جداً بحيث لا يقطعه النور من أحد طرفيه إلى الطرف الآخر بأقل من ستين ألف سنة مما يدل على أن حجم هذا السديم لا ينقص كثيراً عن حجم المجرة

وهناك سديم آخر يعرفه علم الفلك باسم (ن.ج.ت. ٤٤٨٦) يبعد عنا مسافة ثمانية ملايين سنة نورية أي ان النور يحتاج إلى هذه المدة لكي يصل إلينا منه . وبعبارة أخرى إذا انقضى هذا السديم اليوم فأننا لا نعرف انقراضه ولا ينقطع نوره عنا إلا بعد ثمانية ملايين سنة

وقد أثبت العلامة (لندسرك) أن السديم المعروف باسم (ن.ج.ت. ٤٥٩٤) يبعد عن أرضنا مسافة

(٥٦) مليون سنة نورية أى اننا اذا نظرنا اليه اليوم بالنظارات الكبيرة نراه كما كان قبل (٥٦) مليون سنة وهذه السدم العظيمة لاتعد شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الكون اللامتناهى حتى ان علماءنا لم ينزلوا الى تسميتها والدلالة عليها بغير الأرقام . اهـ

﴿ اللطيفة الراجعة في قوله تعالى - هو الذى أنزل من السماء ماء - ﴾

ولما كان الماء معروفاً وجب أن نذكر شيئاً من عجائبه ليكون سروراً للنفس وبهجة وأنساً لقارئ النفسير فنشرح به الصدور وتقر به العيون فأقول

﴿ (١) الثلج القطبي ﴾

من عجائب الماء ما يشاهد في القطبين من الجبال المكوّنة من الثلج العائمة فوق البحر هناك نحو مترين وتحت الماء سبعة أمتار وقد يكون عرض تلك الجبال (٢٥) فرسخاً وطولها خمسين فرسخاً والتيارات البحرية تجذب تلك الجبال فتعوم مع مائها السريع الجريان ثم تنكسر تلك الجبال هضبات كبيرة جارية مع الماء ثم تتلاقى ويقتك الأقوى منها بالأضعف ويكسره ويفتح فيه طريقاً لنفسه وقد تراكم بعض القطع الثلجية فوق بعض حتى تبلغ عشرة أمتار وبهذه الأعمال تنشأ أشكال عجيبة بديعة المنظر جميلة الأشكال محيرة للناظرين تسرّ أولى الألباب . وهذه المناظر الجميلة أشبه بهذه الحياة الدنيا . جميلة في الظاهر خطيرة في الباطن . فان السفن متى صادمتها تنكسرت حالا . واذا احقّى الركاب بها بأن صعدوا على تلك الهضبات والاكام الثلجية ماتوا من مكابدة الجوع والبرد الشديد المهلك

وهناك جبال تكون في الجزائر وفي البر على شاطئ البحر المحيط داخله في الأراضى الى مسافات بعيدة جداً ومتى انكسرت تلك الجبال وانحدرت الى البحر كان منها جبال ثلجية تعوم فوق ماء البحر علوها من خمسين متراً الى ستين متراً وذلك حول (امبربرغ) وتكون في جون (بافين) نحو مائتي متر والملاحون يلجأون الى هذه الجبال ليتخذوها حى لهم من التيارات المهلكة لسفنهم ولكنها كما قال الشاعر والمستجير بعمره عند كركته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

فانها بأدنى عارض تدور عليهم فتبتلع سفنهم حالا . وهذا الثلج القطبي منه ما هو مكوّن من الماء المالح ومنه ما هو مكوّن من الماء العذب

﴿ الثلج المسهل للسير ﴾

اعلم أن أهل بلاد (لابونيا وسبيريا والموسكوف والاسويجيين) يكون الثلج المصقول السميك الصلب سبباً في سهولة السفر ويكون فصل الثلوج عندهم فصل الأعمال والربح واللذات ويستحيل السير في غير زمن الثلج بهذه السهولة والثلج يمكن أن يكون مسحوقاً ناعماً اذا وصل الى درجة (٥٠) تحت الصفر وهو دائماً في حجمه يزيد عن الماء جزءاً من (١٤) جزءاً ثم الأحوال التي تقتضى تكوين الثلج توجد دائماً في أعالي الجوف فوق رؤسنا وفوق الجبال الشاهقات وكذلك في جهة القطبين فهو يكون على ارتفاع (١٢٩٢٠) متر تقريباً في درجة (١) شمالاً وفي درجة (١٨ و ١٩) شمالاً يكون على ارتفاع (٤٧٠٠) متر تقريباً وفي عرض ٣٠ الى ٣١ شمالاً ترى مهابط جبال هيماليا الشمالية يكون الثلج فيها على ارتفاع (٥٢١٠) متراً ويكون في مهابطها الجنوبية على ارتفاع (٣٩٠٠) وفي درجة (٦١) شمالاً في بلاد (النرويج) يكون على ارتفاع (١٧٠٠) متر فأما في القطبين فانه يكون الثلج جبلاً فوق الأرض . ومما يخص ما تقدّم أن الثلج يكون دائماً لا ينقطع صيفاً وشتاء في القطبين فوق الأرض ولا يزال يرتفع مكانه منهما الى خط الاستواء الى أن يصل الى ارتفاع نحو (١٣) ألف متر عند قرب خط الاستواء فما فوق ذلك القوس المختلف الارتفاع من خط الاستواء الى القطبين تكون الثلوج دائماً فوق الجبال وفوق رؤسنا ويشير لهذا قوله تعالى - وينزل من السماء من

جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء - فذكر الجبال هنا لم يكن معروفا عند الأمم الغربية إذ ذاك واتساع العلم أربابا أن جبال الجليد والثلج دائمة في تلك المحال العالية والعلم اليوم هو مجزة القرآن وهذا هو قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وقوله - والذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به - وأهل الكتاب أعم من كتب اليهود والنصارى بل يشمل العلوم الحقيقية الكونية . ومتى انتشر هذا التفسير وأمثلة سيسارع الفلاسفة وعلماء الطبيعة للإسلام بسبب علمهم بكتب الحقائق الطبيعية والكونية الموافقة كلها لدين الاسلام

وفي بعض البلاد الثلجية يختفي النبات مادام الثلج فاذا استهل فصل الربيع ذابت الثلوج واستيقظت تلك النباتات بعد موتها حتى تصل الى غايتها في أسرع وقت فهو كالمسلمين الذين ناموا قرونا تحت تلج الجهالة واحتلال أوروبا لهم حتى إذا قرؤا أمثال هذا التفسير وعرفوا من النابغين في مصر والشام والهند والمغرب من خول العلماء أن ديننا هو دين العلوم استيقظوا في أقرب وقت سريها كما استيقظ النبات الذي كان تحت الثلج وزدانت به الأرض وأخذت زخرفها وازينت للناظرين

(٢) ألوان ماء البحر

اعلم أن الله كما خص البلاد القطبية بأشراق الفجر والشفق وجمال المناظر الثلجية ومناظر الفجر والشفق والجمال البديع وحرم من ذلك الجمال سكان ما بين المدارين أراد الله سبحانه أن يعطيهم جمالا بدل ما فقدوه . ذلك أن السفن وهي تمر في البحر ترسم نهرا من نار على مستوى السائل يحصل من جانبيه أمواج ينقذ منها سيول ضوئية فتري المياه على أبعاد من مد البصر تضاهي السماء المزينة بالنجوم الكثيرة المضيئة ذات الشرر الالامع ويرى هناك ما يحاكي النجوم الثابتة في السماء وما يشبه ذوات الأذناب الضالة في الفراغ ثم تنقطع هذه الحركة زمنا ما فتكون ظاهرة ثم تلمع تلك الكتل الضوئية وتنشبت من جميع الجهات فيكون منها سهل واسع من نار مهول أعظم سعته

وإذا هبت الرياح أحدثت في الأمواج اضطرابا وتكون هناك أفانين الصور وأعاجيب الجمال الباهرات فتعلو الأمواج الضوئية ثم تنكسر وتصير على هيئة زبد مضيء متشكل بأشكال كثيرة من أقواس قزح وهذا الحادث ناتج من الفصفور المتحامل من الحيوانات الرخوة والحيوانات النباتية التي تسمى بالفرنجية (زهوفيت) وهي تكون في البحور الاستوائية أكثر منها في الأقطار المعتدلة والباردة والفصفور في تلك الحيوانات طبيعي كما أنه كذلك في كثير من الحشرات

(٣) المياه المعدنية

المياه المعدنية هي التي تحتوي على مواد غريبة بحيث تكون ذات طعم ويكون لها فعل مؤثر في الجسم الحيواني وقد وجدوا في تلك المياه الأصناف الآتية

الكبريت والصودا والنوشادر والجير والمغنيسيا والالومين والبوتاسا والصوان والكلور والكربون والنحاس والحديد . وهذه المعادن متحدة مثل الحوض الكربوني والحوض الكبريتي وما أشبه ذلك . ومن هذه المياه ماله تأثير عظيم وقد قسموا هذا إلى أربعة أقسام رئيسية وهي

(١) مياه كبريتية (٢) مياه غازية أو محضنة (٣) مياه حديدية (٤) مياه ملحية

وهناك مياه معدنية سمية ذاب فيها الزرنيخ أو الزئبق وهذه متى عرفت يبادر الناس بردها حالا وهناك أيضا مياه صوانية قد حملت مواد الصوان فاذا لامستها الأجسام الحيوانية والنباتية نفذت إلى باطنها وتفرقت في هياكلها واتحدت بأجزائها اتحادا تاما فيصبح الجسم كالصخر وتسمى هذه بالمياه المحجرة وهي نادرة الوجود في العالم

فانظر كيف كان الماء جبالا وأنوارا وجبالا في القطبين ثم هو سماء زينت للناظرين وجمال يبهرا العاقلين وكواكب أشرقت على المسافرين وفيه قوس قزح والنجوم ذوات الأذنان وسهول مشرقات وغياض ناضرات وبهيجات أعدت للمسافرين ونور وجمال وأنس للصادرين والواردين ثم يكون سما للشاربين وشفاء للستفيين ولذة للشاربين وأنهارا وخلجانا للزارعين وسحبا وبردا وثلجا للناس أجمعين

﴿ اللطيفة الخامسة - أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - ﴾

هذه الآية أصل عظيم في علم النبات فان النظر الى الثمر وزهره هو الذي أنتج علم النبات كله وذلك لم يتم إلا في القرون المتأخرة على يد الأوروبيين . ذلك أن آبائنا وأسلافهم اليونان كان عامهم بالنبات أقل مما جاء في العصر الحاضر بالكشف وكانوا يقسمون النبات الى أشكال مختلفة باعتبارات شتى ولكن لم يقسموه باعتبار الثمر والذي اعتبر أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث محلا للتقسيم هم أهل أوروبا وذلك من معنى قوله تعالى - أنظروا الى ثمره اذا أثمر - فالنظر الى الثمر وزهره أنتج التقسيم

واعلم أن الزهرة كزهرة القطن مثلا يكون لها غلاف على لون الخضرة كلون الورق ويسمى هذا عند علماء النبات (كأسا) وغلاف في داخله ماون باللون الأصفر أو الأبيض أو الأحمر ويسمى (تويجا) تصغير تاج فكأنه لجماله تاج الملوك وفي داخل هذين الغلافين يكون التزاوج بين الذكران والاناث كما يكون بين الزوجين في أنواع الحيوان والانسان سواء بسواء . وترى في هذه الزهرة وفي غيرها كرات صغيرة ناعمة مستعدة لتصير بزرا متى لقحت كما جعل الله الاناث من أنواع الحيوان مواد فيها تنقلب حيوانا متى حصل اقتراب الذكران من الاناث وهذه الكرات دائما تكون في مركز الزهرة وهذا هو عضو التأنيث ويسمى عندهم (البستيل) وهذا البستيل عبارة عن ثلاثة أقسام

(١) المبيض وهو في القاعدة وفيه الاصول الخلقية القابلة للنمو وهو كالرحم والمبيض في الحيوان وقد يكون ذا مسكن أو عدة مساكن

(٢) وأنبوبة شعرية فيها بعض طول

(٣) والجزء العلوي وهو كفم لتلك الأنبوبة وذلك الفم هو الذي يقبل اللقح من عضو التذكير ويوصله الى المبيض بواسطة الأنبوبة المذكورة

وترى في هذه الزهرة القطنية وغيرها أيضا عضوا أو أعضاء أخرى محيطة بذلك (البستيل) أي عضو التأنيث وتكون غالبا بينه وبين التويج فاذا نظرت زهرة القطن مثلا فأول ما يلقاك كأسها ثم تويجها ثم عضو التذكير . وفي الوسط تماما عضو التأنيث الذي استعد لاستقبال اللقح من عضو التذكير الذي أحاط به التويج فتلك الورقات الجميلة الزهرية الملونة باللون البهيج في مختلف النباتات كأنها هيئة العرس والأفراح التي يقيمها الناس وملابس الزوج والزوجة أيام الزفاف مع الروائح العطرية التي تبهج القلوب وتشرح الصدور فهذه التي يصنعها الناس عادة ويزينون العروس بالبهجة والنضارة قد خلقها الله للذكر والأنثى من النبات وجعلهما في حلتين جميلتين أحدهما ملونة بأجمل الألوان وأبهها وأحسنها وأجلاها وهناك الروائح العطرية البهجة . وترى الحشرات طائفات يغنين كأنهن الموسيقي تصدح والغنيات يرففن العروس الى بعلمها والنسمات مطربات يرففن بالورق وتسمع حفيف الأشجار وتغريد الطياري وتري بهجة النجوم ونور الشمس المشرق والجمال والبهاء وكأن الدنيا في عرس وليس في مأثم إلا الانسان في أوروبا وآسيا وأمريكا فهؤلاء هم المقتتلون المتشاكسون المحجوبون أكثرهم عن هذا الجمال بالجهالة الشنعاء والحياة البلهاء

وعضو التذكير المذكور عبارة عن رأس مرتفع على حامل له وعلى الرأس المذكور غبار وهو ما يحصل به الالتصاق . وأعضاء التذكير غالبا تكون بحسب عدد أقسام التويج وهذه الأعضاء ان ساوت عدد أقسام

التوزيع كما هو الغالب فانها تكون موضوعة بين أجزاء التوزيع بازاء أقسام الكأس وان كانت أعضاء التذكير
ضعف أقسام التوزيع المذكورة كان نصف أعضاء التذكير موضوعا بازاء أقسام التوزيع والنصف الثاني
بازاء أقسام الكأس

وعضو التذكير إما واحد أو أكثر فيكون ذا ستة كالأرز أو عشرة كالترمس واللوبياء والفول وهكذا
وعلى ذلك يقال زهر أحادي أعضاء التذكير وثنائيا وثلاثيا إلى العشرين وبعده العشرين يقال كثيرها
والنبات ان اشتمل على أعضاء التذكير فقط سمي ذكرا وان اشتمل على أعضاء التأنيث فقط سمي أنثى
وان اشتمل عليهما معا سمي خنثى كالتاتوره والبنج وغيرهما

ويقال أيضا إذا كانت أعضاء التذكير والتأنيث في نبات واحد كما في الخروع وفصيلة القرع سمي ذا المسكن • وان
كانت أعضاء التذكير في نبات وأعضاء التأنيث في آخر سمي ذا المسكنين كالنخل • وان كانت أعضاء التأنيث
والتذكير وخنثى معا في نبات واحد كما في الخرنوب والسنت والتين سمي (مزوجا) اهـ

﴿ عجائب البزر ﴾

قد يكون للثمر بزر واحدة فيقال أحادي البزر أو بزر ثنائي البزر وهكذا إلى عشاري البزر ثم
ما زاد عن العشرة إلى نحو (٥٠) يقال له قليل البزر وما زاد على ذلك إلى نحو المئات والالوف يسمى كثير
البزر • ويخرج من ساق الدرة المسماة (بالهويجه) نحو ألفي حبة ومن عباد الشمس نحو (٤) آلاف
حبة ومن رأس الخشخاش نحو (٣٢) ألف بزر ومن ساق نبات الدخان (٣٣٠) ألف بزر وشاهد المعلم
(دو هامين) حبة شعير نبت منها (١٥٠) سنبلة تحصل من مجموعها (٣٢٠٠) حبة وشاهد المعلم (فلينيو)
حبة (زمير) نبت منها (٣٠٠) ساقا لكل ساق سنبلة

والعلماء يقسمون النبات باعتبار أعضاء التذكير أو أعضاء التأنيث أو البزور وهكذا • فانظر كيف داو علم
العلماء في عصرنا الحاضر حول ثمر النبات من زهره وبزوه لمعرفة علمه ومنافعه

كل هذا والمسلمون نائمون لا يدرون ماذا خلق الله في النبات ولا بماذا تعرف أقسامه ولا أي الطرق تسلك
في معرفة أنواعه وأصنافه • فلا عجب اذا ملك الفرنجة أكثر بلاد الاسلام لأن الله لا يسلم أرضه إلا للعاملين
فيها ولا يخرج نباته إلا للذين يفقهون ويعقلون وينظرون - إلى ثمره اذا أثمر وينعه - ويهرفون آيات
ربهم ويؤمنون بها • بمثل هذا يكون الايمان وبمثل هذا يكون الاسلام

أيها المسلمون • ألم يأن لكم أن تخشع قلوبكم لذكر الله وما نزل من الحق وأن تدرسوا النبات الذي خلقه
الله لكم • وكيف يقول لكم - أنظروا إلى ثمره اذا أثمر - وأنتم مغمضون • وكيف تنظروا أوروبا وأنتم
لا تنظرون أف لكم أيها المسلمون عار عليكم • ولعلكم تقولون ان الصحابة لم يدرسوا هذه العلوم أقول لكم
مالك ومال الصحابة رضي الله عنهم ولو كانت هذه العلوم في زمانهم لكانوا أسبق الأمم لها كما سبقوها بالفتوحات
ولكن القرآن جاء للناس جيلا بعد جيل وها هو ذا الوقت الذي استأهل لتلك العلوم قلبي للناس مقاصد القرآن
فيها ولنحدث المسلمين عليها • ولنبين لهم أيضا أن الله يغضب على الأمم التي تجهلها يغضب عليها لأنها لم تنظر
وبعبارة أخرى انها كفرت النعمة ولم تشكرها • أعطانا بلادا زراعية خصبة ونعما عظيمة فأغضنا الأعين
عنها • يا عجبا أيها المسلمون كان علينا أن نعرف هذه النباتات وننظر لثمرها ولولم يكن عندنا دين بل كان
العقل يدل عليها • فكيف بنا وقد جاء الدين فطلبها • دين وعقل معا يطلبان هذه العلوم • فكيف
أنمنا عقولنا وديننا • أفلا يغضب ربنا على الكافرين بنعمه • المنعمين الأعين عن موائده التي نصبها •
ونعمه التي نشرها • وهو الذي يقول - لنن شكرتم لأزيدنكم - وهذا هو الشكر الفعلي لا الشكر اللفظي
الذي يتلوه به الجهلاء وصغار العلماء - والله هو الولي الحميد -

هنالك قال لي صاحبي كيف تقول ان المسلمين يجاهلون هذه العلوم وبين يدي كتاب مصري ألف أيام المغفور له محمد علي باشا بمصر وفيه أن المعلم (لينيو) جعل أعضاء التذكير أساسا لتقسيم النبات والمعلم (تورنيفو) جعل التقسيم على صفات التوزيع والثمر ومدة حياة الجنع وفيه أن (لينيو) لم يفرق بين الأشجار والحشائش وأن الزهر يكون خنثى وأنثى وذكرًا وأنثى ذكرًا أو أنثى أما أن يكون ذا مسكن أو مسكنين أو كثير المسكن فقسم النبات الى (٢٤) رتبة وكل رتبة تحتها أجناس عالية والأجناس العالية التي يسمى الواحد منها جنس الأجناس أيضا تحت كل جنس منها أجناس وتحت الأجناس أنواع وتحت الأنواع أفراد أما المعلم (جوسيو) فقد قسم النبات الى قسمين عظيمين (الأول) يشتمل على النباتات التي لا برز لها (الثاني) يشتمل على النباتات البرزية أو الفلقية . والقسم الثاني يشتمل على النباتات البرزية ذات الفلقة الواحدة وعلى النباتات البرزية ذات الفلقتين

فأما القسم الأول من القسمين العظيمين فهى كالخشيش البحري ونحوه فإنه له حبوب صغيرة جدًا وأما القسم الثاني من القسمين العظيمين فإن ما كان منه ذا فلقة واحدة فهو كالنرجس والبصل والفلقاس والزنبق وقد تكون أزهار هذا القسم مجتمعة في طرف الجنع وأعضاء التذكير قد تكون (٣) أو (٦) ويندر أن يكون واحدا وأوراق هذا القسم يكون طولها أكبر من عرضها كالنخل وبرزته منحصرة في جسم واحد فلق

فأما النوع الثاني منه وهو ذو الفلقتين فبرزته تكون منحصرة في جسمين فلقين لحين . وهذا القسم يكون له كأس وتوزيع وأعضاء التذكير تكون خمسة فأكثر الى مائة

وهذه نبذة مختصرة من الأوصاف التي في الكتاب المشار اليه فبأدنى التفاتة يعرف الانسان النبات ذا الفلقة الواحدة والنبات ذا الفلقتين . فكيف تقول ان المسلمين مقصرون في هذه العلوم . قلت له هذا أكبر دليل على النقص فإنه نقل عن الفرنجة أيضا نعم هذا العلم كان يدرس في مصر ولما كان ذلك باعتبار أن الدين يطلبه وكان على علماء الدين أن يفهموا الأئمة أن هذا العلم مطلوب كالصلاة والزكاة والصيام والحج وأن قوله تعالى - أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - يوجب هذا العلم في الاسلام الذي يبلغ (٣٥٠) مليون نفس أو أكثر وهذا هو الذي يجب على علماء الاسلام في مستقبل الزمان - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -



(رسم الزهرة - شكل ٥) يقع من الانثى على السمة في أعلى المدقة فيلقح بذورها في المبيض بأسفل المدقة . ثم ان اختلاف

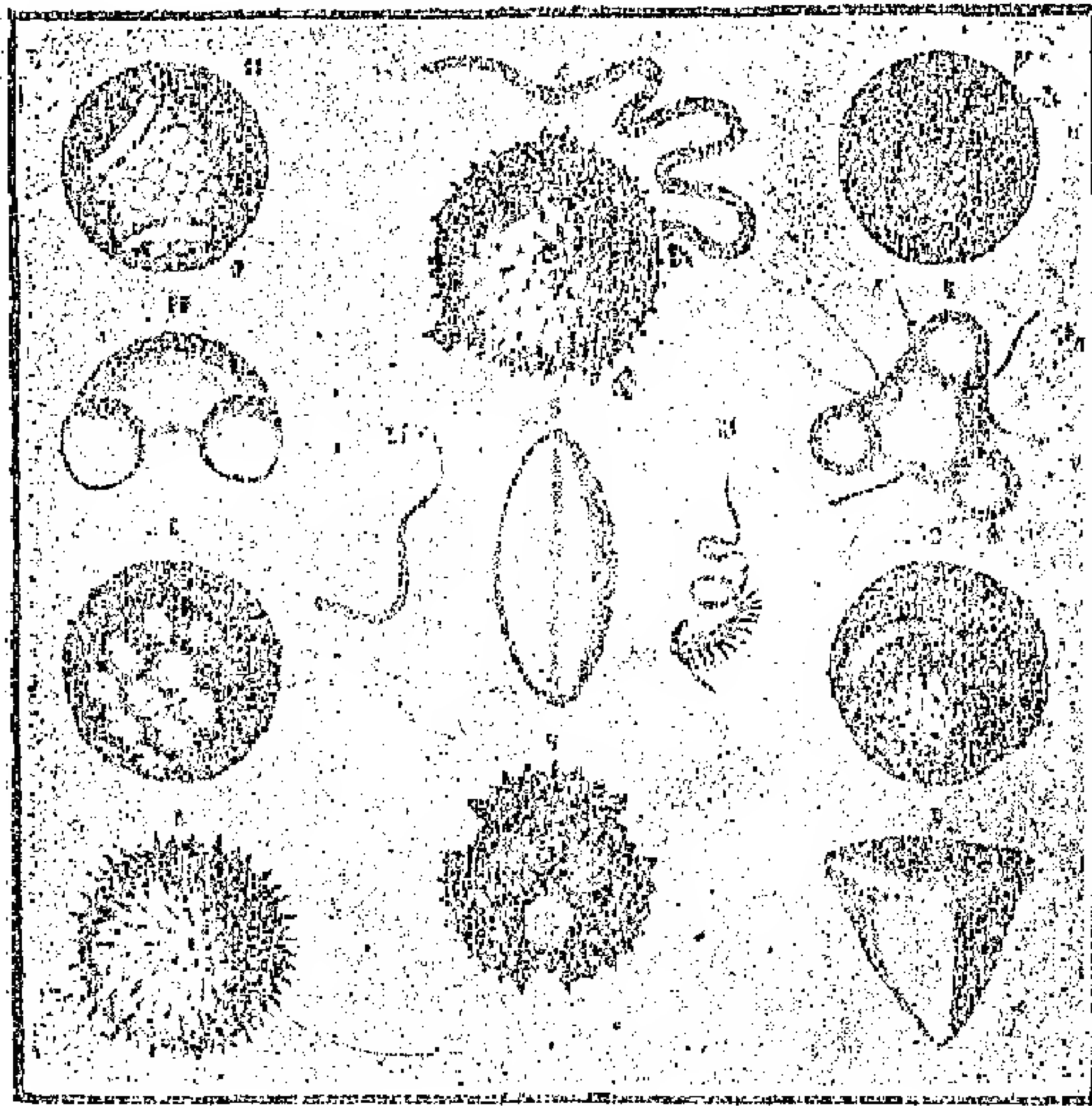
المدقات والاسديت والسبلات والبتلات أى أعضاء التأنيث وأعضاء الذكور وأوراق الكاس وأوراق التويج
أفراداً وأزواجا وقلة وكثرة ووضعها واختلافها وانفاقا

أقول ان هذا الاختلاف به يمتاز النبات وبه تميز جميع النباتات التى تعد بالمئات • إذن الزهرة مفتاح
علم النبات • مفتاح دوسن واحدة وسنين وثلاث وما فوقها • هذا هو مفتاح علم النبات الذى يشير له قوله
تعالى - أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - وقد ذكرها صريتين فى هذه السورة وهذا سر من أسرار القرآن
أسمى الله المسلمين بالنظر الى الثمر والنظر الى الثمر يطلب النظر الى الزهر الذى هو أصله - فهذا مفتاح
آخر للعلوم لا مفتاح علوم العربية • فهذا مفتاح أيضا من مفاتيح العلوم • أما الله فعنده مفاتيح الغيب وهذه
مفاتيح العلوم ألقاها الينا امتحانا واختبارا

﴿ أشكال هندسية فى الطلع المخوق فى الأزهار ﴾

ذكرنا فيما تقدم أن الغبار الذى يسمونه (البلن) هو الذى به يكون لقح الاناث فى الزهرة وهى السمة
التي فى أعلى المدقة ثم ينزل ذلك الغبار الى المبيض بأسفل المدقة وهناك يكون الثمر الذى أمرنا بالنظر اليه
إن من ينظر لهذا الغبار يظنه لا شكل له بل هو كالدقيق • ولكن العلماء وجدوا بالبحث بالآلة العظيمة
(المكروسكوب) أنه على أشكال هندسية جميلة مختلفة باختلاف النبات بل أشكاله جعلت قاعدة لتقسيم
النبات أيضا

﴿ أنواع البلى وأشكاله ﴾



(رسم البلى - شكل ٦)

(المقصود الرابع)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ نَهَىٰ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ *
 وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَتَذَكَّرُوا * وَإِتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ
 رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
 حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا
 بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا
 يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَتَقَلَّبُ أَفْئِدَتُهُمْ وَابْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
 عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ *
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
 الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيُقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ
 الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ
 رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ
 إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ * فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا
 تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ
 وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ * وَذَرُوا ظَاهِرَ الْأَيْمِ
 وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ
 اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
 إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ

مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *
 وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
 رِسَالَتَهُ سِيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ * فَمَنْ
 يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
 كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ
 مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
 أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ
 مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ
 بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
 عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ
 وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ * وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ
 ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ
 آخَرِينَ * إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ لَا تِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي
 حَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ *

﴿ التفسير المنطقي ﴾

يقول الله ها أنتم أولاء قد رأيتم النبات واختلافه بأعضاء التذكير وأعضاء التأنيث وأن منه الذكور
 ومنه الاناث ومنه الخنثى ومن هذا كان تقسيم النبات الى رتب وأجناس عالية وأجناس ثم أنواع ثم أفراد
 فأنا المتنوع والخالق للذكور والاناث فكيف تقولون ان لي بنات والذي يلد انما هو المخلوقات لا الخالق
 فالمخلوقات متنوعة والخالق لا يتنوع ولا يتغير • فكيف يقول العرب ان الملائكة بنات الله فيعبدونها •
 ويقول اليهود عن ابن الله • والنصارى المسيح ابن الله • وكيف تجعلون لمن ينظم هذه المخلوقات من
 الأضواء والظلمات والنجوم والنبات والحيوان كما في الآيات السابقة شركاء فيقول الصابئون منكم أيها الناس
 نعبد الملائكة • ويعبد جهلة العرب وغيرهم من الصابئين المتأخرين الأصنام بوسوسة الشيطان لهم واذا أنتم

اتبعتموه في وسوسسته فقد أشركتم الشيطان مع الله . وكيف يقول الثانوية منكم إن الله يخلق الخير
والشيطان يخلق الشر وأتم إذا فكركم فيما ذكرنا في الآيات السابقة علمتم أن الخير والشر مني لا من خالق
وهذا هو قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) لله شركاء هما منفعولا جعلوا والجن بدل من شركاء والجن
يشمل الملائكة لا جنتهم أي استتارهم وهذا يشمل آراء الصابئين في عبادة الملائكة والعرب في قولهم انهم
بنات الله . والثانوية في أن الشيطان يخلق الشر الخ ما تقدم (و) قد (خالقهم) وهل من يخلق كمن لا يخلق
(وخرقوا) افتعلوا وافتروا (له بنين وبنات) فالبنون عند اليهود والنصارى والبنات عند العرب (بغير علم)
من غير أن يعلموا . وهنا أخذ يؤكد الحجة ثانيا فقال (سبحانه وتعالى) تنزيها له وتعالى (عما يصفون)
أي عما يصفونه به من الكذب والافتراء وكيف يصفونه بذلك وهو (بديع السموات والأرض) مكوّنهما
على غير مثال سبق (أني يكون له ولد) أي من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد
(وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وإذا خلق كل شيء فهو الذي نوعه وشكاه إلى ذكر وأني ويتفرّع منهما
فروع كثيرة والاله يستحيل عليه التكثير ومن ذا الذي يحكم عليه بهذا التنوع والولادة ثم إن الولد يقوم مقام
الأب عند فقده ويكون قائما مقامه فالحاجة هي التي أوجبت الولد والله دائم فكيف يحتاج إلى الولد وأيضا
انه يعلم كل شيء فهو ينوعه ذكرا وأنثى ويحكم عليه بذلك ولا حكم لأحد على الله ولا يحيطون به علما (ذلكم)
الموصوف بما سبق (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) هذه أخبار بعضها بعد بعض وإذا كان متصفا
بهذه الصفات (فاعبدوه) ولا تعبدوا الشيطان والأصنام والملائكة (وهو على كل شيء وكيل) أي متولى أموركم
فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح ما ربكم (لا تدركه الأبصار) المركبة من مواد أرضية لأن الله ليس مادة
ولا جسما وأبصاركم وأبصار الحيوان قاصرة على رؤية الأجسام وانما ترونه بعيون غير جسمية إذا صفت نفوسكم
ولطفت عقولكم وتأهلت لرؤيته بذلك العيون التي لم تخلق وإذا كان الجن والشياطين لا ترونهم والملاك إذا
نزل إليكم كما في أول السورة ينزل في صورة رجل قال تعالى - ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون - فالله أجل من الملائكة فهو أولى وأحق ألا يرى بأبصاركم وإذا كانت الجن جاء فيها - انهم يرونكم
من حيث لا ترونهم - فبالأولى يكون الله عز وجل خالق الجن وخالق الملائكة وقد جاء في الكشف الحديث
كما ذكرناه أول السورة ما يناسب هذا وأن الأرواح المملكية والشيطانية لا ترى إلا إذا استعارت من جسم الوسيط
مواده فظهرت بهيئة الروح التي كانت عليها في الدنيا (وهو يدرك الأبصار) ويحيط بها علما كما يحيط بكل
شيء (وهو اللطيف) فلا تدركه الأبصار (الخبير) فيدرك الأبصار . ولما كان هذا المقام أدلته علمية طبيعية
وقد استوفى البحث فيه أعقبه بقوله (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر
للبدن (فمن أبصر) الحق فآمن به (فلنفسه) أبصر (ومن عمى) جهل (فعلمها) على نفسه عمى (وما أنا عليكم
بحفيظ) بربيب أحصى أعمالكم وأفعالكم وما أنا إلا رسول . ولما كان من عادة القرآن أن المقام إذا كان
مستوفى البيان أعقبه بما يدل عليه قال (وكذلك نصرف الآيات) أي ونفصل الآيات في كل وجه كما
صرفناها وبينناها من قبل لتلزمهم الحجة (وليقولوا درست) اللازم هنا لام العاقبة أي ليقولوا قرأت على غيرك
يقال درس الكتاب إذا أكثر قراءته . وكان أهل مكة يقولون تعلمت من يسار وجبر (وكانا عبدين من
بنى الروم) ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله أو تعلمت من اليهود ولما كان القرآن نزل ليضل به كثير
ويهتدي كثير وقد ضل من قالوا درست أعقبه بالمهتدين به فعطف على قوله - وليقولوا درست - قوله
(ولنبينه لنوم يعلمون) أي لنبين الآيات باعتبار المعنى أول القرآن وإن لم يذكر لكونه معلوما وملخصه انه يضل
به قوم ويهتدي به آخرون ثم قال (اتبع ما أوحى إليك من ربك) بالمتدين به (لا إله إلا هو) جملة اعتراضية
(وأعرض عن المشركين) ولا تلتفت إلى آرائهم إلى أن يأتي لك الأمر بالقتال . ولما كان دين الاسلام من

قواعده الايمان بالقضاء خيره وشره من الله مع وجوب استعمال العقل في جميع الأحوال الممكنة ثم ينال النفس
لنخرج الى عالم القدس وكان من فضائل هذه العقيدة أنه اذا تعسر أمر ولم نجد حيلة لتحصيله فوضنا الأمر
الى الله لتسير النفس وتجد فيما تقدر عليه ولا تتقطع أسفا وحسرة على تفريطها وهي غير قادرة على شئ أردفه
بما يسهل الأمر على رسوله تسليته له فقال (ولو شاء الله ما أشركوا) فلا تحزن عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظا)
رقيبا (وما أفت عليهم بوكيل) تقوم بأمرهم • ولما كان من الاعراض عنهم أن لا يسبوا آلهتهم قال تعالى
(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أي لا تذكر آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله
عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة وقد كان المسلمون في صدر الاسلام يسبون الأصنام
وكان الكفار يردون عليهم فنهاهم الله عن ذلك وهم ضعفاء وفيه دليل على أن الطاعة اذا أدت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر وكما زينا هؤلاء المشركين عبادة الأصنام زينا لكل أمة عملهم
من الخير والشر على حسب استعدادهم لأننا وضعنا كل أناس في صراطهم التي يستحقونها فاذا كفر قوم
ونحن أردنا ذلك فما كان كفرهم الذي أردناه ظلما لأننا نظمنا الملك وجعلنا فيه درجات كالحيوانات والنبات
وهي درجات بعضها فوق بعض • هكذا هؤلاء كفروا لأنهم لم يصلوا للاستعداد لتلقى الايمان كما لم تصل البهائم
لدرجات الانسانية ولم تصل الأطفال لدرجات الرجال فلو كان كفرهم ظلما منا لكان أغلب أعمالنا ظلما فلا
يكون في الأرض حيوان ولا نبات ولا صبيان ولا عصاة بحجة أن غيرها أفضل منها وهذا هو قوله (كذلك
زينا لكل أمة عملهم) وعلى ذلك يجعلهم بعد الحياة في المراكز التي استعدوا لها (ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون) ولما كانت منزلة هؤلاء لا تسمح لهم بالتعقل والكبرياء حجاب مانع لهم من الفهم
اقترحوا عليك الآيات وخوارق العادات وقالوا لك اجعل لنا الصفا ذهابا وابعث لنا بعض موتانا فسأله عنك أحق
ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك عيانا فنزلت الآية الآتية قائلة إن الآيات التي كانت تنزل على الأنبياء
السابقين كهيسى وموسى من ضرب الحجر بالعصا فينبع ماء واحياء الموتى وما أشبه ذلك لا يرقى العقول الانسانية
ولا برفع الانسانية إلا التعقل والتفكير كما أنزلنا في هذا القرآن وهذه الأمم كانوا بعد الايمان يريدون اذا شاهدوا
ما هو حسن في نظر أعينهم • فأما العقل فهو المرشد الحكيم كما حصل في سحرة فرعون إذ آمنوا بموسى لما
عرفوا أن حاميهم فوق طاقتهم • فأما الجهلة وهم بنو اسرائيل فانهم لما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم قالوا
يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون • فهكذا هنا اذا أنزلنا آيات كهذه لا تنفعهم وانما
نريد أن نجعلهم علماء لا يرتدون عن دينهم متى شهدت عقولهم كسحرة فرعون وهذا هو قوله (وأقسموا
بالله جهد أيمانهم) أي جاهدين في الاتيان بأوكيد الايمان (لئن جاءتهم آية) مما اقتروه (ليؤمنن بها قل
انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شئ منها بقدرتي والله منعه عنكم حتى يكون
ايمان من يؤمن مبنيا على العقل لا على حاسة البصر (وما يشعركم) أي وما يدريكم استفهام انكار (انها)
أي الآيات المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها كما حصل في الأمم السابقة كما في سورة أخرى - وما نرسل
بالآيات إلا نخوفها - (ونقلب أفئدتهم) عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم عن
الحق فلا يفقهونه (وأبصارهم) فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) أي بما أنزل من الآيات (أول
مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) ونذعهم متحيرين لانهم لم يهتدوا بهداية المؤمنين لأننا وضعناهم في صراطهم
فلا يتجاوزونها (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى) كما اقترحوا فقلوا - لولا أنزل علينا الملائكة -
وقالوا - فانتوا بآبائنا - (وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) أي وجعلنا عليهم كل شئ من الطيور والدواب مقابلة
ومواجهة أو قبيلة قبيلة • وقرئ - قبلا - أي كفيلا بما بشروا به وما أنذروا به (ما كانوا يؤمنوا إلا
أن يشاء الله) إيمانهم لأن المدار على الاستعداد وأيضا الامور المحسوسة لا ثبات لها بخلاف العقلية (والكن

أكثرهم يجهلون) مثل هذه الحكم فلا يجهلون أنهم أو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهل أيانهم على ما لا يشعرون وهذا على حسب الاستعداد

ثم أخذ يعزى رسول الله ﷺ بما أصاب الرسل فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من الجحدين) أي كما جعلنا لك هؤلاء أعداء جعلنا لكل نبي سبقتك عدوا لأن هذه البلاد دار جهاد وعلى مقدار العدو يكون الارتقاء فلا داعي إلا ناله من الأذى على مقدار مقامه في العمل والدعوة ثم أبدل من قوله عدوا (شياطين الانس والجن) أي مرادة الفريقتين (يوسى بعضهم إلى بعض زخرف القول) يوسوس بعض الانس إلى بعض وبعض الجن إلى الجن وإلى الانس الأباطيل المموهة من زخرفه إذا زينه (غرووا) أي لأجل الغرور (ولو شاء ربك) أيمنهم (مافعاوه) أي مافعاوا معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف وانما كان الشياطين من الجن ومن الانس مدفوعين إلى ذلك بعوامل الفطر المتروسة فيهم ولا ريب أن الأرواح الشريرة تسمع ما يقول الناس في هذه الدنيا وقد جاء في علم الأرواح حديثنا أن الأرواح البشرية الناقصة التي هي أشبه بالجن تستمع للكلام الذي يقوله الناس بل هي محجوبة عن العالم الأعلى فتكون عتوقها أقرب إلى أهل الأرض الأحياء فتتهدى وتؤمن وتكفر كالناس الأحياء فصارت الأرواح الجاهلة كالأحياء الجاهلين والذي أرسل الطائفتين ومثل هذا القول عامه سماعى ليس للعقل فيه دخل ولكن العلم الحديث الروحى جاء بتصديقه كما سيأتى في آخر هذه المباحث والحق أن مثل هذا لا يعرف إلا بالعلوم الحديثة فأما بغير ذلك فانها سماعية وليس عليها دليل إلا السمع فقراءة العلوم الحديثة الروحية وغير الروحية أمر حتم على المسلمين النائمى على ظهر هذه الأرض وقد أئذرت وحذرت - إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله - قال (فسندهم وما يفترون) أي وكفرهم وعطف على غرورا فيما تقدم قوله (وانصنى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لغير بعضهم بعضا ولنصنى الخ (وليرضوه) لأنفسهم (وليقترفوا ما هم مقتربون) أي وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام ولما انتهى الكلام على دحض ما اقترحوه وبيان ضلالهم وغرورهم شرع يذكر أن الله هو الحكم بينى وبينكم وأن القرآن كاف لتعقوا ما فيه من العلم والارشاد فقال (قل) يا محمد لهم (أفغير الله أبتغى حكما) أي أطلب من يحكم بينى وبينكم (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) أي القرآن مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس فأما الآيات التي اقترحوها وهي حسية ففيها التخليط والالتباس ولا تفيد يقينا فلذلك منعناها لأننا نريد أنما تكون أرقى من الأمم السابقة لاسيما اننا بعثنا محمدا ﷺ آخر رسول في الأرض ومن أراد أن يعرف الاسلام فليطلع على الكتب الدينية أو الكتب العلمية التي تظهر دقائق الكون فهؤلاء متى عرفوا حقائق تلك الكتب آمنوا بالقرآن وهذا قوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وأهل الكتاب هنا هم من اليهود والنصارى بل أعم من أهل الكتب السماوية لأن اللفظ عام وانما عممنا لأن شهادة العلوم المصرية كثيرة جدا والكشف الذى ذكرناه في هذا التفسير يعد بالشعرات ولم يكن كثير منه معروفا عند الأمم السابقة فقراءة العلوم اليوم في الشرق والغرب تورث الايمان بالقرآن كقراءة المتدينين الكتب الدينية التي فيها ذكر النبي ﷺ كأنجيل برنابا الذى يطارده الفرنجة وقد أصرها باحراقه في ديارنا المصرية وذلك لأنهم كانوا قابضين على زمام الامور في هذه السيار (فلا تكونن) أيها الانسان السامع لهذا القرآن (من الممترين) الشاكين في أنه منزل من عند الله تعالى (وتمت كلمة ربك) القرآن بالأمر والنهي (صدقا) في قوله (وعدلا) منه (لا تبدل) لا مغير (الكلمات) القرآن ويقال تمت ووجبت كلمة ربك بالنصر لأوليائه صدقا في قوله وعدلا فيما يكون لا مبدل لا مغير لكلماته بالنصر لأوليائه (وهو السميع) لمقاتلهم (العليم) بهم وبأعمالهم

ثم أتى بقاعدة عامة تشمل جميع أهل الأرض فقال ان الكوكب الذى تعيشون فوقه من العوالم التي

في درجة منخفضة وأهلها ليسوا كامليين وإنما أرسلناك إليهم لتصلح من شأنهم فقال (وان تطع أكثر من في الأرض يضارك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الفارق) وليسوا على بصيرة ومنهم هؤلاء الكفار الذين يقلدون آباءهم (وان هم الايخرون) يكذبون لبعدهم عن الحقائق . ولقد خلقناهم وعلمنا مقدار استعدادهم فنجعل كل في صيرفته التي استعد لها (إن ربك هو أعلم) (من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) فقوله من يضل مجرور بباء وهما متعلقان بأعلم ودل عليها الباء في قوله - بالمهتدين - وهي نظيرتها ويصح أن يجعل من منصوبا بفعل محذوف أي يعلم الخ لأن الفعل لا ينصب الظاهر

ثم أخذ يذكر نتائج افكار اتباع هؤلاء كأكثر أهل الأرض لجهاشهم فأمر بأكل ما يذبح مقرونا بذكر اسم الله على ذبحه ولم يبح مخالفة ذلك إلا لضرورة كما تقدم صراحا ثم عظم الأحكام فأمر بترك كل إثم ظاهر وباطن لتخلص النفوس من ظلمة هذه الدنيا وخص الكلام على تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه ليقطع العادات الوثنية ووصفه أنه فسق وأفاد أن قوما من الكفار يوسوس بعضهم إلى بعض ليتعاونوا على محادلتكم فأياكم ومطاعوهم . وهل يستري الفريقان فريق كان ميتا فأحييناه وفريق لا يزال في الظلمات يتخبط في ديجورها . وهذان الفريقان سائران على مازيناه لهم فريق المؤمنين الذي أحييناه وفريق الكافرين الذي أبقيناه في الظلام فكل يعمل على شاكلته وربك أشم بمن هو أهدي سبيلا

ثم أبان ذاء الأمم العصال وهم الرؤساء وعظماء الأمم فأفاد أن هناك قاعدة عامة وهي أن كل قرية وأمة قد صيرنا مجرميها أكابر فيحدثون فيها المكر وسوء الخلق والخلاعة والفسوق والمشل السوء والناس تبع لهم وكل ذلك وباله واقع عليهم فان من سن سنة سيئة فعلية وزرعا ووزر من عمل بها والناس يحاسبون على مقدار ما عندهم من قوة وقدرة ومن اجرام هؤلاء الذين هم أعداؤك أن يقول بعضهم كأبي سفيان ابن نؤمن لك حتى يرحي السنا كما أوحى إلى محمد وسائر الرسل . وكيف يكون ذلك والرسالة إنما تكون لمن هم لذلك مستعدون ولا جرم أن مثل هذا استكبار وتعظيم والعقاب عليه بضده وسيصيب هؤلاء المجرمين صغار وذلة وعذاب شديد

وختم هذا المقام بأن مسألة الايمان ترجع الى شرح الصدر ومسألة الاضلال ترجع الى ضيق الصدر والرسالة استعداد والايمان استعداد والاضلال استعداد والله هو المحدث لذلك وعلى الناس الجهد والبحث والتنقيب والجزاء يكون على مقدار الأهمال وهذا هو قوله (فكلموا عما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين * وذروا ظاهر الاثم وباطنه إن الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يفترون * ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه فسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعموهم انكم لمشركون * أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يذكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون * واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرهوا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون * وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) تفسير هذه الآيات ظاهر ولكن لابد من بيان بعض الكلمات فقوله - وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه - أي وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه وقوله - إن ربك هو أعلم بالمعتدين - بالمجاوزين الحق إلى الباطل أي فيجازيهم وقوله - ظاهر الاثم

وباطشه - مايعان ومايسر وما بالجوارح وما بالقلب وقوله - يكسبون الاثم - أى يكسبون الذنب وقوله - ولأننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه - مذهب داود أن متروك التسمية حرام - وقال الشافعي لا يحرم مطلقا - وأبو حنيفة قال ان ترك التسمية همدا لا يحل - وان تركها ناسيا تحل - وأحمد ورد منه روايتان فيمن ترك التسمية همدا ومن تركها ناسيا حلت له وقوله - وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم - قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فنزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتله البكاب والصقر حلال وماقتله الله حرام وقوله - وان أطعموهم - أى فى أكل الميتة وقوله - أو من كان ميتا فأحييناه وجعلناه نورا يمشى به فى الناس - ميتا أى كافرا فأحييناه أى هديناه وأرشدناه للعمل الصالح وقوله - مثله - أى صفته وهو مبتدأ خبره قوله - فى الظلمات - وقوله - ليس بخارج منها - حال من الضمير المستكن فى الظرف وقوله - وكذلك جعلنا فى كل قرية الخ - أى كما جعلنا فى مكة - مجرميها أكابر ليمكروا فيها - صيرنا فى كل قرية مجرميها أكابر وقوله - واذا جاءتهم آية الخ - * روى أن الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لأنى أكبر منك سنا وأكبر منك مالا * وروى أن أبا جهل قال زاجنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرى رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحى كما يأتيه وقوله - الله أعلم حيث يجعل رسالته - حيث مفعول به والعامل مخذوف والتقدير يعلم موضع رسالته ولا موضع النفوس مشرقة بالفضائل ولا دخل للنسب ولا المال

ومعنى - يشرح صدره - يفسحه فيتنسج لقبول الهدى وقوله - ضيقا حرجا كما يصعد فى السماء - أى ينبو عن قبول الحق ومن ضيق صدره كأنه يزول ما لا يقدر عليه من صعود السماء فيكون الايمان متمنا عليه امتناع صعود السماء وقوله - كذلك يجعل الله الخ - أى كما يضيق صدره يجعل العذاب أو الخذلان عليهم وقوله - وهذا - اشارة الى البيان المتقدم من الخذلان والتوفيق - صراط ربك - الطريق الذى ارتضاه أوعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته - مستقيما - لا عوج فيه أوعادلا مطردا وهو حال مؤكده وقوله - قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون - فيعلمون أنه هو القادر وأن ما يحدث من خير وشر فهو بقضائه وقدره وأنه عالم بأحوال العباد وقد وضع كلا فى مركزه لحكمته التامة * ثم بين أن هؤلاء الدين يذكرون (لهم دار السلام) أى لهم دار السلامة من المكروه ومن كل آفة (عند ربهم) فى ضمانه أودخيره لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهى الجنة وأعلاها أن يكونوا - فى مقعد صدق عند مليك مقتدر - ويكونون وجوههم ناضرة الى ربها ناظرة ويرون مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الجمال الفائق والحسن الناضر والبهجة والاطلاع على العوالم العالوية واشراق شمسها وبهجتها فيسكرون بخمرة العلم وهم فرحون مغبوطون ثم قال (وهو وليهم) مواليهم وناصرهم (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم ثم أخذ يشرح حال الشياطين من الانس والجن * ولقد أظهر علم الأرواح فى الكشف الحديث أن الأرواح الشريرة توسوس لأمثالها من الأحياء بما يناسب طبائعها ويؤلفهم ويودون أن يكونوا على طرائقهم وأهل العلم والفضلاء يعطون الأحياء ارشادا وتعلما نافعا كما كانوا فى الدنيا وعلى ذلك يكون الفاسقون الميتون من البشر ملحقين بالجن فى الوسوسة والصالحون الميتون ملحقين بالملائكة فى الإلهام * وهذا الكشف الحديث الذى ملأ أصدىكا وانكثرا وفرنسا وإيطاليا وجميع بلاد العالم ماعدا المسلمين هو الذى به يكون تفسير القرآن

فيا عجب كيف أصبح ما كان سماعيا فى الاسلام محسوسا ملموسا * يا عجب كيف يقول الله تعالى - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وقد سمعت أيها الذكى فى هذا التفسير من علوم الآفاق كعلم طبقات الأرض وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلك العجيب فهناك أسمعتك من علم الأنفس الذى عرفه جميع العالم إلا المسلمين حتى اذا جاءت الآيات السابقة وجدها منطبقة عليه تمام الانطباق

لقد جاء في كتاب الأرواح الذي نقلت فيه (قبل هذا التفسير) عن علماء أوروبا كثيرا مما جاء في الجمعيات النفسية أن علماء تلك الجمعيات سألوا روحا أحضروها بالوسيط وألقوا عليها أسئلة منها : ماذا يقصد الروح الشرير بظهوره لانسان ما فكان الجواب يقصد ازواجته أو الانتقام منه . وسئل ماذا يقصد الروح الصالح بتجليه فأجاب يقصد تعزية من يبكي على فقده وأثبت وجوده وبذل النصيحة لمن يحبه أو طالب الاسعاف لنفسه وهناك قال الروح الذي وجهت اليه أسئلة كثيرة ما يفيد أن الأرواح تحيط بالناس من كل جانب وأن رؤيتها تعرقل مساعي الناس في أعمالهم فلذلك لم تجعل رؤيتهم عامة الخ وهناك ذكر ما يناسب هذا من الاحياء (في الجزء الثالث صفحة ٢٩) وهو أن خواطر الخير بالهام الملائكة للمستعدين لذلك الاطام وأن خواطر الشر من الشياطين والقلب بينهما وهناك ذكر الحديث الآتي (في القلب لثان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى وليحمد الله تعالى ولته من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم -

ولقد جاء في هذا الكتاب وفي كتب أخرى كثيرة كالتى ألفها صديقنا (محمد فريد وجدي) أن الناس في أوروبا وأمريكا يجلسون ويحدثون الأرواح بطرق معروفة عندهم كما تقدم في (سورة البقرة) ويلقون اليهم أكاذيب وحكايات خيالية مادام المحدثون من الانس من الأنفس الناقصة وان الذين يكلمونهم من الأرواح يكونون على مقتضى مذاقهم وأخلاقهم وأن الأرواح العالية لا تخاطب النفوس الناقصة وأن الناقصة تألف الناقصة وينسخ بعضها ببعض وأن بعض الأرواح الشريرة تألف الناس وتسمع نصائحهم وتفهم أقوالهم لتعلقها بالأرض ومن فيها وعلى ذلك يكون العلم الحديث تفسيراً فعلياً للقرآن وتكون سورة - قد أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا الخ - قد أصبحت مكشوفة واضحة ظاهرة وأن ايمان الجن أصبح من اليقينيات لا من المسموعات وأنا أقول سيقراً هذا القول من الناس متكبر مرء فيقول كيف نصديق اختراعات نقول له القرآن جاءنا فسمعناه والعلم في أوروبا جاء به هذا حتى أصبح مشتهراً على أيدي ملايين بل مئات الملايين من الناس وفيهم فلاسفة وعلماء وهو مطابق مطابقة تامة لكتابنا المقدس . فاما أن نقول ان هذا وعد الله بأن يرينا آياته في أنفسنا كما سمعناها بالقرآن واذن يصبح هذا القرآن يقيناً أى على مقتضى العلم لا بمجرد التسليم . واما أن نقول نشك في كلامهم واذن يجب البحث كما بحثوا وقد تقدم هذا مشروحا في البقرة فارجع اليه ان شئت . واتى أعتقد أن هذا التفسير سيفتح باباً للزعم الاسلاميه يدخلون منه الى علوم أم الأرض قاطبة ويخرجون من ظلمات الجهالة الى حظيرة نور العلم والعرفان والله هو الموفق الهادي الى طريق الصواب

اذا عرفت هذا فهت قوله تعالى (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعا) الضمير لمن يحشر من الجن والانس فنقول (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) أى من اغواهم لأنكم لتقربكم من أخلاقهم وألفكم عوائد أهل الأرض وبعدم عن العالم العاوى توسوسون لهم وتجذبونهم الى أخلاقكم . ومن عجب أن علم الأرواح قد جاء فيه أن الأرواح العاوية لما سئلت . هل يمكن التخلص من الوسوسة فأجابت نعم ذلك لا يكون إلا للنفوس الراقية فى الأرض عندهم وقليل منكم من هو راق . والنفوس العالية عندهم لا تجسر الأرواح الشريرة على الاقتراب منها وهذا قوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - فاستكثر الجن من اغواء الانس انما يكون فى الطبقات الجاهلة الفاسقة فيحشرون معهم لأن أرواح الأحياء اذا ماتت لا تجد مكاناً إلا مكان أمثالها من الأرواح المنحطة وهى التى كانت توسوس لهم من أرواح الجن (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم (ربنا استمع بعضنا لبعض) استمع الانس والجن والأرواح الشريرة المناسبة للأحياء بأن دلوهم

على الشهوات التي كانت تلك الأرواح تقتربها في الدنيا لأن الإنسان إذا عجز عن شهوة أنس من يتعاطاها كما ترى ذوي الشهوات يحبون النظر لمن يتعاطونها إذا عجزوا عن اتباعها استرواها لفعل المراقبين في الأخلاق والعادات والأحوال والنفس لا تألف إلا أمثالا ولا تحب إلا من على شاكلتها وتهوى أن ترى من يوافيها ويشاكلها . فهؤلاء يقولون - استمتع بعضنا ببعض - (و بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) بالبعث (قال النار مشواكم) منزلكم أودت مشواكم (خالين فيها) حال (إلا ما شاء الله) أي يخلدون في عذاب النار أبدا إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير إلى عذاب الزمهرير (إن ربك حكيم) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه (علم) بأعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) أي نكمل بعضهم إلى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم ويكونون قرناء في العذاب كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي . ثم خاطبهم خطابا عاما فقال (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) وقد اختلف المفسرون أمن الإنس الرسل أم منهم ومن الجن خلاف أطال فيه المفسرون والعلم الحديث طابق الآية مطابقة تامة وهو أن كثيرا من الأرواح الموسوسة للناس ملحقه بالجن لأنهم على شاكلتهم في الشر فيوسوسون للناس كما توسوس الجن . ومعلوم أن هذا الفريق من الأرواح كانوا في الأرض ومنابهم التي كانوا عليها قد ثبتت في أذهانهم فهي لا تفارقهم فيوسوسون بها - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى - فتبقى عقابهم راسخة فيوسوسون بها وبعضهم قد يسمع نصح أهل الأرض وهو في حال الموت فيثقل الشرور والفساد في أعماله وبهذا يفهم قوله تعالى - ألم يأتكم رسل منكم - فاذن جميع الأنبياء يسمعونهم الجن والإنس وفي الجن قوم ربما ينتفعون بما يسمعون كما في آية - قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن الخ - فأندروا قومهم وهذا القول قبل العلم الحديث ما كان العقل يصدق ويقر به بل يراه من الأمور البعيدة عن العادة فتعجب من القرآن كيف أخبر بما لم يكن معروفا فأصبح اليوم معروفا مشتهرا إلا عند المسلمين فهم وحدهم الذين لا يهابون الا قليلا منهم وهؤلاء يعرفون أن قوله تعالى - ألم يأتكم رسل منكم - قد طابق العلم الحديث (يتصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على أنفسنا) كما يقول الناس اليوم حينما تحتل دولة أجنبية بلادهم نحن مفرطون مذنبون جاهلون وكما يقول الفساق لقد أضعنا حياتنا في فسوتنا . ويقول الذين ابتلوا بشرب الخمر والتدخين لقد قتلتنا عاداتنا السيئة القبيحة هكذا عذاب الآخرة ما هو إلا نتائج للعادات والأخلاق والأحوال المكتسبة ويقال فيها ما يقال في الدنيا فيشهد الناس على أنفسهم (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) ولما كان من عادة الله في خلقه ألا يجعل الأمور طفرة بل يأتي لها بمقدمات كالمرض مثلا يتقدم الموت والرياح تتقدم المطر وكذلك البرق يستمد الناس هكذا لم يشأ أن يترك القرى وشأنها فلا بد من ظهور نابغين فيهم اما بالحكمة والعلم واما بالنبوة ولذلك قال (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من بعث الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) هذا تعاميل للحكم المتقدم أي لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعاهو وهم غافلون لم ينبهوا برسول أولم يكن ربك مهلك القرى بظلم منه وهم غافلون وإذا كان الله أرسل الرسل فقد اتقى الظلم (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من أعمالهم (ومار بك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل (وربك الغني) عن العباد والعبادة ولكنه جعل ذلك ترقية للناس ليخلصهم من المادة وهو (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتحليل (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدهم ما يشاء) ممن يصلحون لسكنى أرضه وقد حصل ذلك فقد زالت أمم ودول كأهل أمريكا الأصليين وغيرهم (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي قرنا بعد قرن (إن ما توعدون) من البعث وأحواله (لآت) لكائن لا محالة (وما أنتم بمحجزين) أي بفائتين طالبيكم - أينما تكونوا يدرككم الموت - (قل) يا محمد (يا قوم اعلموا على

مكاتبكم) على غاية تمسكنكم واستطاعتكم (أني عامل) على مكاتبتي التي أنا عليها وما أمرني به ربي أي اثبتوا على ما أتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام (فسوف نعلمون من تكون له عاقبة الدار) أي الذي له عاقبة الدار (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون وضع موضعه الظالمون لأنه أعم فائدة انتهى التفسير اللفظي لهذا المقصد

﴿ لطائف هذا المقصد ﴾

(اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - وكلهم الموتى -
(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا -

(اللطيفة الثالثة) - وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله -
(اللطيفة الرابعة) - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها -
(اللطيفة الخامسة) - يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس الخ -
(اللطيفة السادسة) - ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء -

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وكلهم الموتى - ﴾ (واللطيفة الخامسة - يامعشر الجن الخ -)
ان الكلام مع الموتى الآن أكبر آية أنزلها الله للناس لما فسدت العقائد وقد امتلأ بها السهل والجبل نعم في هذا الكلام شك والعلم لا يزال فيه نقص ولكن الشك في العلم لا يوجب تركه فان العلماء الذين يعدون بمئات الالوف يشتغلون فيه الآن فارجع الى ما كتبه في سورة (البقرة) الى كتاب الأرواح الذي ألفته والى ما كتبه حضرة (محمد أفندي فريد وجدي) وكذلك الكتب الأفرنجية المنتشرة في العالم الانساني وسترى في هذه الكتب ما يدهش العقول وان الناس في العالم الانساني اليوم يتحدثون مع الأرواح بطريق (الطاولة) أو بطريق (الكتابة) أو بطريق (التنويم المغناطيسي) وهناك من الشك والريب تارة والتصديق تارة أخرى مالا يحصى وترى هناك أن النفوس الانسانية الناقصة لا تأتي لها ولا يحدثها الا الأرواح التي على شاكلتها وتعطى لها معلومات مما يناسب أمور معاشها وأحوالها الدنيوية وهنالك تكون - كسراب بقيقة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه - وتصبح تلك الأرواح هازئة بالأحياء ضاحكة عليهم استهزاء وتارة تخبرهم بأخبار يظهر كذبها فيما بعد لتصور نظر الأرواح وان لم تقصد هزوا ولا سخرية وأما الأرواح العالية فهي لا تنزل الى صفائر الأمور ولا تهتم الا بالأمور العلمية ولا تطيع من يدعوها الى الاستفهام عن الأمور الشهوية ونقول اننا لانحب أن ندخل معكم فيما يجعلكم معلقين بالدنيا بل تخليصكم عنها وفقركم وبؤسكم يقر بكم من العالم الأخرى . وهذه الأقوال قد شرحتها في كتاب الأرواح وعجبت كل العجب من انها موافقة للحكمة الاسلامية ولما شرحه الامام الغزالي في الاحياء وأي معجزة للقرآن أكبر من هذه وكيف يظهر لمخلص الدين على ألسنة الأرواح

﴿ عجائب القرآن ومعجزاته في القرن العشرين في آية - ولوأنا أنزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون * وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الخ ﴾
أفادت هذه الآية أن الايمان بالله واليوم الآخر تابع لمشيئة الله واستعداد الانسان فليست البراهين بمنغية مادام المرء لا يستعد والقضاء لم يسعد وهذا بعينه الحاصل الآن . ألم تر الى أننا اليوم في القرن العشرين نسمع أن العلماء في (أمريكا وأوروبا) يكافرون الموتى ومع ذلك نرى بعض المتعلمين في بلادنا الشرقية يكفرون بالله واليوم الآخر ولا يقلدون في الايمان ساداتهم من الفرنجة الذين كفروا تقليدا لهم فلما آمنوا لم يقلدوهم وهذا هو مافي نفس الآية . فانه تعالى أذن للناس أن يكافوا الموتى في عصرنا الحاضر كما في الآية ولا يزال الناس

فريقين • كافرين بالله واليوم الآخر • ومؤمنا وهذا معجزة باهرة • ومن غرائب ما حدث في هذا الدهر وان شئت بينة على ذلك فهناك ما جاء في جريدة (الاهرام) بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩ فان ماستقرؤه في المقالة التالية ناطق بمعنى الآية معجزة للقرآن كما في قوله تعالى - سرورهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهذه هي المقالة

﴿ مناجاة الأرواح ﴾

في الجهة الغربية من ولاية (نيويورك) وعلى بعد ٦٠ ميلا من مدينة (بفالو) مصيف باسم للي دال اشتهر بجمال موقعه وعشورته مائه وعاميل هوائه وامتناز بكثرة أحجاره وضخامة أشجارها وسمو ارتفاعها وأحاطت به بحيرة واسعة الأطراف وتقوم بإدارة هذا المكان جماعة من الروحانيين الذين يعتقدون بمذهب (مناجاة الأرواح) ويبسبون من أعمالهم وأقوالهم فيه ما لا يدرك له العقل حلا ولا يدري الى أي ناموس يرد.

ومن العجيب أنه مع تقدم العهد على ظهور هذا المذهب وسعة انتشاره لم تزل آراء العلماء فيه على اختلاف مبين فمنهم من ينكره انكارا باتنا ويعتد أعمال القائلين به من باب التسجيل والأوهام • ومنهم من يعتقد اعتقاد الحقائق المسماة ذهبا الى أن في الطبيعة أسرار لا يسع الوجدان انكارها وان لم تقع في حيز العقل

وقد زار هذا المكان أحد أدباء (السوريين) وكتب الى الهدى (النيويوركية) يصف ما رأى فقال كان يجتمع في الملهى خلق كثير لسماع الخطيب الروحي (جان سلاتر) أحد زعماء هذا المذهب ووسطائه المشهورين وقبل ميعاد الاجتماع كان معظم الحضور يتسابقون الى القاء أوراق صغيرة على (طاولة) الخطيب يكتبون عليها بعض الأرقام أو الحروف المتقطعة التي كان الوسيط يكتبها بها دون كتابة الأسماء ثم يفتح الخطيب الحفلة بالقاء كلمة بهذا الموضوع من الوجهة العلمية ويستمر في الكلام الى مسألة خلود النفس وامكان مخاطبة أرواح الموتى السابحة في الفضاء بواسطة وسطاء حقيقيين والوساطة موهبة عظيمة انما في بعض الأحيان يخلو الوسيط من القوة اللازمة لتأدية الوظيفة حقها ولكن متى توافرت القوة كالواجب تظهر البينة وتمجلى الحقيقة للعيان ثم يتناول الخطيب الأوراق الملقاة على (الطاولة) أمامه فيقرأها الواحدة بعد الأخرى مرسل عن كل منها جوابا يتناوله من التجليلات والمخاطبات الروحية فيدهش الحضور بما يأتيه من المعجزات

جاء الوسيط الى عدد (٦) فنادى بصوته الجمهورى قائلا مستر (جيمس هاملتون) وأشار بيده اليه فأجاب نعم فقال له ألا تسكن (كانفاند أوهايو) وتقيم في الشارع الفلاني رقم (كذا) • فأجابه نعم وهذا عنواني الحقيقي • فقال انى أرى الآن والدتك واقنة بازائك تقرئك الشوق والتحيات وقد أوعزت الى أن أبلغك نصيحة وهي أن الرجل الذى قابلته في (ديترويت ميشيكن) مساء الاثنين الماضى وتحادثت وياه بشأن افتتاح تجارة في تلك المدينة ووعدته بأنك ستعود اليه في الغد للباحثة في العمل فهى تنصحك بالاقلاع عن هذا العزم لأن الرجل لا يضر الخبز ولا الاخلاص لك فإياك أن تتعامل معه

فوقف الرجل مبهورا ورفس الأرض برجله وقال نعم هذا هو الحادث بعينه فقد أقلت الآن عن عزمى وسأعمل بهذه النصيحة

ثم تناول الخطيب ورقة أخرى كان عليها حرف (ج) على ما أذكر فالتفت الى الجمهور وقال (مستر مارى رولاند) وبأقل لحظة وقعت عينه على هذه السيدة فقال لها لا يمكن أن يكون هذا اسمك الحقيقي أجابت نعم • قال ألا تقيمين في (شيكاغو) في شارع كندا ونمرة كندا • قالت نعم وكل ذلك صحيح • قال لها اننى أرى الآن بجلاك (البرت) الذى تجند في الحرب الكبرى وسافر مع الفرقة الأخيرة وانقطعت أخباره عنك حتى أصبحت وأنت لاتعلمين عنه شيئا جاء الى بروك نائرة من الشجاعة والحاسة وهو يقول لك انه وقد كان مقاتله قبل انتهاء الحرب بمدة قصيرة قال ان جثته بقيت مطروحة مدة ثلاثة أيام قبل الاهتداء اليها

• وهنا وصف الوسيط ملاح نجليها ومظهره وأخبرها عن اسم المكان واليوم الذي قتل فيه وبعد ذلك قرأ الوسيط عدد (١٨) مسر (ألن مكلا) وأشار بيده إليها فذكر لها اسم المدينة التي تقطنها واسم الشارع الذي تقيم فيه حسب عادته • ثم قال لك شقيقة تدعى (أنا) جميلة الطلعة شقيقة القوام كانت تسكن في (دنفر) من ولاية (كولارادو) صرخت مرة مرضا شديدا كاد يودي بحياتها فكتبت إليك تطلب حضورك إليها وقد حالت الظروف دون ذهابك فساءها ذلك وقطعت أخبارها عنك وهنا ما حالك على الاعتقاد بأنها توفيت والحقيقة هي أنها لم تزل حية ترزق وتقيم اليوم في مدينة (بليتمور) وكنت أود أن لا أجدش مسمعك بإيراد شيء مما عرفته عنها ولكن الحقيقة يجب أن يقال فإن سوء أحوالها وسوء العشرة دفعها لارتداد منازل الفساد وهي تسكن في الشارع (الفلاي) تحت نمرة كذا وإذا شئت صراستها فعليك الاعتماد على هذا العنوان وإذا لم يكن ذلك صحيحا فاني أضرب على نفسي غرامة مالية كبيرة وأتخذ هذا الجمع الغفير شاهدا على ذلك

ثم جاء الخطيب الى عدد آخر فقال مستر (توماس فيليس) فأجابه نعم • قال انني أراك شديد الاهتمام بمسألة مبيع (البنية) التي تملكها في (جامستون نيويورك) لجورج مارش وتود أن تعرف اذا كان المبيع ينتهي حسب طلبك أم لا وكثيرا ما تابحت مع امرأتك في هذا الشأن مع انك قبضت من ثمن البنية حواله بألف ريال وذلك مساء الجمعة الماضي وأزيدك الآن اطمئنانا بأن المبيع سيتم بالقيمة التي اتفقنا عليها وهي مبلغ عشرون ألفا (بمئة لم يحضرها ابليس) والشاري غير مغبون

فاستغرق الجمهور في الضحك واغرق صاحبنا في التجب • ولما وصل الوسيط الى هنا في الكلام صمت هنيهة ثم قال في هذه الساعة حدثت حادثة محزنة في ضواحي (فلاذلفيا) وذلك أن سيارة قتل خمسة ركاب انقلبت براكبها من شاحق فقتل اثنان وأصيب الباقيون بجروح خطيرة ودينهم امرأة لها بنت موجودة بينما تدعى (لوزا توكس) ولم يكد يدور نظره على الجمهور حتى رآها فقال نعم ان والدتك من جملة الركاب الذين هوت بهم السيارة وهي الآن في المستشفى (الفلاي) القريب من محل الحادثة فاسرعى لاغايتها فصرخت الفتاة وبكت والتفتت الى الساعة وكانت قد قاربت التاسعة والنصف ليلا وهو الموعد الذي يترك فيه القطار الأخير المحطة فقالت وما الحيلة والقطار قد سافر قال لها الوسيط انتظري قليلا ثم التفت الى العال وسأل أهل القطار ترك المحطة وتتم بلغة غير مفهومة ثم قال أسرعى وأعدى حواشيك فان القطار متأخر عن ميعاده نصف ساعة فهبت الفتاة مسرعة وأعدت لوازمها وجاءت الى المحطة فوجدت القطار على جناح السفر فركبته • وفي اليوم الثالث ورد من الفتاة رسالة على صديق لها هناك تخبره بأن الحادثة وقعت كما رواها الوسيط وتؤمل بأن والدتها تتقدم الى الشفاء • اه

﴿ اللطيفة الثانية - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوا شياطين الانس والجن - ﴾

وهذه أيضا مفهومة مما سبق في مواضع كثيرة من التفسير فالأنبياء وجميع المصلحين بعدهم يكون نصيبهم على مقدار مقامهم من النعم والتبليغ وأما شياطين الجن فانها تلك الأرواح التي كانت قلوبها في غطاء فأصبحت في العالم الروحي كما كانت في الدنيا فأصبحت ملحقة بالشياطين الذين يوسوسون الى أمثالهم لانغلاق أبواب السماء ومفاتيح العلم في يد الله لا يصلون إليها فترتد نفوسهم الى أهل الأرض وتتسلى بما ترى من نفوس ناقصة فقهر بها بما كانت تودّه في الدنيا وعقوها مقفلة قد حكم عليها بذلك قصاصا لها فأصبحت تقمة على نفسها وعلى أمثالها من البشر ولذلك سئلت بعض الأرواح فقيل لها هل الأرواح تقدر على أذى الناس فكان الجواب كلا وإنما الناس هم الذين يؤذي بعضهم بعضا وإنما الأرواح اذا تصدت الأذى وسوست الى الأحياء بما تريد فهذا هو الأذى • - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - فهو لاء هم الذين قال الله

فيهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة لأن نفوسهم لم تستعد لتلك الأنوار وهي أشبه بالأجسام (الغازية) البخارية التي ترتفع في الجو وكل جسم له حد محدود لا يتجاوزه والله لا يمنع أحدا عن النعيم ولكن العوائق من النفوس ففي النفوس جنتها وفي النفوس نارها فأى نفس غلظت وفسدت وأحبت الحياة الدنيا فإن طبعها لا يقبل الجنة ولا عالم الملائكة فلا يصل لذلك بحسب استعدادها وأى نفس أحبت ذلك العالم واستعدت له وخفت مؤنتها فإنها ليس بينها وبينه إلا الموت وهناك تصعد إليه وترتقى - وإن إلى ربك المنتهى -

واعلم أن ما يكشف اليوم من الكواكب والسيارات إنما هو ذخيرة قد أعدها الله للأرواح الأرضية المشرقة النبيلة لتتفرج عليها إذا ماتت ويكون موتها أكبر سعادة وأشرف أيامها • فما أسعد أيام الخروج من هذه الدار التي حبسنا فيها حبسا عاقنا عن العروج والخروج إلى باحات الهدوء وساحات السعادة والصفاء حتى نرى تلك الكواكب البهجة بأقذارها وهيئتها وأنوارها واشراقها والحياة عليها ونرى تلك المجائب وإذا ذلك نفلك من هذا الاعتقال الأرضي ونطالع تلك الشمس في المجرة التي تبلغ مئات الملايين ونرى شمسنا بقعة صغيرة منها وأرضنا أصغر من كل شيء حينئذ ننسى هذه الدنيا وننسى بؤسها وشقاءها ونخرج من جهنمها إلى السعادة التي نشاهد كل ليلة بصيصا من نورها وقبسا من نارها وحورا في طرفها ولوامع مشرقات في دياجى الظلمات نطل علينا تدعونا حثيثا إلى الخروج من هذه الظلمات إلى تلك الأنوار

أيها القارئ الذكى اجعل حياتك معراجا لك المقام الشريف ولا تدخر وسعا في النفع العام لأمتك وللعالم أجمع إذا قدرت حتى تكون خليفته مبدع هذه الموجودات وناظم عقدها وموحد نظامها وهو اللطيف المبدع النور الهادي إلى سواء الصراط اهـ

﴿ اللطيفة الثالثة - وإن تطمح أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله - ﴾

اعلم أن أهل الأرض قاطبة مقلدون لرؤسائهم تابعون لساداتهم مسوقون بخواصهم فترى العلم ربما كان خطأ فيبقى مئات السنين والناس يظنونونه حقا لما أن قوما من المشهورين قرؤوه وأقرؤوه ودرسوه فيتبع الآخرون الأولين واللاحقون السابقين • وترى المذاهب الإسلامية والنصرانية واليهودية يتبع الأخير الأول ويتعصب له ويقول هو الحق وما سواه ضلال وهكذا في سائر العاوم كالفلك والطب والطبيعة وليس ينقذهم من ذلك بعد مئات السنين إلا أفراد يخلفهم الله فيجاهدون ويهذبون الشعوب ويعلمونهم فأكثر أهل الأرض مقلدون والمجنهون هم الأتلون • ألا ترى أن ابن النصراني نصراني وابن اليهودي يهودي وابن المسلم مسلم كل ذلك لأن الناس في أكثر أحوالهم مقلدون وعلمهم إنما تكون محفوظة والنبوغ فيها يكون على مقدار استظهار ما درسوه وفهم ما عقله غيرهم • فأما الرجوع إلى أصل تلك المذاهب والتأمل في أساسها فإن البشر غالبا لا يتعبون أنفسهم فيه والأعمار قصيرة وعلى ذلك يجب أن يكون في الأمة الإسلامية مفكرون يفكرون في أصول المذاهب الإسلامية ويهيئون عقولها للرقى والاصلاح لأن السنى والشيعى وسواهم أصبحوا لا يرون إلا ما قرؤوه في كتبهم وهي أمور متشابهة • ثم إن الأمة لم ترفع عن أعينها الأغطية التي غطيت بها العيون وليس عندي إلا نشر العاوم الكونية كما نفعل في هذا التفسير فهذا يخرج الناس من ظنهم إلى اليقين

إن علم الفقه علم عملى والظن يكفيه أما معرفة هذه العوالم فإنها عامية عملية معا فهى علم بالعالم من سموات وأرضين ومتى عرفت الصفة عرفت الصانع وفوق ذلك يرقى الشعب الإسلامى باستخراج منافع الهواء والماء والأرض والسماء • هذا ما فهمته من قوله تعالى - وإن تطمح أكثر من في الأرض الخ - • أما رسولنا ﷺ فهو عند ربه الآن وفائدة هذا الكلام ترجع لنا الآن أيضا فأما نكادونا بأن نفسر بغير ذلك فليس يكون فيه فائدة صرجة لنا اهـ

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها - ﴾

اعلم أن هذه الآية هي التي تطبق على الأمم كلها لاسيما المسلمين الآن فانك حينما أدت عينك لا ترى التي ولا الفساد ولا الضلال في الأمة إلا من رؤسائها لاسيما بعض مشايخ الطرق أولئك الذين هم إوعاماء الدين والملوك وعظماء الأمم الإسلامية قاطبة • هؤلاء هم آفات الإسلام ومصابه • هم الذين يساعدون الفرنجة على احتلال أرض الإسلام • هم الذين يوالونهم ويحبونهم لأنهم يعتقدون أنهم عليهم ويولونهم المناصب العالية ويهبونهم الألقاب الضخمة • وترى ذلك في شمال أفريقيا في بلاد مراکش وتونس والجزائر وطرابلس ومصر وبلاد العراق وغيرها • فهذه الأمم لم يدخل الفرنجة فيها إلا مجرموها الأكابر • فهم الذين فسدوا فيها وعادوا الشعوب كيف يفسقون ويميلون إلى الشهوات خفض القوم للفرنجة واستنابوا لهم وربما استناب القوم بعدهم انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء

كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين - ﴾

هذه اللطيفة تناسب اللطيفة التي قبلها فان الأمم اذا فسدت بفساد أكابرها ولم يظهر فيها نابغون أجدر أن تأتي من الوجود وأن تهلك لأن الله لم يجعل في الأرض ولا في غيرها عملا لغير فائدة بل هو الذي جعل الأزهار التي لا لون لها ولا رائحة انما يلقحها الريح كما تقدم • أما الأزهار ذات الرائحة الجميلة والمحاسن البسيطة والألوان البهجة فان الحشرات هي التي تلقحها وجعل ذلك الجمال وتلك الألوان والروائح والعسل مغرية لتلك الحشرات أن تمر عليها فتلقحها فلم يخلق الجمال عبثا بل خلقه لمنفعة راجعة لنفس النبات لأنه ليس في الوجود معطل فاذا كان هذا في نبات ندوسه بأرجلنا ونقطعه لنشيم رائحته ولا نبالي به وتارة نغرقه بالماء وتارة نرعاه دوابنا وتارة نجعله لأغراضنا في معاشنا فكيف يخلق أمما في الأرض لا ثمرة في بقائها فاذا منع الجمال والرائحة عن هذا النبات اذا لم تكن لذلك فائدة واكتفى بمرور الرياح عليها لا لقاحها فما أحراه أن يهلك الأمم التي لا تناسب زمانها فيهلكها ويستبدل غيرها بها • ولقد حصلت مبادئ هذه في الأمم الإسلامية فأخذت الفرنجة تسومنا الخسف وتدخل في عقائدنا ما يضر أخلاقنا وعاداتنا فان لم يفكر عقلاء المسلمين فليعلموا أن وعد الله حق وأنه لا يخلف وعده وأنه لا يريد إلا الإصلاح ولا يبق من الأمم إلا ما يصلح للوجود • ولذلك أرسل التتار من الشرق في القرن السابع فأبادوا الدول الإسلامية (السلجوقية والعباسية) وكذلك أرسل الأمم الأوروبية في نحو تلك العصور لمحاربة المسلمين • وكذلك أرسل الأسبان فأبادوا أكثر الأمة العربية وبقاياهم هزموا وهربوا - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - • اه المقصد الرابع

(المقصد الخامس)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ

عَلَيْهِمْ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُونِنَا
 وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ
 ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
 مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
 حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الْأَنْعَامِ جَمَلَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنْهَا رِزْقَكُمْ
 اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ
 وَمِنَ الْمَعْنِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَكَ كَرِهَ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ
 نَبَوْنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَكَ كَرِهَ
 حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ أَمِ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ
 بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ * قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
 مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا
 عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ
 وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
 الْجَرِمِينَ * سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ
 كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ
 تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
 أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلَمْ شُهِدَ الْإِنْسَانُ أَنْ شَهِدُوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

لما فرغ في المقصد الرابع من الكلام على كفرهم واشراكهم وجهالهم أخذ يذكر في هذا المقصد تفصيل

ضلالاتهم العملية وأحكامهم الفاسدة . فمنها أنهم كانوا يتصدون الزروع والثمار وهي المعبر عنها بالحرث والابل والبقر والغنم وهي المعبر عنها بالأنعام فيجعلون منها نصيبا لله ونصيبا للأصنام . فأما ما كان لله فانهم يجعلونه للضيفان والمساكين . وأما ما كان للأصنام فانهم يجعلونه للخدم والسدنة فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه للأوثان رددوه إلى الأوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شيء مما جعلوه للأوثان جبروه مما جعلوه لله . هذه أول مسألة (المسألة الثانية) ان السدنة كانوا يزينون لهم هم والشياطين أن يقتلوا أولادهم فكان الرجل يقول في الجاهلية أين ولده كذا وكذا غلاما لينتحرن آخرهم كما حلف عبدالمطلب على ابنه عبد الله (المسألة الثالثة) أن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي المذكورات المفسرات في سورة (المائدة) كانوا يحرمونها ولا يأكلها إلا الرجال وهي على النساء محرمات كما تقدم هناك ويحرمون ظهورها فلا يركبون البحائر والسوائب والحوامى (المسألة الرابعة) أنهم لا يذكرون اسم الله على الذبائح عند الذبح بل يذكرون أسماء الأصنام (المسألة الخامسة) أنهم كانوا يجعلون الأجنة في بطون البحائر والسوائب لذكورهم وليس للإناث فيها من نصيب كما تقدم في (المائدة) هذا اذا نزلت حية فاذا نزلت ميتة أكلها الرجال والنساء هذه المسائل الخمس ذكرها الله في هذه الآيات بعدما فسد معتقداتهم فلذلك قال في المسألة الأولى (وجعلوا) أي مشركوا العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والأنعام نصيبا) أي وللأصنام نصيبا (فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا لشركائنا) بزرعهم وكذا ما بعده أي زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونها إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين كما علمت (وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) من اتفاقهم عليها والاجراء على سدنتها وقوله - مما ذرأ - بيان أنهم لو عقلوا لم يجعلوا للأوثان شيئا لأن الله هو الخالق فلذلك قال (ساء ما يحكمون) والمخصوص بالذم محذوف أي حكمهم هذا . وقال في الثانية (وكذلك) أي مثل ذلك التزيين في قسم القربان (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) هو فاعل زين * وفي قراءة زين بالبناء للجهول وقتل نائب فاعل وأولادهم مفعول وشركائهم مضاف إليه وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه أي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم والشركاء هم الجن أو السدنة (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام . ومعهم أن كل ما يقع في هذه العوالم انما يكون بنوامين واستعداد وقابلية (ولو شاء الله مفعلاه) أي مافعل المشركون ما زين لهم ولا الشياطين ما زينوا (فذرهم وما يفترون) أي افتراءهم أو ما يفترونه من الافك . وقال في المسألة الثالثة (رقالوا هذه أنعام وحرت حجر) أي حرام فهل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والكثير (لا يطعمها إلا من نشاء بزرعهم) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء كما تقدم (وأنعام حرمت ظهورها) . وقال في المسألة الرابعة (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) مفعول لأجله (سيجزئهم بما كانوا يفترون) أي بسببه . وقال في المسألة الخامسة (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام) أي أجنة البحائر والسوائب (خالصة لنا كورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم) أي جزاء وصفهم (إنه حكيم عليم) ثم أتى بما يفيد خسراتهم بما تقدم فقال (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) فكانوا يثبون بناتهم مخافة الفقر والسبي وأبناءهم اذا نذروا ذلك كما تقدم (سفها بغير علم) خلفه أحلامهم وجهلهم ان الله تعالى رازق أولادهم لا هم (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر وغيرها (افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهذا ملخص ما تقدم من أعمالهم الفاسدة . ولما أكمل الكلام على تعديدهم أعمالهم الفاسدة وتد ذكر أنهم تصرفوا فيما ذرأ الله لهم من الحرث وهو الثمر والزرع والأنعام وهي الابل والبقر والغنم شرع يفصل الكلام على

هذين القسمين أى الحرث والأعنام على اللب والنشر المرتب فقال فى الحرث
﴿ الكلام على الزرع والشجر ﴾

(وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) يعنى والله الذى خلق وابتدع بساتين مبسوطات على الأرض كالقرع والبطيخ وكالعنب الذى يبقى على وجه الأرض منبسطة والعنب الذى كهيئة سقف ويقال عرشت الكرم أعرضه عرشا وعرضته تعريشا إذا جعلته كهيئة السقف واعتش العنب العريش إذا علاه فالعنب بنوعيه أى مافوق العريش وما ينسبط على الأرض والبطيخ والقشأ والخيار والقرع • كل ذلك يقال له جنات معروشات أى مبسوطات إما على الأرض فى أكثرها وإما على العريش فى أحد نوعى العنب وقوله - وغير معروشات - هى ماقام على ساق كالنخل والزرع وسائر أنواع الشجر

﴿ عجائب فى النبات ﴾

اعلم أن هذا هو القسم الأصغر وهو ما يراه الناس من الجنات المعروشات وغير المعروشات • أما القسم الأعظم منه فهو أنواع الحدائق والبساتين التى ترى فى الطحلب الذى يكسو وجه الماء فى البرك والمستنقعات فهذه بساتين ترى بالمنظار المعظم منزهة باهرة وكذلك ما يعلو الجدران والسطوح وجذوع الأشجار والأرض الرطبة والصخور الرطبة فى المحال الظلية والنفوة النابتة على الحيطان الرطبة وعلى الجلود المدبوجة كجاود الأحذية وجاود الكتب وعلى الخبز فهى بساتين كالبساتين التى نراها بأعيننا • وهكذا ما على سطح ماء البحر بحيث يتلون بها الماء وعلى الصخور اليابسة على هيئة قشور يابسة أو غبار وهكذا ما يفسد العنب والبطاطا وما يخلق فى داخل الحيوان الحى فهذه وغيرها أنواع من الجنات المعروشات وغير المعروشات متى نظرت بالمنظار المعظمة علم أنها هى القسم الأكبر عددا والأوسع نطاقا فهى أوسع مما يراه الناس بأعينهم العادية • وكما رأى الناس الكواكب بأعينهم فكانت (٦) آلاف وهى بالمنظار المعظم مئات الملايين هكذا هنا فى النبات سواء بسواء - ويخلق ما لا تعلمون -

﴿ لطيفة ﴾

جاء فى جرائدنا المصرية بتاريخ (١٩) اكتوبر سنة ١٩٢٦ أن احراج غيانا البريطانية (فى جنوبى أمريكا بالقرب من خط الاستواء) تحتوى على أنواع من الديدان والحشرات تفوق الحصر فقد وجدوا ما يزيد على ألف نوع منها فيما لا يتجاوز مساحته (ياردة) مربعة من الأرض

﴿ أعمار النبات ﴾

اعلم أن دود الحرير يعيش ثلاثة أشهر من أيام أن يكون بزا صغيرا الى أن يكون دودا ففياجة أى كرة صغيرة داخلها دودة يحيط بها حرير ففراشة خارجة من الدودة فتبيض ثم تموت والجيل تعيش (٣) سنة والفيل يعيش عمرا طويلا هكذا يكون النبات فنه ما لا يعيش إلا فصلا واحدا كالحنطة والشعير والذرة ومنها ما يعيش مئات السنين مثل الباط والسنوبر • ولذلك يقولون ان النبات اما سنوى تكون حياته كلها فى سنة فأقل كما تقدم وأما نبات محول مثل اللب والشه مندور فانهما يورقان فى السنة الأولى ثم فى السنة الثانية يزهران ويبلغان ويبرزان • وأما معمر وهو ما يعيش سنين عديدة كالأشجار والأحجم وبعض الأعشاب التى تزهر وتبلغ وتبرو ويموت مافوق الأرض منها كل سنة ويبقى ما تحت الأرض حيا ويجدد النبات فى السنة التالية كالبطاطا والسوسن والزنايق • هذه هى الجنات المعروشات وغير المعروشات • ثم أخذ يفصل بعض الجنات غير المعروشات فقال (والنخل والزرع مختلفا أكله) أى ثمره الذى يؤكل وهذه حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله - فادخلوها خالدين - وذلك الاختلاف فى اللون والطعم والرائحة (والزيتون والرمان متشابهان وغير متشابه) فى الطعم (كأوا من ثمره) أى من ثمر كل واحد (إذا

أمر) ولا أحرم عليكم أكل ما لم يدرك بحجة أن للفقراء والمساكين حقاً فيه لأن رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير فلكم أكل ما لم يتم نضجه (وأتوا حقه يوم حصاده) أي جنازه وقطعه وهو أن يطعم من حضر ويترك ما سقط من الزرع والثمر ولقاط السنبل وقد كانوا يجيئون بالعنق عند الصرام فيأكل منه من صر وكان أهل المدينة إذا صرموا النخل يجيئون بالعنق فيلقونه في جانب المسجد فيجئ المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه أكله وهذا الأمر للندب والآية ليست منسوخة بآية الزكاة فهي محكمة * أما الزكاة فقد تقدمت في سورة (البقرة) فارجع إليها هناك إن شئت ثم قال (ولا تسرفوا) في التصديق كقوله تعالى في آية أخرى - ولا تبسطها كل البسط - لأن في المال حق الزكاة أيضاً فتضمن الإسراف في الصدقة إلى الزكاة كان ذلك مضيعاً للعمال والسرف مجاوزة الحد ولذلك قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعوا فقراء * وقال الزجاج لو أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف * وفي الحديث إبدأ بمن تعول ثم قال (إن الله لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الإسراف في كل شيء وقال سبحانه في الأنعام ﴿

الكلام على الأبل والبقر والغنم﴾

وقد عطف على جنات قوله (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أي كما خلق من النبات ما يبسط على الأرض وهو المعروفات وما يقوم على ساق وهي غير المعروفات خلق من الأنعام ما هو كالمعروشات وهي الصغار الدانية من الأرض كالفرش الذي يفرش وذلك كالمعز والضأن وصغار الأبل وما هو كغير المعروفات من الشجر وهي ما يحمل عليه من كبار الأبل والبقر وهي التي يطلق عليها حمولة كما يطلق على ما يحمل من الخيل والبغال والحمير ثم قال (كلوا مما رزقكم الله) أي كلوا مما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم - إلى قوله - قد ضلوا وما كانوا مهتدين - ثم قال (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) في التحريم والتحليل من عند أنفسكم كما كانت الحال في الجاهلية (إنه لكم عمو مبين) ثم أبدل من قوله - حمولة وفرشا - (ثمانية أزواج) والزوج مامعه آخر من جنسه يزوجه وقد يقال لجموعهما والمراد الأول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والمنجحة وهو بدل من ثمانية والضأن اسم جنس كالأبل وجمعه ضئان وهو جمع ضأن كمتاجر وتجر (ومن المعز اثنين) التيس والعنز * ولقد كان القوم في جاهليتهم كما تقدم يحرمون بعض الضأن والمعز والأبل والبقر تارة الإناث وتارة الذكور وتارة أولادها كيف كانت زاعمين أن الله حرمها فقال الله (قل) يا محمد (آل الذكرين حرم) ذكر الضأن والمعز (أم الأنثيين) وأنصب الذكرين والأنثيين بحرم (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) أي أوما حلت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى (نبئوني به) أي بأمر معلوم يدل على أن الله حرم شيئاً من ذلك (إن كنتم صادقين) في دعوى التحريم (و) خلق (من الأبل اثنين) ذكراً وأنثى (ومن البقر اثنين) ذكراً وأنثى (قل) يا محمد لهم (آل الذكرين حرم أم الأنثيين) أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء أم منقطعة أي بل أكنتم شهداء حاضرين (إذ وصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم (فإن أظلم من افتري على الله كذباً) فذهب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبارهم المقررون لذلك وأولهم عمرو بن لحي بن قعدة المؤسس لذلك (ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * قل لا أجد فيما أوحى إلي في القرآن (محرمًا) طعاماً محرماً (على طاعم بطعمه إلا أن يكون ميتة) أي إلا أن يكون الطعام ميتة (أو دماً مسفوحاً) عطف على أن المصدرية وما دخلت عليه أي إلا كونه ميتة أو دماً مسفوحاً فهذا عطف على المصدر المؤول والمسفوح المصبوب كالدم في العروق لا كالكبدة والطخال (أو لحم خنزير فإنه رجس) فإن الخنزير أولج قدر لعوده كل النجاسة (أو فسقا) عطف على لحم خنزير (أهل لغير الله به) صفة له موصفة

وسمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق (فمن اضطر) فمن دعت الضرورة الى تناول شيء من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) أي ولا متجاوز قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذك على ما فعل وهذه هي التي كانت محرمة عند نزول هذه الآية * وروى مسلم عن ابن عباس نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخالب من الطير * وروى أيضا مسلم أنه ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الجر الأهلية * وروى البخاري ومسلم أنه ﷺ نهى عن لحوم الجر الأهلية وأذن في الخيل * وعن جابر أنه ﷺ نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه * وقد استثنى النبي ﷺ من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال * وورد في الصحيح خمس يقتلن في الحل والحرم وهن الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور * ونهى ﷺ عن قتل أربع من الدواب الخلة والنحلة والهدهد والقرد أخرجه أبو داود * ولقد أوضحنا الكلام في هذا المقام في سورة (المائدة)

﴿ ذكر ما حرم على اليهود ﴾

ثم شرع يذكر ما حرم على اليهود فقال سبحانه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) ماله أصبع كالابل والسباع والنعام * وكل ذي مخالب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها) الشحوم ما (إلا ما حملت ظهورها) إلا ما علقته ظهورها (أو الخوايا) أو ما اشتمل على الأمعاء جمع حاوية أو حاويات كقصاصاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن (أو ما اختلط بعظم) يعني من شحم الالية لأنه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال لليهود والحرم عليهم شحم الثرب وشحم السكاية وما عدا ذلك فهو حلال لهم * عن جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك قاتل الله اليهود * يعني أن الله لما حرم عليهم شحومها جعله يذبحه أذابوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه قال تعالى (ذلك) التحريم أو الجزاء (جزيناكم ببغيهم) أي بسبب ظلمهم (وإننا لصادقون) في الاخبار (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغفروا باسماله فانه لا يهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل * ولما كان هذا المقام يقتضى سؤال اليرد فيقال هذه السورة جاء فيها التحريم والتحليل والإيمان والكفر وقد جاء نسبة الإيمان لله وقضائه كما في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح مسيره للإسلام ومن يرد أن يضله أخرج - وجاء أيضا - ولو شاء ربك مافعلوه - فالقرآن صريح أن كل هذا من فعل الله نفسه صراحة وان كان أهل السنة يقولون بالكسب الاختياري والمعتزلة يقولون قولا آخر وهو أن الفعل للعبد وآخرون يقولون بالجبر وعدم الاختيار فكيف يكون هذا ففسن هنا أن يأتي به هذه الآية قال (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) فكيف توعدنا يا محمد بالمقاب على الشرك وعلى التحريم والتحليل مع ان صريح القرآن أن الله هو الذي أراد هذا منا * وقد تقدم في هذا التفسير مرارا أن هذا العالم قد خلق على نظام بديع وانه درجات بعضها فوق بعض ومماثل النفوس الناقصة مع النفوس الكاملة والمستعدة للفضائل التي لا استعداد عندها إلا كمثل الحيوان مع الانسان وكمثل النحاس مع الماء فالنحاس لا يذوب إلا على درجة عالية والماء يذوب على درجة قريبة من الصفر ولكل منفعة في الوجود فللنحاس منفعة والماء منفعة والحيوان منفعة وللإنسان منفعة ولكن الغرائز المودعة في الحيوانات والعقول المودعة في الانسان * والديانات التي نزلت والعلوم التي اخترعت تدعو حثيثا الى الارتقاء الى أعلى مدارك العرفان * ولذلك وجدنا الانسان علم الحيوان حتى أدبه فركب عليه ولم يتركه على طبيعته فهنا أمور عمالية قام الانسان والحيوان بها فلا يجوز ترك

الأشياء وطباعها بل لا بد من المزاولة والعمل وإخراجها من حال أدنى الى حال أعلى فعلى ذلك أمر الأنبياء أن يهذبوا الناس ليخرجوهم من ظلماتهم الى نورهم . والآباء يعلمون أبناءهم . والعلماء يعلمون الجهال لإخراجهم الى العلم . وهذا العمل هو الذى امتاز به العقلاء من الناس وليس لهم سبيل للرقى إلا به فالأنبياء والعلماء وسائر العقلاء عليهم الجهاد فى تهذيب أنفسهم وهذه العلوم وهذه الديانات أعمال ألزموا بالقيام بها ولو تركوها لأصبح الانسان كالحيوان الاعجم ولو أن الناس قالوا كفانا ان الله هو الذى أراد كل شئ فعلاهم السعى لجاز لهم أن يتركوا الأكل والمشى وشرب الماء وتموت الناس فى يوم أو بعض يوم . والناس لغفلتهم يعترضون على القضاء ولا يفكرون انهم يأكلون ويشربون فلم لا يتركون الأكل والشرب انكالا على الله

إن أمثال هذا القول من الأسباب التى تسقط الأثم وتنبط الهمم ومامن أمة أخذت به إلا خربت ديارها وذهبت سدى وضاعت . وليس عذاب الآخرة تشفيا ولا أخذا بالثأر وليس إلا عملا من الأعمال التى لا بد منها كما أن الماء يسيل على أدنى درجات الحرارة والنحاس يسيل على درجات رفيعة جدا عالية كما تقدم فى هذا التفسير

وهناك مصالح لانعامها نحن ولكن اذا ارتقت عقولنا أدركت فأصبح بهذا القول عذاب الآخرة سائرا على الناموس الذى نشاهده كل يوم ونحن غافلون فمن أكل السم مات ولا يعترض أحسد لأنه ناموس طبيعى ومن أكل أكلا صحيا لم يمرضه . وهذه أمور مشاهدة محسوسة فالآخرة كالأولى - ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت -

واعلم أن أمثال هذا القول كان علماءنا رحمهم الله يقولون ان هذا هو سر القضاء والقدر والسر الآن يجب اظهار بعضه لأن النوع الانسانى ارتقى فلا بد من اظهار العلم له . ولما كان هذا القول نتيجة تكذيب القرآن قال تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل هذا التكذيب لك كذبت الأمم الخالية أنبياءهم وقالوا مثل هذا القول (حتى ذاقوا بأسنا) الذى أنزلناه عليهم بتكذيبهم (قل) يا محمد لهم (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) أى هل عندكم من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه فيثبت أن الله رضى شرككم (إن تتبعون إلا الظن) فيما أتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله وتحسبون أنكم على حق (قل) يا محمد (فأنه الحجة البالغة) البينة الواضحة فأتم لم تطلعوا على ما يعلمه الله وانما أتم مكلفون بالأعمال فله علمه وعليكم العمل (فلو شاء لهذا كم أجمعين) اذا كنتم مستعدين للإيمان وهو لا يشاء إلا ما هو ممكن فالمشيئة لاتتعلق إلا بالامور الممكنة والوجود ليس فيه طفرة فهو يهتدى ويضل على حسب الدرجات ولولم تكن درجات لم يكن هذا النظام (قل) يا محمد (هل شهداءكم) أى احضروهم وهذا الفعل لا يتصرف عند أهل الحجاز ويتصرف عند بنى تميم (الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم) لأنهم فى شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) أى اذا وقع منهم شهادة فهى باقباع الهوى (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة كهبة الأوثان (وهم يبرهم يعدلون) يجهلون له عديلا . اهـ التفسير اللفظى

﴿ لطيفتان فى هذا المقام ﴾

اللطيفة الأولى الزهر . اللطيفة الثانية فى الكلام على التشابه وغير التشابه وبعض الأشجار

﴿ اللطيفة الأولى الزهر ﴾

قد جاء فى هذا المقصد قوله تعالى - أنظروا الى ثمره اذا أثمر - وقد ذكر هذا فى قوله - إن الله فالى الحب والنوى - وقد بينا هناك أن مسألة الثمر والزهر هى الشغل الشاغل للأمم اليوم فى تقسيم النبات وأن

رتبه (٢٤) رتبة . وهذا لابد من الاشارة الى أنواع الزهر تفكهة للقراء ليسكون ذلك ترويحاً للنفوس واطهاراً للمجائب العلمية والبدائع الحكمية والمحاسن الطبيعية

﴿ جمال النبات وبهيجته في عجائب الأزهار والقاحها ﴾

كنت أود أن أذكر هنا عجائب الأزهار والقاحها (١) وأبين تلك الزهرات التي لها شهرات تحميمها فلا يدخلها إلا النحل (٢) والزهر ذا المفاتيح والأقفال (٣) وذا الخارس (٤) والزهر المنظم كأنه الجنيد (٥) ونوعاً من الشجر فيه نوعان من الزهر فيهما أعضاء ذكور وأعضاء إناث طويلات وقصيرات والنحل مع هذين النوعين عجائب وغرائب وحكم ونظام لا محل لذكرها الآن (٦) وكيف ينام الزهر وكيف يستيقظ وما أوقات نومه وما أوقات يقظته وما العلاقة بين نوم الزهر ويقظته وبين الحشرات والنحل وكيف يستيقظ نوع الحشرات عند استيقاظ الزهر الخاص به وينام عند نومه ليلاً ونهاراً وعلاقة ذلك كله بالالقاح والالتحاق لسعادة نوع الانسان (٧) وبينان الزهر الأحمر والأصفر والأبيض والأزرق . وكيف كان اختلاف الألوان مناسبة لأنواع الحشرات الطائفات عليه . وكيف كان الأبيض والأصفر يناسبان وقت الفجر وبعد الغروب وغيرهما يناسب النهار ولكل حشرات تعرفه

وكيف كان الزهر الذي لا جمال فيه كزهر السنط والصفصاف لا يحتاج للحشرات ويكفيه الهواء . والزهر الذي جعل شكله ولونه قد احتاج للحشرات فكان ذلك الجمال معشوقاً لتلك الحشرات الخ (٨) والزهرة التي أعطيت من السياسة والايهام ما لم يعطه غيرها بحيث يغتر بشكلها نوع من الحشرات جهالة فيقع عليها فيحصل الاهتزاز فيكون الالتحاق ولا تنال الحشرة شيئاً (٩) والزهرة التي يحصل القاحها بمجرد الاستلقاء بها إذ تصل لها الحشرة مستدفئة وأظير لأخرى مستدفئة وهكذا والبرد يحكم على الحشرات بالدخول ثم يضيق صدرها فتخرج فيحصل البرد فتدخل في أخرى من نفس النوع . وفي أثناء ذلك تكون قد أخذت طلعاً من زهرة الذكور ووضعت في زهرة الإناث بفصل الالتحاق والناس حولها لا يشعرون

أقول كنت أود أن أبين هذا المقام وأشرح هذه الأنواع شرحاً مستفيضاً ولكن لايسوغ لي ذلك هنا لأنه بسورة (الحجر) أليق فانظر هذا المقام هناك وانحأ جلياً شارحاً للصدر في تلك السورة ان شاء الله تعالى عند قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء الخ - فهناك تقرأ هذا المقام منقولاً من كتابي (الزهرة) التي هي مقدمة لكتابي (نظام العالم والأمم) مترجماً من كتاب اللورد (افبرى) الانجليزى المسمى جمال الطبيعة - والله هو الولي الجيد - اهـ

﴿ اللطيفة الثانية في الكلام على التشابه وغير المتشابه من النبات والشجر ﴾

من النبات والشجر ما ورقه وثمرته متناسبات في الكبر واللون والشكل واللس كالانرج والتارنج والليمون والكمثرى والتفاح وماشا كلها . ومن النبات والشجر ما ثمرته وجهه غير مناسبين لورقه في الكبر مثل شجر الرمان والتين والعنب والجوز والنخل

ألا ترى أن شجر الانرج مدحرج الشكل ثمرها أخضر اللون لين اللمس مناسب لورقه والتارنج مستدير الشكل مناسب لورق الشجرة . والكمثرى مخروط الشكل وكذلك ورق شجرته . والتفاح مستدير الشكل وكذلك ورق شجرته . وأما ثمرة الرمان فغير مناسبة في الكبر لورق شجرته . وكذلك التين والعنب وغيرهما على هذا القياس

﴿ الكلام على النخل ﴾

قد ذكرت في تفسير (الفاتحة) شيئاً في النخل ونزيد الآن فنقول

(١) كثرت عروق النخلة الضاربة في الأرض لشدة حاجتها لها لكبر جثتها وطول قامتها وكثرة عدد

سعفاتها وأوراقها لكيما تخدّم في جرم أصولها • وفي جرم سعفها • وفي جرم أوراقها • وفي ليفها • وفي جرم
أكام طلعتها • وفي جرم قضبان قنوانها • وفي جرم نواة ثمرها ودبسها وشيرجها • فهذه الفروع الضاربة
في الأرض لتقسم على تلك الأنواع والأعضاء المختلفة

(٢) لماذا جعل جسم ساقها رخوا متخلخلًا • ذلك لأنه لو كان غير متخلخل كالساج والسرور لهرس
على القوى الطبيعية جذب تلك المواد إلى أعلى النخلة في السعف والليف وغيرها وأيضًا تلك الخيوط الدقيقة
التي ركب منها باطن جذع النخلة كل خيط منها متصل بعرق ضارب في الأرض لتوزع الغذاء على تلك العروق
لتوصله إلى ما خلقت له من أول الأمر

(٣) ومن أعجب العجب أن الناس يشاهدون النخلة وقد جعل عليها (ليف) كأنه ما زر مشدودة على
أصول مخارج سعفاتها من أجنادها كأنها مشمرة بها والناس يأخذونه يحملونه حبالة لا تمتعتهم لحفظها من التبدد
وما علم أكثر الناس أن الليف قبل أن يلم أمتعتهم ويحفظها قد حفظ النخلة من التفريق والتشتت لأن
جرمها كما قلنا رخو ومستحيل أن يثبت عليها سعف أو قنوان بل كانت لولا الليف المشدود بتحرك يسير من
الهواء تتناثر وتتبعثر تلك السعفات وتقع على الأرض فلاخوص ولا سعف ولا ثمر ولا يكون على وجه الأرض
نخلة مشمرة ولا ثمرة تؤكل • فتعجب ثم تعجب من الحكمة والعلم والناس في الأرض غافلون نائمون

(٤) وهالك ما هو أعجب • ترى طلع النخلة يحفظ في غلاف وهو (الكفري) ليصونه من الآفات
العارضة من الحرّ والبرد المفرطين والمطر الشديد والرياح والعواصف والغبار وغيرها لأن الطلع يخرج رطبًا
نديا رخوا فإذا استحكمت واشتد انشقت تلك الأكام والغلاف عنها وظهرت تلك الثمرات لتسليم الهواء
وحارة الجو لتربو وتنبضجها حرارة الشمس وتسير بسرًا ورطبًا ثم تجف وتسير تمرًا
لعمري ما أغفل الناس عما يشاهدون في جمال الدنيا • طلع النخل يحفظه الغلاف عند ضعفه كالجنين
في بطن أمه فإذا استأهل وقوى انشق الغلاف عنه كما يخرج الجنين من بطن أمه والبيضة من الطائر عند قدرة
تحملها ملاقة الجوّ والاكتساب منه والعيش فيه • ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

وهذا هو علم التوحيد • وعلم رقي الأمم • وعلم سعادة الدنيا والدين فليقلع المسلمون عن نومهم العميق
وليعلموا أن هذا هو دين الاسلام • هذا هو أصل الدين • أصل الدين أن تقرأ وتدرس ما خطه الله بيده على هذه
الطبيعة انه حكيم ومن هذا فلتعرف الحكمة ومن هذا فليفهم مقصد الحكيم • في القرآن قد ذكر انه - حكيم -
عشرات المرات فهذا تفسيره • تفسيره هذا الوجود • فلتفتح البصائر ولتجمل السرائر • وبمثل هذا يكون
الحكماء في الاسلام • وبهذا يكون حب الله • هذا هو سعادة الدنيا والدين

(٥) وهناك حكم أخرى مثل النسيج الحريري على النواة • ومثل الحفرة المستطيلة في جرم النواة • ومثل
النقرة التي على ظهر النواة التي منها تخرج النخلة • ومثل القمع الذي على رؤس الثمرات • فهذه وأمثالها
تقدم ذكرها في تفسير (الفاتحة) عند قوله - رب العالمين -

وبمناسبة ما تقدم من ذكر الثمر وبهية الأنعام أذكر هنا محاورات دارت بيني وبين فلاح مصري • وقد
نشرتها جريدة (كوكب الشرق) في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥ • وهما هي ذه

﴿ حديثي مع فلاح مصري ذكي الفؤاد ﴾

خرجت يوم السبت (٢٩) من شهر أغسطس سنة ١٩٢٥ لاروح النفس من عناء الأعمال في الحقول
وأستنشق النسيمات في الخلوات لا القهوات والمنتديات فأسامي الزهر والشجر والزرع والثمر والحب والورق
وأمتعها بالحكمة واجتلاء بدائع النظام في مناظر الفاكهة - والنخل ذات الأكام • والحب ذى العصف
والريحان - * قال الشاعر

والريح تعيث بالفصون وقد جرى * ذهب الأصيل على لجين الماء
 وذلك في المزارع النائية عن بلدة (الجيزة) وبينما أنا أمشي في طرق المزارع وتأمل ذلك الجبال الرائع
 اذ قابلني (فلاح) يسقي الذرة وهو يجمع الكلال من تحته لجاموسه فأخذ يقول أظن انك جئت هنا للزهره
 واستنشاق الهواء منفردا عن الجامع والمجالس . قات نعم وكان في يدي إذ ذاك زهرة قطن أخذتها من
 حقله فسألني قائلا ما الذي تستفيد من هذه الزهرة إذ ليس لها رائحة ذكية ولا منافع مادية . فقلت انظر
 معي تعال هنا لأريك عجائبها وأعلمك بدائعها . قال وأي عجب فيها ونحن نشاهدها كل حين ولا نرى فيها
 عجباً . فقلت أنظر أليس ترى ههنا ثلاث وريقات محيطات بالزهرة أتدري ما فائدتها . قال هي هكذا ربنا
 يعلم أمرها . فقلت هذه تحافظ على دثار هذه العروس الجميلة وملابسها السندسية الصفراء المزدانة بلون
 الشفق وفي داخلها نقط حمر وقطرات العسل الخلو قد أعدت للحشرات تجنيه
 فقال عروس وملابسها . أما الملابس فهي حق انها بهجة جميلة لأنني أرى هذه الوريقات الصفراء
 كذلك ولكن أين العروس . فقلت أنظر هنا داخل الأتواب البيض المصفرة . أنظر هذه الأنبوبة
 من داخلها أليس ترى أنها حاملة حلا خفيفا في جوفها وهي جوزة القطن . قال أرى ذلك . قلت هذا هو
 الرحم وهذا هو الجنين وهذه الأنبوبة هي الأنثى وهذه الأوعية الحاملات حولها حبوبا صفرا هي الذكور
 وتلك الحبوب الدقيقة هي الطلع الذي هو كطلع النخل وهذا الطلع به يكون الالتحاق وكل نبات هكذا فيه ذكر
 وأنثى كهذه الجاموسة وكالإنسان . إذ ذاك رأيت الرجل أخذ يظهر الدهش والتعجب ويقول عشنا ولم ندر شيئا
 في الدنيا زدني زدني سبحانه الله أهذا كله في العلم الله يعمر الأزهر ويجعله أهلا بالعلماء الله الله إن العلم حسن
 جدا قل لي قل لي وهل هذا في القرآن ياسيدنا . قلت له نعم قال الله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين
 لعلكم تذكرون - قال (هه) لعلكم تذكرون ونحن لا نتذكر من هنا جاء النمل للناس من هنا حاققت بهم
 المصائب هم لا يعرفون ربهم لا يعرفون شيئا من أمور دينهم وديناهم . قال (الفلاح) أنت قلت لي ههنا
 عسل وهل هذا العسل للعروس تأكله والله ان العروس في ثيابها كأجل ثياب العرائس . فقلت قد قلت لك
 ان العسل أعد للحشرات مثل النحل . فقال ولماذا . قلت ان الحشرات اذا نظرت لون الزهرة فانه يجذبها
 فتطير اليها لحسنها ثم اذا دخلتها أكلت هذا العسل وعند دخولها وخروجها تحمل أجنيحتها من هذا الطلع الأصفر
 ونحوه فيقع منها على الأنثى التي رأيتها بعض الطلع فيحصل اللقاح والنحلة لا علم لها بما تحمله وإنما هي
 مسخرة وقد أخذت أجرتها وهو العسل والمناظر البديعة في الزهرات وقارة تكون الرياح هي الملقحات وحدها
 ولون الزهر معد لأجل الحشرات الطائفات على الزهرات وهي مغنيات كما تسمع الفناء يغنين للعرائس أيام
 الزفاف . فقال سبحانه الله شيء عجيب أنا الآن أريد أن أسألك عن كل شيء . فقلت له أجيبك على ما
 أعرفه . فقال أنت تعرف كل شيء . فقلت قليلا قال الله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - . قال
 (ياسيدنا) ماذا تقول في الذرة . قلت هو كالقطن . قال فأين مادة اللقاح . قلت في أعلى العود أليس
 تراه أشبه بشماريح طلع النخل . قال بلى وأخذ يضرب كفا على كف وقال هو هكذا . قلت نعم هكذا
 قال فأين الرحم في الأنثى . قلت أنظر الى هذه الأنابيب الشعرية التي هي سلوك حريية ان فيها فتحات
 لانراها والطلع ينزل من أعلى العود ويمر داخلها فتحمل بحبة واحدة فكل حبة على المطر (الكوز) من
 الذرة جاءت من لقح ذكر وحمل أنثى واذن يكون المطر الواحد عبارة عن قرية فيها بيوت كثيرة ومواليد
 بعدد الحبات المنتظمات على (القولح) . قال هذا حق والله لاني رأيت رجال الحكومة في مصلحة البساتين
 الأميرية يجعلون الذرة في خطوط ويأتون الى الخط الذي يأتي الريح من جهته فيتركونه ويأتون الى الخط الذي
 تحت الريح فيقطعون أعلاه ليحجى اللقاح من الأول الى الثاني وهما من نوعين من الذرة فيحصل صنف

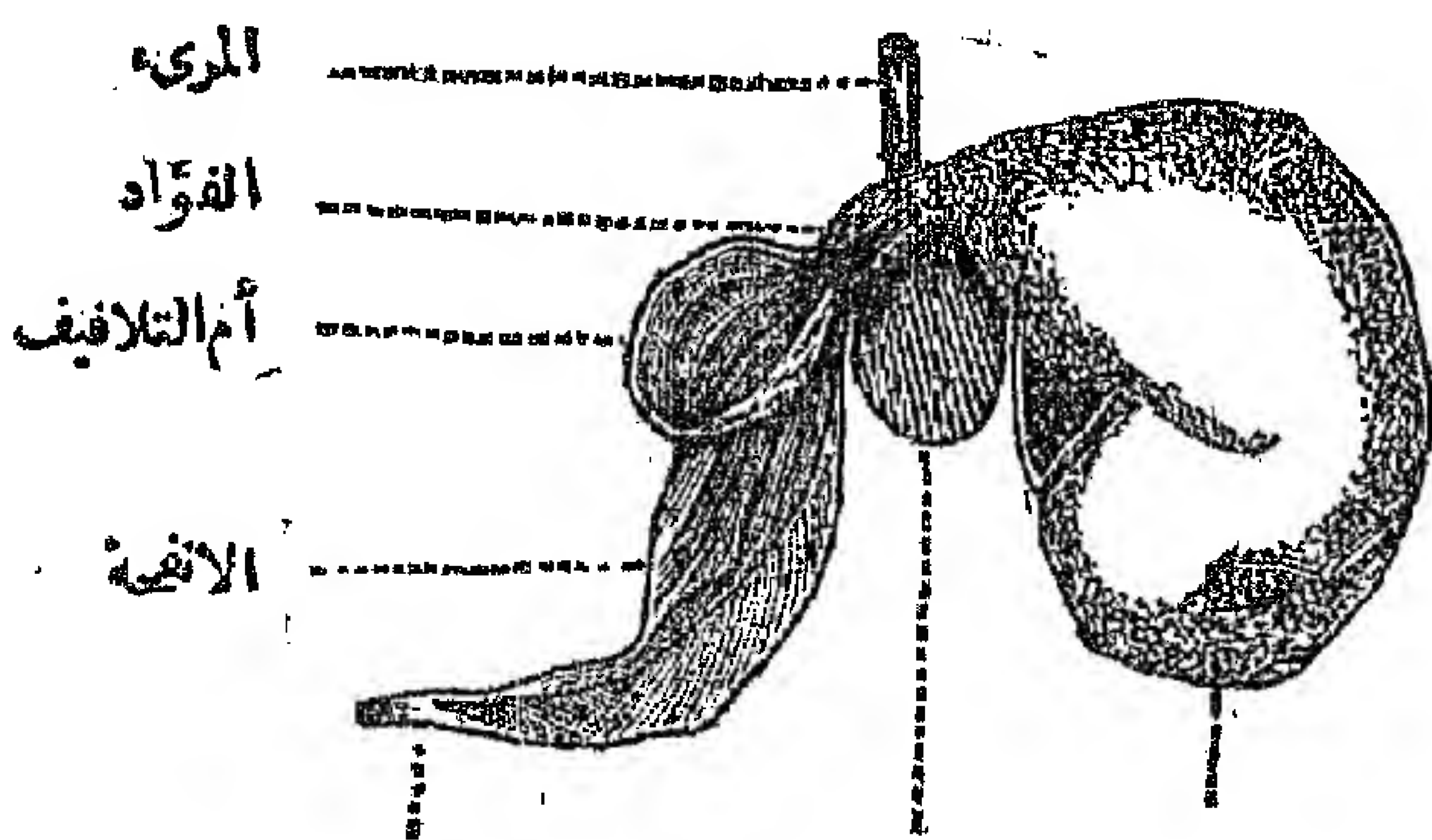
جديد من الذرة بأشكال جديدة . فقلت له أحسنت أنت فهمتة عملا ولكنك لم تكن قد اطلعت على سره . قال نعم

ثم قال الفلاح أنظر الى جوزات القطن فهذه قد فتحت وظهر قطنها . قلت وماذا تسأل عنه قال اسأل عن السبب في أن القطن هكذا ظاهر واضح فأما الذرة فانها اذا نضج حبها وأينع فانه لا يزال داخل الغلاف ونحن نرفعه عنه بأيدينا فأما القطن فانه يظهر للناس خارجا ليس له وقاية تقيه ولا حافظ يحفظه فالزهرة قد ذبلت ووقعت والجوزة انحلت عنه وأصبح بارزا تراه العيون وأما حب الذرة فانه يبقى محفوظا في سنابلها مخبوءا في أماكنه . فقلت له ليس القطن ظاهرا كما تقول بل هو خاف مخبوء فكما اختبأت حبات الذرة بحافظة عليها فهكذا اختبأ القطن . فقال اختبأ هاهو ذا تراه بعينك . قلت أرى الشعر وهو وقاية للبذرة فالمقصود الأعظم هو البذرة وأما الشعر فهو وقاية لها كغلاف الذرة فهناك غلاف حافظ للحب وهنا شعر القطن يحفظ البذرة التي تنبت فتصير قطنا آخر فيما بعد والغلاف في الذرة والشعر في القطن في الحفظ كزلال البيضة الحافظ لمجها (صغارها) . فقال لا تدخلني في مسائل عويصة ولا تطوح بي بعيدا بل نبقي هنا في الغيط ثم قال انك فتحت لي بابا عظيما وأنا سعيد جدا لهذا الكلام ان العلم حسن وعلماء الأزهر متمتعون بنور العلم فرحون به . فقلت له هذا العلم يقل من يدرسه في مصر الآن . فقال يقل ومن اين تعرفه أنت . فقلت أنا من القليل الذين يدرسون . قال ألم يكن هذا في الدرس وأنت قلت انه في القرآن . قلت بلى ولكن الاهمال عظيم جدا وليس كل عالم بالدين دارسا لهذه العلوم الجميلة

ثم جاء ابنه ومعه ما كان مجموعا من (الكلام) ليقدمه للجاموسة . فقال أسألك ياسيدنا عن هذا أيضا . قلت سل . قال ربنا جعل الحشيش للبهائم وجعل لنا الحب لأننا أفضل من البهائم والبهائم تأكله وهي قوية الجسم ومريضها اذا اعتنينا بها قليل ولكن الحب نطحنه ونخبزه والخضر نطبخها ومع ذلك تتعب من الأكل ونحس ببعض الأوجاع والمغص ونستعمل الأدوية فلماذا . قلت ان الله لما أعطاك العقل وطبخت وخبزت أعطاك أيضا معدة واحدة فقط أما هذه الجاموسة وأمثالها من الحيوانات التي تأكل الحشيش فانها لها أربع معدات اثنتان تجميعان مخزنا للطعام حين تتعاطاه الجاموسة يحفظ فيهما أحدهما تسمى (الكرش) والثانية (القلنسوة) واثنان هضم الطعام بعد رجوعه من الاوليين لفم الحيوان فالحيوان يسترجع ماخرنه في الاوليين ليبتلعه وبعد مضغه يدخله في الاخرين ليتهم هضمه فيهما وهاتان الاثنتان أحدهما يسمونها (الانفخة) والثانية يسمونها (أم التلافيف) فالعدل قام هنا وظهر

فلما كان الحيوان لا يقدر على طحن ولا عجن ولا خبز ولا طبخ أعطى أربع معدات تخبز وأطبخ له وكانت له الحرية التامة أن يخزن في اثنتين ويمضغه بعد ذلك ثم يرجعه للثنتين الاخرين . وأما الانسان فكفاه ما هو فيه من الأعمال الخارجية الكثيرة ولم يمنح إلا معدة واحدة . وهنا تمت المسائل العلمية بيننا وابتدأ (الفلاح) يسأل أسئلة عامة في أحوال الأمة المصرية

فقال ألا قل لي ولماذا كان لهذه الجاموسة في بطنها مخزنان ولماذا لم يكن الطعام متوجها الى ما تسمونه (الانفخة وأم التلافيف) مرة واحدة . فقلت هذان المخزنان جعلان لأجل هذه الحيوانات في الجبال إذ تكون الغزاة خائفة من الأسد والنمر ونحوهما فاذا صادفت عشباً أخذت منه مسرعة ما تحتاجه وخرقته ثم أسرعته الى كناسها واستراحت وأخذت ترجعه ثانيا الى فيها وهكذا وتجتر الطعام وترجعه



(شكل ٧ - رسم آلات الهضم للانعام)

للهمضم فهذان الخزان خلقا للخوف من السباع الضارية . فقال ولماذا ترى ربنا سلط السباع على هذه الحيوانات . فقلت لقد أطلت الأسئلة . فقال لا أريد على هذا السؤال . فقلت ان السباع جعلت لنا كل لحم هذا الحيوان بدل أن يعفن في الجوف فيلأه بالمكروبات الضارة فيكون الوباء والكوليرا ويموت الناس والحيوان فالآساد نعمة لا نقمة وأيضاً اذا مات هذا الحيوان ولا منفعة للحمه يكون عبثاً فجعل لحمه للآساد والنمور والذئاب لتعيش به أفلمست ترى أن الناس حين يموتون يعيش السود في لحومهم ويتغذى بها ذلك لأنه يراد أن يكون لكل شيء منفعة . فقال الرجل والله ان هذا كلام حسن وجيل لأنه يفتح الأعين ويشرح الصدور وانى كنت قد فرحت بك ولكن لما قلت لى ان الذين يعرفون الدين يجهلون هذا اغتممت غمماً شديداً واذا كان هذا قولاً جيلاً فاما اذا لا يعرفه الناس كافة وكيف يعرفون ربهم وبماذا يعرفون الله إذن . فقلت عندنا علم يسمى علم التوحيد . فقال هذا هو التوحيد . التوحيد في معرفة فهل الله الذى أريته لى الآن . ثم قال وكيف يفكرون فى التوحيد . قلت يقولون الله واحد وهو قادر وعالم وحى وصمد ويقولون ان الله لولم يكن واحداً وكان له شريك لحصل هناك نزاع بينهما والغالب منهما يكون إلهها قادراً فاذن لا يكون الا إله واحد . قال ولماذا يذهبون بعيدا الله واحد وهو ظاهر فى فعله جعل الذكور والاناث فينا وفى البهائم وفى شجر القطن والذرة فلو كان الخالق غيره لكان العمل مختلفاً فالعمل هنا يجرى بطريقة واحدة منظمة وأما هذا الكلام فالاعتصار عليه تقصير فى العلم وفى الدين وضياح للعقول وغرور كبير . ثم قال يظهر لى ان الناس أغمضوا عيونهم ولم يعلموا . قل لى قل لى هل واحد فى الدنيا يعرف هذه الأشياء معرفة عامة . قلت هم الفرنجة . قال تعنى الخوارج . قلت نعم هم يدرسون هذا ويعرفونه قال ولست أنت تقول ان ديننا يطلبه . قلت نعم ولكن الغفلة استحكمت . فقال أنا فهمت الآن . قلت ماذا فهمت . قال فهمت أننا فى الفلاحين مثلكم تماماً فالفلاح منا يرى هؤلاء الأجانب يزرعون زرعاً منظماً وينظمون الطرق ويأتون بأشجار غريبة ونحن ننظر لهم ولا نفكر فيما يعملون ويقول الرجل منا هذا يحتاج لنقود كثيرة واذا صرفنا فنحن لسنا عن يقين من المكسب وهؤلاء أغنياء ونحن فقراء ونقول هذا ما وجدنا عليه آباءنا فالابن يتبع أباه وهؤلاء يرتقون فى بلادنا ويملكون أرضنا ونكون نحن عندهم مأجورين عاملين لا غير فأظن انكم أتم مثلنا يخاف كل واحد منكم على مركزه ووظيفته ويقول لوانى جعلت النظام على الطريقة النافعة لكرهنى الناس ولقاموا على قومة واحدة فيبقى تعليمكم عقيماً وتعلمون الناس ألفاظاً يحفظها الابن عن الأب والتلميذ عن الاستاذ وهكذا طبعا عن طبق وربنا لا يرضى عن الناس قط اذا فعلوا هذا فالأجانب ملكوا أرضنا بجهلنا وأتم أيضاً بعلمكم المعوج ضيعتم البلاد والعباد والله يسألنى عما أقول أن احتلال البلاد وضياحها ناشئ من جهل القائمين بالأمر من رجال الدين وغيرهم . نحن نستحق المدافع والطيارات والموت مادام كل واحد منا يقول مالى وللمسلمين فنحن وأنتم فى هذه المسؤولية سواء بسواء

أنظر يا سيدنا ان مصلحة (البساتين) كانت تعمل كل يوم تجارب وهذه التجارب تأتى بأنواع جديدة ونظامهم أحسن من نظام الأجانب ثم ان الفلاحين لا يقلدون هذه المصلحة واذا كان للفقراء عذر فاما اذا نرى الأغنياء عنها ساهين لاهين فأنا أظن انكم مثلنا تماماً أهملنا وأهملتم وضعنا أرضنا وضعتم أنتم عقولنا

ولكن يا سيدنا أنت تقول ان علماء الدين لا يقرؤون هذا . فقلت كانوا يقرؤنه أيام المغفور لهم (اسماعيل باشا وتوفيق باشا) وأوائل الاحتلال وبعد ذلك حذف من البلاد بالتدريج . قال حذف من المدارس . قلت نعم . قال لأجل أن تقفل الأعين جميعاً . أعين رجال الدين ورجال الحكومة ولست كيف يا سيدنا تقول هذا القول مع انى أخبرتك أن رجال البساتين يقطعون أعلى الذرة ليعملوا تجارب وهذا يدل على أنهم يعرفون مسألة اللقح فلا بد أنهم يعرفون فكيف تقول انهم لا يعرفون . فقلت هؤلاء هم علماء هذا الفن وطبعا

يعرفونه أحسن مني أنا ومن غيري ولكن هذه معرفة لأجل الصناعة لا أنها لأجل الاستنتاج العقلي منها فما
 أتكلم معك فيه وكان يجب أن يكون جميع رجال الدين وتلاميذ المدارس عارفين بهذه الأمور معرفة تامة
 لترقية عقولهم . فأما رجال البساتين ومصلحتهم فهم أشبه بالأطباء يبحثون عن الزراعة كما يبحث أولئك
 عن المرض فهذا بحث خاص . قال الآن فهمت وصدقت قولك يعني أن هذا العلم ليس معهما في المدارس
 قلت نعم وسيهم من الآن . قال ومن أين جاء لك . قلت انهم تفهموا لهذه الأمور الآن . قال فنبهوا هذا
 لا يكفي ياسيدنا أنت حرام عليك أن لم تقل لهم هذا القول وإياك أن تكون خائفا كالذين يخافون وأن هذا
 الكلام الذي قلته ينفع كثيرا . وصار يقول سألتك بالله أن تقول لهم هذا القول ولو كنت بذلك لكنت
 ملأت المجالس بهذا وكتبت في الجرائد . فقلت له سأكتب كل ما جرى بيني وبينك اليوم في الجرائد والسيارة
 ومتى كتب أحضر اليك ههنا وتسمعه . قال وهل تعاهدني على ذلك . قلت أعاهدك . قال الآن انشرح
 صدري وهذا العمل يرقى الناس ترقية عامة . انتهى حديث (الفلاح) ولقد أحببت أن أكتبه لأن العامة
 أقرب إلى الفطرة فوجدانهم وشعورهم مقتبسان من النور الإلهي - إن في ذلك لعلبرة لأولي الأبصار .
 انتهى الكلام على المقصد الخامس

(المقصد السادس)

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا
 تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
 بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلُونَ *
 وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْمِيزَانُ بِالْقِسْطِ
 لَأَنْكَلِفَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ
 وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
 فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ *
 وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ
 عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ يَتَنَّبَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ كَذَبَ بَيَّاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
 يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ
 رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ

فِي أَيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا هَآذَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلِ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيحًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلِ إِن صِلَاقِي وَنُصْكِي وَحَيَايَ وَنَمَاقِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لِأَشْرِيكَ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلِ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(قل تعالوا) أي هلموا أيها القوم (أتل) أقرأ (ما حرم ربكم عليكم) حقا يقينا لا شك فيه وليس كما تزعمون من تحريمكم للبنى على الأهواء بل هذا نزل به الوحي على ثم قال المتلق (ألا تشركو به شيئا) من الشرك (و) أحسنوا (بالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من أطلاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله في آية أخرى - خشية إطلاق - (نحن نرزقكم وإياهم) يقول لا تشبوا بتاتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم وإياهم فالله تكفل بالرزق فعلى الآباء القيام بالتربية (ولا تقربوا الفواحش) بكائر الذنوب (ما ظهر منها وما بطن) بدل من الفواحش أي علانياتها وسرّها (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) واعلم أن جميع الفواحش الظاهرة والباطنة لا استثناء في تحريمها كالزنا والغصب والسرقة وما أشبهها أما القتل فقد يكون لقصاص أولنا الثيب أول ترك الدين بالردة لذلك أفرد بالذكر لينص على الاستثناء بقوله (الا بالحق) المذكور من هذه الثلاثة ونحوها (ذلكم) ما ذكر من الأوامر والنواهي (وصاكم به لعلكم تعقلون) لكي تفهموا ما في هذه التكاليف (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) أي بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثمينه (حتى يبلغ أشده) حتى يصير بالغاً والأشد جمع كنعمته وأنعم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والتسوية (لا تكلف نفس الا وسعها) الا ما يسعها ولا يعسر عليها فليس إيفاء الكيل والميزان الا بما في الطاقة أما الامور المعسرة فقد عفي عنها لأن التكليف بما في الطاقة والوسع (واذا قلتم) في حكومة ونحوها (فاعدلوها) فيها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعني ماعهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرن) تعظون به (وان هذا) المذكور في هذه السورة بأسرها من اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة ومعجائب الخلقة من السموات والأرض والجنات المعروشات وغير المعروشات وبدائع الحكمة الالهية والأنوار والظلمات والنظر في الثمر اذا أثمر والنهي عن قتل الأنفس والمحرمات بأسرها وما شا كل ذلك وكذلك جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه الرسول وورد في القرآن من دين الاسلام (صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى (فتفرق

بكم) أي فتنركم وتميلكم (عن سبيله) الذي هو اتباع الوحي والبرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به
 لعلكم تتقون) السبل والضلال والتفرق عن الحق • ولما أتم الكلام على المحرمات والتوصية بتركها
 شرع سبحانه يقول على لسان رسوله ﷺ (ثم) أخبركم أنا (آتيناموسى الكتاب تماما) للكرامة والنعمة
 (على الذى أحسن) أى على من أحسن القيام به من أمته كما أنزلنا القرآن كذلك تماما للنعمة والكرامة
 على كل من أحسن القيام به وحافظ على أوامره وترك نواهيه كالذى ورد في هذه السورة من الأوامر والنواهي
 والارشادات للجمال والبدايع التي أحسنها الله وزينها للناظرين (وقصيلا لكل شئ) أى تماما للنعم على
 المحسنين و بياننا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين (وهدى ورجية لعلهم) أى لعل بني اسرائيل (بلقاء
 ربهم يؤمنون وهذا كتاب) أى القرآن (أنزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)
 بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه وانما أنزلناه ولم نكتب بالتوراة والانجيل كراهة (أن تقولوا انما أنزل
 الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى وانما لم يذكر الكتب السماوية الأخرى لأن العرب
 لا يعرفون غيرها (وان كانا) ان هي الخفيفة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أى وانه كانا
 (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لاندري ما هي أولا نعرف مثلها (أو تقولوا) عطف على الأول (لو أننا
 أنزل علينا الكتاب لكننا أهدي منهم) لحمة أذهاننا وثقابة أفهامنا وكيف لا يكون كذلك ونحن على أميتنا
 حفظنا تاريخنا بأشعارنا وعرفنا الأنوار والنجوم والمنازل بحمة أذهاننا ولنا قوة جلد وصبر نقسم بهما المهالك
 وننشر العرفان في أنحاء الكرة الأرضية فنصل الى الهند والصين وأوروبا وننشر علمنا في العالمين ثم قال الله
 تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورجية) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله)
 بعد أن عرف صحتها وتمكن من معرفتها (وصدف عنها) أعرض أوصد عنها فضل وأضل (سبحزى الذين
 يصدقون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدقون) باعراضهم أوصدتهم (هل ينظرون) أى ما
 ينتظرون (إلا أن تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت والعذاب (أو يأتي ربك) أى كل آيات ربك أى آيات
 القيامة والعذاب والهلاك الكلى (أو يأتي بعض آيات ربك) أى أشرط الساعة كطلوع الشمس من مغربها
 * قال رسول الله ﷺ ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من
 مغربها والدجال ودابة الأرض • أخرجه مسلم • وروى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى
 تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها • وفي رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون
 فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا • وفي رواية عن مسلم أن
 هناك عشر آيات الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن
 مريم وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى
 محشرهم قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) كالمحتضر اذا صار الأمر عيانا والايمان
 برهانا (لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) والمعنى انه لا ينفع نفسا حينئذ إيمانها غير مقدمة
 إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرا • قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل
 صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك • فأما من آمن من شرك أو تاب
 من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا
 فانهم لا ينفعهم إيمانهم • ذلك لمعايشتهم الأحوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة • قال الله تعالى
 (قل فانتظروا) أى انتظروا ما وعدتم به من مجيء الآية فنيه وعيد وتهديد (إنا منتظرون) ما وعدكم به ربكم
 من العذاب يوم القيامة (إن الذين فرقوا دينهم) كاليهود الذين افترقوا احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية
 الا واحدة وكانصارى افترقوا اثنتين وسبعين فرقة وهكذا المسلمون فرق كثيرة (وكانوا شيعا) فرقا وأحزابا

(لست منهم في شيء) أي في شيء من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم (إنما أمرهم إلى الله) يتولى جزاءهم ولكن لما نزلت آية السيف قاتلهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله سبحانه وتعالى وسبعون وسبع مائة وبغير حساب كما في آيات أخرى فالعشر إما أقل العدد للمضاعف وإما المراد بها الكثرة بالنظر لنفس العدد الخاص (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها) أي في مقابلتها (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل إني هديتني إلى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد إلى ما نصب من الحجج (دينا) بدل من محل صراط لأن المعنى هديتني إلى صراط مستقيما (فيما) قبيحا من قام كسيد من ساد أو قبيحا في قراءة ابن عاصم وعاصم وحزة والسكسائي على أنه مصدر نعت به وكان القياس أن يقال قوما كعوض فاعل لا علال فعلاه كالقيام (ملة إبراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من إبراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل إن صلاتي ونسكي عبادتي كلها (ومحياي ومماتي) أي وحياتي وموتي واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وسائر أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه وهذا هو قوله (لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت) يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد أمرت (وأنا أول المسلمين) وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (أغير الله أبني ربا) أي سيدا أو إلها (وهو رب كل شيء) سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيه أحد (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) أي إن أثم الجاني عليه لا على غيره (ولا تزر وزر أخرى) أي لا تؤاخذ نفس آئمة بأثم أخرى أولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد (ثم إلى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من الأديان والملل (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) أي جعلكم يا أئمة محمد خلائف في الأرض فإن الله أهلك من قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض تخلفونهم فيها أو خلفاء الله في أرضه تنصرفون فيها وعلى هذا يكون الخطاب عاما لسكل الأمم ثم قال (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الغنى والشرف (ليباوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال وغيرهما أي يعاملكم معاملة المخبر والمبتلى فيبتلى الغنى بغناه • والفقر بفقره • والعالم بعلمه • والشريف بشرفه • والوضع بدناءته • والعبد والحر من جميع أجناس خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لأن العبد إما أن يكون مقصرا فيما كلف به وإما أن يكون موفيا ما أمر به فالقصر يخوف ويرغب فلذلك قال (إن ربك سريع العقاب) لأن ما هو آت قريب (وإنه لغفور رحيم) أي لذنب أهل طاعته • انتهى التفسير اللفظي يقول الله في هذا المقصد إياكم والاشراك بربكم ثم أطيعوا الوالدين واستوصوا بأولادكم خيرا فلا تقتلواهم خيفة الفقر وكأنه تعالى لما أمر الناس بأعظام الخالق فالوالد فترية الولد قد أتم هذا النظم وهو أعظام من فوقنا والرحمة بمن تحتنا أخذ يأمرنا بترك الفواحش الظاهرة والباطنة فكما راعينا بالعبادة والاجلال من فوقنا وبالرحمة من تحتنا هكذا يشملنا تجمل الظاهر والباطن من أحوالنا بالتباعد عن سيئات الأمور • هذه أول وصية فأما الوصية الثانية فهي المعاملة مع الناس فلا تأكل مال اليتيم ونلاحظه كما نرحم أبناءنا ونزن ونسكيل ونقول بالحق فلا نطفف المكيال والميزان ولا نظلم في أقوالنا ونشهد بالحق على أنفس والأقارب فأما الوصية الثالثة فهي أن لا نعدل عن هذا الصراط الذي في هذه الآيات وفي هذه السورة وفي القرآن كله فإذا اتبع كل فريق هواه ضلّ وغوى ووقع في الهاوية • ولما أتم الوصايا الثلاث شرع يخبرنا عن سبيل الديانات قديمها وحديثها وذكرهم القديم وهو دين موسى عليه السلام وأهم الحديث وهو دين محمد ﷺ الذي أمرنا بأن نتبعه فلا نعدل عنه فقال أيها الناس قد آتينا موسى كتاب التوراة لنتم النعمة على من أحسن القيام به عاما وعملا وفصلنا فيه البينات والهدى وجعلناه رحمة على من يؤمن أتباعه بلقاء ربهم • هكذا أنزلنا القرآن فاتبعوه فليس محمد بدعا من الرسل • أيها الناس ليس لكم اعتذار فلا تقولون قد أنزلت التوراة

والانجيل على غيرنا فكيف تعذبنا ونحن غافلون عن دراستهما مع اننا اذكي اذهانا . وأحد أفتنة . وأقوى
قلوبا وأشجع وقد صدق وعدنا ووعدنا وصبرنا في البأساء والضراء فقوى بأسنا فاونزل علينا كتاب لرفعنا به
الأثم الأرضية ولطربنا به في الشرق والغرب ولهدبنا الأثم وهديناها وربيناها وأدبناها . فهذه هوذا القرآن قد
أزال اعتذاركم بارشاد الله القيمة البليغة فمن أعرض عنه أوصد الناس عن اتباعه جازيناه سوء العذاب
فاتبعوا القرآن ولا تتبعوا الأهواء فلم يبق لكم عذر واحذروا التفريق ولا تكونوا كالأمم السالفة
ومن لم يتبع هذه النصائح من الأفراد والأمم فانهم لامحالة واقعون في العذاب الأليم
﴿ عجيبة من عجائب القرآن في هذه الآيات ﴾

وهي - هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا إيمانها إلخ - الآية

اعلم أن كل عمل له وقت خاص فإذا تجاوزه لم ينفع العمل . ألا ترى رعاك الله أن اسكل زرع وشجر وقتا
محدودا وزمنا معينا فتى جاوزه لم يفلح زرعه ولم يثمر . هكذا ترى بني آدم إنما يكون تعلمهم وقت الصغر فإذا
كبروا صعب التعلم . وهكذا الأدب لا يفيد الا صغار السن ومتى جاوز السن لم يفد . هكذا جميع أعمال الحياة
في هذه الدنيا لها أوقات معلومة متى جاوزتها لم تكن لها فائدة

فلننظر نظرة في أهل الأرض في الفرد الأمة والكرة الأرضية كلها فإذا لم تكن الأخلاق والآداب
والعلوم للفرد في حال تمكنه وذهب وقت ذلك وحل الموت فلا يفيد الايمان ولا العلم ولا الأخلاق . ان الانسان
يحشر على مآلات عليه فإذا رأى الحقائق عند الموت وهو قد مات ولا علم عنده ولا أخلاق فأى قوة له على
الطيران في تلك البسات الشاسعة والأماكن العالية . وكما لا ينفع سقى القطن بعد أن عطش أيام اثماره فلا
أثمار بعد قوت سقيه في أيام الاثمار . هكذا لا فائدة من ظهور الحقائق للذي مات ولا علم ولا عمل ولا أخلاق
وإنما يكون في حسرة وحزن على ضياع زمانه بلا فائدة جناها ولا أعمال زاوها

وكما رأيت الفرد ترى الأمة فانها ان لم يقم كل فيها بما استعد له من علم أو صناعة أو عمل ضاقت عليها
الأرض بما رحبت وأسرت اليها الأمم من كل جانب . وكذلك اذا تفرقت أهواؤها فان العدو يغير عليها كما
حصل في الأزمان الغابرة أيام هجم المغول والتتار وهما الأمتان المجاورتان للبلاد الصينية وهم المسمون (بأجوج
ومأجوج) في كتب الجغرافيا القديمة كما يتضح لمن اطلع على خريطة كتاب (اخوان الصفا) فانه يرى أن تلك
البلاد تسمى (بأجوج ومأجوج) . ففي ذلك الوقت هجم (جنكيزخان) على الأمم الاسلامية لما قتل (قطب
أرسلان) رسل (جنكيزخان) الذين أرسلهم للتجارة في بلاد الاسلام ولم يستحل جنكيزخان ذلك الهجوم إلا
بعد أن أرسل خطابا لقطب أرسلان وسترى نصه في سورة (الكهف) نقلته عن كتابي المسمى (نظام العالم
والأمم) وهذا الكتاب فيه طلب المبادلة والمعاملة . ولما قرأ قطب أرسلان الخطاب قطع آذان الرسل فحينئذ
صام (جنكيزخان) ثلاثة أيام لم يذق فيها الطعام وقال يا الله أردت عمارة أرضك ولكن المسلمون هم الذين
أرادوا خرابها ثم هجم الهجمة التي مزقت الاسلام شراً ممزق فلم تبق للدولة قائمة إلا قليلا وخربت بغداد بعد
ذلك خربها (هولاكو) من أعقاب جنكيزخان . هكذا ترى دولة الأندلس إذ فسق المسلمون هناك بعد
واقعة بغداد بنحو (٣) قرون وتقاطعوا وتدابروا وأباحوا التجارة بالقيود ولا شرط فشرّبوا خمر الفرنجة
ولبسوا ملابسهم . وتعلموا في مدارسهم . فتفرقوا شيئا . وذاق بعضهم بأس بعض . وكانت شروط الهدنة
بين بارونات أوروبا ودوق فينيزيا والبابا من جهة وبين ملوك الاسلام في الأندلس من جهة أخرى أن التعليم
حرّ والتجارة حرة والدين حرم فتوغل الأسبانيون في بلاد الاسلام إذ ذاك وسقوهم الخمر وعلموهم التنم بلبس
الحرير والترف والفسوق والخلاعة واستداتوا وقامروا خاوصر الشبان الشابات في الحارات وعلى قارعة الطريق

وخلعوا العذار وحرقوا محمد العرب ودينهم وصاروا يقرؤن عاوم أسلاف الأسبانيين وآدابهم وتاريخهم فأصبحت مدارس الاسلام خاوية على عروشها وصار الناس مسرفين شرهين جاهلين خفت عليهم كلمة ربك فأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون وحقت عليهم آية - إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ - وهؤلاء أسرفوا في الأموال والخلاعة فاستعبدتهم الأسبان فقام الملك (فرديناند) والملكة (إيزابله) فأفتوهم وطردوا من بقي إلى أفريقيا ذلك لأنهم تفرقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وصار لكل منهم وجهة هو موليا حتى ان أحد ملوكهم لما استغرقوا في الفسوق اصطاد فتاة أفرنجية من أيها فشكا أبوها إلى ملك آخر من ملوك الاسلام هناك فأرسل هذا الملك إلى الأول الذي هو ابن ذى النون أن أقلع عن خطتك وارجع الفتاة لأبيها وكيف تكون زانيا فرد عليه جوابا شديدا فقامت بينهما الحرب وساعد الفرنجة ذلك الملك المنتصر للفتاة وضربوا الأمير ابن ذى النون وعملت هناك ليال راقصة فرحا بانتصار الاسلام والنصرانية معا على ابن ذى النون الذي فسق وغوى . هذا هو سبب خراب دول الاسلام قديما وإلى الآن نرى آثار ذلك في الأعقاب فان المسلمين اليوم متفرقون شيعا وقد ذاق بعضهم بأس بعض - وكل حزب بما لديهم فرحون - فان الفرنجة يعلمون الناس تحقير الديانات والآداب والأخلاق الشرقية وهم قائمون بدياناتهم عاكفون على كنائسهم يريدون أن يصدونا عن عوائدنا وأخلاقنا ليضعوا أيديهم علينا ونحن صاغرون ولم يتفطن لذلك إلا طائفتان وهم أهل (الهند) فقد منعوا المنسوجات الأجنبية من بلادهم واخوانا (الترك) فانهم في هذا الشهر (مارس سنة ١٩٢٥) قد حرموا تدريس الديانات غير الاسلام في بلادهم وهذا أول ماتنبه الشرقيون للخطر الداهم . فاذا سمعت الله في القرآن يقول فيما نحن بصدده هل ينظرون إلا أن تأتيهم ملائكة الموت فيقبضون أرواحهم أو يأتي بعض آيات ربك وقد فسر في الصحيحين معا بطولع الشمس من مغربها . فاعلم أن موت الانسان كهلاك الناس كلهم فاذا طلعت الشمس من مغربها فذلك من أشراط الساعة وخراب الأرض فاذا مات انسان فلا ينفعه إيمانه اذا عرف الحقيقة واذا هلك أهل الأرض كلهم فلا توبة لهم بعد الموت . واذا سمعت حديث مسلم وقد روى أن آيات ربك عشرة وذكر منها أنواع الخسوف وخروج يأجوج ومأجوج والجال وعيسى ابن مريم وخروج الدابة ونحو ذلك مما تقدم ايضاحه في غير هذا المكان فلنعلم أن ذلك راجع إلى طلب الشيء بعد فواته ألا ترى أن خروج يأجوج ومأجوج الذي أوفى الله في كتاب نظام العالم والأهم واستراه في سورة الكهف قد كان خرابا على الاسلام كما أجلته لك سابقا وقس عليه ما ذكر من الخسوف فإنه لم يخرج عن اهلاك الأنفس التي خسفت الأرض بهم فكيف يفيد إيمانها بعد ذلك . فأصبحت آيات الله عبارة عن الانقلاب الذي يحصل في الأمم أو في الأرض كلها فخراب دولة فخراب الأرض كموت انسان

﴿ عموم القرآن للأمم ﴾

ولما كان القرآن لم ينزل لأمة خاصة بل لعموم أهل الأرض جاء ذكر هذه الأمور عامة حتى يأخذ كل من أهل الأرض منها بقدر طاقته وأن المسلم كما ينظر في أمر نفسه ينظر في أهل وطنه ودينه وينظر في أمم الأمم كلها فلذلك ترى المذكور في حديث مسلم عبارة عن أمور عامة لا تخص أمة مما يدل أن المسلم يعنيه النظام العام وملخص آيات ربك في هذا المقام ما يكون من الأمور الموجبة لفوات الفرصة فالموت والانقلاب العام في دولة وخراب الأرض كلها متساوية في هذا المعنى

﴿ وضوح معنى الآية ﴾

فكان الله يقول أيها الناس احرصوا على العلم والدين والأعمال الصالحات قبل الفوات وعلى كل امرئ أن يهذب نفسه ويسعى في تعليم أمته لئلا تضل فهلك الفرد لا ينفع بعده إيمانه وكذلك هلاك أمته يكون سبب هلاكه لأن المصائب تعم . واذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خربت دولهم لأن الأمة

كالفردي الواحد فليكن المسلم مهذباً لنفسه هادياً لأئمة فان لم تفعلوا ذلك ولم تكونوا على سبيل فانتظروا مهابة العذاب بموت الأفراد منكم أو انتظروا ما سيحل بكم من تفرق الأهواء حين يخرج (يا جوج ومأجوج) ويتقاتلون الفرس والعرب الذين هم مسلمون وكذلك تقوم الفرنجة على المسلمين في الأندلس وهكذا انتظروا الانقلابات العظيمة فان هذه كلها ستحصل واذن لا تنفع التوبة ويذل المسلمون - فانتظروا انا منتظرون - ولذلك أعقبه بقوله - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء - معناه أنت منهم بريء وهم منك برآء . تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني أي كل واحد منا بريء من صاحبه . هكذا هنا يقول الله ان أمتك يا محمد حين تفرق أهواؤها وتختلف أحوالها وتصبح شيعا ويقوم كل قوم ضد الآخرين فانك بريء منهم وانسابهم لك لا يجديهم نفعا . ولقد صدق الله وعيده فان ابن العلقم وزير المستعصم هو الذي سهل طولاكو دخول بغداد انتقاما من المستعصم الذي كان (سنيا) والوزير (شيعي) واحتل (يا جوج ومأجوج) البلاد فلم يرجعوا (سنيا ولا شيعيا) فحاق الخراب بالأمة الاسلامية لما تفرقوا شيعا . هذا معنى قوله تعالى - لست منهم في شيء - وليس معنى ذلك انهم كفار بل ذلك معناه انهم يعاقبون بما يستحقون لمخالفتهم صراطك المستقيم لأن شريعتك قائمة على قول الحق والعدل واقامة الميزان في كل شيء واعظام الكبير ورجة الصغير فاذا تحولت أمتك عن الجادة نزل بها العقاب ولا تقصير منك فلا تريب عليك فقد بلغت ونصحت

﴿ جواب اعتراض ﴾

لقد اطلع على هذا القول أحد الفضلاء . فقال هذا حمل للآية على معنى بعيد جدا وما لهذه الآية وخراب بغداد وخراب الأندلس ومالك تذهب بالمعاني الى ما لا تحتمل الآية فقل لي بالله كيف يثنى الناس أن هذا هو معنى الآية . كلا والله ان هي الا معان قامت بذهنك فأوردتها في هذا المقام كأنها معنى وليست بمعنى وياليت شعري كيف تذكر هذا وانه لبعيد . فقلت أيها الفاضل أنا لست بدعا في هذا التفسير ولم آت به من عند نفسي فهل اذا أسمعتك أنه تفسير النبي ﷺ نفسه تكون مقنعا بذلك . قال نعم . قلت فاسمع قال أبو هريرة رضي الله عنه في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك عن فوعا قال قال رسول الله ﷺ - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك - هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري . فهذا حث للمسلمين على الاتحاد * وروى عن عمر ابن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا - هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي عن العرياض بن سارية . وفي هذا المقام ذكر المفسرون الأحاديث التي تحض على الاتحاد وما أخرجه أبو داود والترمذي وعظ النبي ﷺ أصحابه حتى وجلت القلوب وأمرهم بالسمع والطاعة ولو ولي عليهم عبد حبشي وأمر أن تتبع سنته وسنة الخلفاء الراشدين بعده وقال اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة * وفي أحاديث أخرى أن اليهود افترقت والنصارى افترقت كما تقدم وأن هذه الأمة ستفترق (٧٣) فرقة الى آخر ما تقدم فهذا كله يدل أن مسألة الآيات في قوله - يوم يأتي بعض آيات ربك - الى آخر ما تقدم يرجع الى ممالك الأمم الاسلامية الذين فرقوا شيعا وذلوا

﴿ رأى المفسر ﴾

وأرى أن هذه الآيات أكبر عبرة في الدين الاسلامي ذلك أن تفرق المسلمين انما جاء للجهالة الشائعة بينهم ولو أن علماءهم أفهموهم أن دين الاسلام ليس خاصا بالمسائل الفقهية بل هو يشمل جميع العلوم لأصبحوا أمة واحدة ولكن الجهالة العمياء والبلاهة السكتعاء وظلم الماوك والأمرء وجهل بعض علماء الدين الذين لا يعرفون من هذا الدين الا أحكام الفقه التي لا تزيد على مائة وخمسين آية . كل ذلك هو الذي حصر عقل المسلم في عناد

أخيه حتى كره كل صاحب مذهب الآخر ولو أنهم عرفوا أنهم يجب أن يكونوا أعلم بالعلوم العلوية والسفلية
ففي القرآن (٧٥٠) آية في الأخلاق و (٧٥٠) آية في العلوم الكونية لو عرفوا ذلك لرأوا أن الاختلاف في
أحوال قليلة جدا والاتحاد في أمور كثيرة فاذن يتحدون

ولكن أقول أن عمر الاسلام لم يزد عن (١٣) قرناً إلا قليلا وهذا العمر في الديانات أشبهه بالطفولة
للإنسان ولقد جاء زمن المراهقة للإسلام وسيكون في المستقبل من المسلمين فطاحل العلماء في العلوم العلوية
والسفلية لا الفقهية وحدها واذن يرتقي المسلمون ويكونون حاملي ألوية السلام وذلك بعد انتشار هذا التفسير
وأمثاله من مؤلفات علماء الاسلام في الأفطار الاسلامية

هذا ولما كان المسلم لا يعم نفعه إلا بالاخلاص أعقب هذا القول بما يفيد ذلك فبدأ بالحسنات وانها تضعف
للحسن وأكمل القول بالاخلاص اشارة الى أن الحسنات لا تكون إلا بالاخلاص كما أن الاتحاد لا يكون إلا
بالاخلاص فلذلك قال - اني هداني ربي الى صراط مستقيم - وهو الدين القيم الذي كان عليه الخليل عليه
السلام وصلاتي وعبادتي وحياتي وموتي * كل هذه مسلمة - لله رب العالمين - وأنا بذلك مأمور - وأنا أول
المسلمين - ثم أفاد انه رب كل شئ وأن النفس لا تحمل الا ذنبها وكل لله راجعون

ثم ختم السورة بقاعدة عامة وهي ان الناس جميعا في الأرض ممتحنون مختبرون فلا ينجو مسلم باسلامه من
الاختبار ولا صالح ولا طالح بل جميع الناس سواء في ذلك * فاذا عوقبت أمة من الأمم الاسلامية أو أفراد ذلك
لا يمتنع الاسلام لأن كل نفس تحمل ذنبها وعدل الله حق على الجميع فالناس كلهم خاضعون لتلك القوانين
العادلة الالهية

واذا كان الله سريعا عقابه فليس معنى هذا أنه يهادى في غضبه فالأمة التي ترجع الى ربها تقبل وترقى
ولذلك ختم بقوله - وانه لغفور رحيم - فاذا اتعظ المسلمون بأسلافهم وتعلموا وعرفوا علوم الأمم وعلوم العوالم
فانهم يسودون أهل الأرض ولا يكونون كالمسلمين أيام (قطب أرسلان) اذ جهلوا قوة المفلول والتترلفومهم
على مهاد الراحة لأنه ثبت أنهم كانوا يجهلون قوة جيرانهم فاحتقروهم فاشعروا الا وطلائع القوم قد حلو
بساحتهم فأبوا بلاء حسنا فعرف المسلمون أنهم جاهلون بمن حولهم وأيقنوا بالهلاك فدهمهم التتر والمفلول
وخربوا المدن تخريبا تاما وقتلوا كل نفس كما تقدم

فعلى المسلمين أن يعلموا أن تفرقهم لأنهم جهال نائمون غافلون وأن الأمم الاسلامية الماضية كان بعض
علمائها أشبه بالأميين لا يعرفون من العلوم الشرعية إلا الفقه وصرفوا الناس عن علوم جلال السموات
والأرض ففتنوا المسلمين وناموا نومة أهل الكهف في الجهالة العمياء والبلاهة الكتعاء فغلبهم الله بالنزلة
فليعتبر المسلمون الحاليون وانى موقن أنه ظهر فيهم مصالحون وما أكثر المصلحين اليوم في الاسلام *
وانى أسأل الله أن يجعل كتابي هذا من مبشرات الرقي في الاسلام بل أقول انه سيكون كذلك * وهذا
أوان الرقي فلا بشر به المسلمين وليكونوا من مستقبل أمرهم على يقين - ولتعلمن نبأه بعد حين -

﴿ جوهرة مشرقة ﴾

بعد أن ختمت تفسير هذه السورة رأيت أن قوله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك - يحتاج الى زيادة
ايضاح فهاك ما وقر في النفس بعد ما تقدم * فأقول

اعلم أن هذه الأحوال كلها أوجلها قد ظهر في هذه الأرض وقد قلت فيما تقدم ان مرجعها كلها المفاجأة
بأهلاك ونتيجة ذلك أن تكون الأمم والأفراد مستيقظين للأعمال النافعة في الدنيا والدين فان الموت يأتي
سفاة وكذلك الأحوال العامة التي تحل بالأمم

(١) فاذا جاء في الحديث الذي أجمع عليه البخاري ومسلم أن الشمس اذا طلعت من مغربها لم تقبل

التوبة فذلك للمفاجأة التي تصيب الناس من ظهور الحقائق بالبلاد الأوروبية حيث تغرب الشمس فان العلوم لما ظهرت وبهرت وكانت أمم الاسلام لا يعرفون إلا العلوم الفقهية مدة قرون جاء لهم أهل الغرب فأذلوهم وقتلوهم وابتدوا ذلك بالأندلس ثم تخطوا ذلك الى بلاد الشرق وهانحن أولاء نراهم يحرقون القرى ويهلكون أهلها ولا يرجون صغيرا ولا كبيرا . فالأمم الاسلامية التي تأتت من علوم الكائنات وتطقت انهارا تانفي ايمانها ودينها فهي لا محالة آيلة الى الهلاك كما حصل في بلاد (أفريقيا) من دول أوروبا . فأما التي يكون اعتقادها بالاسلام يحضها على العلوم فهؤلاء الذين يكسبون في ايمانهم خيرا وحينئذ ينجون من الخطر فيعيشون مع العالم بسلام . فاذا رأينا بعض الأمم الاسلامية اليوم يقرؤون العلوم العصرية فهؤلاء اذا اعتقدوا أنها من الدين ترقوا سريعا لا اعتقادهم الراسخ في أذهانهم فيعيشون مع العالم بسلام والا أذهم الغرب بالحرب والهلاك وفاجؤهم بالمدايع فقتلوهم

(٣٥٣) واذا جاء في الحديث أن هناك خسفا بالمغرب وخسفا بالمشرق وخسفا بحزيرة العرب . فاعلم أن هذا تنبيه على أن الأرض تحصل فيها زلازل كما تقدم في هذا الكتاب وهذا تنبيه أيضا على أمر طبيعي ومفاده أن من القرى ما تقع فيها الزلزلة على سبيل المفاجأة فأهلها يموتون وكل منهم يموت على ما عاش عليه ولا تنفع التوبة وهذا تحذير من أمر طبيعي كما يحذرنا من الغفلة لئلا يفاجئنا الموت

(٥) واذا جاء في (مسلم) أن هناك نارا تطرد الناس الى محشرهم فحكمها كسابقها وهي المفاجأة فليكن الناس على حذر صالحين في أعمالهم

(٦) واذا جاء في حديث (مسلم) أيضا أن الدجال اذا نزل لا تقبل التوبة . فاعلم أننا قدمنا في سورة (البقرة) أن من يشبه الدجال هم الأمم المستعمرون فانهم اذا نزلوا بساحات الأمم الشرقية أذلوها وأهلكوا أهلها فمن مات منهم لا ينفعه توبته عند الموت وهذا تحذير للأمم الاسلامية من دجل الأمم واضلاها ومدّها بالترف والنعيم والصناعات والتجّر والملابس الفاخرة فيستنزفون ثروتهم ثم يقبضون عليهم ويملكون بلادهم وقد أروهم جنة الشهوات واللذات والوظائف والبضائع الجميلة فأصبحت على الشرقيين نارا تلظى لا يصلاها إلا الجاهلون فأذلوهم . وقد قلت في سورة (البقرة) وغيرها أنا لست أقول انهم هم (المسيح الدجال) وانما أقول هم نظرائه وأشباهه فلهم حكمه كما اني أقول ان طلوع الشمس من مغربها وان كان على حاله وحقيقته يراد منه على سبيل الكناية المقصودة للناس في هذا الزمان شمس العلوم والعرفان وهذه كناية بحسب القواعد في علم البيان . فالدجال كناية وطلوع الشمس من مغربها كناية والقرآن أولى بالكنايات والكناية أبلغ من المجاز ومن الحقيقة

(٧) واذا جاء في حديث (مسلم) الدخان فقد ظهر بأوضح وجه في هذا الزمان . أولست ترى أن الدخان هو الذي يحارب به الآن . أولست ترى الغازات الخائفة والمعمية . والتي تأتي بالطاعون . والتي تمت سريعا والتي تأتي بالسل . والتي تأتي بالجفون الخ

وهذا قوله - يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم - وقوله تعالى - أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير - وهذا الحاصب ينزل من الطيارات في بلاد (العراق) وفي بلاد (مراكش) وفي بلاد (سوريا) فالأول من الانجليز . والثاني من الأسبانيين . والثالث من الفرنسيين وذلك حاصل الآن أي سنة ١٩٢٦ (٨) واذا جاء ذكر (يا جوج وما جوج) فهذا أنت ذا عرفت حقيقتهم فيما سبق قريبا وقد أريت لك ما يكفيك والا فافقأه في كتاب (نظام العالم والأمم) وفي سورة (الكهف) فيما سيأتي

(١٠٩) واذا ذكر الدابة وظهور عيسى ابن مريم فهذا كناية لظهور الحقائق واضحة جليلة . فالقلوب النقية

المستعدة تنال السعادة وتفهم الحقائق . والقلوب المطموسة التي لم يهذبها الدين ولا العلم فلا توبة لها لعدم
تعقلها وفهمها

وإذا ذكرت هذا فاعلم جعلته كناية والكناية تكون مع الحقيقة والقرآن للهداية نزل . واعلم أن سورة
الأعراف قد أوضحت هذا المقام تمام الايضاح فليدرك في أولها كيف تفاجأ الأمم بالهلاك ثم سرد قصص نوح
وعاد وودومدين وقوم لوط وفرعون وانهم دمرُوا وهم لا يشعرون . فهذه من بعض آيات ربك التي إذا جاءت
لا يفتح قسا إيمانها لم تسكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا

واعلم أن ثمة هذه الآيات والمفاجآت إنما يكون في هذا الزمان فالتدبير والدخان والعلوم
والدجالون الكذابون من الأمم القوية كل أولئك أحاطوا بالمسلمين وكذلك العلوم والمعارف . فإذا لم
يشاكل المسلمون الأمم التي حولهم حقت عليهم كلمة العذاب فأصبحوا خامدين . وما كانت سورة الأعراف
الآتية ولا بعض آيات ربك التي في هذه السورة لتنزل لمجرد التلاوة أو الأخبار بل هي إنما نزلت لاستيقاظكم
أيها المسلمون في هذا العصر وإني أنذركم صاعقة العذاب الهون وخراب الدول إن لم تقوموا من فوركم بما
أبنت لكم في تفسيرى هذا من عجائب الله تعالى وتعرفوا ما ذرأ الله في الأرض والسموات من بديع صنعه
وجليل إبداعه

هذا هو الزمان الذي تنشر فيه الحقائق الإسلامية ويقوم المسلمون بنهضتهم العلمية العمرانية والا فليعلموا
أنهم خامدون ماتون هالكون صرعى المدافع والقنابل والدخان والدجالين أو تخسف بهم الأرض بما يقذف
عليهم من الطائرات وهكذا - إن ربك سريع العقاب - بذلك - وأنه لغفور رحيم - لمن أدركوا وعقلوا
فأبقاهم إلى حين . انتهى تفسير سورة (الأنعام) ويلها سورة (الأعراف)

﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾

(هذه السورة مكية الاثمان آيات)

وهي قوله تعالى - واسألهم عن القرية - الى قوله - وإذ أخذ ربك من بنى آدم الخ -
وقد قسمت الى تسعة أقسام (القسم الأول) من أول السورة الى قوله - كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون - وهذا القسم فيه أربع مقاصد (المقصد الأول) في مقدمة السورة في ابتداء تفصيل الكلام على ما أجل في آخر سورة (الأنعام) من مفاجأة الأمم بالحوادث المزعجة فعليه يجب أن يكون الناس مستيقظين دائماً من قوله - المص - الى قوله - قليلاً ما تشكرون - (المقصد الثاني) في قصة آدم وحواء وما أصيبا به من خروجهما من الجنة ونزولهما الى الأرض وهي أول ماجاء من القصص كالتطبيق على ما يصاب به الناس مفاجأة من قوله - ولقد خلقناكم ثم صورناكم - الى قوله - وفيها تموتون ومنها تخرجون - (المقصد الثالث) بيان أن هذه القصة كسائر القصص ليست تقصد لذاتها أو لتفكك بل هي للحكمة والاعتبار والعمل وحث الناس على ألا يتبعوا وسوسة الشيطان كما اتبع أبوهم آدم وسوسته فغوى وليحذروا أن يفتنهم الشيطان فينزع عنهم لباس التقوى كما نزع من أبيهم اللباس المادى . ثم أخذ يذكر أحكام اللباس في الصلاة وحكم الزينة التي خلقها الله وهكذا وذلك من قوله - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم - الى قوله - ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون - (المقصد الرابع) فيما هو أهم مما تقدم وهو النظر في خلق السموات والأرض والشمس والقمر والسحاب والمطر والنبات الخ من قوله - هل ينظرون إلا تأويله - الى قوله - كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون -

﴿ القسم الثاني ﴾ في قصة نوح وقومه وكيف غرقوا بكفرهم من قوله - ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه - الى قوله - انهم كانوا قوماً عجمين -

﴿ القسم الثالث ﴾ في عاد ونيهم هود عليه السلام من قوله تعالى - والى عاد أخاهم هودا - الى قوله - وما كانوا بآياتنا مؤمنين -

﴿ القسم الرابع ﴾ في ثمود ونيهم صالح عليه السلام من قوله - والى ثمود أخاهم صالحا - وكيف كانوا يتخذون من السهول قصوراً وينحوتون من الجبال بيوتا . وكيف خسفت بهم الأرض لما طغوا وبغوا الى قوله - ولكن لا تحبون الناصحين -

﴿ القسم الخامس ﴾ قصة قوم لوط عليه السلام إذ كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فأمر الله عليهم مطراً غزيراً فهلكوا من قوله - ولوطاً إذ قال لقومه - الى قوله - فانظر كيف كان عاقبة المجرمين -
﴿ القسم السادس ﴾ قصة أهل مدين ونيهم شعيب عليه السلام إذ كذبوا وطففوا للمكيال والميزان ونحسوا الناس أشياءهم فأخذتهم الرجفة لما كذبوا من قوله تعالى - والى مدين أخاهم شعيبا - الى قوله تعالى - فكيف آسى على قوم كافرين -

﴿ القسم السابع ﴾ في نتائج عامة من القصص المتقدمة ونصائح عامة فصل فيها ما أجل في أول السورة وفي آخر سورة (الأنعام) من أحوال الأمم العاصية وأنه يجب الحذر في كل حين لأن خراب الأمم قد يأتي بغتة ليلاً أو نهاراً وأن أكثر نوع الانسان لا عهد له من قوله تعالى - وما أرسلنا في قرية من نبي - الى قوله تعالى - وان وجدنا أكثرهم لفاستقين -

﴿ القسم الثامن ﴾ قصص موسى عليه السلام وما كان من أمر فرعون معه . وكيف كان أصحاب العقول أقرب للحقائق ممن يتبعون خوارق العادات كما حصل لسحرة فرعون وجهلة بنى اسرائيل إذ آمن

الأولون لما رأوا ما هو فوق قدرتهم على يدى موسى وكفر الآخرون لما جاوزوا البحر وقالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وغير ذلك من الآيات المفصلات الى قوله - وكذلك نفصل الآيات واعلمهم يرجعون -
 ﴿ القسم التاسع ﴾ قصص بلعام بن باعوراء السكيعانى إذ أعطاه الله العلم فضل به وما يتبع ذلك من الأحكام العامة من قوله - واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الى آخر السورة

﴿ مقدمة تبين ارتباط هذه السورة بما قبلها ﴾

اعلم أن سورة (الأعراف) متممة لسورة (الأنعام) وبيانها أن سورة (الأنعام) يرجع أهم ما فيها الى أمرين اثنين (أولهما) النظر فى العالم العلوى والسفلى (والثانى) اجتناب الشرك والظلم والمعاصى والقنصل والعقوق والزنا وما أشبه ذلك وتجد العناية بالأمر الأول واضحة جلية فى ابتداء السورة بالحمد على أن الله خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وفى نظرات الخليل فى السكواكب متدرجاً من أدناها الى أعلاها وفى أن الله هو الذى فلق الحب والنوى وأخرج الحى من الميت وأخرج الميت من الحى وأضاء النهار وأظلم الليل وأنشأ جنات وأعاباً ونجلاً وهكذا مما كثرت ذكره فى السورة وترى الأمر الثانى ظاهراً فى التنديد بعبادة الأصنام والشرك واتباع الهوى وتحريم الحلال وتحليل الحرام وظهور جلياً فى آخر السورة إذ قال - قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم -

وختم السورة بانذار الأمم اذا أهملت العلوم فجعلت العوالم العلوية والسفلية أولم تراعى الأخلاق والآداب فظلمت وعصت فأنذرها بقوله - يوم يأتى بعض آيات ربك - ولم يبين تلك الآيات وإنما أبهمها وتركها للناس يفكرون فيها وجاءت بعض الأحاديث بما يشف عن بعض الآيات بطريق الرمز ورجع ما فيها الى أمور عامة ذكرناها يقصد بها أن تكون الأمم متيقظة عامة عاملة كما شرحناه

فكان الله يقول فى سورة (الأنعام) كما قال فى سورة (الفاتحة) أى عبادى ها أنا ذا آمركم أن تحمدونى لأننى رب العالمين ولن تعرفوا التربية العامة إلا بدراسة ما ربيته ونظمته من العالم العلوى والسفلى . أتم مأمورون أن تحمدونى لأننى رب العالمين ولأننى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور ولا حمد لمن يجهل صفات الحمود ولا شكر لمن غفل عن صفات المشكور وأنا لم أبتدىء القرآن بحمدى على أننى رب الثواب والعقاب ولارب البيوع والشفعة والرهن والميراث والقضايا والبيئات والوضوء وأركانه وأنواع الحيض وأقسام المياه التى يجوز التطهير بها ولاعلى مسائل العتق ولاعلى مجادلات علماء التوحيد واختلافهم فى صفاتى وهل هى عين ذاتى أو غير ذاتى وإنما أمرتكم بحمدى على أننى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور وخلقكم من طين وريبت العالمين . وكيف تحمدونى وأنتم أجهل الناس بأعمالى وجمالى ونورى الذى أشرق والظلمات التى تنجى وتذهب بحساب . وكيف تحمدونى وأنتم لم تدرسوا الفلك ولا الطبيعة ولا النبات ولا الحيوان ولا جمال مخلوقاتى . على هذه يكون حمدى ولا حمد لكم إلا بالدراسة والعلم فمن جهل صفات الحمود كان حبه نفاقاً وشكره لفظاً وتعبد به جهلاً وحبه لربه رياء . وكيف تحبون من تجهلون أو تقرّبون الى من لا تعرفون وهل تعرفونى إلا بأعمالى . أعمالى التى أبرزتها فى جوارى السكواكب والشموس والأقمار والنبات والحيوان والانسان فلا جمال الا من جمالى ولا حكمة إلا من أعمالى

ولا يتسنى لكم معرفة جمالى فى هذه المخلوقات إلا اذا انتظمت دولكم ولا يكون النظام إلا حيث تتركون المعاصى ظاهراً وباطناً وتقومون بالصلاة والزكاة وبقية أركان دين الاسلام وتتركون ظاهراً والامم وباطنه وأن تتركوا ما حرم ربكم عليكم فلا تشركوا به شيئاً ولا تقتلوا أولادكم

وانظر رعاك الله كيف ختم السورة . بما اذا ختمها . ختمها بالانذار للأمم كلها . أنذره وحذرهم قال لهم اتبعوا صراطى مستقيماً ولا تفرّقوا والا أنزلت عليكم ما يصيب الأمم الجاهلة بفعل ربها ونظامه فى خلقه

الظلمة في أعمالها العامة والخاصة . فإذا أتت لكم بعض آيات ربكم لا تنفعكم التوبة يقول قوموا بالأسيرين معا . معرفة نظام السموات والأرض . وتهذيب نفوسكم ونظام دولكم والا فانكم معرضون للانتقام وذهاب دولكم يوم يأتي بعض آيات ربكم واذن لا ينفعكم توبة ولا ينجيكم اتباعكم لدين الاسلام بمجرد اللفظ وأنتم تجهلون فلا تكسب كل نفس إلا عليها انكم خلائف الأرض وأنتم تختبرون تمتحنون فمن فاز في الامتحان قرّبناه ومن رسب أنزلناه . ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى . نحن اختبرناكم فيما أعطيناكم فلا تقصروا في شكرنا ولا تناموا عن معرفة نظامنا

﴿ سورة الأعراف ﴾

لما كانت سورة (الأنعام) لم يفصل فيها هلاك الأمم الجاهلة ولم يبين كيف يهلك الذين لا يعقلون والذين هم يظلمون بارتكاب المعاصي جاءت سورة (الأعراف) وقد ذكر فيها آدم ونوح وعاد وثمود وقوم لوط ومدين وبنو إسرائيل وقوم فرعون وقد هلك من هلك من هؤلاء اما لتطيف المكيا والميزان واما لعدم معرفة النعمة وشكرها على قصور في سهول وبيوت منسجونة في الجبال . واما على الظلم بالقتل . واما على الفسوق بمباشرة الرجال ومخالفة حكمة الخالق في الاقتراب من النساء . واما على تكذيب الأنبياء ونبد الحق ومخالفة طريق الهدى

فانظر كيف ابتداء سورة (الأعراف) بما لم يتقدم به سورة (الأنعام) . ابتداء سورة الأنعام بإيقاظنا الى النعم التي حولنا وتوجيه عقولنا اليها . ولما علم الله أن أمة الاسلام ستكون بعد النبوة بأمد طويل كالقرن الرابع عشر لا تغير هذه النعم التفاتا ولا تلوي اليها عناننا ولا تعرف المقصود منها مع انها أهم العلوم وأهم النعم وأن الحمد لم يذكر في الفاتحة ولا في الأنعام إلا عليها

ختم سورة الأنعام بالانذار . وابتداء سورة الأعراف بإكمال الانذار فقال - كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين - يقول في سورة الأنعام توجهوا بعقولكم الى مخلوقاتى واتركوا المعاصي . ويقول في الأعراف أنزلت اليك الكتاب فلا يكن في صدرك ضيق منه فأنذره الناس وانل عليهم أنباء الأمم الضالة فكم من أمة أهلكتها لئلا أونهارا . فسورة الأعراف لبيان الأمم التي جهلت ما صنعه ربها وغفلت عن نعمه أو عصت في أعمالها

﴿ القرآن ونهر النيل ﴾

اعلم أن مثل القرآن مع الأمم الاسلامية كنهر النيل مع الأمة المصرية . ان النيل كان يجري قديما من وراء خط الاستواء من فوق جبال (القمر) ويمر في الأودية والبحيرات ويقطع أميالا وأميالا آتيا من نهري النيل الأبيض والنيل الأزرق وهما يجتمعان عند مدينة (الخرطوم) ويتجهان شمالا الى البحر الأبيض المتوسط ولم يكن للنيل سدود تمنعه ولا قناطر تحجزه ولا حبوس تحفظه ولكن كان يمر في طريقه ولا يعرج على شئ ولا يلبى على أحد حتى يصب في البحر الأبيض . وغاية الأمر انه في زمن الفيضان أيام الخريف يعم الأرض وبعد ذلك يقل ماء النيل فتجف الأرض فيزرعونها مرة واحدة . وكان الناس أيام الفيضان يعيشون في مدنهم وقراهم والماء من حولهم ويأكلون مما يخزنون ولا يتزاورون إلا على المراكب والقوارب وما أشبههما . ولقد كان لقدماء المصريين بحيرة يخزنون الماء فيها لينفع ذلك أيام قلة المياه . ومن ابتداء الفتح الاسلامي وقبله الى أمد قريب لم يكن لتلك البحيرة عمل بل هجرت لما ذهب مجد الأمة القديمة وبقى النيل يجري مجراه حتى اذا كان العصر الحديث جعلت للنيل قناطر وسدود في جهات كثيرة وضبط ما فيه من الماء بقدر الامكان فأصبحت مصر وأصبحت عروسا وازينت للناظرين هكذا القرآن

﴿ القرآن ﴾

يقرأ الناس القرآن بألسنتهم وهم لا يعلمان بما فيه بل هم أجهل الناس به كما كان النيل يجري من وراء خط الاستواء الى البحر الأبيض ولا ينتفع الناس به إلا أيام الفيضان وهي أيام قليلة ولذلك لم يكن يسكن بلادنا إلا نحو مليونين . أما الآن فقد أصبح السكان نحو (١٤) مليوناً أى سبعة أضعاف مكانه من قبل وفيضان القرآن على أمة الاسلام في القرون المتأخرة لم يكن إلا الأحكام الشرعية من الحيض والنفس والميراث والوضوء وهكذا فأجذبت الأمة الاسلامية وخلت ربوعها من الأنيس وحلت بها الانكيس وأذها الانجيز والفرنيس ووسوس لها ابليس

فهذه سورة (الأعراف) جاء فيها ذكر الأمم الجاهلة أو الفاسقة تذكر المسلمين بما حل بهم الآن من خراب مما لكهم كما خربت عاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون لما طغوا وبغوا وجهوا العلم والحكمة وكانوا ظالمين سورة (الأعراف) تذكروا للمسلمين وانذار لهم بقرب ذهاب دولهم بل ما فيها من القصص هي عين ما حل بالأمة من ذهاب مجد وضياح بلاد وخراب أمم بما فسقوا وبما جهلوا والفسق والجهل متلازمان وهما صنوان واخوان لا يترقان

﴿ سورة الأعراف جاءت لظهور الحقائق ﴾

جاء في سورة (البقرة) قصة آدم وأتبعه بقصص بني اسرائيل ولم يذكر هناك صراحة نتائج قصص آدم ولا نمرته . ولكن في هذه السورة العلم والمعرفة والفهم . ألم تر أن قصة آدم في هذه السورة قد أعقبتها بدرس في التهذيب والتربية فقال - يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - ينزع عنهما لباسهما بل تجاوز ذلك الى ما هو أرقى وأكمل وأنم وأعظم وأنفع وأشمل فقال - ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله - يا عجباً يذكر قصة آدم ويخرج من نزع لباسه الجسمي الى الكلام في لباس التقوى لنا ويجعل لباس التقوى خيراً ويقول - ذلك من آيات الله -

إن هذه القصة ذكرت في أول سورة (الأعراف) في ابتداء القصص ليدلنا أن هذه الحكايات والقصص لا يراد لفظها ولا مجرد حفظها ولا فهم معناها . بل يراد منها ما يلزمنا في حياتنا . ويحفظنا في كياننا . ويؤلف جامعتنا . ويرقينا في هذا الوجود والا فأن ما حصل لآدم وحواء من كشف سواتهما وما ألهماه من خصف الورق عليهما وما جاء تقريرا على قصصهما من ذكر اللباس الذي يوارى سواتهما من القطن والكتان والنيل والحرير وغيرها وما فوق ذلك من اللباس التقوى وأنه يجب علينا أن نتق وسوسة الشيطان لئلا ينزع عنا لباس التقوى كما نزع من أبوينا اللباس الظاهري . هذه القصة تنطق بلسان فصيح أن ما ورد في القرآن من القصص لم يكن الا للنتائج التي تنفعنا ولم يذكر من ذلك قصص لذاته والا فهذه القصص أصبحت مشهورة بين الناس وهم لا يلتفتون اليها

فعلى المسلمين أن يحذروا من وقوع العذاب الذي هم أعلم الناس به فقد حل بالدول الاسلامية كلها وأحاط بهم من كل جانب وهم نائمون . ولو أنهم عرفوا أن سورة (الأعراف) ان هي الا مثل من الأمم الخالية لما سيحصل في الأمم المستقبلية التي نحن منها وقد مسنا نفس العذاب الذي حاق بتلك الأمم من عاد وثمود الخ لو عرف المسلمون ذلك لرجعوا الى نظام الله في السموات والأرض وفهموا خلق السموات والأرض والظلمات والنور وعلوم النبات والحيوان الخ . واذن تكون هذه العلوم التي تبلغ آياتها (٧٥٠) آية أشبه بالقناطر التي في نهر النيل والسدود والعمرم والحبوس التي تحفظ للماء فيسقى الأرض هكذا أتم أيها المسلمون عليكم أن تقفوا عند آيات النظام العام التي لا يمكن حمد الله جدا حقيقيا الا بها . وتدرسوا ما اشتملت عليه دراسته كدراسة أوروبا بل أعظم وتكون تلك الدراسة أشبه بالقناطر في نهر النيل فيعم العلم ويتبعه السعادة

فتعرفون نعمة الله وتناولون منافع ما خلق بعلمكم وعملكم لا بمجرد الطبيعة كما يتربى السود على العود لا يفكر من أين وإلى أين ومم خلقه . واذن يعطيكم الله من منافع جماله وأنهاره وسهوله ونجومه وزروعه والا قال لكم - فلا كيل لكم عندي ولا تقربون - لأنني لم أخلقكم دودا ولا ذبابا ولا ناموسا ولا بهائم بل خلقكم لتفكروا ولا تفكر أعظم من معرفة العوالم العلوية والسفلية معرفة بها تستنتجون المنافع المادية والعنوية وأنا اذن أعطيكم على قدر ماتكسبون - والوزن يومئذ الحق - وكل شئ عندي بميزان . انتهت المقدمة ﴿ القسم الأول من سورة (الأعراف) وفيه أربعة مقاصد كما تقدم ﴾

(المقصد الأول)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

المص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * وَكَمْ
مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقْصُصَ
عَلَيْهِمْ بَعْلَمٌ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ * وَالْوَزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ * وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ
وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ *

(التفسير اللفظي)

(المص) تقدم الكلام عليها بأبسط وجه في أول سورة (آل عمران) وهذه السورة (كتاب أنزل إليك) والجملة صفة كتاب (فلا يكن في صدرك حرج) ضيق (منه) لما اشتمل عليه من هلاك الأمم السالفة ومفاجأتها بالعذاب لما قصرت في كيل وميزان أو عدل أو شكر لنعمة أو كانت تفعل الخبايا . ولم تسبق سورة قبل هذه فيها انذار باستئصال الأمم فلذلك ابتدئت بأمره ﷺ ألا يكون في صدرك حرج وضيق لأن التبليغ يحتاج إلى الانذار والتبشير والخوف والرجاء وهذه السورة وكذا سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم عليهم السلام وما أشبهها قد أنزلت لبيان ما يعتري الأمم من الهلاك . وهذه السورة أول سورة من هذا القبيل فلذلك بدأها سبحانه بطلب نفي الحرج عن صدره إذنا باتمام التبليغ وهي ليست كسورة الفاتحة المبدؤة بالحمد على تربية العالمين ولا كسورة آل عمران المبدؤة بتوحيد الله ولا كسورة النساء المبدؤة بطلب تقوى ربنا لأنه خلقنا من نفس واحدة ولا كسورة المائدة المبدؤة بالأمر بالوفاء بالعقود ولا كسورة الأنعام التي ابتدئت بحمد الله على خلق السموات والأرض والظلمات والنور بل هذه هي التي فيها ذكر الأمم الهالكة بظلمها وقد جيء بها هنا بعد ما تقدم من بيان الصلاة والزكاة والصيام والحج والتوحيد والنبوة والميراث والعدل والحلال والحرام في السور المتقدمة بل بعد ما ذكر أن ديننا قد تم وبكل في سورة (المائدة) فناسب أن يؤتى هنا بما يفيد خراب الأمم الظالمة فناسب ذكر عدم الحرج في قلب النبي ﷺ

يقول الله تعالى - فلا يكن في صدرك حرج منه - (لتفكر به) ولتذكر (وذكرى للمؤمنين) فمن يكذبونك يندرون به ومن يؤمنون بك يذكرون بما حلّ بالأمم قبلهم وليعاصوا أنهم لا ينجون من الخطر إذا قصرُوا في شريعتك والا فلامني للذكرى فتدكر المؤمنين معناه أنهم معرضون لما تعرضت له الأمم الظالمة فإذا تفرق شمل المسلمين وإذا جاهوا وإذا ظلموا فاني أنزل بهم العذاب كما أنزلت على الأمم الماضية وليس الاسلام بمنجيتهم من الهلاك لأنني عدل بين الأمم وبين الأفراد فلذلك أعقبه بقوله (أقبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يضاونكم من الجن والانس أي ولا تتبعوا من دون دين الله أولياء (قليلاً ما تذكرون) أي تذكرون تذكر اقليلاً وما زائدة للتأكيد . ثم شرع يبين مقصود ما جاءت به السورة مما يقع الخرج في القلوب والضيق في النفوس تبيناً لما سبق في آخر الأنعام من مجيء آيات الله بركة حيث لا تنفع التوبة للأُم ولا للأفراد فقال (وكم من قرية) وكثيراً من القرى (أهلكناها) أردنا أهلك أهلها (جاءها بأسنا) عذابنا (بينا) بائتين كقوم لوط (أوههم قائلون) عطف على بينا أي قائلين نصف النهار كقوم شعيب إذ أخذتهم الظلة وأصل الكلام بينا أوههم قائلون فحذفت واو الحال استثقالاً لاجتماع حرفي العطف الواو وأو وإنما خصّ وقت البيات والقيولة لأنهما وقت الاستراحة فوقع العذاب فيهما أفضع (فما كان دعواهم) أي فما كان دعاء أهل القرية واستغاثتهم (اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين) أي الا اعترفهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسراً عليه وهذا هو المشاهد الآن في الأمم الاسلامية اذ يدخل أهل الغرب في مصر وتونس والجزائر ومراكش والهند وجاوه وسومطرة وسائر بلدان الاسلام كاهند وغيرها وبلاد السودان ويذبحون أبناءهم ويستعحيون نساءهم وينزلون المقدوفات والنار من الطيارات في سوريا والعراق وغيرها فتزل تلك النار على الأمم الاسلامية ليلاً ونهاراً أو وقت القيولة كما في هذه الآيات فنسمع المسلمين يقولون ربنا نحن متفرقون جاهلون متواكلون ظالمون فعاقبنا الله بذنوبنا وليس عندنا علماء ولا حكماء ونحن فينا الطمع والحسد والظلم فعاقبنا الله بما كنا ظالمين

هذا كلام المسلمين الذي قال الله في هذه الآيات لنبيه ﷺ في شأنهم - وذكرى للمؤمنين - فعذاب هذه الأمم جاء في هذه السورة - ذكرى للمؤمنين - ونحن المؤمنون وقد حلّ بنا ما ذكرنا به ولم ينفع اليأس ولا التوبة عند وقوع المصائب بالأمم الاسلامية ومن أعظم المصائب ما أخبرت به عند كتابة هذا الموضوع إذ جاءني مدرس مدرسة (الأصمكيان) بالقاهرة وهو من متخرجي مدرسة دار العلوم وقال ان ناظر المدرسة المسيحي يأمر التلاميذ المسلمين جميعاً أن يحضروا الصلاة وكذلك يأمر المدرسين المسلمين أن يحضروا ثم انه يجمع التلاميذ في يوم من الاسبوع ويلقي عليهم درساً في الأخلاق ملخصه الذم في الاسلام وفي القرآن وفي نبينا ﷺ حتى أن بعض التلاميذ ارتد وتنصر والباقيون يحقرون دينهم . وعندنا مجلس النواب ومجلس الشيوخ والوزارة وليسوا يقدرون أن يصنعوا شيئاً لأنه لا سلاح عندنا . أما الترك أيدهم الله بالنصر المبين فقد حرموا مثل هذا في هذه الأيام وأغلقوا مدارس أمثال هؤلاء وهم مصلحون

وهذا من آثار العذاب الذي حلّ بديارتنا أن يكون ثمرة غرسنا وهم أحسن أبنائنا والخلص منهم يخرجون حاقرين دينهم ووطنهم وأمتهم ونرجع فنقول إنا كنا ظالمين

ثم لتعلم أيها الذكي أن حكمة الله في مثل هذا إنما هو إيقاظ النفوس وترقية المدارك . ولعمرك ما أرسل الله هؤلاء ليذموا في ديننا إلا ليحشنا على ارتقائه وذلك حتماً يرقى الناس فارتقاء الشعوب لا يكون إلا بالمناظرة وإذا كان الحرب داعياً إلى رقي الأمم هكذا فليكن حرب الديانات بالذم والطعن داعياً حثيثاً لرقياها والبحث في أعلاها شأنها وكل ذلك لارتقاء الأمم على الأرض . ولما كانت الأمم لا بد لها من هداة وأولئك الهداة مسؤولون والأمم مسؤولون أعقبه بقوله (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) فيسأل الله

الأنبياء هل أجيبوا والأمم عن قبول الرسالة والسؤال القصد منه التقرير والتوبيخ لا يقع النكال وهذا هو عذاب الخزي المذكور في سورة آل عمران والافانه تعالى يعلم ما يفعلون وليس غائبا (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) فليس يخفى علينا شئ من أحوالهم . ولما كان العالم بالأشياء لا يلزم أن يكون عدلا في حكمته أردفه بقوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) أي ووزن الأعمال العدل السوي حاصل يومئذ أي يوم القيامة ولقد عرفت الوزن في أول سورة آل عمران وأن الله وزن في هذه الدنيا سائر الذرات والحركات والسكنات ومن قرأ علم الفلك والطبيعة والكيمياء أدرك وشهد كيف توزن الذرات في دخولها في الماء المكون من (أكسوجين وأودروجين) إذ تكون ذرات أحدهما مع ذرات الآخر بنسب صادقة تامة عددا ووزنا ولو اختلفت ذرة واحدة لم يكن ماء وهكذا إذا قرأت ما كتبناه في سورة (البقرة) عند قوله تعالى - وانظر إلى جبارك ولنجعلك آية للناس - وكيف كان نظام الذرات والعناصر في تركيب النبات من القمح والذرة والبرسيم وغيرها لا يختلف وباختلاف العناصر في المقدار عند دخولها في النبات يختلف قيصر الغذاء ملبسا والملبس غذاء . كل هذا مذكور في البقرة وفي آل عمران موضحا مشروحا ليعرف الذين قرؤوا هذه العلوم وليشهدوا أن الله وزن كل شئ بالحق ومن شهد ذلك في هذه الحياة سهل عليه وزن يوم القيامة فالله رب العالمين . والعالم قسمان . عالم الدنيا وعالم الآخرة ولقد شهد الحكماء الوزن في الدنيا فهكذا يقررون بالوزن يوم القيامة وهذا سهل على من قرأ صفة الله في الدنيا فأما من عداهم من الذين لا يقرؤون فما أحرأهم أن يوصف لهم ذلك بضرب الأمثال قال ابن عباس رضي الله عنهما يؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وإذا سمعت ماقاله البغوي عن بعضهم ان الاشخاص هي التي توزن مستدلين بما روي في الصحيحين أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة . وإذا سمعت ماقاله غيره ان صحائف الأعمال توزن . وماقاله آخر ان نفس الأعمال توزن فاعلم أن ذلك كله ضرب مثل ليعرف الناس بما يزاولون والا فتحن نشاهد وزن الله في السموات والأرض فهذه العلوم أدركنا انه وزن الحركات والسكنات والذرات في النبات والحيوان والفلك ومن اطلع على ما تقدم من هذا التفسير أيقن إيقانا تاما أن الله يزن كل شئ ولا ينحس شعيرة ولذلك تسمع الله سبحانه وتعالى يقول - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - فكأن العبد لما اطالع على صورته الحقيقية أدرك بنفسه نقصه وكماله وصار هو نفسه شاهدا على نفسه كأن ميزانه أصبح في فهمه وقام بذهنه وأدرك ما كان حسنا وما كان قبيحا من أفعاله . وإذا كانت الأيدي والأرجل والألسن تشهد ثم النفس تعرف فهذا دليل أن ميزانه في الدنيا هو ميزانه في الآخرة بهذا فليعرف جمال الله وحكمه ووزنه الحق الذي شاهدنا ونظامه الجميل الذي أدركنا فالوزن عايناه والميزان مارأيناه فالوزن مشاهد والميزان معلوم لم تشهد العيون وقد أقرت به القلوب وإذا سمعت ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من أممي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أتفكر من هذا شئ أظلمت ككتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب الى أن قال فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ . وهذا الحديث أخرجه الترمذي وأحمد بن حنبل . فاذا سمعت هذا فاعلم أنه تمثيل لحال الوزن وترغيب في الايمان لأن من آمن يطمع في أن يعمل ومتى عمل ثقلت موازينه وكثير من يغترون بظاهر الحديث فينطقون بالشهادتين ويكتفون بهذا وهم مغرورون جاهلون بل الوزن حق والحساب مبنى على الوزن ولا بد من التهذيب والتربية . فالمراد من ذلك أن هذه الشهادة أسس للأعمال فالوزن لها ولما ترتب عليها وان لم يكن كذلك ضاعت ثمرات جميع الأديان

وهذا هو الذي يغتر به الجاهلون كما أرفحناه في غير هذا المكان ولذلك قال تعالى هنا - والوزن يومئذ الحق -
 (من ثقلت موازينه) أي أعماله الحسنة (فأولئك هم المفلحون) الناجون الفائزون بثواب الله وجزائه
 (ومن خفت موازينه) أي أعماله (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها
 (بما كانوا باياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق . واعلم أن الوزن كما ذكر في ديفنا ذكر في الديانات
 السابقة كديانة قدماء المصريين وقد صوّروا هيئة الميزان والكفتين واللسان فان غلبت الحسنات السيئات
 ارتقت الروح الى ربها وان غلبت السيئات الحسنات التقم قلب الميت كلب والذي يقضى على الميت عندهم
 (٤٢) قاضيا وصورهم مرسومة في المعابد والهاياكل يقرؤها المتعلمون في الدول الحاضرة . فهذا الوزن
 الذي في القرآن وردت به الكتب السماوية لأن دين المصريين هو دين ادريس الذي ورد ذكره في القرآن
 وهو من الرسل الذين يجب معرفتهم تفصيلا في دين الاسلام ويسمى عند بعض الأمم (خنوخ) ويسمى أيضا
 (سيزوستريس) وهذه اللفظة وردت في القرآن (ادريس) ولها مشابهة فتعجب كيف شابهت الأديان في
 الوزن والميزان

ولما كان الناس خلفاء الله في الأرض وهم يستمتعون بها وبذلك وجب حسابهم أردفه بقوله (ولقد
 مكناكم في الأرض) أي مكناكم من سكنائها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) أي أسبابا
 تعيشون بها جمع معيشة (قليلًا ما تشكرون) أي تشكرون شكرا قليلا على ما صنعت لكم وأنعمت به عليكم
 والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله ويقال الشكر تصور النعمة وإظهارها . انتهى
 المقصد الأول من القسم الأول

(المقصد الثاني)

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مِمَّنَّكَ إِلَّا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي
 مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
 مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي
 لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
 وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ
 مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ
 حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ
 لَهُمَا مَا وَرَآهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
 مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ
 فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا

رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ *

(التفسير اللفظي)

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) بمن سجد لآدم . وظاهر الآية أن إبليس كان من الملائكة . واعلم أنه لا طائل في الخلاف أن الملائكة هي أم ليس منهم وإنما هو من نار وهم من نور والاستثناء على الأول متصل وعلى الثاني منقطع فإن الله هو أعلم بغيبه ولكن الذي نشاهده في هذا الوجود يفيدنا أن آدم وأبناء آدم قد انقسم العالم الذي أمامهم قسمين قسم أطاعهم كالأنعام والدواب والطيور وقسم عصاهم كالوحوش والاسود وما أشبه ذلك . وهكذا الحيوانات النارية منها ما هو لفائدة الحيوان والإنسان ومنها ما هو لقتلهم . ولا جرم أن هذا كله خاضع لتنظيم الملائكة بحكمة دبرها الحكيم فآثار السجود من الملائكة وامتناع سجود إبليس لها نظائر في المشاهدات حولنا كما أن من النفوس المجردة عن المادة ما توسوس للناس ومنها ما تهديهم فترى آثار الإصلاح من الهداية والصلاح من الوسوسة . هذه هي الآثار التي نلاحظها في المشاهدات أمامنا والمعالمات بعالمنا وما عدا ذلك نكمله إلى الله . وإليك بقية المحاور (قال مامنك ألا تسجد إذ أمرتك) أي أي شيء منعك من السجود ولا زيادة . وفي آية أخرى - مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي - وهذا السؤال للتوبيخ والتقريع (قال أنا خير منه) أي الذي منعني من ذلك أتى خير منه وهل يسجد الفاضل للفضول والرفيع للوضيع فكيف يؤمر به . ثم علل ذلك فقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) ولا جرم أن النار أظف جوهرًا وأخف وأجل وفيها الضياء والنور ولها الشرف . أما الطين فانه ثقيل لاضوء فيه ولا شرف وأنا وإن كان بعض المادة في تركيبه فالنار غالبية على هيكل آدم وإن كانت الحرارة من قوام جسمه ومن نظام هيكله فإن الطين غالب عليه . إن آدم من صلصال إذا نقرته صوت كالنفخار الذي يصنع منه الناس الآنية . ولا جرم أنه مركب من نار وطين والطين هو الأغلب ولذلك ترى فيه طبائع مختلفة فبينما تراه لا يقدر على الطيران في الجو لثقل جثته تراه يفكر في الأمور العالسية خلفه روحه ولطافة شكله ففي الإنسان ثقل الطين وخفة النار ولطافتها وفيه الغضب وهو من القوة النارية وفيه الشهوات وطالب الأغنية وهي ترجع إلى عنصر الطين . أما أنا فاني خير منه لأن طبع النار وهو الأشرف غالب على هذه الحجة من الحجج التي يستعملها الناس في محاوراتهم للغطاطة والمكابرة والمكاثرة والكبرياء ذكرها الله ليرينا أكثر ما يحاور الناس في سياساتهم وجداهم . واعلم أن هذه الحجة خطؤها من أربعة وجوه فإن عنصر الطين فيه من الفضائل ما لا يصلح لها عنصر الماء كاللزانة وقبول النبات من الشجر والزرع وفي الطين الامانة بحفظ الصور وليس في النار مثل ذلك وفي النار اهلاك . وإذا سلمنا أن النار أفضل من الطين جدلا فن ذا الذي جعل الفضل بالعنصر والأصل أليس للصورة دخل في التفضيل وكذلك الفاعل وهكذا نتائج الأعمال والاخلاق فكل مصنوع كالكرسي لا بد له من مادة وصورة وفاعل وغاية فمادة الكرسي الخشب وصورته هي التي بها يصلح للجلوس عليه وفاعلها النجار وغاية ههنا كلة الجلوس عليه . هكذا آدم مادته الطين وفاعله الله وصورته مهر وفة وغايته الحكمة والعلم والعمل . فانظر كيف يقول الله في الصورة - فإذا

سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فهذا اشارة الى اكمال الصورة وقال - مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي - اشارة الى عناية الفاعل - وأشار الى غاية آدم بقوله - وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة - فاذا كان استعداد آدم للعالم فاق استعداد بعض الملائكة أفلا تكون هذه الغاية ذات فضل عظيم ويكون هو أفضل من ابليس فثبت أن هذه الحجة أشبه بحجج (أبليس الأرض) من رجال السياسة والدجالين والكذابين - ولست ترى كلام أكثر الناس إلا على هذه الطريقة - فترى الرجل يقول أنا خير من فلان فان أبي كان أكثر مالا وولدا وأنا من نسل رجل عظيم فيمظن الجهول أن الله يرفع الناس على حسب عناصرهم وأصولهم ومادري أن الورد تشم رائحته ولا ينظر لما في الطين الذي تفندي منه من قدر وهكذا يستقدر الناس ماخرج من الانسان وهو أفضل من على الأرض ويقول رجال الاستعمار قد جئنا بلادكم لتزقيكم وهم انما جاؤا ليفسوا في الأرض ويأكلوا أرزاقهم - فهذه الحجة من الحجج التي نسمعها صباحا ومساء من أمم الأرض المتعلمين في المدارس والكليات في أوروبا والشرق الذين يضلون الناس بأرائهم ليأكلوهم - أكلوا لما - لأنهم يحبون المال حبا جما

ولما كانت هذه من نوع السفسطة وهي المغالطة وهي من أقيسة المنطق الخسنة وهي أدناها منزلة كما يقال للرجل لا تشرب العسل فانه في الزناير - وكان من هذا ويدنه من الناس لا يقنعه جواب ولا يهذه خطاب كما نرى رجال السياسة يحاولون بالباطل ولا يسكتهم إلا الحرب - فأما القول فلا يفيد - لذلك أجاب الله ابليس اجابة تعاملنا ألا نجادل المشاغب المسفسطة المغالط رائعا نصل الى القوة والغلبة ونفسى لازالة المنكر بالعمل لا بالقول ولذلك (قال) الله تعالى إن كنت تكبر (فاهبط منها) أي من صورة الملائكة أو من السماء (فما يكون لك أن تكبر فيها) في صورة الملائكة أو في السماء لأن آثار المخلوقات ان لم تكن مشاكلة لمبادئها انحطت قيمتها والانسان مثلا اذا لم يحافظ على فضائل العلم والعقل انحط الى درجة أدنى واستعمل استعمال البهائم لجر الأثقال وهكذا اذا كان مأوئك الأرض لا يقومون بجلال الملك وحتمه ينزلون عن عروشهم والسيوف اذا لم يكن قاطعا صار ما استعمل استعمال السكين - هكذا من خالط الملائكة وتنزل عن صفاتهم أولى بأن يسلب صورتهم ويترد من مقامهم وينحط الى الأعمال الصغرى كما نرى الحيات والعقارب المؤذية للانسان والحيوان فلتكن الأرواح الشريرة الابليسية منحطة الى دركات الجهالة فتستعمل استعمال الحيات لتؤذي الناس فهذه بسمها وهذه بوسوستها وكما لاتصل الحية لمنصب غزال المسك الحامل نواجذها هكذا لاتصل نفس ابليس ومن على شاكلته درجات العز والكرامة فتوصل الى الناس علما ومعرفة كالملائكة بدل الوسوسة التي تردهم وتسقط ناقصهم - وكما ينجو من خطر الحيات من سكتوا بيوتنا خلت من المفونات - هكذا ينجو من خطر الوسوسة نفوس نقية صالحة ومن كانت هكذا حالهم من الشقاوة بسبب الكبرياء والعظمة فان الهوان لاحق به ولذلك أردفه تعالى بقوله (فاخرجك منك من الصاغرين) أي فاخرج من صورة الملائكة انك من الأدلاء المهانين - ولما كان من عادة الله ألا يدع جسما ولا روحا بلا عمل لأنه لا معطل في الوجود فانك ترى الأرض التي لا يزرعها الناس يخرج فيها زرع ينبت بهطول المطر سواء انتفع الناس به أم لم ينتفعوا وهكذا نجد أجسام الحيران الميتة تصبح مأوى للارود والحشرات تعيش فيها وهي رديئة منتنة فاذن لا معطل في الوجود

ولما كان ابليس من المخلوقات وقد فاته حياة الكرامة فلا جرم يعيش حياة أدنى منها فان لم يصلح للالهام فلا جرم ينحط للوسوسة وهذا حتم في هذه الحياة التي نحن فيها لأن عالمنا فيه الخير والشر والنحس والسعد والموت والحياة ومن فقد أحد الضدين تلبس بالآخر وهذا تفهم هذه المحاورة (قال) ابليس (أنظرنى) امهاني (الى يوم يبعثون) أي الى يوم القيامة فلا تمتنى (قال) الله (إنك من المنظرين) * قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أن فبسبب اغوائك إياي وايقاعك النى في قلبى الذى كان سبب هبوطى الى

الأرض لأجلستهم على طريقك القويم بأن أوسوس اليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم قياما بطبيعتي كما تقوم الحيات بالدغ والوحوش بالافتراس والطيور بالأيذاء والحيوانات النورية بأحداث الحكي والجدرى والحصباء والطاعون . فليكن في بني آدم من يكونون على شاكى أتماما للنظام العام فلا ينجون من وسوسى إلا المصطفون الأخيار ولذلك قال تعالى فى آية أخرى - هذا صراط على مستقيم * إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإنى جهنم لموعدهم أجمعين) وإنما انحطوا الى جهنم لأن الكبرياء من آثار الغضب الذى هو قوة نارية فجفهم يرجع اليها من كانوا فى الدنيا على طبيعة تدعوهم الى ورودها وطبيعة الكبرياء لا اعتدال فيها وسحارة النار وزمهريرها خارجات عن الاعتدال . ثم أخذ ابليس يفصل كيفية الاضلال فقال (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) وإنما قص الله علينا ذلك ليعلمنا أن الوسوسة داخلية فى أحوالنا كلها فهى أشبه بالهواء المحيط بالإنسان والحيوانات الدربة التى تحدث الأمراض فىنا كالسل والجذام والبرص وهى محيطة بنا من كل جانب ولا ينجون منها إلا الأقوياء الذين لم يستسلموا لتلقيحها . وهكذا هنا تجدد الوسوسة والخداع عامة فى النوع الإنسانى . وما هو ذلك هو أنك تجد الأدلة التى يستعملها الناس فى أحوالهم العامة كالدليل الذى ذكره ابليس . فإذا قال ابليس - أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين - على سبيل المغالطة هكذا ترى الناس يضلون بأدلة مثل هذا الدليل سواء بسواء بل الضلال الذى يحيط بنا كثير جدا . ولذلك قال شقيق البلخي

ما من صباح إلا قعد الى الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فاقرا - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - وأما من قبل يميني فيأتيني من الشاء فاقرا - والعاقبة للمتقين - وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرا - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - اهـ

فانظر كيف جعل الناس الغفران سببا فى الذنوب وهذه هى الداعية الدهياء والمصيبة العمياء أن يسمع الإنسان آية أو حديثا وربما كان موضوعا أضعيفا فيغتر به فيصبح فاسقا فاجرا وقد أصبح المسكين بسبب فهمه فى الدين جهلا من الغاوين الضالين . ومن الناس من يكتفى باسم الاسلام ولا يعلم ولا يعمل وهذا هو قوله تعالى - يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - وحجج هؤلاء كحجة ابليس سفسطة ومغالطة ومجادلة بالباطل . وبهذه الحجج الابليسية انحط كثير من أهم الاسلام وقأخروا فيقولون لا نقرأ الطبيعة لأنها كفر ولا نبالي بالأسلحة الحديثة لأن الاسلام مفسور . وهكذا من الحجج الخاطئة الكاذبة الجاهلة الناقصة . فتعجب كيف كانت الوسوسة كلها من قبيل هذه الحجة . وتعجب كيف جاءت فى القرآن وكيف كان ذلك دائما صباحا ومساء فنتغيب الناس ونقول - إن الله غفور رحيم - ونأكل فوق طاقتنا وعلم الطب يمنعنا فتقول شئ قليل والقليل لا يضر . ونظم الناس ونقول هم يستحقون . وهكذا من الأدلة الكاذبة التى تلازمنا فى أكثر أحوالنا

﴿ عجائب القرآن ﴾

فانظر كيف كانت هذه الحجة الابليسية فى ظاهر الأمر وعند العامة أمرا سهلا لا شئ فيه وعند العقلاء والخواص أصبحت رمزا لكل الحجج التى تدلى بها صباحا ومساء فى أكلنا ونومنا ومخادتنا . فيا عجبا كل العجب من هذا البيان القرآنى . ظاهره يفهمه الجاهلون . وباطنه بحر علم زاخر وأمر عظيم وحكمة دقيقة بالغة لا يمسه إلا المطهرون . ولا يعقلها إلا العالمون . ولا يدركها إلا المفكرون . ولما كان أكثر الناس

متقلبين في هذه الحجج صباحا ومساء قال - ولا تجد أكثرهم شاكرين - وقال تعالى في آية أخرى - وإن
تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن - فانظر كيف تطابق القرآن .
ولما كان هذا شأنه (قال اخرج منها) من السماء (منوفا) معيها من ذامه إذا ذمه والنائم والدم الغيب
(مدحورا) مطرودا مبعودا من رحمة الله والله (لمن تبعك منهم) وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منكم
أجمعين) والقسم وجوابه جواب الشرط . ولما أتم الكلام على إبليس وكبره وحججه السفطية أخذ يبين
نتائج هذه الأخلاق وثمراتها فإن من طبيعة هذا الوجود أن يجتذب كل مخلوق غيره إلى مشاكسته والدخول في
زمنه والسير على طريقته والجري على منواله . ألا ترى إلى النبات كيف يجتذب إليه العناصر المحيطة به
فتدخل في تركيب جذوعه وسوقه وأغصانه وأوراقه وأزهاره وأثماره وإلى الحيوان كيف يجتذب تلك الأوراق
والأزهار إلى جثمانه فتتشكل بهيئته وعروقه وعظامه ولحمه ودمه ورأسه وعينه وإلى الإنسان كيف كان يسعى
لأن يملك ما حوله ويستخدم الإنسان والحيوان المحيط به ولا يفتأ يدعو من حوله ليكونوا على شاكلته في
أخلاقه وملابسه وعاداته ودياناته وعلمه . وهذه الطبيعة شاملة لهذا الوجود حتى إن النار لتلتهم ما حوّلها
وتدخله في حدود مزاجها والماء يرطب ما خالطه . فهكذا هنا في إبليس لما حرم الدرجات العليا وتلبست
نفسه بالآثم والبغى وخاطب الله بحجة المغالطة أشربت نفسه الضلال والبهتان وأصبح ذلك عادة ملازمة وطريقة
دائمة أخذ يلقي إلى غيره من بني آدم مارسخ في نفسه ويوحى إليهم ما امتلأت به نفسه من الضلالات والرجس
والبهتان كما نرى أن المرأة الفاجرة إذا طوى الزمان سجل شبابها وخارت قوى شهواتها وفارقها أعزأ حبابها
عمدت إلى الشابات فأوعزت إليهن بما امتلأت به نفسها . وهكذا الرجال الفاسقون الذين شبوا وشابوا
وهم في الفسوق هائمون تستروح نفوس هؤلاء وعوائلهم يشاكلهم في أخلاقهم ويوافقهم في آدابهم
ويناسبهم في أعمالهم ويحب الفاجر والأكول أن يرى الفاجرين والآكلين ليتسلى بطاعتهم ويفرح بمراءهم
وقد ورد في المثل (إن الطيور على أشكالها تقع) لذلك قص الله قصص آدم الذي أغواه إبليس ولقنه
من الحجج السفطية ما امتلأت به نفسه لئيميله إلى طبعه ويقوده إلى خلقه استرواحا بالنقائص وجبا للشاكلة
فقال (و) قلنا (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتسكونا
من الظالمين) أما الجنة فهي كما قال أبو مسلم الأصبهاني كانت بعض جنات الأرض ولذلك تمسكن الشيطان من
الوسوسة لآدم فلذا قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة الصوت الخفي كالهيممة والخشخشة . ومنه
وسواس الخلق . ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله وسوس إليه ألقاها إليه ثم ذكر عاتبة الوسوسة فقال
(ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوا آتهما) ليكشف لهما ما ستر عنهما من عورتيهما وكانا لا يريانها من أنفسهما
ولأحدهما من الآخر . ثم ذكر كيفية الوسوسة والحجة السفطية التي اجتذب بها إبليس آدم وأغواه بها
فقال تعالى (وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا) كراهة (أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)
أي إيمانها كما الله عن الأكل من هذه الشجرة لأن من أكل منها إما أن يكون كالملائكة يعلم الخير والشر
ويستغنى عن الغذاء وإما أن يكون من الخالدين الذين لا يموتون ويبقون في الجنة . فإله منعهما منها لتبقيما
مفتقرين للأكل والشرب ولتتوتا فهو بهذا المنع يحرمهما من السكال الآثم والمقام الأعظم . ولم يكتف بهذا
الدليل الموهوم بل أقسم لهما (وقاسمه لهما إني لساكن الناصحين) فهذا البرهان المغالطي الذي يشبه البرهان
المنقذ الذي تعالى فيه على آدم بشرف عنصره وبالقسم الذي يدخل في النفس صديق قائله خدع آدم فلذلك
قال (فدلاهما) أي فنزلهما إلى الأكل من الشجرة وبذلك أنزلهما من درجة عالية إلى درجة سافلة (بغرور)
بما غرهما به من القسم كما يقول الرجل لآخر اشرب هذا الكأس فإنه مقو لشهوة الطعام ومفرح للقلب وكما
يقول آخر إنما الحياة مغالبة نخذ من الناس ما قدرت عليه حقا وباطلا (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوا آتهما)

أى فلما وجدا طعمهما وهما يأكلان منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهاقت عنهما لباسهما وظهرت لهما عورتاهما كما يستط لباس الشرف والفضل والمسال بالخر والزنا والظلم ويصبح الانسان موصوفا بأنواع الفسوق والظلم وتتلون نفسه باون تلك المعاصي فتصير سجيية له . وهل لباسهما كان نورا ساطعا مانعا من رؤية العورات أو غيره لافائدة في معرفة ذلك لأن الذى يهمننا نحن غير ذلك . يهمننا أخلاقنا المستنبطة من هذه القصة

ولما كان من يفعل ذنبا يجتد في اخفائه ليستر عورته البادية ويخفيها ويكتمها عن الناس حتى لا تكشف سوائته ويبذل للقراء وللخطباء الأموال ويدفع للجرائد مالا لينودوا عنه وليخفوا عوراته وسوائته . هكذا من انكشف عورته يجتد في اخفائها لذلك قال الله تعالى (وظفقا يخفضان عليهما من ورق الجنة) أى أخذوا برقعان ويلزقان ورقه فوق ورقة من ورق التين أو غيره . وكما انك ترى من نوع الانسان في السودان المصرى من يعيشون بلا لباس بل هم عراة يأنفون الملابس ولا يستر عليهم حتى على عوراتهم . واذا حضروا أمام الحكام المصريين أو الانجليز ألبسوا لباسا ثم يخلعون عنه عند خروجهم . وهناك قوم آخرون يخفضون الورق وآخرون يسترّون العورة . وهكذا ذكر الله كيف كان آدم عاريا ثم خصف الورق ثم أنزلهما الى الأرض فزرع هو وأولاده فأكلوا ولبسوا بعرق جبينهم . ولما كان الانسان عادة يذكر عواقب الذنوب بعد وقوعها ويكون التوبىخ والتقريع قال الله (وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلك الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) يهاتهما على مخالفة النهى موجبها (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أضربناها بالمعصية والتعريض للخروج من الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا كان قبل أن يكون آدم نبيا واعلم أن طاعة الجاهل قد تكون معصية العالم وطاعة العالم قد تكون معصية الأنبياء كما قيل ﴿ حسنات الأبرار سيئات المقربين ﴾

ألا ترى أن العالم المفكر اذا ترك العلم وأخذ في العبادة ليلا ونهارا وترك الأمة فانه قد عصى وظلم نفسه ولكن معصيته بترك ما هو أفضل ويعاقب مع ان صرف الزمن في العبادة أرقى درجات الدين تنحوا عن العلوم وعن الأعمال النافعة للأمة . فمعصية آدم بالنسبة لدرجةه فما صدر منهم على سبيل السهو والتأويل يجدون في أنفسهم حرجا منه وليست معاصيهم كمعاصي بقية الناس هكذا يقول كثير من العلماء . لذلك خاطب الله آدم وحواء وذريتهما (قال اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو) أى متعادين وذلك أن العالم الانسانى مركب من عناصر مختلفة وطباع متشعبة وباختلاف قواه تختلف الأخلاق وباختلاف الأخلاق تكون العداوات وبالعداوات يكون الارتقاء فان المسابقات في الحروب والصناعات والأعمال تحت الناس على الكمال الأعمال فصار العقاب على المعاصي من أسباب الكمال . فان النوع الانسانى لما تنزل عن العالم الكامل الجميل ونزل الى عالم الكون والفساد كان المعبر عنه بالعقاب سببا لارتقائه وسهولة معاشه . ولذلك أردفه بقوله (ولكم في الأرض مستقر) استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) الى أن تنقضى آجالكم (قال فيها يحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء على الأعمال . انتهى المقصد الثانى من القسم الأول من سورة (الأعراف)

(المقصد الثالث)

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ

حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا
 وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْمَلُونَ *
 قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا
 بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ * يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ
 رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ
 كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَاهُمْ
 لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
 الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ

الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ كُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا
نَعَمْ فَأَذْنِ مُوَدَّنَ يَنْهَمُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ
تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا
يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ
أَفْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَى
أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَنفَسُهُمْ
كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى
عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم أن هذا المفصل قد جاء عقب قصة آدم ليبين المقصود من القصص وانها ليست ترد لمجرد الحكاية فإذا
يهم الحاضرين من الماضين إلا العبرة * ولعمري ليس للتاريخ من فائدة إلا الاتعاظ فلذلك لما قص الله
قصص آدم عليه السلام أخذ سبحانه يبين مقاصد وفوائد هذه القصة المشتملة على لباس آدم وقد تعرى منه
وعلى أن ذلك بسبب فتنة الشيطان له وبها خرج من الجنة وعلى احتجاج إبليس بأنه من عنصر النار واغواؤه
لآدم حتى لبس عليه الأمل فقال انك ان أكلت من الشجرة كنت كاللائكة فهذه ثلاث أصول اللباس والاعواء
والحجة الداحضة فلذلك أخذ الله عز وجل يخاطب بني آدم جميعا ممتنا عليهم باللباس الذي أنزله في الأرض من
القطن والكتان والحرير وما أشبهها بحيث يستغنون عن خصف الورق وكيف كانت العناصر الأرضية بتفاعلها
وامتزاجها بنسب معلومة تكون قطنا أو كتانا وهي بأنفسها على نسب أخرى تكون قححا أو شعيرا فاللبوس
هو عين المأكول من حيث العناصر وإنما أصبح هذا ثوبا وهذا رغيفا لاختلاف المقادير الداخلة في النباتين
(راجع هذا المقام العجيب في سورة البقرة) عند قوله تعالى - وانظر الى حمارك لي آخر الآيات - في قصص
العزير فانك تجده مستوفى هناك من علم الكيمياء العضوية فتأمل فيما هناك وتعجب وذلك هو السر العجيب
في قوله تعالى - ذلك من آيات الله لعلمهم يذكرون - وقد أفاد أن اللباس الجسمي الناتج من هذه العناصر
الذي هو من آيات الله ويواري سوا تسكم وتنجماون به ليس خير لباس بل لباس التقوى من العمل الصالح

والإيمان والحياء والسمت الحسن والعفاف وخشية الله فهذا اللباس خير من اللباس الذي أنزله الله للناس من القطن والحرير والسكتان الخ

ثم أشار سبحانه إلى ثاني الأمور الثلاثة وهو الاغواء فقال محذرا أبناء آدم قائلا : إياكم يا بني آدم أن يخرجكم الشيطان من الجنة باغوائكم كما أخرج أبويكم من الجنة فلا ينزعن ملابس التقوى عنكم كما نزع من أبويكم اللباس . وبين سبب ذلك بأن ابليس وقييله يرونكم من حيث لا ترونهم وأن الأرواح جنود مجنونة والنفوس الشيطانية تنزع إلى أخلاقها في وسوستها . ولقد جاء في علم الأرواح الحديث وفي مقال الامام الغزالي والفخر الرازي أن أرواح الأشرار من الناس تمنى لو تعاد إلى الذات في الدنيا فلها حوت تلك الذات أخذت توسوس لما شاكلها من أرواح الأحياء حبا في المشاكسة واكثارا للأمثال والأشكال كما سيأتي في قصة بلعام ابن باعوراء الذي آناه الله العلم والحكمة فتركها وصار معها الضلال . فالعالم الفاضل يعلم الناس طريقه حيا بالتعليم وميتا بالاهام . والفاسق الضال يعلم الضلال حيا وميتا كما قيل عن هؤلاء الأعلام فكأن الشرير ملحق بالشیاطين والفاضل ملحق بالملائكة فهذا قوله تعالى : انه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون .

وأشار سبحانه إلى الأمر الثالث في القصة وهو الاحتجاج بالمغالطة كما احتج ابليس عند ربه لما أغرى آدم فقال (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فهذه الحجة كاتى تقدمت في قول ابليس إذ اعتبر الفضل بالأصل فهكذا هؤلاء يعتبرون التشريع بالموروث عن الآباء والاحتجتان مستوييتان مغالطتان فان الآباء قد يكونون ضالين كما كانت النار في حجة ابليس قد تكون سبب التدمير والهلاك كما ان المخلوق منها وهو ابليس والشیاطين والأرواح الشريرة سبب المعاصي والضلال لقصور عقول الأرواح الموسوسة والموسوس اليها . وهذا هو ملخص قوله تعالى (يا بني آدم قم أنزلنا عليكم لباسا) إلى قوله (أنقولون على الله ما لا تعلمون) وقوله فيها (يواري سواكم) أى التي قصد الشيطان ابتداءها به يروى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها وقوله (وريشا) أى لباسا تتجهجون به والريش الجمال . وقيل الريش المال يقال تريش الرجل اذا تمول (ولباس التقوى) تقدم هنا تفسيره وقوله (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواهما) حال من أبويكم (إنه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهي وتأكيده للمتحذير منه ومن جنوده وقوله (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أى بما أوجدنا بينهم من المناسبة وقوله (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) لأنه تعالى لا يأمر إلا بكمال الأخلاق والفضائل

ثم أخذ سبحانه يبين الأوامر التي يأمر بها الله فقال (قل أسروا بى بالقسط) بالعدل وبنو الوسط في كل شئ فلا افراط ولا تفريط في قول ولا في عمل (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أى اقصوا عبادته تعالى مستقيمين اليها غير عادين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود (وادعوه) واسجدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة مبنين بها وجهه خالصا (كما بدأكم تهودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم . وإذا كان كذلك فلتدع العباداة خالصة له سبحانه وتعالى (فريقا هدى) بأن وفقهم للإيمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى استعدادهم ثم بين سبب ذلك فقال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) المناسبة الموجودة بينهم وهذا مقتضى طباعهم (ويحسبون أنهم مهتدون) فان المذهب له حجة يقتنع بها كما اقتنع ابليس بحجته والضالون مقتنعون بالاحتجاج باتباع الآباء . واعلم أن النوع الانساني مأوقعه في الضلال إلا جهله فمن سرق أو قتل أو ظلم أو أسرف في الأكل والشرب وغيرها أو استدان أو أسرف في عمل من أعمال الحياة فاته لم يفعل ذلك إلا وهو معتقد أن له عذرا . ولا ترى شريرا أو ظالما إلا وعنده براهين يقيمها وأعداء يمتثلها كالبرهان المذكور عن ابليس فقوله . ويحسبون أنهم مهتدون . أى بما قام عندهم من الدليل السفسطى

الذي أقامه إبليس في تفضيله نفسه على آدم

ولما كان ذكر المساجد والصلاة فيها والدعاء بعد ذكر اللباس ناسب أن يبين حكم اللباس في الصلاة •
ولما كان الأكل مناسبا للباس لاقتارنه به في أمور الحياة ذكر أحكامهما معا فقال (يا بني آدم خذوا زينتكم)
ثيابكم لمواراة عوراتكم (عند كل مسجد) أطواف أوصالة • ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة في الصلاة • وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة

قال قتادة كانت امرأة تطوف وتضع يدها على فرجها • وقال ابن عباس انه كان أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعاق على سفاهها سيمورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحجر من الدباب • وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أوكاه • وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية - خذوا زينتكم عند كل مسجد - أخرجه مسلم • وقال مجاهد كان حتى من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي لي أن أطوف في ثوب قد عصيت ربّي فيه فيقول من يعيرني • ثم رافان قسر عليه والا طاف عريانا فأنزل الله فيه ما سمعهمون - خذوا زينتكم عند كل مسجد - والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة فستر العورة واجب في الصلاة والطواف • وقد كان بنوعا من لا يأكلون في أيام حجهم الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم • فقال المسامون نحن أحق أن نفعل ذلك يارسول الله فأنزل الله عز وجل (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا ولا تسرفوا) بالشروع في الحرام أو في مجاوزة الشبع أو بتحريم ما لم يحرم الله من أكل اللحم والدسم فلا تحرم الحلال ولا تناول الحرام ولا يكن منك إفراط في الطعام وشربه عليه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة

وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق • فقال لعليّ بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان • علم الأبدان • وعلم الأديان • فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - • فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب • فقال جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه الصلاة والسلام في المعدة بيت الداء والحية رأس كل دواء • واعط كل بدن ما عودته • فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا • ولما كان الاسراف مذموما شرعا وعقلا أتبع ما تقدم بقوله تعالى (إنه لا يحب المسرفين) في الأكل والشرب وغيرهما • فأما فيهما فالمرض وضياع المال • وأما في اللباس والزينة وزخرفة المنازل والمباهاة فإن الاسراف فيها يدعو الى ضياع المال والمجد ثم ان الأمم الشرقية الاسلامية وغيرها التي تناول صناعات الفرنجة من مأكل وملبس ومشرب ومفرش وهم يصرفون فيها أموالهم ويهلكون أنفسهم يصبحون وقد ملكهم أرباب تلك المصنوعات ثم تبعهم دولهم فيحتلون البلاد • ولقد غرق العالم الاسلامي اليوم في المنسوجات الافرنجية وفتنوا بأعمالهم فياليهم قلوبهم في الصناعات ولكنهم اشتروا مصنوعاتهم ترويحاً لها وكسادا لصناعات بلادنا فينشط الأجنبي ويكسل الوطني وتبلى الأمة الى مقام الذل والعبودية

إن التجارة اليوم هي أس الاستعمار والاحتلال كما هو حاصل في أكثر بلاد الشرق • إن اسراف المسامين أذلهم للفرنجة وأضاع بلادهم • لأذكر لك مثلاً مما امتاز به المسامون في الاسراف لتعلم كيف جهل ملوكهم جهلاً فاحشاً فأسرفوا وعموا عما حوّلهم من العالم الراقى وجهلوا دينهم جهلاً فاحشاً فقلدهم العاقبة وخذوا خذوهم في الاسراف فلذلك سقطوا في الذل لأن الله لا يحبهم لأنهم مسرفون ومن لا يحب الله أذله فهو لاء المسرفون يبغضهم الله وان كانوا في ظاهريهم مسامين فهالك ما جاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم ٦ نوفمبر

حمل الينا البرق في الاسبوع الماضي نبأ الاحتفالات الباذخة التي أقامها مولاي يوسف سلطان صراكش احتفالا بتزويج ولديه وطرفا من النفقات الطائلة التي بذلت في هذه الاحتفالات من ذلك أن تكاليف الأنوار بلغت وحدها ثلاثة ملايين فرنك والخلوى زهاء مليون والمناجات زهاء مليون وأن المدعوين من فرسان وسادة وأهراء بلغوا زهاء أربع مائة ألف فذكرنا في الحال ذلك الاغراق الذي يباغ حد السفه في صنف البذخ الذي لبث لعنة الأمم الشرقية على القرون . ثم قرأنا بعد ذلك ما أذيع من محتويات البرنامج الرسمي لقران ملكي آخر هو زواج ولي عهد البلجيكي بالأميرة (أستريد) السويدية . واليك خلاصة هذا البرنامج الذي يشف عن الحزم ولا تنقصه الفخامة في نفس الوقت

يعقد العقد المدني في (استوكهلم) ثم يعود الأمير البلجيكي وعائلته الى (بروكسل) في اليوم السابع من هذا الشهر وفي اليوم التالي تذهب العائلة المالكة الى (انفرس) حيث يصل في ذلك اليوم الطراد السويدي (تالجا) وعلى ظهره الأميرة (أستريد) ووالداها ودوق ودوقة فستروجاسي والأمير اليكس الدنماركي وزوجته وأشقاء العروس وغيرهم من الأهراء والأميرات

ولن يحضر ملك السويد الى (بروكسل) حيث تذهب الأسرتان الملكيتان في قطار خاص وتقام الزينات من المحطة الى القصر الملكي . وتقام في المساء حفلة كبرى في الاوبرا تقيمها بلدية (بروكسل) اكراما للعروسين ثم تقام حفلة الزواج الديني في كاتدرائية (بروكسل) في اليوم العاشر من نوفمبر . وفي المساء يقيم ملك (البلجيكي) وملكته حفلة استقبال كبرى يحضرها ثلاثة آلاف شخص . ويقال ان البرنس (أوف ويلز) سيكون بين المدعوين

هذه مقارنة اسراف السلطان المراكشي واقتصاد البلاط البلجيكي وهو اسراف يثير العقل والحزم خصوصا اذا ذكرنا ما هنالك من فرق بين البلجيكي وصراكش وبين سلطان تظلل الحياية الأجنبية وبلاط أمة مستقلة وهذا من سر قوله تعالى - إنه لا يحب المسرفين - ثم أخذ سبحانه يرد على من حرم الملابس في الطواف فقال (قل) يا محمد لهم (من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن من الأرض والتز من اللود ونحو ذلك (والطيبات من الرزق) والمستلزمات من الماء كل والمشارب قيل كانوا اذا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) بالاصالة والكفار وان كانوا شركاءهم فيها فهم تبع لهم (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم . ثم قال (كذلك) أي كتفصيلنا هذا الحكم (نفصل الآيات لقوم يعلمون) ويا عجب لم ختم هذا المقام بهذه الجملة بعد أن أبان أن الطيبات من الرزق حلال وأن زينة الله التي أخرج لعباده كذلك . وما الغرض إذن من تبين الآيات لقوم يعلمون . يريد الله عز وجل أن يفهمنا في أيانا هذه نظائر ما كانت تفعله الجاهلية وأن نقيس الغباوة والجهل الحاصين في بلاد الاسلام الآن بالغباوة والجهل الذين كانوا عند أهل الجاهلية . كاد . ثم كاد ان الغباوة والجهل الحاليين بأهم الاسلام الآن أشد وقعا وأعظم فتكا وأشد قتلا وأقوى عملا وأبعد أثرا في انحطاط الأمم الاسلامية من عمل الجاهلية في انحطاط أمهم . ولعمري لئن تحامى الجاهلي لبس الثوب في الطواف فلكم تحامى بعض علماء الاسلام في أيام أسلافنا وفي العصر الحاضر أن يدرسوا علوم الآفاق من تلك والطبيعة مثلا ويحسبون أنهم بذلك يخدمون الدين وهم انما يخدمون الشيطان ويحسبون أنهم مهتدون

اختص الفرنجة بالمعادن ونظام النبات وتربية الحيوان . فأما المسلمون فانما يقرؤون ما كان يقرؤه آبائهم وعمم مقتصرين على علوم قشرية وأحكام شرعية وهم في السكون لا ينظرون . ومن بحر نعمة الله الزاخر لا يغترفون

ولئن تخرج بنوعا من أيام الحج عن تعاطي الطعام اللحم واللحم . وإذا امتنع أهل اليمن أن يلبسوا أثوابهم في الطواف فلقد تخطى المسلمون في أنظار الأرض كل معقول وتركوا نعم الله في الأرض وفي السماء للفرجة وخالفوا نص كتابهم اظنهم أن علم الفقه كاف وحده . ولقد أخبرني عظيم من عظماء الهند أن بعض العلماء هناك يحرّمون العاوم وقال لي العالم اليمني (وان ون كين) من مدينة (تاينتنسن) ان العلماء هناك حرموا على المسلمين جميع العاوم حتى سبقتهم الأمم العائشة معهم في الصين من الوثنيين . وأخبرني أن قال الله هنا - قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خاتمة يوم القيامة - وقال المفسرون ان زينة الله للذين آمنوا بالاصالة وغيرهم بالتبع . لقد انعكس الأمر وأصبحت زينة الله ومائدته المنصوبة ونجوه المنظورة وحيواناته المبتوثة ونباتاته المشهودة وآثاره المبهودة وجنوده المنظومة ومدنه العظيمة وجواهره البديعة ومعادنه اللطيفة ونظام الحكومات وحفظ العاوم واللغات . كل ذلك أصبح خاصا بالفرجة والمسلمون لهم تابعون . فيا الله أطمنا عاما وحكمة انما من عبادك . وهذا كتابك وأنت أخبرتنا أنها لنا في الدنيا وقال السادة المفسرون انها غيرنا تبع لنا فكيف انعكست الآية . اللهم انك عدل وقولك صدق نصبت المائدة فأعرضنا ودعوتنا الى شكر النعمة فاستمعنا وأحجمنا . اننا يا الله حاملو كتابك لمن بعدنا وهم الذين يكونون قد تلووا نعمك وزينتك بالاصالة وغيرهم تبع لهم لأنهم رحمة للعالمين بعد نبينا ﷺ

ثم شرع سبحانه يبين ما حرّمه فقال (قل انما حرّم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وفحش من قول أو فعل أي قل يا محمّد هؤلاء المتجردين من الثياب عند الطواف ويحرّمون أكل الطيبات مما أحل لهم كيف تحرّمونه على أنفسكم والله لم يحرمه عليكم - انما حرّم ربي الفواحش - من الأفعال والأقوال (ما ظهر منها وما بطن) أي سرّها وعلايتها (واللهم) وما يوجب الائم وهذا تعميم بعد تخصيص (والبغى) الظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبغى للتأكيد (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشرّكين ودلالة أن ما ليس عليه برهان لا يجوز اتباعه (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالاحاد في صفاته تعالى والافتراء عليه كما قالوا هنا والله أمرنا بها

ولما أتمّ سبحانه الكلام على ما ترتب على القصة من الأوامر والنواهي شرع يحذر الناس أفرادا وأما (١) من التهاون لثلاث أعاجلهم المنايا (٢) ومن عصيان الرّسل بالكذب والافتراء وينذرهم هول الموت وسؤال الملائكة . وكيف يجتمع الظالمون من الأمم لاتحادهم في الصفات ويبقى الآخرون الذنب على الأولين وكيف تكون حجّتهم داحضة فلا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة وانما يدخلون النار وليس التكليف بما لا يطاق فعلى كل امرئ أن يقوم بما في وسع طاقته . ثم وصف أهل الجنة بأنهم صافية نفوسهم عالية درجاتهم . وهناك محاورات أهل الجنة وأهل النار . وكيف يكون الأنبياء والعلماء بين الجنة والنار وهم ينظرون الى أهلها ويحاور بعضهم بعضا . هذا ملخص ما يأتي من الآيات وهو (ولكل أمة أجل) وقت معين لنزول العذاب بهم اذا كذبت رسوّلها وهذا وعيد لأهل مكة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي لا يتأخرون ولا يتقدمون أنصروا وقت (يا بني آدم إنا يأتيناكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) أي يقرؤون عليكم كتبتي والجلالة صفة وجواب الشرط قوله (فمن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) * والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تعظّموا عن الإيمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) * فمن أظلم ممن اتقى على الله كذبا) فمن تقوّل على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الأرزاق والآجال أو من النوح المحفوظ (حتى اذا جاءتهم رسالتنا يتوفونهم) أي يتوفون أرواحهم باذننا وهم أعوان ملك الموت المذكور في آية أخرى . فالوقت من الله بواسطة الملك وأعوانه وجواب اذا قوله تعالى (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال

توبيع أي أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله (قالوا) أي قال الكفار مجيبين الرسول (ضأوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) انتفروا بكفرهم (قال) الله تعالى يوم القيامة أو أحد الملائكة (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم) أي كافرين في جملة أمم أصحابين لهم يوم القيامة (من الجن والإنس) يعني كفار الأمم الماضية من النوعين (في النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لغنت أختها) شكاتها في الدين أي التي ضلت في الاقتداء بها (حتى إذا داركوا) أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار فأبدات الناء دالا وسكنت لادغام ثم أدخلت الهمزة (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهم الأتباع والسفلة أو آخرهم دخولهم (الأولاهم) أي لأجل أولاهم لأن الخطاب مع الله وهؤلاء أما القادة والرؤس وأما الذين دخلوا أولا على ما تقدم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنوا لنا الضلال فاتديننا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لأنهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فكفرهم وتضليلهم وأما الأتباع فكفرهم وتقليدهم (ولكن لا تملأون) مالكل فريق منكم من العذاب (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة أولئنا خيرين في الدخول - لكل ضعف - أي فقد ثبت ألا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة أو المتقدمين دخولهم للأخيرين ويصح أن يوقف على فضل وتكون الجملة بعده من كلام الله والخطاب منه سبحانه للطائفتين . ثم شرع سبحانه يصف ما يلاقيه الرؤساء والمرؤسون جميعا فقال (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أي عن الإيمان بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة إذ هي في السماء وإنما تكون أرواحهم راجعة إلى ما كانت تحن إليه من العالم السفلي فتبقى فيه محبوسة تهيم في أودية العوالم المظلمة والناء في تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لسكنتها . وفي قراءة - لا تفتح - بلا تشديد (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الخياط) الولوج الدخول والجبل الجبل الغليظ من القنب وكذلك الجبل الذي تشد به السفينة . وسم الخياط ثقب الابرة فسم بالضم والكسر والخياط والخيط ما يخط به وهو الابرة فدخول الكفار الجنة محال كما أن دخول الجبل العظيم في ثقب الابرة محال . ويصح أن يراد بالجبل الحيوان المعروف والمعنى واحد ثم قال (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزي المجرمين * لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغشية (وكذلك نجزي الظالمين) المشركين وصفهم تارة بالأجرام وتارة بالظلم وقرن الأول بالحرمان من دخول الجنة وقرن الثاني بالعذاب تنبيهها على عظم الذنب . يقول ان توغلهم في المادة وبعدهم عن صفاء النفوس منهم من دخول الجنة فلا محالة يدخلون النار بظلمهم للتناسب بين الساكن والمسكن

ولما وصف الكافرين بما ذكر أخذ يصف سبحانه وتعالى المؤمنين ومن عادة القرآن أن يتبع الوعيد بالوعيد والعكس

﴿ وصف المؤمنين ﴾

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وقوله - لانكلف نفسا إلا وسعها - جملة اعتراضية للترغيب في اكتساب النعيم المقيم (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نظهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد فانه لا يتفق النعيم مع الحقد والغل كما أن النار تناسب الطباع الغليظة التي لا صفاء فيها فالأجرام سبب دخول النار كما أن الصفاء يناسب دخول الجنة (تجري من تحتهم الأنهار) زيادة في لذتهم وسرورهم ولادة بالأنهار وغيرها إلا لقابول خلت من الشواغل المحزنة كالغل فلذلك قدم نزعها . ولما تم لهم السرور النفسى ومباهج الآفاق حولهم فرحوا (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لانهتدى لولا أن هدانا الله) لولا هداية

الله وتوفيقه لنا وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله أى وما كان يصح أن نكون مهتدين لولا هداية الله لنا واللام لام الجحود لتوكيد النفي ثم قال (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وسرورا وظاهرا لما اعتقدوا (ونودوا أن تكون الجنة) أن بمعنى أى كأنه قيل وقيل لهم تلك الجنة (أورثتموها) أعطيتهموها بسبب أعمالكم والجنة بدل أو عطف بيان لتلك وأورثتموها خبر . ولقد ورد في الحديث أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله تعالى وهو لا ينافي ما هنا لأن العمل الصالح من رحمة الله فالعمل الصالح من الرحمة ودخول الجنة مسبب على ما تسبب من الرحمة (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن) بمعنى أى فهى مفسرة (قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) وهذا المقول شامة بأصحاب النار وتحسير لهم واعتراف بنعم الله لهم وقوله - ما وعد ربكم - أى وعدكم ربكم (قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (أن) بمعنى أى مفسرة كما تقدم (لعنة الله على الظالمين) ثم وصفهم بقوله (الذين يصدّون عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) أى يطلبون لها العوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون) وبينهم وبين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور في قوله - فضرِب بينهم سور - أو بين الجنة والنار ليمنع وصول أثر أحدهما إلى الأخرى (وعلى الأعراف) أى على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الفريقين أولادين وهى أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك . والعرف المرتفع من الشئ فهو لظهوره يكون أعرف من غيره (رجال) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخيار المؤمنين والعلماء (يعرفون كاد) من زمرة السعداء والأشقياء (بسيماهم) بعلاماتهم . واعلم أن الفراسة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن قال تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقال - تعرفهم بسيماهم - وقال - وتعرفهم في لحن القول - فكانت الفراسة اختلاس المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للإنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب وذلك ضرب من الإلهام أو الوحي وإياه عنى النبي ﷺ بقوله ان في أمّتي لمحدثين وان عمر لمنهم ويسمى ذلك أيضا النفث في الروح والضرب الثانى ما يكون بصناعة متعمدة وهى الاستدلال بالاشكال الظاهرة على الأخلاق الباطنة وقوله تعالى - أفن كان على بينة من ربه ويتاوه شاهد منه - قال بعض العلماء فيه ان البينة هو القسم الأوّل وهو اشارة الى صفاء جوهر الروح والشاهد هو القسم الثانى وهو الاستدلال بالاشكال على الأحوال . فاذا سمعت المفسرين يقولون ان أصحاب الأعراف يعرفون أهل النار بسواد وجوهرهم وزرقة عيونهم وأهل الجنة ببياض وجوهرهم وانصرة النعيم وبعضه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فاعلم أن ذلك ضرب من سيماهم والسيما السلامة الدالة على شئ وأصله من السمة (ونادوا أصحاب الجنة) أى نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة (أن) بمعنى أى كما تقدم (سلام عليكم) وذلك تهنئة منهم لأهل الجنة وقوله تعالى (لم يدخلوها) صفة لرجال أى لم يدخلوا الجنة (وهم يطعمون) فى دخولها قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدونها . ولا تظن أن الجنة التى طمعوا فى دخولها لم يدخلوها إلا أعلى الجنة التى لا يصل إليها إلا المقربون وإنما وقفوا على الأعراف ليطمعوا على الفريقين ليظهر عدل الله على ألسنتهم وليبينوا للناس أن هذا جزاء ما فعلوا من خير وشر ثم يرتفعون الى منازلهم العالية وهذا على أنهم أعظم الناس من الأنبياء وغيرهم وهناك تفسير آخر لا محل لذكره وهؤلاء كما قالوا لأهل الجنة سلمتم من الآفات وحصل لكم الأمن والسلامة حين ينظرون إليهم يقولون لأهل النار حين ينظرون إليهم - ما أغنى عنكم جمعكم الخ - ولذلك أعقبه سبحانه بقوله (وذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا) نعوذ بالله (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فى النار (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) عن الحق أرفع الخلق (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) وهذا من

نمة قولهم للرجال يشيرون الى أهل الجنة الذين كان الكفار يحتقرونهم في الدنيا ويحافون أن الله لا يذبحهم الجنة (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) أي فافتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وأنتم ترى أن أصحاب الجنة نادوا أصحاب النار وأصحاب الأعراف نادوا الفريقين ولم يبق إلا أصحاب النار فلذلك قال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن) بمعنى أي مفسرة (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) من غيره من الأشربة أو الطعام والفاكهة إذا أريد من الأفاضة الإلقاء (قالوا إن الله حرمها على الكافرين) منعها عنهم منع المحرم عن المكاف . ثم وصف الكافرين فقال الله تعالى (الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا) فحرموا وأحلوا ماشاؤا (وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء فيها وخصب العيش ولذته (فاليوم ننسأهم) تركهم في العذاب المهين (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطر ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وما كانوا منكبين أنها من عند الله أي ككسبانهم وجحودهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ وميزنا حلاله وحرامه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه (لقوم يؤمنون) ظاهر التفسير

﴿ لطيفة في قوله تعالى - يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

انه لا يحب المسرفين ﴾ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين

آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون الخ -

أيها المسلمون انظروا كيف يذكر الله عز وجل أخذ الملابس في الصلاة ويعقبها بعدم الاسراف في الأكل والشرب ويتبع ذلك بحل الطيبات من الرزق . أيها المسلمون أي مناسبة بين الصلاة وبين الأكل والشرب وعدم الاسراف فيهما وحل الطيبات من الرزق . ان المقام مقام علم وحكمة وليس للاهمال فيه من نصيب ولذلك ختم المقال بقوله - فصل الآيات لقوم يعلمون -

يقول الله هنا ان أخذ الزينة في الصلاة ونحوها والأكل والشرب بلا اسراف وطيبات الرزق إنما فصلها لقوم يعلمون . ويقول في سورة الأنعام قبلها - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتموا بها في طاعات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون - وأتبعه بأنه خلقنا من نفس واحدة الخ وأن ذلك البيان لقوم يفقهون فعمل الفلك لقوم يعلمون وعلم التشريح لقوم يفقهون كما تقدم . وههنا علم الصحة لقوم يعلمون . إذن علم ذلك وعلم الصحة كلاهما محتاج الى علماء . أما علم الفلك والهيئة فعلمهما ملئت به الأقطار إلا في بلاد الاسلام في القرون المتأخرة اللهم إلا شذرات ضئيلة وهكذا علم الصحة . اللهم انك أنت الذي أرشدت المسلمين لعلم الصحة فناموا وماذا تقول لهم أكثر من أن الطيبات حلال وأن الخبائث حرام وأن الاسراف في المأكل والمشرب حرام وهكذا في الملابس وكل شيء . اللهم ان هذا هو علم الصحة . ان علم الطب قسمان قسم يخص ارجاع الجسم الى الصحة بالعقاقير . وقسم يحفظ به الصحة من المرض وثاني القسمين أفضل من الأول وهو الذي أوجبه الله في هذه الآية وأمثالها . جعل الله علم حفظ الصحة واجبا وجوبا شرعيا عينا فعلى كل امرئ أن يعرف من علم حفظ صحته ما يحتاج اليه وكما أن الواجب من علم الفقه كما تراه مسطورا في احياء الفزالي على كل نفس ما يحتاج اليه فالزكاة لا يجب تعلم تفصيلها إلا على من عنده ذلك النوع مما يملكه . هكذا هنا في صحة الأبدان يجب على كل امرئ أن يعتني بصحته ويتعلم ما يقدر عليه وكلما ازداد مرضا وضعفا وجب عليه أن يزيد علما وعلى أمّة الاسلام أن يكون فيها علماء للصحة كما يكون فيها علماء للفقه

فقل لي رعاك الله . قد جاء في السور السابقة - يا أيها الذين آمنوا اذا قم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الخ -

أمرنا الله بالصلاة وقال نظفوا أجسامكم تارة بال غسل وتارة بالوضوء . وما الوضوء ولا الغسل إلا لصحة الصلاة ومطهرة الثياب إلا لذلك . وما هذا وذاك إلا ليكون المصلي حاضر القلب لا يلهمه تداثر ثوبه ولا جسمه وهو

متوجه للقبلة مصروف الفكر للعبود . فإذا كان الوضوء وما يتبعه نافعات في حضور قلب المصلي فيكون بالأولى مرة وألف مرة صحة البدن ان المريض ومن به قولنج أو صداع لا يحضر قلبه في الصلاة فاذن تكون العناية بالصحة أولى وأجدر ولهذا لما جاء الوضوء والغسل في السور السابقة ووجوب النظر في العالم العلوي والسفلي في سورة الأنعام جاء في هذه الآيات في هذه السورة يقول لنا تَوَضَّؤُوا وَغَسَّلُوا وَتَطَهَّرُوا وانظروا في السموات والأرض ولكن لا يتم ذلك إلا بعلم الصحة فأنا أنهما كم عن الاسراف في المأكل والمشرب وغيرها وأنهما كم عن الخبائث في الرزق والاسراف في المأكل والمشرب لا يعرفه إلا علماء يخلقون لذلك لأن هذا من فروض الكفايات وفروض الكفايات اذا لم تقم بها طائفة وقع الذنب على الجميع والمسلمون اليوم جميعا آثمون معذبون في هذه الحياة الدنيا لذلك عذبهم الله بالجهل في سائر العلوم لاسيما علم الصحة الذي لا يتم حج ولا صلاة ولا زكاة ولا علم إلا به . لهذا قال الله - إنه لا يحب المسرفين - وحرم الخبائث المفهوم من لفظ الطيبات اعتنى العلماء بعلم الفقه وابتدؤا بكتاب الطهارة . هذا حسن ولكن الأحسن منه أن يؤلف لأبناء المسلمين كتب صغيرة تعطى لهم قبل الوضوء والطهارة يذكر فيه علم الصحة امثالاً لقوله تعالى - وكأوا واشربوا ولا تسرفوا - ولقوله - والطيبات من الرزق - يا عجباً كل العجب يذكر الله اللباس والأكل والشرب وعدم الاسراف - والطيبات من الرزق - مصحوباً بقوله - خذوا زينتكم عند كل مسجد - وقد علمت أن في تفسيرها الصلاة . ان هذا رمز الى أن الصلاة كما تحتاج الى الوضوء والغسل تحتاج الى جسم صحيح وعقل حاضر ولا صحة ولا حضور عقل إلا بمعرفة علم الصحة فلئن رجب الوضوء فان الصحة أوجب أى الأخذ في أسبابها أولى فإذا طرأ المرض على المصلي وتيمم لضرر الماء فليكن عليه أيضاً أن يتداوى أو يلزم شروط الصحة جرياً على أمر الله من عدم الاسراف ومن ترك الخبائث من الرزق

﴿ علم الصحة ﴾

وها أنا ذا أبدأ بما بدأ الله به في الصحة وهي الملابس ثم الماء وأبين الطيبات منها والخبائث بطريقة مختصرة وأتبع ذلك بفرائد صحية . واني موقن أن علماء الاسلام بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله سيقروا علوم الطب ويوقنون بأنها من علوم الدين وأن ما أذكره هنا نموذج صغير أو قطرة من بحر أوحية ستنبت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء

﴿ الملابس ﴾

يقول الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد - ويقول - ولا تسرفوا - ولم يعين في أى الأنواع يكون الاسراف فهو وان ذكر بعد الأكل والشرب محذوف المعمول فالله تعالى لا يحب من أسرف في أى عمل من الأعمال وحذف المعمول مؤذن بالعموم . فالاسراف في الملابس وغير الملابس على حد سواء . وسواء أكان الاسراف بغسل الثمن للفتير أو بالملابس التي تزيد عن الحاجة وهكذا اسراف فلا ذكر لك أحوال الملابس . يشترط في الملابس ما يأتي

- (١) ألا تكون ضيقة تعيب الانسان في غدوه ورواحه بل يجب أن تكون واسعة
- (٢) ألا تكون ثغيلة فقد أجمع علماء الصحة أن الدفء لن يكون بتراكم الملابس وإنما يكون بنوع ما يفيد الدفء

(٣) أن تكون الملابس لها مسام لتجفف العرق لأن العرق اذا بقي في الجسم أصابه البرد الذي يكون سبب الزكام وآلامه فالمسام اذن أكبرعون على الصحة

﴿ الصوف ونحوه والحرير والقطن والتيل والجلد ﴾

اعلم أن صوف الغنم ووبر الجمل وشعر المعز لها خاصيتان • الأولى انها تحفظ حرارة الجسم • الثانية انها تنشف العرق • إن كانت هذه المواد أصلح لأن تلبس على نفس الجلد وهو (الشعار) وعليه يحسن أن يكون الشعار من الصوف

﴿ الحرير ﴾

اعلم أن الحرير الذي أحله الله للنساء وحرمه على الرجال يحفظ الحرارة كالصوف ولكنه لا ينشف العرق بسهولة كالصوف

﴿ القطن ﴾

أما القطن فهو قليل الحفظ للحرارة وقليل الانشيف للعرق والملابس المأخوذة من (التيل) أقل من القطن في خواصه

﴿ الجلد ﴾

والملابس المصنوعة من الجلد تحفظ الحرارة ولا تلبس إلا في البلاد الباردة

﴿ فوائد عامة في الملابس ﴾

يجب أن تكون واسعة وألا تكون طويلة وأن تحفظ في ديوان خاص وأن يوضع معها نحو الفافل الاسود بعد تنظيفها أو (النفثاين) أو نحوها خيفة (العشه)

ويفير الشعار مرتين في كل اسبوع صيفا وحرمة شتاء • ومعلوم أن الملابس (الوسخة) تغسل بالماء الساخن والصابون • وينظف الصوف بغسله بالماء البارد مع عدم عصره ثم توضع في الظل حتى تجف وليكن الشعار خفيفا في زمن الشتاء • وليكن لون الثياب الخارجية في الصيف غير قائم • أما في الشتاء فيجب أن يكون اللون (أدكن) وذلك ليسمح لحرارة الشمس أن تدخل الى الجسم • أما الأبيض فانه يمنع حرارة الشمس أن تدخل للجسم وهو بالصيف أليق • انتهى الكلام على الملابس

﴿ الأكل ﴾

اعلم أن الأغذية المستحسنة عند علماء الطب هي الأغذية السهلة الهضم الطازجة من الأغذية الحيوانية والنباتية مثل اللحم واللبن والزبدة والقمح والذرة والبطاطس • ويستحسنون طبخ الأغذية لسهولة هضمها لقتل الجراثيم الضارة ويوجبون غسل الخضراوات بالماء الساخن قبل أكلها وقاية من الإصابة بالديدان • فاذن يغسل الفجل والجرجير والبصل وأمثالها بذلك قبل الأكل • ويقدمون من الحيوان ما كان أصغر سنا على غيره ولحم الضأن على غيره في الهضم • ولحم الدجاج على لحم البط والأوز • ويقولون ان لحم السمك أقل تغذية من لحوم غيره من لحوم الحيوانات • ويقولون ان اللبن غذاء الأطفال ولا يكفي للكبار • ويوجبون غليه وحفظه في اناء مخصوص محكم الغطاء مغسول بالماء المغلي • ويقولون ان البيض الصالح يعرف بوضع مائلا ذذة فناجيل قهوة من الملح في ثمانية درهم من الماء ويدوب فيه ثم يوضع البيض فطفا فوق الماء فهو غير صالح ومارسب يكون صالحا • ويقولون الجبن أجود ما يصنع من اللبن المحض الخالي من المواد المضافة في الصناعة

﴿ الزبدة ﴾

الزبدة غذاء مفيد ويستحسن أن تؤكل مع الخبز وقليل من السكر وهي تدفع رجال العمل الجسمي

﴿ البقول ﴾

هي مثل العدس والفول ونحوهما يمكن الاستغناء بها عن مقدار عظيم من اللحم بأنواعه ويضاف اليها الزبدة أو الزيت

﴿ الخضر ﴾

بعضها أسهل هضمها مثل القرع وبعضها عسر الهضم قليل التغذية ولكنه نافع للجسم مثل الاسفاناج (السبانخ) • وخبز القمح أحسن من غيره وأكثر تغذية

﴿ التوابل ﴾

هي كالفلفل والخل والخردل والملح • هذه كثيرتها عسر الهضم • فإذا قلت الشهوة للطعام حسن تعاطي القليل منها • وقد نهى الأطباء عنها إلا قليلا

﴿ الأعذية التي هي غير طبيبات وهي الخبائث ﴾

القريب (الفسيفخ) والسردين والفواكه التي ليست ناضجة مثل (الرمح) وهو البلح الأخضر • ومثل الفواكه التي زادت في نضجها • واللحوم الكثيرة الدهن • والاسماك ذات القشور الغليظة وذات المحار ولأختم هذا المقام ببيان المدة التي تهضم فيها الأطعمة من لحم وخضر وفاكهة ليختار الإنسان ما يناسب مزاجه ولا يتناول إلا ما تقدر معدته على هضمه • (فأولا) الطعام الذي لا يهضم في أقل من ست ساعات وهو لحم الضأن المقلو في السمن • والخيار • والقثاء (وثانيا) الطعام الذي يهضم في أقل من ست ساعات ولا ينقص عن خمس وهو لحم العجل والكلبي المقلون في السمن ولحم الضأن المسلوقة • (وثالثا) ما ينقص مدة الهضم فيه عن خمس ساعات ولا ينقص عن أربع وهو

(١) لحم الدجاج والحمام والبقر والبط والاوز المقلاوات كلها في السمن (٢) لحم العجل المشوى (٣) لحم البط والاوز المسلوقين (٤) لحم السمك المسلوقة (٥) لحم العصفير المقلو (٦) الكرنب (٧) الجزر (٨) الفجل (٩) السلمون وهو (اللفت) • (ورابعا) ما يقل عن أربع ساعات ولا ينقص عن ثلاث وهو لحم الأرنب والعجل المقلون في السمن • ولحم الدجاج والحمام والكلبي المسلوقات • ولحم البقر المشوى • والكبد واللسان • ثم الدجج الجاف والكرفس والبطاطس والخس والثين والشمام والجوز (وخامسا) ما ينقص عن ثلاث ساعات ولا ينقص عن ساعتين وهو لحم الديك (الرومي) المقلو في السمن والمسلوقة منه ومن الأرانب ومن لحم البقر ثم اللحم • هكذا الباذنجان والبناميه والذعر (اللوبياء) الخضراء والفول الأخضر والقنبط والبطاطه المشوية والطماطم والتفاح الذي (وهو الذي لم يطبخ) والبلح والبرتقال والعنب والكمثرى وعصير حب الرمان • (سادسا) ما ينقص عن ساعتين ولا ينقص عن ساعة وهو الكرشي المسلوقة والمليون (كشك الماظ) والقرع والاسفاناج (السبانخ) والتفاح المطبوخ والموز والسفرجل • انتهى

فإذا سمعت قول الله عز وجل - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وكنت ضعيف المعدة فاعلم أن الأوفى لك ما كان سريع الهضم كالقرع والكمثرى • فإذا أكلت الخيار والقثاء فأنت مسرف لأنك جاوزت حدك وعلى هذا أبدا فقس • فأما إذا كنت قوي المعدة فلتأكل ما نشاء من لحم العجل والضأن وغيرهما • ولكل مقام مقال • انتهى ما قصته من الكلام على الغذاء

﴿ الماء الذي يشرب يجب له الشروط الآتية ﴾

- (١) أن يكون خاليا من الرائحة • ومن اللون
- (٢) أن يكون رائقا فلا ترى ذرات صغيرة سابحة فيه • ولا يرسب منه في قرار الاناء شيء
- (٣) أن يكون عذبا
- (٤) أن يذيب الصابون وينضج البقول والخضر انضاجا تاما • والا كان محتويا على أملاح ضارة بالجسم
- (٥) أن يكون خاليا من الجراثيم وهي (الميكروبات) ولا يمكن معرفة الميكروبات إلا بالمجهر أى

(المكركوب)

﴿ الأمراض التي يكون سببها الماء الذي ليس مستوفيا الشروط ﴾

(١) الاسهال المزمن بسبب التراب والرمل اللذين يكونان في الماء

(٢) الحمى التيفوذية

(٣) الهیضة الاسيوية (الكوليرا)

(٤) البول الدموي (البلهارسيا)

هذه الثلاثة الأخيرة بسبب الجراثيم المنتشرة في الماء

﴿ تنقية الماء ﴾

لذلك طرق ثلاث (الطريقة الأولى) أن يوضع نوى المشمش أو الخوخ أو اللوز الحلو في سبب هناك طبقة تحمل الأقدار في أسفل الإناء ويكون مافوقها من الماء صافيا . ويوضع جزء من الشب في الماء . وهذه الطريقة فيها ضرر للشاربين يستعملها العامة وهم يجهلون أضرارها . (الطريقة الثانية) أن يرشح الماء في إناء ذي مسام من الفخار ويغسل من الداخل والخارج بالماء والصابون والليف غسلا جيدا ثم يغطى ذلك الإناء بغطاء نظيف ويوضع تحته إناء نظيف ليتاقى الماء النقي المتساقط بعد رشحه من السطح الخارج ويجب أن يوضع هذا الإناء وماتحته في محل نظيف بحيث لا يصل إليه الغبار . والأحسن أن يكون وعاء خشبيا كبير الحجم . وفي اللغة العربية يقال للإناء الذي فيه الماء (الحب) وغطائه (الكرامه) فيقولون لمن يحبون (حبا وكرامه) وأصله هذا المعنى الذي عرفته . وهذا يسمى في مصر (الزير وغطاه)

وهناك أدوات للرشح غير مذكورة . وهذه تباع في الأسواق فلا طائل في ذكرها مثل ما يسمى (راشح بركفيلد) . (الطريقة الثالثة اغلاء الماء) وهذه هي الطريقة التي بها نعرف تماما خلو الماء من الجراثيم وهذا هو الذي يتبع في زمن الأوبئة فيغلي الماء للشرب وللطبخ وغيرهما ويحفظ ما للشرب في إناء نظيف محكم الصمام ويشرب بعد أن يبرد

هذه نبذة مما يتضمنه قوله تعالى - يا بني آدم خذوا زينتكم - وذكر الأكل والشرب . ثم أمر بعدم الاسراف فن لبس ما يضره أو أكل السردين أو الفسيخ أو الفواكه التي ازدادت في النضج فهو مسرف كمن يأكل فوق الشبع . ومن شرب فوق حاجته مسرف كمن شرب الماء الذي فيه التراب أو الرمل أو الجراثيم التي تصيب الإنسان فتورثه البول الدموي أو الحمى التيفوذية أو الحمى الاسيوية . كل هؤلاء مسرفون فن لبس شعار الصوف الغليظ في الصيف مثلا أو أكل البلح الأخضر أو شرب الماء الذي فيه قدر فكل هؤلاء مسرفون . فالاسراف إما في الكم كاللبس للملابس الكثيرة أو كل وشرب الماء كل والمشارب الكثيرة وإما بالسيف كما تقدم . كل هذا اسراف والمسلمون نائمون والدنيا كلها طافخة بالعلم ولم يغفل عنه إلا المسلمون اللهم إني أدت ما على وما قدرت عليه وأنت ستنتقم من كل من قرأ هذا التفسير وفهمه ولم يرشد المسلمين إلى جميع العلوم ومنها علوم الصحة التي ذكرتها في هذه الآيات خللت الطيبات وحرمت الخبائث - إن الله لا يصلح عمل المفسدين -

اللهم انك أوجبت هذه العلوم على طوائف من الأمة ولما قصرنا في ذلك عذبتنا في الدنيا بالضعف والذل وسلطت علينا الناس فاربونا لتذكر وهانحن أولاء تذكرنا وإني أكتب هذا تفسيرا لكتابك فهل للمسلمين عذر في الجهل بعد هذا التفسير وأمثاله . كلا . ثم كلا إن قارئ هذا التفسير ملزم أن يرفع صوته في كل مجلس ومقام . وفي كل كتاب يكتبه - والله عليم حكيم -

﴿ فوائد صحية ﴾

اعلم أن أسباب نقل المرض من المريض الى الصحيح إما أن تكون من الأول الى الثاني مباشرة واما أن تكون بواسطة الماء واما أن تكون بواسطة الحشرات

فالأول وهو أن يكون بنفس المريض فذلك مثل (الجرب) وهو مرض جلدي معد سريع الانتشار ويكثر بين من لا يحافظون على نظافة أجسامهم . وينتقل هذا المرض من الأجرى الى الصحيح بالمصافحة والمساكنة والملازمة واستعمال ملابس المصاب بهذا المرض الويل . فأما الثاني وهو أن يكون بواسطة الماء . فانظر تر العجب العجيب في العلم وفي دين الاسلام . انظر ترى علماء الفقه نهوا عن الاستحمام في الماء الراكد . وعن البول في الماء مطلقا الخ . وانظر العلم الحديث وظهور فضائل الدين الاسلامي . انظر ثم انظر . ههنا مرضان . مرض البول الدموي وهو (البلهارسيا) المتقدم ذكره . ومرض الضعف العام المسمى (الانكلستوما) . فهذان المرضان يكونان بالعدوى ولكن بطريق الماء . فمرض البول الدموي انما يكون من ديدان تسكن في (الأوردة) وتعيش في الدم وتبيض فيه ويخرج البيض مع الدم ومتى بال الانسان في الماء فقس ذلك البيض الذي لا يراه الناس وخرج منه حيوان صغير لا تراه العيون ولكنه اذا نظر له الانسان بالمنظار المعظم ظهر كهيئة العقرب . فهذا الحيوان يبحث عن قوقعة من قواقع الماء فيدخل فيها تكون له اما بدل أمه فاذا كبر فيها خرج فاذا صادف انسانا يستحم مثلا ودخل جسمه كما كانت أمه سابقا وهو لا يعلم تاريخ حياتها فيدخل من المسام ويتجول في الجسم حتى يكبر ويبيض كما كانت أمه تبيض وهكذا يكون الخلف كالسلف . سبحانك اللهم ربيت الدود في أجسامنا وأنزلته في مائنا وأدخلته في القوقعة حتى يكبر ثم أرجعته الى أجسامنا بعد ما صار حيوانا عاقبا منك للسامين على تقاعسهم عن علم الصحة وعلى مخالفتهم للفقهاء الذين نهوا عن التبرز والبول في الماء والاستحمام في ماء البرك والمستنقعات التي فيها ذلك الحيوان

أما مرض الضعف العام فهو المسمى (الانكلستوما) وهو فقر الدم فقرى الوجه شاحبا والشفقين ذابلتين وعسر التنفس بعد أى عمل ويحسّ بألم في الرأس والركبتين واضطراب في الطضم . وذلك أن هناك ديدانا تلقح ذكرا نهما انماها فنبيض في الامعاء لا كديدان البول الدموي التي تبيض في الدم وهذا البيض يخرج مع الفضلات فاذا تبرز المصاب في الماء فقس البيض فيه وعاش الحيوان الخارج منه أشهرا فيه فاذا شرب انسان ذلك الماء أو أكل خضرا مغسولة في تلك المياه أو استعمله لاستحمامه دخل هذا الحيوان جسمه بواسطة الجلد أو بواسطة المعدة فيصاب بالمرض القتال

ولا ينجى الناس من هذا ونحوه إلا ترشيح الماء كما تقدم . وألا تغسل أواني الأكل إلا بالماء المرشح أو المغلى . وألا تؤكل الخضرا التي لا تطبخ إلا بعد غسلها جيدا بالماء المغلى . وألا يمشى الانسان عارى القدمين . ولا يلعب في المياه القذرة . وأن يقضى الحاجة في حفرة ويطمرها بتراب جاف . وأن يغسل اليدين جيدا بالماء والصابون بعد قضاء الحاجة وقبل الأكل . انتهى الكلام على القسم الثاني

﴿ القسم الثالث ﴾ وهو أن يكون نقل المرض بواسطة الحشرات . فاعلم أن الله عز وجل جعل ما ينفعنا وما يضرنا من الحيوان على قسمين قسم ظاهر وقسم باطن وكل منهما إما نافع واما ضار . فالقسم الباطن النافع منه مثل السكرات البيضاء والجرأ في الدم فانها تشبه الحيوان من حيث المدافعة عن الانسان وتقاتل جراثيم المرض الداخلة في الجسم وهذا معلوم في الطب . والقسم الضار منه مثل ما ذكر آنفا من جراثيم البول الدموي وجراثيم فقر الدم اللاتقي تعيش في الماء وتدخل جسم من يستحم مثلا وهكذا فأما القسم الظاهر من الحيوانات فهو قسمان أيضا نافع للانسان وضار . فالنافع للانسان مثل المذكور

في قوله تعالى - وأوحى ربك إلى النحل الخ - وقد ثبت لك أن النحل وأمثاله من الحشرات هي التي تطوف على الأشجار فتنتقل الطلع من الذكور إلى الإناث . ولذلك تجد الحدايق دائما فيها أصوات هذه الحشرات ولذلك تصفها العرب بأنها غناء . فهذه الحشرات التي ترى شرحها فيما تقدم في التفسير كسورة (الأنعام) وغيرها جعلها الله لتكون سببا في فاكهتنا وحبوبنا ونحن لا نشعر فأكثر الناس يأكلون الفاكهة ويتنعمون بالنعم وهم لا يعلمون أن الحشرات التي أمامهم هي من أسباب تلك النعم . فأما الضرر للإنسان من الحشرات فهي كثيرة منها الذباب والقمل والبق والبراغيث والناموس . ولأنكم على الناموس ثم الذباب مكتفيا بهما في هذا المقام فأقول

(١) الناموس يعيش في المياه الراكدة والمستنقعات . وفي المنازل التي هي غير صحية . وهي تنقل حمى (الملاريا) وهي نوع من أنواع الحمى وتسمى (الحمى الاجيية) منسوبة للاجيات لأن الناموس يعيش فيها . ولذلك يجب إبادة الناموس من المنازل بوضع زيت البترول في المراحيض . ويجب ردم البرك والمستنقعات . أو وضع زيت البترول على سطح الماء حتى يقتل صغار البعوض التي تعيش على سطحه . وعلى النائم أن تكون له ناموسية سليمة من الثقوب حتى لا يدخل إليه الناموس فهذا الناموس إذا لدغ مصابا بالحمى المذكورة ثم بعد ذلك لدغ آخر سائما أصيب السليم بها أيضا فينتقل المرض من الأول إلى الثاني . فكما رأيت أن الجرب ينتقل من المريض إلى الصحيح باللامسة ومرض البول الدموي ومرض فقر الدموى ينتقلان بواسطة الديدان التي تعيش في الماء . هكذا ترى هنا الناموس ينقل المرض مباشرة من المريض إلى الصحيح . هذا ولأختم هذا المقام بالكلام على الذباب

﴿ الذباب ﴾

ان الذباب ينقل المرض من انسان لآخر كما يفعل الناموس

﴿ غذاء الذبابة ﴾

تأكل اللحم والدم والخضر واللبين والزبد والجبن والمادة السكرية والمواد المتخمرة كالخبز المتخمر والمش وبراز المواشى وبراز الانسان وهو يفضل المواد المتخمرة لأنها يبيض ومنها يأكل اذا علم أن الأنثى من الذباب تبيض ما بين شهر وشهرين ولصف . والبيض يكون على دفعات كل دفعة من مائة بيضة الى مائة وخمسين بيضة وجميع البيض يبلغ ألف بيضة . وفي النادر شاهد العلماء أنها باضت في احدى وثلاثين يوما نحو ألفي بيضة . والبيضة تفرخ فيما بين ثمان ساعات واثنى عشرة ساعة . ومتى فقس البيض خرج دود أبيض يتحول فيما بعد الى ذبابة في مدة ستة أيام أو عشرة أيام أو أربع وأربعين يوما بحسب اختلاف الأماكن حرارة وبرودة . ومن ذلك دود المش واللحم ونحوهما . فهذا كله دود ظهر من بيض الذباب أو نحوه لأن الذباب وسائر الحشرات يكون له بيض فالبيض يكون دودة فشرقة أى مثل ما ترى في دود القز إذ ينم مدة بهذه الصفة ثم يصير حشرة كاملة

﴿ ضرر الذباب بنوع الانسان ﴾

(١) ينقل جنوم الرمد الصديدي من العين المريضة الى العين الصحيحة من نفس الطفل المريض أو طفل آخر مجاور للمريض وأكثر العميان في مصر بسبب هذه الحشرة

(٢) مرض (الدستاريا) وهو اسهال شديد بهيئة خاصة . هذا المرض ينقله الذباب من المريض إلى الصحيح

(٣) الذباب ينقل جراثيم الحمى التيفوزية لأنه يذهب الى البراز الملوث بجراثيم المرض ثم يذهب إلى أطعمة الأصحاء الذين هم قريب من ذلك المكان لأن الذباب لا يذهب بعيدا

(٤) السكوليرا تنقل بأطراف الذبابة وخطومها • ويقال ان مكروب المرض يبقى حيا ١٧ ساعة على أطراف الذبابة • وقد يدخل الجرثوم المرضى في باطن الذبابة بطريق الطعام ويخرج حيا بالتبرز في طعام الأصحاء فهي تنقل المرض بأطرافها وبرازها

(٥) جراثيم (السل) التي يتلغتها الذباب من بصاق المسولين يرى حيا في براز الذبابة بعد مرور خمسة أيام من أكلها البصاق المعدي • وهكذا وجدوا ديدان الحيوانات التي تعيش في أمعاء الانسان • وهكذا السودة الوحيدة • كل هذه يبلعها الذباب مع المواد البرازية وتخرج مع برازه • انتهى مأردت من الكلام على الذباب

﴿ الصراصير ﴾

وهكذا يقولون ان الصراصير تعيش في جوفها جراثيم السرطان • فاذا جاءت على طعام الانسان أنزلت ذلك فيه فتولد السرطان في جسم من يأكله ولا يزال يعيش في الجسم حتى يجد له مكانا ضعيفا فيعيش وينمو ويموت المريض • اهـ

هذا قطرة من بحر من قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقوله - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فيا عجبها كل العجب كيف يقرأ المسامون الطيبات من الرزق وأكثرتهم يجهلون الفرق بين الطيبات والخبائث • فيا ليت شعري كيف يعرف المسلم أن هذا الطعام خبيث وأن هذا الطعام طيب إلا اذا قام في الأمة جماعة فدرسوا هذه العلوم ثم نشرها بين الأمة كيف يكون الطعام الذي يحوم حوله الذباب أو لم به الصراصير خبيثا • وكيف يتحذرون الاستحمام في الماء الراكد أو ملامسة (الأجرب) أو نحو ذلك إلا بنشر هذه العلوم نشرًا تليق مع بيان الفوائد بقدر الامكان • اللهم إني بينت هذا المقام في كتابك بقدر امكاني واني موقن أنه سيأتي بعدنا من يسهلون الطرق ويرقون الشعوب ويعلمون أهم الاسلام وسنرى ما يكون

ولأختم هذا المقام بأرجوزة كنت نظمها منذ نحو عشرين سنة قبل طبع هذا الكتاب • وهذا نصها

﴿ حفظ الصحة في فصل الصيف ﴾

قرأت مقالة في حفظ الصحة في أول فصل الصيف سنة ١٩١٦ بقلم عظيم من أعظم الأطباء النطاسيين فجعلتها نظما • وهما هي ذه

أرجوزة في الطب للأخوان * نظمها أيام الامتحانات
من بعد ماقرأتها تكرارا * لكي أزيد فهمها استبصارا
ليحفظوا صحتهم في الصيف * فخرته مثل غرار السيف
لصيف حرّ يلفح الوجوها * ويزهق النفوس إذ يغزوها
والشمس مهما قتلت جرثوما * فانها تحيي سواء دوما
ما أفتسك الجرثوم بالأطفال * فانها مكثرة الاسهال
تسطو بحماها على الأولاد * فتحتسى بقلد الأكباد
إن اتقاء المرض الخوف * أفضل من علاجه الموصوف
فنظف الطعام والشرابا * والجسم والمكان والشيابا
كذلك الحذاء والنساء * وكل مجرى كان فيه الماء
* فانها حاملة للداء * تقذفه في داخل الأحشاء
فلتحتس من طائف الذباب * فانه أعدي من الذباب
يعدى الذي يأتي بلا ارتياب * ويجعل الأحياء في تباب

مثل الذباب فصل الناموس * فانه لمرض جاسوس
 فاجعل له وقاية تقيك * على السرير حيث لا يردىكا
 ياربة المنزل يا ذات الأدب * حفظ الصغار صحة مما وجب
 فارعى رعاك الله عين الطفل * وقه وأذنه بالغسل *
 لا يشرب لبننا أوماء * حتى تزيل النار منه الداء
 كذلك الفواكه اطبخها * حتى يزول الداء مما فيها
 وليستحم الرجل الكبير * والطفل والطفلة والصغير
 بكل ماء فاتر نظيف * منظف للجسم في الصيف
 وليأخذ القوى ماء باردا * اذا أراد حيث لا يخشى ردى
 وقل الماء كول والمشروبا * ولا تطع من أكلوا ضروبا
 وكل ما تشربه مبردا * يبرد الاحشاء حتى تخمدا
 والثلج والكازوزة المعروفة * وشبهها على الأذى معكوفة
 ولا تطع قول الذين قالوا * الثلج يروى انهم جهال
 وخذ من البقول والفواكه * والخضر ما تهواه غير واله
 * وأقلل اللحوم والمغظا * فهل تحب أن تكون في لظى
 خير الثياب البيض عند الحر * وشبهه بيض مثلها كالسمر
 ثم لتكن واسعة الأطراف * كالردن والقباب والاعطاف
 واجعل شعرا لجسمك الصوف * لمص ربح العرق المعروف
 كذلك أما كنت في عراء * ليلا تخلص الصوف بالغطاء
 ومن يكن ذا عرق في الصيف * فشرب مشاوج له كالسيف
 وكل تيار من الهواء * يدعو له البأساء والضراء

﴿ جمال الله في هذا المقام ﴾

يا الله خلقت آدم وبنيه بيديك وقلت لابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي الخ فأنت بخلقك له
 بيديك شرفته وعظمته وهذا الشرف وهذه العظمة ظاهرة واضحة في التكاليف التي كلفته بها فلم يقف التكليف
 عند الفرائض التي نزلت بها الأنبياء بل خلق الله للانسان باحدى يديه النور والهواء والجمال والنجوم
 والحيوانات النافعة . وهكذا النباتات المثمرة . وخلق باليد الأخرى الموت والحيوانات القاتلة الفاتكة فمن
 السباع الى الذباب والناموس والحيات والعقارب الى الذرات الفاتكة بالأجسام الى ما وراء ذلك
 وهكذا نرى النبات يفتك به الكلا والحشائش القاتلة له . يتأمل العاقل في هذه الدنيا فيرى هذا
 الانسان يحوط باحدى يديه النحل النافع لائقح الأشجار ويقتل بالأخرى أنواع السباع والحشرات وهكذا
 يحافظ باحدى يديه على القمح والقطن وأمثالهما ويقطع بالأخرى الحشائش والكلا
 اللهم ان نظرننا في هذه الأرض جعلنا نفهم انك خلقت الانسان ليكذب ويحسد ويهذي يقوى على السير في
 عالم آخر والا فلماذا جعلت الذباب ينمو ونحن نقاتله ويحيط بنا من كل جانب ونحن والحوادث الجوية نبيده
 وهو لا يبيد ونقاتله وهو لا يزال في الوجود . انك بذلك فتحت بصائر الانسان وعلمته التمييز وجعلته لا يهدأ
 ولو أنه هدا لأحطته بالمهايكات . كل ذلك من رحمتك لأنك تريد رقى عقله وقواه ولارقي لهما إلا بالجهاد في
 جانب النافع ودفع الضرر وضعف النافع كالنحل وقوة الضرر كالذباب يحسد لانه دائما يجاهد لتقوية الأول

واضعاف الشافي • انك يا الله بهذا تريد نقلنا الى عالم غير هذا تكون الحياة فيه على مقدار ما نلنا من القوة وما كسبنا من العلوم • فالشر والخير والذباب والفحل جعلتهما لنا راحة كما امرتنا أن نقرأ بسم الله الرحمن الرحيم • انتهى المقصد الثالث من القسم الأول

(المقصد الرابع)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ ثَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا تَكِيدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ *

(التفسير اللفظي)

يقول الله تعالى (هل ينظرون) هل ينتظرون (إلا تأويله) أي إلا ما يؤول اليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك النامى (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي قد تبين أنهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (أو نرد) أو هل نرد إلى الدنيا وجواب الاستفهام الثاني (فنعمل غير الذي كننا نعمل) ثم قال تعالى (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم • ولما كان ما تقدم من محاورات أهل الجنة والنار وأصحاب الأعراف ونعيم الجنة وعذاب النار راجعا إلى اليوم الآخر المرتب على الإيمان بالله والكفر به وكان التوحيد أجل ما ينبغي عليه العالم المشاهد المحسوس أعقب ما تقدم بما يذكر بجباب السموات والأرض الدالة على الله فذكر خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وتسخير الشمس والقمر والنجوم وإرسال الرياح والسحاب وأنبت النبات المختلف أعمار • وهذه الآية أشبه بآية - إن في خلق السموات والأرض - المذكورة في سورة (البقرة) وكأنها خلاصتها فارجع إليها هناك • ثم قال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) أي في ستة أوقات (ثم استوى على العرش) والعرش في اللغة يطلق على السرير وعلى ما علا فأطلق وسمى مجلس السلطان عرشا لعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان نل عرشه بمعنى ذهب عزه ومملكه وسلطانه • وثم للترتيب الذكرى والا فآله عز وجل مستول على الملك أزلا وأبدا يدبر الأمر من السماء إلى الأرض • ولذلك أخذ يبين الاستيلاء على

العالم العلوي فأبان أعظم الأعمال التي تراها من ذلك الاستيلاء وهو تسخير الشمس والقمر والنجوم وبهذه الحركات السخيرية تكون جميع العوالم التي بها حياتنا وبقاؤنا فلذلك قال (يفشى الليل النهار) يغطيه به فيحتمل أن النهار يفشى الليل وأن الليل يفشى النهار ولا جرم أن كلا منهما يغطي الآخر بسبب جريان الأرض حول الشمس فالوجه المقابل للشمس مضى والغطى عنها مظلم (يطالبه حينئذ) يعقبه حال كونه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحديث فمعدل من الخلق (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بقضائه وتصريفه بمقتضى استيلائه على الملك ونصبها للعطف على السموات ولصب مسخرات على الخلق ثم خص ما تقدم كاه في هذه الجملة فقال (ألا له الخلق) راجع لقوله - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض الخ - (والأمر) راجع لقوله - ثم استوى على العرش وسخر الخ - فالخلق وأمر الكائنات بيديه كما قال - ينزل الأمر بينن - ثم قال (تبارك الله رب العالمين) تمجده وتعظمه وارتفع • فانظر كيف ذكر أنه خلق السموات والأرض في أوقات ستة بحيث أدار المادة اللطيفة السماة (بالأثير) وحركها في أزمان قديمة العهد جدا فكان منها شمس وشموس ثم دارت الشموس ومنها شمسنا آلافا وآلافا من السنين فانفصلت منها السكاكب السيارة ومنها أرضنا وانفصل القمر من الأرض ثم كان المعدن والنبات والحيوان والانسان فهذه هي الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض • فأولها الشمس • فالأرض ومعها السيارات • فالمعدن • فالنبات • فالحيوان • فالانسان • هذه هي الأيام الستة التي خلق الله فيها عالمنا

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن لفظة (يوم) قد وردت في علوم البابليين والاشوريين التي عثر عليها العلماء في المكتبة الملكية بقصر (آشور بانيبال) ففي هذه الخزائن وجدوا أنهم قسموا منطقة البروج الى اثني عشر قسما وهي البروج وقسموا الدائرة ٣٦٠ درجة وهكذا الدقيقة والثانية الخ والاسبوع سبعة أيام • ويقولون ان تقهقر الاعتدالين في زمان (٣٦٥ سنة) ويسمون هذه المدة يوما من الأيام العالمية • وجعلوا السنة الشمسية التي قدرها ٣٦٥ يوما وربع يوم ثانية واحدة من السنة العالمية • ثم هم يقسمون اليوم العالمي الى اثني عشرة ساعة فتدبر تجد أن اليوم قد جاوز عشرات الألوف من السنين وهو اليوم العالمي • فاليوم في الآيات عبارة عن أزمان متطاولة نسبيها أياما عالية لا أياما معتادة فتعجب • وانرجع الى مقام التفسير فنقول

وهانحن أولاء نشاهد الأمر يجري بين السموات والأرض فنرى الليل يفشى النهار والنهار يغطي الليل ونرى القمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب لاسرية الكوكب أن يسير على غير نظام • فإذا كان هذا الخلق له وهذا الأمر له أفلا يكون مستحقا للتعظيم والاحلال فيقال - تبارك الله رب العالمين - من العوالم السفلية والعوالم العلوية • وإذا كانت هذه صفات الله وأنه خلق هذه الكائنات واستوى على عرشها وسخرها ونظمها فلم يبق إلا أن يتوجه له عبيده بالدعاء فلذلك أعقبه بقوله (ادعوا ربكم تضرعا) تذلا من الضراعة وهي اللذل (وخفية) سرا (إنه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره بأن يرفعوا أصواتهم ونداءهم وصياحهم في الدعاء وبأن يسألوا منازل الأنبياء • قال رسول الله ﷺ سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء أخرجه أبو داود • وعن النبي ﷺ أيضا أنه قال سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب منها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وهل الأفضل اظهار العبادات أو اخفائها رأيان رجح الأول من نظري الاقتداء بالعابد ورجح الثاني من خاف عليه الرياء • وقال قوم الأول في الفرض والثاني في النفل كالصلاة والزكاة فريضا ونفلا

ولما أكمل الكلام على خلق العالم العلوي والسفلي وأتبعه بوجوب الدعاء والتوجه لله بالقلب مع الخشوع والتضرع وحرم مجاوزة الحد وأمر بالخضوع والتذلل لمن هو المستوى على العرش المدبر للأمر عند ذكر

العالم العاوى . أقول لما أكل ذلك كله أضر باصلاح الأرض وعدم الافساد فيها قبل أن يبدأ بذكر الرياح والسحاب الجاريات حول الأرض الساقيات المزراع النبات بسببها النبات . وأخذ يصف البلد الطيب والبلد الذى خبث . فانظر كيف جعل عند كل عالم ما يناسبه فإذا نظرنا الاستواء على العرش دعونا وخرنا ساجدين وان نظرنا الى نظام أرضنا وسحابها ومطرها ورعدها وبرقها ونباتها وحيوانها وجب أن نكون عادلين صادقين فندسى لرقى الأمم حولنا ونظام حكوماتنا والانتفاع بخيرات هذه العوالم المحيطة بنا فهو كما دبر ملكه وهو مستو على عرشه محركوا كبه منظم احواله . أمهنا الله أن ندبر ملكنا بالعدل وتقوم بالقسط والا كنا مفسدين فى الأرض مهملين غير شاكرين . وانظر كيف أمرنا هنا أن ندعوه خوفا وطمعا لأن الأمر فى العوالم الأرضية غيره فى العوالم السماوية . فى الأول لا عمل لنا فى انارة السموات فلذلك نرانا مضطرين الى الخضوع والتسذل لمجرى السكواكب فرحين بأعماله . وفى الثانى نرانا ندعوه خوفا من العقاب وطمعا فى الثواب لأن المقام مقام عمل لا مقام علم . فبالعلم بما فى نظام الملك خشعنا . وبالنظر للعمل فى أرضنا دعونا خائفين تارة وطامعين أخرى لأننا مكلفون بالنظام والقيام بالعدل واستخراج المنافع من عالمنا وهذا قوله تعالى (ولا تفسدوا فى الأرض) بالظلم والشرك والمعاصى والدعوة الى الشر واتلاف النفس بالقتل أو غيره وافساد الأموال بالغصب والسرقة وأخذ من الغير بالحيل وافساد العقول بالخر والافساد بالزنا وافساد الأديان بالسكفر واعتقاد البدع والأهواء (بعد اصلاحها) بالعدل والايمان والطاعات والدعوة الى الخير ونظام الأمم والأفراد وحفظ الأعضاء والعقول وارسال الرسل بالاحسان ومكارم الأخلاق (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته . ثم رجح جانب الطمع بالرحمة فقال (إن رحمة الله) شئ (قريب من المحسنين) فمن أحسن عمله أو خلقه توالى عليه الرحمت . ومن أتقن صناعته أو زراعته أو عاشر الناس بالمعروف نشاهد الاقبال عليه يكون على قدر اتقانه . وكذلك الدين صبروا وعبدوا وصدقوا فى العبادة فهؤلاء تتوالى عليهم الرحمت والرحمة فى كل عمل يحسبه فان كان جسيما نيا كانت الرحمة من قبيله وان كان روحانيا كانت الرحمة من قبيله فالرحمت على قدر الاحسان إن الله حكيم فى اعطائه يعطى على مقتضى الاستحقاق فاذا لم يحسن المسامون صناعاتهم أقبلت اليهم الرحمة الغربية فأذا قهرهم العذاب الهون . واذا جهلوا الزراعة والتجارة والصناعة ولم يحسنوها أقبل عليهم أهل الغرب وأهل أمريكا وأنزلوا بضائهم فى أسواقهم وباعوها منهم وأخذوا مملكت أيديهم لأنهم لا يحسنون صنعا ولا يقيمون للعمل وزنا فيصيحون أدلاء فقراء يتخطفهم المحسنون وفى الأثر ﴿إن الله يحب المتقن عمله﴾ ثم أخذ يصف الرحمة العامة فتمال (وهو الذى يرسل الرياح بشرا) جمع بشيرة وهى التى تبشر بالمطر أى مبشرات * وقرئ (نشرا) مخففة نشر كرسل ورسل جمع نشور كرسل ورسل أى ناشرات للمطر (بين يدي رحمة) قدام رحمة يعنى المطر فان الريح تهب حاملة قطرات الماء من البحار فتحفظها الجبال الراسيات من الجانبين فلا تزال هابة حتى تصل الى الأماكن البعيدة فتسقى الزرع قال تعالى (حتى اذا أقلت) حلت (سحابا ثملا) بالماء وانما جمعه لأن السحاب بمعنى السحاب (سقناه لبلد ميت) أى لأجله أولا حياؤه وسقيه ولن يكون ذلك إلا بحفظ الجبال للهواء والسحاب من الجانبين (فأنزلنا به الماء) بالبلد (فأخرجنا به) بالماء (من كل الثمرات) من كل أنواعها (كذلك نخرج الموتى) أى كما أحيينا البلد الميت وأخرجنا من كل الثمرات نخرج الموتى بركة الأرواح الى أجسادها بعد جمعها وتنظيمها (لعلكم تذكرون) فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الأرض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وبتدبيره حيث يكثر النبات ويفزر نفعه (والذى خبث) كالأرض السبخة والحجرية والطبشيرية والجيرية وما أشبهها (لا يخرج إلا نكدا) قليلا عديم النفع واضبه على الحال وتقديره والبلد الذى خبث لا يخرج نباته إلا نكدا . فهكذا

الناس كالأرض لأنهم منها • فمنهم من هم كالأرض الطبيعية فهم يعلمون ويعملون • ومنهم من هم كالأرض الخبيثة فهم لا ينتفعون بالعالم ولا الدين • وفي الحديث أن مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء ففزع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ • فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذي أرسلت به • أخرجاه في الصحيحين • ثم قال تعالى (كذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك التصريف نصرف آيات نزلناها ونكررها (لقوم يشكرون) فعمدة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وليقوموا بحققها فلا يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بل عليهم أن يكونوا صالحين مصلحين عادلين فهؤلاء هم الشاكرون • انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من سورة (الأعراف) وفيه عشرة لطائف

(اللطيفة الأولى) قوله تعالى - فلا يكن في صدرك حرج منه -

(اللطيفة الثانية) - وكم من قرية أهلكناها الخ -

(اللطيفة الثالثة) - والوزن والميزان -

(اللطيفة الرابعة) نظام هذا القسم من السورة مع ذكر فرعين وهما قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا الخ - وإيضاح ماضى من قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين -

(اللطيفة الخامسة) قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - وقوله تعالى - ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار الخ -

(اللطيفة السادسة) - لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخولن الجنة الخ - وقوله تعالى - إن الله حرمهما على الكافرين -

(اللطيفة السابعة) - لا تكلف نفسا إلا وسعها -

(اللطيفة الثامنة) - ونزعنا ما في صدورهم من غل -

(اللطيفة التاسعة) أصحاب الأعراف وكيف يعرفون أهل النار وأهل الجنة بسيماهم

(اللطيفة العاشرة) إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض الخ -

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - فلا يكن في صدرك حرج منه -

لقد شرحت هذه اللطيفة في أول السورة وأثبت كيف كان أول هذه السورة مؤذنا بأن الإنذار والارهاب حاصل فيها بهلاك الأمم الغابرة وذلك تذكرة للمؤمنين وإنذار للكافرين • ولقد تبين هناك كيف حل هذا الوعيد بالأمم الإسلامية لما قست القلوب وضلت العقول وجهلت الأمم وخربت الذمم وتقال الرؤساء وجهل الرؤسون فلم يعرفوا كيف يؤدّبونهم وقوله تعالى - اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم - هو وما قبله من قوله - فلا يكن في صدرك حرج منه - وما بعده من قوله - وكم من قرية أهلكناها الخ - من تمام الكلام في آخر سورة (الأنعام) • ألم ترفى آخرها قوله تعالى - وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - وفيه أيضا - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الخ - ولا يطيل بإيضاح هذه اللطيفة فقد استوفيت في أول السورة

(اللطيفة الثانية - كم من قرية أهلكناها الخ - قد وضعت في تفسير أول السورة

(اللطيفة الثالثة - الوزن والميزان -

قد ذكر بعضه في هذه السورة وقد تقدّم في آل عمران وفي البقرة وفي الأنعام في مواضع شتى ولكن

لا بد من ذكر عجيبة جاءت في بعض الجرائد وهي تبين أن الأرض تنفس كما يتنفس الناس وتنفسها في أوقات محددة فهي في نفسها موزونة أيضا فتجيب

﴿ تنفس الأرض ﴾

هل تعلم أن الكرة الأرضية (تنفس) مرة في نحو كل مئتي سنة وأن تنفسها هذا ينجمها على الأرجح من الانفجار لأن الغازات تتمدد في باطنها باستمرار . وعند ما تنفس ثراها تنقلص من نواح وتتمدد من نواح أخرى فينشأ عن ذلك خلل صغير في ضبط المواقيت لم يتنبه اليه العلماء إلا منذ عهد قريب فقد اتفق في أداء حرب (لبوي) أهم أنبأوا بقرب وقوع خسوف كلي ولكن ذلك الخسوف لم يقع إلا بعد الوقت الميعن بسبع ثوان . وحدث أيضا بعد ذلك ببضع سنوات أن خسوفا آخر تأخر عشرين ثانية عن ميعاده فدهش علماء الفلك في العالم أجمع وشرعوا يبحثون عن السبب حتى انجملت لهم الحقيقة وعرفوا أن تقلص الأرض وتتمدها بسبب تنفسها هما سبب ذلك فأخذوا يحسبون حساب أرصادهم ويضبطون المواقيت

﴿ اللطيفة الرابعة في نظام هذا القسم من السورة وفي قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم

لباسا الخ - وإيضاح ماضى من قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الخ - ﴾

إن في نظام هذه السورة ولا سيما هذا القسم منها لعمرة لنا وتفهمها . انظر كيف ابتدأ السورة بالاخبار بالأمم البائدة والقرون الخالية ومن فاجأهم العذاب ليلا أو نهارا وهم يقولون - إنا كنا ظالمين - وكيف أتبعه بأن الميزان حق والنظام صدق فن غلبت حسناته فهو الفاز ومن غلبت سيئاته فهو الهالك . ثم أخذ يقول مامعناه أيها الناس إنا مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش فكفرتم النعمة وأبتم الفضيلة فكان شكركم قليلا وكفركم كثيرا . ثم أخذ يصف ما كان من إبليس من براهين المغالطة والحجج السفسطية والكبر الجاهلي . وكيف أصبح بعد أن ضلّ وغوى موسوسا لآدم وبنيه فخرج الآخر من الجنة كما سقط الأول من الصورة الملكية ومن السموات العلية ثم تاب آدم ولكن إبليس لا يزال شيطانا رجيا

وكيف جعل سبحانه هذه القصة لنا عظة واعتبارا لم يدع جزءا من أجزائها إلا جعله درسا نقرأه وعاما نفقهه وحكمة نتلوها وآية نعقلها وعمرة نعتبر بها . ألم تركيف وعظ بني آدم ألا يفتنهم الشيطان كما فتن أباهم آدم من قبل . وكيف حذرهم من نزع لباس الفضيلة والأدب بوسوسته كما نزع عن أبيهم لباس الجسم المادى . وكيف جعل ذلك عمرة للعرب الذين حرّموا اللباس في الطواف بوسوسة الشياطين ودعواهم أن هذا قربة لرب العالمين . وكيف كان أمثال هذا من مشار البدع والشكوك والأهواء منها ما دخل في حوزتها جاريا على منهجها . وكيف كان تحريم الحلال والتحرّج من طيبات الرزق من خدع الشيطان . وذلك كله مبنى على وسوسة إبليس لآدم ومشابهة له ومماثل . وكيف كان سقوط المسلمين اليوم في الخييض والجهالة العمياء والضلالة العوراء والنوم العميق والجرم العظيم مشبهما لما حصل لآدم من الوسوسة بل لما حصل للعرب الجاهلية الذين ظفروا العرى قربى إلى الله في الطواف كما ظنّ المسلمون اليوم ترك العلوم والمعارف والصناعات وترك حبل الامور على غاربها من المقرّبات لدى الجلال والاكرام وكما كثّر من يدعو إلى ذلك من بعض رجال الصوفية الذين يعامون أتباعهم مناهجهم ويفهمونهم أن طريقهم خير الطرق بل ربما كفروا ببقية المسلمين . واعمري ان هذا هو الداء العياء والأمراض العظيمة . وسوس الشيطان لعرب الجاهلية فأعراهم في الطواف ووسوس لمسلمي الشرق والغرب بقول صفار العلماء وضعاف شيوخ الصوفية الذين هم ومن قبلهم من شياطين الانس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا أن العلوم حرام وما أشبه ذلك من الضلالات والخرافات التي علقت بالأذهان فليس يخرجها إلا نشر الحكمة والعلم والعرفان بين أمم الاسلام

﴿ حكاية ﴾

لما حضر الى مصر العالم (وان وين كين) من مدينة تاينتنس الذي أشرت اليه سابقا قال
لقد سمعنا الوثنيون وقالوا للمسلمين أنتم مخرفون وليس عندكم إلا الخيض والنفاس والجهل والوسواس
فأنتم لا تحفظون إلا علم الطلاق والميراث والبيع والهبة والقرض وماشا كلها من العلوم فأما هم فانهم يقرؤون
العلوم بأنواعها من طبيعة وفلك وينقلونها عن أهل أوروبا . فأما العلماء في الاسلام هناك فانهم يصدون الناس
عن سبيل العلوم ويقولون انها حرام ودين الاسلام لا يوجب أن نحب الأوطان ولا أن نعلم شيئا عن بني الانسان
ولا أن نفكر إلا في الركعات والسجعات والحج والزكاة وماعنا ذلك فانما هو حديث خرافة . وقد كان
كتاب (القرآن والعلوم العصرية) يطبع إذ ذاك فترجمه وكانت سورة (الفاتحة) من هذا التفسير تطبع
فترجمها وأرسلها الى بلاده . أفليست هذه الحكاية دلالة أن الشيطان أعزى المسلمين من العلوم كما أعزى
الجاهلية في الطواف

﴿ رأى المنسر ﴾

والذي أراه أن أهم الاسلام قد دخلت فيها أهم وأدخلت على عقائدها ما أصبح عالمنا بالاسلام وقواعده
حتى أصبحوا كالبوذية في التزهّد ودخل في الصوفية الصحيحة ماشوها من الفواشي الغريبة فان المتأخرين
من الصوفية أحدثوا بدعا أبعدت أصولهم عن الدين وصاروا هم قادة الأمم الاسلامية لاحتلال الأمم الافرنجية
اللهم إلا الصالحين منهم الصادقين الفضلاء أولئك هم الصالحون . ثم انظر كيف ذكر الناس بأنه أنزل عليهم
لباسا من الحرير والقطن والكتان وقال ان ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . نعم انه من آيات الله
الآتري أن شعر القطن وحسب الشعير كلاهما مكوّن من مواد واحدة . ولما اختلف التركيب اختلفت الصور
فالبنات في الشعير ٣١ في المائة تقريبا وفي القطن ٥ في المائة تقريبا . والصودا ٤ في المائة في الشعير و٤
في المائة في القطن إلا قليلا والجبر ٢ في الشعير و٥ في القطن والمغنيسيا ٩ في الشعير و٩ في القطن
وحض الفسفوريك ٣ في القطن و٨ في الشعير وحض الكبريتيك ٣ في الشعير و٨ في القطن
القطن والسلكا ٢٨ في القطن و٦ في الشعير والسكوراقل من واحد في المائة في الشعير و٦
في القطن وأوكسيد الحديد نحو ثمن الواحد في المائة في الشعير وهو معدوم في القطن . هذا صنف واحد مما
نلبسه وهو القطن قد وازناه بالشعير وكلاهما يزرعان في حقولنا

﴿ عجائب الجذور الأرضية النباتية ﴾

فتعجب كيف كان نبات القطن ونبات الشعير قد أعطى كل منهما فتحات صغيرة في الجذور وهذه
الفتحات قدّرت بقدر بحيث لا يدخل في فتحات جذور القطن ما يصلح لللباس ولا في فتحات جذور الشعير
ما يصلح للأكل . هل يعلم الناس ذلك وهل يعلم الناس أن فتحات جذور الشعير لا تصلح لادخال شيء من
مادة الجبر إلا نحو سبع ما تدخله فتحات جذور القطن ولو أن جذور الشعير أخطأت فتحاتها فأدخلت من الجبر
فوق سبع ما أدخلت جذور القطن لم يكن الحب شعيرا بل كان شيئا فاسدا . فيا ليت شعري ما هذا الحساب .
ما هذا النظام . أيها المسلمون هل كانت جذور القطن علامة دراية فوزنت البوتاسا بحيث كان ما أدخلته في
جرم شجرة القطن يبلغ نحور بع ما أدخلته جذور الشعير . عجب لهذا النظام . أيها المسلمون هذا هو دينكم هذا
هو الذي عناه الله في القرآن . يقول الله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - فهذا هو
اللباس . وكيف ينادي الله بني آدم ويقول قد أنزلنا عليكم لباسا وهو لا يناديهم إلا في الأمور العظيمة . لماذا
ناداهم . ناداهم ليقول لهم - ذلك من آيات الله - ولقد عرفت في هذا المقام كيف كان من آيات الله بالعلوم
الكبيرة التي تقدم ذكرها

(إيضاح قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سواكم - أيضا)
(ذكرى أيام الشباب وطلب العلم)

أذكر في هذا المقام ما كنت أفكر فيه أيام الشباب في نحو سنة ١٣٥٠ هجرية ذلك اني كنت نلت في الأزهر قسطا من العلم وهو النحو والفقه وشئ من التوحيد . ومعلوم أن العادة جرت أن الصبي يحفظ القرآن صغيرا بلا عقل ولا فكر ولا فهم فها أنا ذا كانت هذه حالي في تلك الأيام . أيام أن دخل الانجليز مصر انقطعت عن الأزهر ردها من الزمن وهو ثلاث سنين كنت في خلالها أقاسى متاعب ومهزنا ومشاق وفي الوقت نفسه كنت أقوم بأمر الأسرة وهناك تجلت لي هذه الحياة بمظهر لا يتسنى لي وصفه الآن وقد وصفته في كتابي المسمى (التاج المرصع) وهو منشور بالعربية واللغة الأوردية بالهند واللغة القازانية بالروسيا ولكن الذي يهمني الآن ما يناسب هذه الآيات فأقول . لقد كنت أصوم بعض الأيام وأصلي بالليل وأفكر في أكثر الأحوال في هذا الوجود وفي صانع العالم وما الدليل عليه وهل العالم منظم وإذا كان منظما وعرفت ذلك نلت كل مطاوبي من حياتي . فليفكر الذي في موقف لا علم عندي ولا علماء حولي ولا كتب تهديني ولا مدارس ترشدني ولا أعرف إلا علم التوحيد وعلم التوحيد بصورته في البلاد الاسلامية مبعده عن الحقائق إلا قليلا أخذ ورد والقرآن في ناحية والناس في ناحية وكنت أقول هل القرآن يترك نظام هذه الدنيا وهل ديننا قاصر على هذه المشاغبات في علم التوحيد وكيف يكون دين الفطرة فصممت أن أقرأ القرآن بتعقل في الصلاة لأنني كنت أردد هذا البيت وصلاة الليل مسافتها . فذهب فيها بالفهم وحج

وكثيرا ما كنت أصلي ليلا وأتممته قراءة في صلاة الليالي أشهر لا أتذكر عددها الآن وها أنا ذا وصلت الى ما أريد الآن وذلك أنني ليلة كنت أقرأ في الصلاة هذه الآيات - يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سواكم وریشا - وكنت كثيرا ما أكرر الآية عشرات المرات في نفس الصلاة مستحضرا المعنى فأعجبني معنى هذه الآية وأدهشني كيف يوافق ما أراه في حقولنا . نحن نزرع الليرة والقطن بجانبه القطن لللباس والليرة والقمح للآكل . عجبا ذرة تؤكل وقطن يلبس كانت هذه الآراء تهجس في نفسي وأقول ان في هذا القطن وفي هذه الليرة التي في حقولنا بمصر لسرا يدعشني أن ألبس من نفس الحقل وأكل منه . وكيف يكون هذا الطين مخرجا لنا غذاء ولباسا . أهذا الطين يتحول ملابسا ويتحول غذاء يهضم وهكذا كانت هذه المعاني لا تمارقني من وجهين . وجه الغاية منهما وهي ملابسنا وما كنا . ووجه التركيب في الخلقة أي اني أقول كيف انفق أن الأرض صالحة لأن يتحول طينها الى قطن وكتمان الخ قطن على الأجسام والى طعام وغذاء ثم كيف ظهر أن هذا التحول لللبس وللغذاء مناسبا لحياتنا فأنا في دهش من هذا الوجود ثم أعود فأقرأ الآية في الصلاة فرحا منهشا كثير التعجب كثير الحسرة على جهالتى والحزن على نفسى المسكينة التي لا تجد لها معيلا يرشدها ولا هاديا يهديها فيريها كيف تركب هذان النباتان وما الأجزاء الداخلة فيهما . وهكذا تمر الشهور تلو الشهور وأنا على هذه الحال وكنت لا أجد مخرجا من هذا إلا التضرع لموجود هذا الكون ليلا ونهارا أن يرجعني الى الجامع الأزهر فأجاب الدعاء ووصلت لطلب العلم مدة كافية ثم دخلت (دار العلوم) فدهشت أيضا إذ وجدت العلوم الطبيعية والملايكية هي التي كنت أبحث عنها وأنا أصلى حتى ضج اخواني الطلبة من فكري وتوجهوا الى أستاذنا المرحوم الشيخ حسن الطويل وقالوا ان (طنطاوى) منهوس في هذه العلوم التي أتى بها النصارى وهي كلام لا طائل نحتة فأجابهم قائلا (دعوه يبحث عن ربه في سمواته وأرضه دعوه دعوه) فكنت إذذاك أرى أن ما طلبته في الحقول وفي الصلاة هو عين ما يدرس في المدارس في العالم الانساني كله

أفليس هذا الذي ذكرته لك أيها الذي يوجب علي أن أوضح للمسلمين أن القرون الماضية في الأمم الاسلامية كانت في نوم عميق وأن الدين الاسلامي هو أمثال ما في هذا التفسير . أليس مما يؤلمني ويوجب

الحسرة والأسى أن أرى أنما تبصها أعم يتلاحقون ويحيون ويموتون وهم يقرؤون وأكثرتهم لا يعقلون .
 هاهي ذه حقيقة الاسلام . حقيقة الاسلام ماجاء في نحو هذا التفسير . ذكرت لك أن فطرة الاسلام هي
 مثل ما اتفق لي فهل من المعقول أن يكون هذا دين أضعف الأمم قوة . اللهم اني أبرأ اليك من السكتمان وأعلم
 أنني محاسب على كتمان هذه الحقائق بل فوق كل ذلك من اطلع على هذا التفسير وشاركني في هذه الحقائق
 فهو مدين ومعاقب ومعذب في الدنيا والآخرة ان لم يفعل ما فعلته أنا من بث الفكرة بين أمتي على قدر إمكانه
 وليعلم أن الله سميع عليم وفوق ذلك يرى اكراما واجلالا واحتراما وعظما وحبا وودا

أنا مسؤول عن نشر هذه الآراء وأنت أيها الذكي المشارك لي فيها مسؤول . كيف يكون دين الاسلام العلوم
 التي بها ارتفت أوروبا وأمريكا والمسلمون لا يعلمون . على . عليك أن نعمم الفكرة بين الأمم التي تعيش فيها
 وهذا التفسير اليوم يقرأ بين يدي المسلمين في أقطار الاسلام فإذا ذكرت قومك بما قرأته فيه فلتعلم أن
 اخوانك في الأقطار الأخرى يذكرون قومهم بما يقرؤون فيه أيضا . واعلم أن هذه الفكرة ستعم سريعا وسيتم
 ما أنبأتك عنه وسيكون في الاسلام جيل وأجيال خير ما أقلت الأرض . فمن هذا المنبع فاسق المسلمين وعلى
 هذا المهبج فليجند المجتهدون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . انتهى

بهذا فليفسر القرآن . وبهذا وأمثاله فليرتق المسلمون . تمر قصة آدم على كثير من المسلمين وغيرهم في
 مشارق الأرض ومغاربها . ولكن القرآن يقول قفوا قفوا لا تتخطوا أيها الناس ادرسوا نباتي انظروه . ألم
 أقل لكم في أول السورة . والوزن يومئذ الحق . أنا واحد ووزني واحد في الدنيا والآخرة كما قلت . وان
 هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . فزنوا ذرات الملابس وذرات الماء كل النباتية وتعجبوا من صنعتي حتى
 تعجبوني وتمتوا اللعوق بي فلا تغتروا بالأرض ومن عليها . ولما كان مقام الملابس ربما يصعب عليكم ذكرت
 مباحثه بعد كلام الأرض والنبات والبلد الطيب والبلد الخبيث واختلاف النبات تبينا لما ذكر من الملابس
 النباتية في القصة الآدمية . والله هو الولي الجيد . وهنا نذكر الفرعين لهذه اللطيفة

﴿ الفرع الأول ايضاح - يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا الخ - ﴾

(تفصيل معنى (عليكم) في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم الخ -)

فقوله تعالى - عليكم - يفيد تخصيصه ببني آدم وهنا ينظر في صفتين وهما

(الصف الأول) - أسد . ثور . طير (الصف الثاني) - الانسان

هذان الصفتان تراهما في الأرض وفي الجو ها أنت ذا ترى الطير له ريش يقيه غوائل (القيظ والزمهرير)
 و ترى الأسد والثور كل منهما قد كفاه ماله من جلد وما عليه من أشعار . كفاهما الله وكفى غيرهما من
 دواب الأرض حتى الحيات في أجوارها والسماك في الماء والحشرات في الخلاء . كل هذه كفاهها ما خلق لها
 من فلوس على السمكات ووقايات مختلفات . أما الصف الثاني فهو أمر عجب أقول أمر عجب لأني نظرت
 وما أعجب ما نظرت . هذا الانسان خلق عارى الجسم رقيق البشرة قل شعر جسمه فإذا صنع الله له . صنع
 له نظاما آخر واليك مواده (١) ادخر له في الأرض خفا (٢) وجعل قوة الكهرباء (٣) وبذر القطن
 (٤) وجعله واقفا على رجلين (٥) وله يدان تعملان (٦) وله عقل يفكر (٧) فعرف أن القطن
 والسكتان والأوبار والأشعار والأصواف وقاية له (٨) زرع القطن (٩) جعل الله للقطن قوة بها ينبت مرة
 أخرى (١٠) استعمل الكهرباء والفحم في ادارة الآلات لسقيه (١١) وهكذا حلججه (١٢) ونقله بالتجارة
 (١٣) وغزله (١٤) ونسجه (١٥) وخاطه (١٦) وابسه . هذه ملابس الانسان من تيسل وقطن
 وغيرهما وكذا الحرير تعاون عليها الماء والأرض والحيوان والكهرباء والفحم . فانظر للانسان عارى البدن
 رقيق البشرة كيف اضطر الى جميع هذه الأعمال ووجد كل ما يحتاج اليه فلبس بعد كل هذا لينال ما ناله الأسد

والثور والطير . فانظر لحكمة مدهشة وآية عجيبة حيوان ضعيف جعل له ما يقويه في نفسه بالعقل وفي الآفاق فانا نجدها تساعده وهذا هو ايضاح قوله في أول السورة - ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلا ما تسكرون - وانما قلّ تشكرنا لأننا كثيرا مانذهل عن هذا الجمال الباهر والنظام المحكم . إن هذه آيات بحروف كبرى ليقال كيف كان هذا النظام سائدا ولم رأينا الوجود كاملا في خلقه تاما في نظامه . ما أجهل هذا الانسان يزرع المصري والأميركي القطن وأكثرهم لا يعفون إلا ربحه في الثمن أو خسارته ويخوفاها أما كون هذا النوع من الحكمة عجيب وغريب وكيف اختص الانسان بالعقل وجعلت أعضاء الحركة ملائمة للزرع والغزل والنسيج ووافقت العوالم الخارجة كلها وساعدته على التمام لبسه وكيف منع هذا العقل وهذه الأعضاء المطاوعة للعمل من الثور والأسد والطير . وكيف رأينا نظاما محكما في كل ما نشاهد من هذا الوجود فان الناس جميعا لا يفكرون فيه إلا قليلا من حكمائهم . هم الذين تراهم على أرائك الحكمة متكئين . هؤلاء هم الذين يقرؤون هذا الوجود بلا حرف ولا كتاب فيرونه ناطقا نطقا أفصح من اللسان قائلا تضافرت الأدلة وتكاثرت بل أصبحت أشبه بالشمس المشرقة فجالت وجه الأرض ولوتها بلونها الذهبي بحيث أصبحت البصائر في ضوئها اللامع أشبه بأعين الخفافيش تهرها الأضواء اللامعة ولا يتجلى لها النور إلا في دجئات الليال وظلمات الآفاق . ان هذا الدرس وحده أي درس الملابس بل درس الحكمة (لكم) وحدها أي تخصيص الملابس بالانسان في الآية وفي الطبيعة يعطى علما جيا وهو الذي عبرنا عنه بالنور الشمسي ان الناس يعرفون وجود أنفسهم الحيوان والانسان بما ظهر لهم من الحس ومن الحركات فاذا فقد هذان من الحس حكما بأنه ليس فيه نفس . اننا لم نر نفسا قط وانما حكمنا على النفوس التي في أجسامنا وأجسام حيواننا بأثرها فاذا كانت أنفسنا وأنفس حيواننا ما عرفناها بأبصارنا وانما عرفناها بعقولنا مستدلين بأثرها واذا كان هذا حكمنا على وجودنا فهكذا حكمنا بوجود مدبر حكيم لهذا العالم واذا كان حكمنا على وجود زيد ودابة زيد والطير في وكره والأسد في عرينه بما ظهر من آثار أرواحهم حكما لا يشوبه شك فكيف يكون حكمنا على هذا الحيوان الكبير الذي نعيش فيه وهو المجموعة الشمسية التي رأيتها مرسومة مصورة مفهومة في (سورة الأنعام) هذه المجموعة التي نحن وأرضنا جزء منها فيها آلاف وآلاف من الحكم التي رأيتها في القطن والكتان واختصاصهما بالانسان . فكل هذه ناطقات شهادات بحكمة نظمت وقدرة بها أبرزت هذه العجائب . ان الشواهد الناطقة بالحكمة العامة والتدبير المحكم لاعدادها وأي نسبة بين حيوان عرفته بأثر جسمه وبين منظم الكون الذي رأينا له آثارا لا تنتهي ونعما لا نحصى

سهل على عقل الانسان أن يفهم وجود زيد وحيوانه لأنه صغير فهم الصغير ولكنه قد يعسر عليه فهم خالق العالم لأنه عظيم ودلالته لانهاية لها فبهرت بصيرته فصار يبحث عن هذا الخالق في ظلمات البراهين والمناقشات والكتب أن جميع ما نطق به الأدلة المنطقية والعوالم الوضعية المكتوبة بالحروف اللفظية أشبه بظلمات الليالي والناس فيها خفافيش فأما الدلائل التي عرفتها هنا فهي أشبه بالنهار فغابت عن العقلاء فتأهوا في البیداء . هذا ما وقر في نفسى عند طبع هذه السورة أثبتته ليكون تبصرة لأولى الأبواب . إن هذا هو الحب والشوق والعشق والغرام والهيام . هذا هو المقام الذي فيه تذوب القلوب حبا وهياما . وهذا هو المقام الذي يقال فيه ان طلبةنا أن نرى نفس الصانع لا مجرد الصنعة وههنا يضمحل جمال الجنات وتختفي أنواع اللذات إلا لذة النظر الى الذات الواجب الوجود وهذا مقام الحكماء والأولياء . قال الشاعر

إذا اشتبكت دموع في حدود * تبين من بكى ممن تبكى

وكل يدعى وصلا لليلي * وليلى لا تقر لهم بذاكا

وهذا هو الفرع الأول من فرعي هذه الطيفة الرابعة في ايضاح قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

انه لا يحبّ المسرفين -

(الفرع الثاني من اللطيفة الرابعة)

(زيادة ايضاح لما مضى في قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحبّ المسرفين -)
لقد تقدّم الكلام على جسم الانسان وقشريحه صرارا في هذا التفسير لاسيما في سورة (آل عمران)
ولكن لا بدّ لنا من جملة وجيزة توضح مجل هذا البدن ثم تتبعها بجملة أخرى في أطعمته اجمالا وفيما يضرّ
منها زيادة للفائدة فأقول

ان البدن الانساني كله قوامه الهيكل العظمي وأهمه العمود الفقري الذي ينتهي بالججمة الكاسية للبخ
الذي تنفرّع فيه أعصاب الحس وأعصاب الحركة وفي هذا العمود الفقري تغرس الأضلاع المنحنية المكوّنة
لما يشبه صندوقا يحتوي على القلب والرئتين وتحت هذا الصندوق البطن وفيه المعدة والامعاء والكبد
والكليتان . ثم ان هذا الهيكل يمتدّ منه الرجلان من أسفل واليدان من أعلى فبالرجلين نسي جلب الطعام
وباليدين نتناوله ونضعه في الفم وتتناوله الأسنان بأنواعها وتطحنه كما تفعل الطواحين التي صنعها الانسان ليصلح
أن يدخل في المرئ الموصل الى المعدة فيستقرّ هناك زمنا ما ويهضم حتى يصلح أن يكون دما
ولما كانت الآلة البخارية الطاحنة مثلا لا بدّ لها من وقود هكذا كانت أجسامنا فهذه الآلة الجسمية يجب
أن يتلقم لها الوقود وما هو اذن هو الطعام . ان الجسم ليس موقدا توقد فيه النار حقا ولكن فيه الطعام
الذي يدفئنا بلادخان ولانار وينقلب دما يجري في شراييننا فينتشر من القلب الى ججمة الرأس وإلى نهاية
أصابع اليدين والرجلين . وما القلب إلا كالطامبة الماصة الكاسية فهو يجذب الدم اليه ثم هو يدفعه دائما
ولن يدوم القلب في حركته التي لا نعيش إلا بها الا اذا استوفينا شروطا لا بدّ منها لذلك الدوام فضلا عن الطعام
كالهواء النقي والضوء والرياضة البدنية . اذا تمّ هذا كله فان الفضلات لا بدّ من اخراجها وهي تخرج بالجلد
والكليتين والرئتين والامعاء فبالجلد يخرج العرق وبالكليتين يخرج البول وبالرئتين يخرج الكربون أي
المادّة الفحمية وبالامعاء تخرج الفضلة الغليظة . ومعلوم أن الكليتين يأخذ الماء عنهما الحالبان وهما
يوصلانه الى أحد السبيلين . اذا عرفت هذا وقت بما يوجب صحة بدنك ومضغت الطعام جيدا ولم ترف في ذلك
أي ضرر فالك تكون في صحة جيدة ولكن لا يتمّ ذلك الا بخمسة أمور وهذا بيانها

- (١) أن تكون مسرورا بما حولك وبعملك
- (٢) وأن تكون آراؤك وأميلك موزونة لامضطربة
- (٣) وأن تكون قانعا بما لديك من أمور هذه الدنيا
- (٤) وأن تكون صابرا عند الملمات والحوادث المزجة
- (٥) وأن تجعل لك في وقت فراغك عملا مقبولا لأنك اذا تركت نفسك لحظة تنازعته الأهواء فضلت
فأخرتك ففنت الصحة

اعلم أيها الدكي أن الفقير اعينه الصحة على جلب القوت واذا فقد الصحة الغنى والفقير فقد فقد السعادة
والسرور . فالصحة شرط للسعادة متى صحّ جسمك نفعت نفسك ونفعت غيرك وكنت سعيدا فاياك أن
تأكل فوق الشبع مثلا أو تعرّض نفسك للبرد أو تأكل ما يضرّك بل عليك بالنظام الذي يشير به الأطباء
ان الدم الجارى في الأوعية الدموية يعوض ما تفقده كما تقدّم فنه يكون العظم والشحم واللحم والظفر
والشعر والعين والأذن وما شاكل ذلك فاذا اختلفت الأعضاء وجب أن يختلف الغذاء والخبز عماد الحياة
وقوامها فانه يحتوي على مادّة اللحم والمادة التي تحدث في الجسم حرارة ومن الأغذية الفاكهة والخضر واللبن
والبيض . ثم ان المالح في الطعام وبعض المعادن الأخرى التي تدخل في الأطعمة كلها يتكوّن منها العظم

فكان هذا النوع الانساني اذ يميل الى المالح في خبزه وفيما يطبخه من الخضمر واللحم يعمل لتكوين عظامه وهو لا يعلم لماذا دام هذا الاصطلاح في الناس . واعلم أن الناس لما اتفقوا على أن يطبخوا ويخبزوا ويغافوا الطعام لم يكن ذلك عبثا فهذا فضلا عن جعله الطعام مقبولا في ذوقنا يجعله أقرب الى الهضم وأسرع دخلا في الأوعية الدموية

﴿ مناقضات الصحة وموجبات العمل والأسقام ﴾

(١) الطباق وتسميه الفرنجة (توباكو) سموه باسم جزيرة (توباجو) إحدى جزائر (انتيلا) بأصريكا قد اعتاد الناس تدخينه وحرم جميع الأطباء استعماله وقد شرحنا هذا المقام في سورة (البقرة) عند آية الخمر بایضاح تام وكذلك شرحنا مسألة الطعام عند قوله تعالى - أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير الخ - فقد أفضنا في هذا المقام هناك وبيننا أن أكثر ما اصطاح عليه الناس أنه حسن هو ضار بهم كالسكر الصناعي المعروف فقد أشار الأطباء بالاكثر من الفواكه بدله لأنه ضار وقد عملت بهذا ووجدته حقا . وهكذا لما لانعيده هنا وانما نريد أن نشرح مسألة الطباق (الدخان) شرحا أوسع لم نذكره هناك . واليك مواد أضراره بالصحة العمومية وهما هي ذه

ان أكثره (١) يفسد الرئتين (٢) ويضر حاسة الذوق والشم والبصر (٣) ويضعف المعدة (٤) ويقلل شهوة الطعام (٥) ويهيج الأنسجة الهوائية في الرئة (٦) ويورث الخفقان في القلب (٧) ويضعف الأعصاب (٨) ويجعل في المخ ارتجاجا وتخديرا (٩) ويجعل الذاكرة ضعيفة (١٠) ويضعف القوة المفكرة (١١) وقوة الإرادة (١٢) وربما يحدث الجنون (١٣) وتارة يحدث الرمد في العينين (١٤) وفي المجموع العصبي يجعل فتورا (١٥) ويهين الجسم عن النمو . وقد حمله الأطباء كيماويا فوجدوا أنه يحتوي على مادة سامة اذا وضع منها خمس نقط في فم كلب مات في الحال أو عشر نقط في فم جمل كفت لقتله . وهاك حكاية

أكثر طبيب من النصح لرجل كان يدمن تعاطي التدخين فلم يزد المريض الا غراما به فبينما هو سائر ذات يوم اذ رآه الطبيب يسعل وهو لا يستطيع المشي ولا أي عمل الا ببطء وقد أصبح يحمل العصا لتعينه فقال الطبيب له لقد صدق من قال ﴿ الذي يفرط في استعمال (الطباق) لا يسرق متاعه اصلا ولا يعضه كلب ولا يبيض له شعر ﴾ فلما استفهم المريض عن سبب ذلك قال الطبيب لأنه يسعل الليل كله لرضه فيظنه الاص مستيقظا فلا يسرق منزله وعصاه التي يتوكأ عليها تحرسه من الكلاب وهو يموت في ريعان شبابه فكيف يبيض شعره وقد ضمه القبر فاعتبر المريض وتحمل فراق (الطباق) وعاش قرير العين اه

﴿ ويلحق بالدخان الأفيون ﴾

هو عصير الخشخاش يعصر منه قبل تمام شجره فاذا يبس تراه أسود اللون مر الطعم وهو خطر شديد يورث اخلال العقل فيهندي الانسان ولا يعقل ما يقول . ومتى ملكت هذه العادة الانسان أصبح في عبودية لها لا تطاق ومثل ذلك أيضا ما يسمى

﴿ الخشيش ﴾

وهو مخدر مزعج شديد الفتك بالأبدان والعقول . وهو من نبات ينبت في البلاد الحارة . وتستهمله الطبقات المنحطة في بعض البلاد كبلادنا المصرية والحكومة تراقبه مراقبة شديدة وتعاقب من يتعاطاه بالحبس وهو سم مهلك لمن استعمله إلا من تاب . وأنا أسأل الله أن يجعل ما أكتبه الآن مثالا ينسج على منواله المسلمون وينشرون مضار هذه السموم بينهم حتى يخرجوا من عداد المذكورين في قوله تعالى - إنه لا يحب المسرفين - فهذا كله من الاسراف المذكور في الآية وأن هذا البيان الذي ذكرته تشمله الآية وتشمل غيره فالمسلم الذي يتعاطى الدخان أو القهوة أو غيرها مما هو أشد فتكا كالشاي والخمر والخشيش والأفيون . أو أقل

فتسكا مثل الكاكو وغيره ممدود من المسرفين ويقول الله تعالى - إنه لا يحب المسرفين - ولما قل حب الله لنا بسبب تعاطي هذه المضار سلطانا علينا الأهم فهو لا يحب أكثرنا لجهلنا بأصوين القرآن وعجائب صنعه لأنهما متفقان إذ كلامه يوافق عمله والحمد لله رب العالمين

﴿الطيفة الخامسة قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - وقوله تعالى - قال ادخلوا في أمم قد خلت الخ -﴾
 فقوله تعالى - كما بدأكم تعودون - اعلم أن الناس إذا ماتوا فقد درجوا على طباع ألفوها وأخلاق سلكوها وعوائد عرفوها وأحوال اقترفوها • وكل فريق مغرم بما جعل عليه محب لما خلق فيه من صلاح وطلاح وكمال ونقص وفضل وجهل كل يعمل على شاكلة فاذا ماتوا رجع كل إلى مشربه وحن إلى مألفه وفرح بما عنده • وروى عن ابن عباس أن الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال - هو الذي خلقكم فتنكم كافر ومنكم مؤمن - ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا • وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يبعث كل عبد على مامات عليه (أخرجه مسلم) • وزاد البغوي في روايته المؤمن على إيمانه والكافر على كفره • وهذا هو الذي ورد في علم الأرواح في الوقت الحاضر فانهم أثبتوا أن روح الإنسان تبقى فيها أخلاقها وآدابها وأعمالها وذلك كما تام غير منقوص • ويحسن أن أنقل إليك أيها النكي ماسطرته في كتاب الأرواح لتعجب من مطابقة الكلام النبوي والقرآن لعالم العصر الحاضر وهذا نصه

ثم قلت أليس هذا (ياشير محمد) من العجب العجيب أوليس حديث ديكنس السابق هذا يوحى إلى قوله عز وجل - ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين • بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - وقوله - وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة - وقوله - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبي - فقال (شير محمد) أما حديث ديكنس فهو عجيب إن صح بل هو أعجب ماسمعنا وأما هذه الآيات فلا أدري ماموقعها وأي علاقة لعرض جهنم على الكفار يوم القيامة وعلى الله وقراءة الإنسان كتابه لما في حكاية ديكنس من نمط الانشاء وخطأ الاملاء • فقلت اعلم (ياشير محمد) ان هذه الآيات فيها دلالة واضحة أن كل عمل نعمله واعتدناه يصبح فينا سجية وغريزة ثابتة فلا ينزع منا الموت وأن ديكنس لم يقتلع الموت منه خطأ الاملاء وأبقى عنده حسن الانشاء • ولا جرم أن كل ذنوبه وأعماله من الخير والشر بقيت في نفسه يحاسب عليها ويعاقب وهذا قوله تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - لأن الغريزة لا تقاوم كما لم يمكن اصلاح الاملاء بعد الموت عند ديكنس وهكذا كل ذرة من الخير والشر حاضرة عندنا باقية في نفوسنا هي هكذا لم تتغير فلا يغادر الله صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكفى بنفسنا حسبي علينا • وإذا قلنا أرجعنا لنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أجابنا - أولم نعمركم ما يتذكر فيه • من تذكر وجاءكم النذير فقد وقوا فما للظالمين من نصير - ويقول لوردتكم لغدتم لما نهيتكم عنه وأنتم تكدبون كما كنتم تكدبون في الدنيا بنقض عهدى بعد مرض يصيبكم أوفاقة تنتابكم أو نازلة تمحقكم فلا عهد لكم عندي ياشير محمد اننا غافلون عن نفوسنا في هذه الدنيا ولقد أفلح المؤمنون الذين هم في آيات ربهم يتفكرون ولأذكرك بالحديث الصحيح الشريف ﴿يبعث العبد على مامات عليه﴾ وقال الشيخ محمد الزرقاني وتحشر أطفال وسقط كمثل ما • يكونون عند الموت ثم تكمل

وقال في شرحه للنظم هل يحشر الطفل والسقط بصفتة وقت الموت أم لا جوابه قال الحافظ ابن حجر كل واحد من أهل الموقف يكون على مامات عليه

أقول ألت ترى (ياشير محمد) أن كلام النبوة صريح في أن الإنسان حافظ لأخلاقه وآدابه حتى يحشر

عليها • أليس هذا بعينه ما في حكاية ديكنس وأنه قد حفظ أخلاقه في أسلوب الانشاء وخطأ الاملاء • وهكذا
يتماس عليها سائر أخلاقه التي يحشر عليها إلا أن هذه الأخلاق الثابتة فينا بعد الموت أعدل نافع وأكبر شاهد
كنت فينا فأظهرها الله • ألا وإن العادات المفروسات فينا بالتكرار لن تزول بل تبقى خريا علينا وعارا وفضيحة
يقرؤها الناس في صحائف أرواحنا ويكون عذاب الخزي • فليقلع المرء عن عادته وليوطئ النفس على منابذة
الهوى ومحاربة العادات الدميمة فانها برسوخها فينا تشهد علينا

أوليس الخطأ في املاء ديكنس شهيد عليه بذلك • أليس ذلك صدقا لقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون • اليوم نختم على أفواههم ونكمنا أيديهم ونشد أرجلهم بما كانوا
يكسبون - وقوله - حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطق الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون • وما كنتم
تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - اهـ

﴿ اللطيفة السادسة - قوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء الخ - ﴾
اعلم أن هذا المقام قد استوفيناه في سورة (آل عمران) بما لا مزيد عليه فالمدار في هذا الوجود على
الاستعداد فالنفوس الغليظة التي لا تعرف إلا المادة ولا تقدر على الأجسام ولا قدرة لها ولا ميل إلى صفاء
النفوس وتهذيبها وترقيتها لا تقدر على العروج إلى الدرجات العالية والسموات الصافية بل تبقى في عوالم منحطة
على مقدار طاقتها كما مثلنا لذلك ههنا بأحوالنا الدنيوية فليس منا أحد يقدر أن يطير في الجو ولا أن يعيش
في البحر بل حكم علينا أن نبقى على وجه الأرض ومن لم يتعلم الهندسة لا يقدر أن يجارى المهندسين ومن جهل
البناء لا يוכל له بناء البيوت هكذا في الآخرة يجد الإنسان في نفسه مانعا يمنعه من الصعود إلى المقامات الرفيعة
متى كان ليس أهلا لها كما يمنع في الحال الجسمية من الطيران في الهواء مع أن الهواء مباح ميسر للجميع
وليس المانع هو الهواء ولا خلق الهواء ولكن المانع استعداد الإنسان ومثل ذلك يقال في قول أهل الجنة
إلى أهل النار لما قالوا لهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - قالوا إن الله حرمهما على الكافرين -
وليس ذلك التحريم إلا استعداد نفوسهم وضعفها عن تلك المنازل الرفيعة إذ يجدون روحا وريحانا
ويشربون ويأكلون

﴿ اللطيفة السابعة - قوله تعالى - لا تكلف نفسا إلا وسعها - ﴾

لقد تقدم الكلام عليها في (سورة البقرة) فراجعها هناك فقد شرحتها شرحا وافيا يشمل العلوم الواجبة
على الأمة الإسلامية وعلى نظام التدريس فيها

﴿ اللطيفة الثامنة - قوله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - ﴾

في البخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يخاف المؤمنون من النار
فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصرون لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا
ونقوا أذن الله لهم في دخول الجنة فواللهي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا اهـ
فتأمل هذا الحديث فإنه موافق للقرآن وللحقائق العلمية فذكر الإقتصاص وكيف يأخذ كل حقه وهذا موافق
لقوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وانظر كيف يقول أنهم يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار الخ ويقول
حتى إذا هذبوا ونقوا أذن الله لهم في دخول الجنة • فاعلم أيها الذكي أن هناك من الأمور المغيبة وراء
هذه الألفاظ ما لا نعلمه الآن فالجنة لن يدخلها إلا من تأهل لها بالعمل كما تأهل الطير باستعداد جسمه إلى
الارتفاع في الجو • هذا هو الحقيقة فاذن نزع الغل والحقد لا بد منه قبل دخول الجنة وما دام الحقد باقيا
والعداوات متراكمة فلا جنة ولا نعيم • وكيف يتنعم الإنسان والعداوة كامنة في صدره وأهل الأرض معذبون

بالعساوات في الدنيا فن مات على ذلك بقي معذباً به فكيف يفرح بالجمال المحيط به وقلبه بالهدوء مشغول وكشف هذا المعنى في علم الأرواح بأوروبا فقد جاء في كتاب الأرواح في ترجمة كتاب (برايفت) داودينج قال : ألا وإن جهنم دار خداع وضلال . ألا وإن من أنس بالحواس وصدق أنه لا وجود إلا ماضوته ولا حياة إلا مانسجته فاغتر بهرورها واستضاء بنورها وفرح بجماها فلذلك مخدوع يوم يأتي حتفه . ومن ذا بقدر أن يرجعه عن غيه وهو يقول ياليتني أردت فأقاتل الأعداء وأواسي الأصدقاء وأقضي الوطر واستلذ بما تسعد به الحواس من المطاعم والمشارب والمسا رب . هنالك تشور فيه ثائرة الحزن والأسى على ما فاتته وتحيط به خطيئته من الحساد والغش والعساوة والبغضاء والطمع والكبرياء وحب الذات والحقه ونصغر الهمة . بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . وهناك مطهرة أنا الآن فيها يخرج المطهرون فيها إلى العلا وقليل من الناس يأبونها . ألا وإن الناس فريقان . فريق عرف أن هناك حياة روحية فعمل لها وآخر عكف على ارضاء أهوائه وسد شهواتها . فالأولون هم الناجون . والآخرون لا يسمعون نصحا . ولا يذكرون ما اعتادوه في الحياة من المطاعم والشهوات . ولما أن حلت بساحة جهنم قال الرسول لن تقدر أن تخرق تلك الآفاق المظلمة فكنت مكاني وتقدم أخي والمالك حتى وصلا إلى ذلك الجندي لينقذاه ولكنه أي أن يفارق الجحيم لأن اطلع خلع قلبه أن يغادر مكانه حتى لا يسيب فيه ما هو أشد من العذاب فالخوف والجهل أعماه ولو عرف الحب لكان من الناجين . فانظر كيف ذكر أن هناك مكانا للتطهر الذي عبر عنه بالمطهرة بكسر الميم وفتحها . وقال السدي في آية . ونزعنا ما في صدورهم من غل . أن أهل الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فبرت عليهم نضرة النعيم (الحديث) فتعجب كيف تقول الأرواح ان عندها ماء تنظف به التزيل الحقد من القلوب وكيف كان هذا مصداقا للحديث

﴿ اللطيفة التاسعة في أصحاب الأعراف وكيف يعرفون الناس بسيماهم ﴾

لقد عرفت أن أصحاب الأعراف هم أعظم الأمم وهؤلاء يعرفون كلا بسيماهم وفي الحقيقة أن أكابر الحكماء والأنبياء والعلماء يعرفون اليوم كلا بسيماهم فن هم أصحاب النار ومن هم أصحاب الجنة . اعلم أن أصحاب النار وانحون لنوى البصائر في الحياة الدنيا في الحديث ﴿ أنت مع من أحببت ﴾ فن أحب المباحة والمنافرة والمكاثرة والمغالبة وأحاديث الباطل والزور والأكاذيب والظلم فهو في الحياة لا قرار لراحته ولا سعادة لقلبه ولا هناء لعيشه ولا صفاء لضميره فهو متقلب في الشقاء . يظن القلق راحة والاضطراب صفاء وهو أبدا قلق معذب كثير الهموم والأحزان . يرضى من السعادة بالرياء . ومن الحياة بالخيال . ومن الراحة بالخيال . فهو أبدا في هم مستطير وألم مقيم وعذاب دائم والناس يرونه سعيدا وهو شقي قريبا وهو بعيد فن هذه حاله اذا مات لا تفارقه صفاته وتبقى روحه معذبة أبدا حتى تغير حاله بحال أخرى كما قال تعالى . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فأما أهل الجنة فانك تراهم من الذين هدأت نفوسهم وصفت أرواحهم وهم ساكنون هادئون قد كفوا الناس شرهم وضارهم في راحة وقد اتسموا بالصبر والفضيلة والعفة وعيشهم أشبه بالكفاف . لا كثرة تطعيمهم ولا قلة تقلقهم ولا ظلم يضعف بصائرهم . فأهل الجنة يعرفون بسيماهم وأهل النار يعرفون بسيماهم . فالنفوس المائلة لالموم والمعارف أقرب إلى الجنة . والنفوس المنهمكة في جمع المال وفي الوظائف أقرب إلى أهل النار وهناك منازل بين الطائفتين . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا . فالنفوس في الدنيا . النفوس في الآخرة وخير النفوس من عملت لمنفعة الجميع وأحبت النوع الانساني وكانت مغرمة بالعلم وترقية الجميع فهذه أقرب إلى الجنات وأبعد عن النيران والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

﴿ الطليقة العاشرة في قوله تعالى - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - ﴾
لقد ذكرت في تفسير الأيام الستة بما يناسب العلم الحديث ولا تظن أن الذي قلته هو المتعين وإنما
هي صورة من الصور المحتملة فانا نعلم أن هناك المادة الأصلية للكائنات وهي الأثير ثم كانت شمس وأرضون
ومعدن ونبات وحيوان وإنسان فهذه ستة أعمال في ستة أزمان . ويقال أن أول ما خلق الله القلم ثم اللوح
فكتب فيه ما كان وما سيكون وما هو خالق إلى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم
خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الأرض وبسطها
من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق في
آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط إلى الأرض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف
سنة وهذا قول أكثر العلماء

أفلم تستر أن هذا الحديث أقرب إلى ما كشف في العلم الحديث وذكرته في (سورة الأنعام) في أوها
أفلا ترى أن قوله خلق السماء من درة بيضاء أقرب إلى خلق جميع الشمس من الأثير الذي لا يرى وقوله ثم
خلق التربة إشارة إلى انفصال الأرض وجميع الأرضيين من الشمس وجميع السيارات التي بردت بعد مدة
فاستعدت لمادة التراب والشمس لا تزال حارة وقوله ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر الخ
إشارة إلى نظام الشمس في درائرها وتنظيمها وقوله ثم مد الأرض وبسطها من التربة إشارة إلى ما حدث في
الأرض من الطبقات المذكورة فيما تقدم في (الأنعام) من صوانية إلى خممية وهكذا . وقوله خلق جميع ما فيها
من جبال إشارة إلى علم المعادن الذي في الجبال الذي هو مقدم على النبات الذي أشير له هنا بالشجر وهو مقدم
على الحيوان وهي الدواب المذكورة هنا . ثم في آخر الأمر خلق آدم . فهذا الحديث على وجه التقريب
أقرب إلى الكشف الحديث . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم -

﴿ بهجة العلم والحكمة والنظام والسلام العالم في قوله تعالى - وهو الذي يرسل الرياح بشرا الخ - ﴾
سأريك أيها الذي في هذا المقام عجبا عجبا وذلك في نظام المطر والرياح وكيف كانت الكرة الأرضية كلها
متصلة متضامنة متحدة والناس يقرؤون وكأنهم لا يقرؤون ويعلمون ولكنهم لا يشعرون أنهم يعلمون
أنت تعلم أن الهواء لا يكون رياحا إلا بسبب ذلك السبب هو الحرارة الشمسية . وآية ذلك أننا نوقد
النار في تنورنا في منازلنا فيخف الهواء في داخل المنزل ويلطف فيعبر إلى الجوّ ويحل محل الهواء الذي هو
خارج القرية فنرى في الحال تيارا يجري إلى داخل المنزل وذلك التيار جاء خاصا بهذه الحادثة . هذه حادثة
تمر على الناس في منازلهم وهم لا يعلمون وعلى هذه القاعدة ننظر في الأرض كلها أي في نصف الكرة الشمالي
ونصف الكرة الجنوبي فإذا نرى

﴿ نرى هذه المسألة وأمثالها تظهر في قارة آسيا وقارة استراليا ﴾

إذا حلّ زمان الصيف فإن داخل بلاد آسيا يكون حارّا فترتفع درجة الحرارة تبعا لشدة حرارة سطح
الأرض وهناك تدافع الرياح من المحيط إلى القارة كما رأينا تيارا يدخل منازلنا لما ارتفعت الحرارة في التنور
خبر العجين فهذه الرياح المتدافعة تهبط على الهند والهند الصينية والصين وهناك تكون أمطار غزيرة وتقف
الجبال في طريق المطر فتعص الأقطار عن الدخول إلى أواسط البلاد الجافة . وكما رأيت صيف آسيا هكذا نرى
صيف قارة استراليا فانه أيضا يكون داخل القارة فيه شديد الحرارة فتهبّ هناك رياح شمالية غربية تحمل
الأمطار وهذه الرياح هي تلك الرياح التي تهبّ على الهند في ذلك الوقت نفسه الذي هو شتاء هناك

﴿ فصل الشتاء في آسيا وفي استراليا ﴾

ومثل ما رأيت آسيا واستراليا في الصيف هكذا تراهما بعكس ما تقدم في الشتاء . ذلك أن كلا منهما

يكون وسطه شديد البرودة فإذا يكون تتجه الرياح من الداخل الى أطراف القارة في الجبهتين . ومعنى هذا أن استراليا في زمن الشتاء وآسيا كل منهما يبرد وسطه فتى برد الوسيطان كان هناك شتاء مع العلم بأن ماء البحر في أطراف القارتين يعاوه هواء أدفأ مما في وسط القارة وقد قلنا ان الحرارة بها يرتفع الهواء فيصل محله الهواء البارد وعلى ذلك تجرى الرياح من داخلهما الى خارجهما في شتاء كل منهما . ومعالم أن شتاء أحدهما هو صيف الآخر فصيف النصف الشمالي من الكرة شتاء الآخر والعكس بالعكس . فتتجدد الرياح في زمن الشتاء في استراليا متى اتجهت من الداخل الى المحيط تمر من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي وتستمر الى بلاد الهند التي يكون ذلك الوقت صيفا عندها فتكون هناك رياح موسمية جنوبية غربية . ومثل ذلك الشتاء في بلاد آسيا فان الرياح التي تهب من وسطها الى خارجها من الشمال الشرقي تصبح شمالية غربية جنوب خط الاستواء . فاذا رأيت الجهات الموسمية في بلاد آسيا وهي الهند والهند الصينية والصين وكوريا وسهول منشوريا وجزر اليابان . أقول اذا رأيت هذه الجهات نزل المطر فيها مدرارا في زمن صيفها فزرعوا الارز والشاي والقطن الخ فاعلم أن تلك الريح امتداد للرياح الآتية من وسط بلاد استراليا في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية

﴿ عجب عجاب شتاء في آسيا وصيف في استراليا في زمان واحد ﴾

يكون البرد في أولاهما والحرارة في أخراهما سببا في حدوث الرياح بحيث تهب الرياح من الجهة الشتوية الى الجهة الصيفية وهكذا بالعكس شتاء في استراليا يدعو الرياح أن تهب منها الى الجهة التي فيها الشمس فهذه هي الرياح الموسمية المحددة المهبوب فستة أشهر تهب الى جهة وستة أشهر لعكس على طول الزمان . تظهر الشمس في جهة فتجذب الرياح الى جهتها فان كانت في الجنوب فالرياح تتبعها وان كانت في الشمال فكذلك

﴿ عدل الله في النسيم بين الشتاء والصيف والبر والبحر ﴾

يعلم الناس اليوم أن الأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فبالأولى يكون الليل والنهار وبالثانية يكون الشتاء والصيف والعجب العجيب هنا . ان الحركة الأولى كما يكون بسببها الليل والنهار ليقوم العدل في الاضاءة والاطلام هكذا يكون العدل أيضا في الرياح . ان اشراق الشمس على اليابسة يسرع تسخينها أكثر من الماء فيخف الهواء فوقها فيحل محله نسيم البحر فيهب في البر فاذا جن الليل وأرخى سدوله كانت الأرض أسرع للبرودة من البحر فالعكست الآية وأخذ نسيم البر يهب على البحر الذي لا يزال جوّه أدفأ من البر فهناك عدل ونظام وحكمة فكما يقلب الله الليل والنهار بالاضاءة والاطلام هكذا يقلب النسيم من البر الى البحر ليلا ومن البحر الى البر نهارا وهذا يسمى نسيم البر والبحر فأما الذي يكون بالنسبة للحركة السنوية فهي الرياح الموسمية التي شرحناها فيما تقدم . فاعجب لنظام محكم مقدر بالعدل ليلا ونهارا وصيفا وشتاء - ذلك تقدير العزيز العليم - الذي أحسن كل شئ خلقه . اللهم ان صنعك عجيب موزون منظم ولعمري ماذا نريد من الوجود إلا أن نقرأه فنراه بهجة الناظرين وجنة المفكرين وحياة الأنبياء والعلماء العاملين اللهم ان جمال وجهك أشرق فلا الأرجاء

هذا وبينا نرى الرياح تهب تتبع حركات الشمس صيفا وشتاء وليلا ونهارا نرى ذلك يتبعه سير السفن للتجارة وسير الرياح لتفريق المطر على اليابسة - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

واعلم أنه كما يكون الشتاء والصيف ببعد الشمس وقربها هكذا يكون الخلود في الأمم والنشاط بقرب العاوم وبعدمها . كان أهل الشرق قديما أعلم من أهل أوروبا ثم طاعت على الغربيين شمس المعارف وأصبح الشرقيون في برد شتاء الجهل . ولكن الله يقلب الليل والنهار والرياح الموسمية ونسيم البر والبحر كما رأيت فهما هوذا سبحانه وتعالى أخذ بعكس الآية وهاتحن أولاء نرى أهل الشرق قد استيقظوا في مصر وشمال أفريقيا

واليابان والصين وترك والأفغان لأن الله له نظام مبني على العدل في الضوء والاضلام والرياح وهكذا في سياسة الدول ونظام الشرق والغرب . اقرأ هذا المقام في قوله تعالى - قل اللهم مالك الملك الخ - في سورة آل عمران هذا بعض قوله تعالى - وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته - فلولاء الرياح ما كان سحب وما عاش انسان . ولولا حرارة الشمس لم تكن رياح فحرارة الشمس بها تحريك الرياح والرياح يحمل السحاب والكرة الأرضية كلها متضامنة متحدة . فبلاد استراليا وبلاد آسيا تعطى كل منهما الأخرى في زمانها هواءها فتعطى استراليا لآسيا الرياح زمان صيف الثانية وتعطى آسيا لآسيا الرياح زمان صيف الثانية فهناك اتحاد لم يعمل الانسان بعلمه والحيوان عمل على مقدار غريزته فالانسان اليوم قاصر وهو جهول كقار اللهم ان الناس على أرضك غافلون . اللهم اني وجميع المتعلمين في أوروبا والشرق نعلم هذا وندرس نظامك ونعرف انك جعلت كرتنا الأرضية جميعها ذات نظام موحد فرياح آسيا ورياح استراليا تتجه من كل منهما الى الأخرى في زمان معين فكل منهما لها نصف السنة وهذا قد رتبته على مقتضى سير الشمس والشمس واحدة أنت جعلت نظامك واحدا ولم تجعل فيه تفاوتنا . ونراك علمتني وعلمت جميع أهل العلم في الأرض هذه المعارف ولم تعلم هذا لأمثال النمل والنحل والغربان وكلاب البحر تلك الأمم التي تعيش جماعات وجمهوريات ذات نظام جميل تام على حسب طبائعها وغرائزها . هذه الحيوانات لا تعرف النظام العام كما نعرفه نحن وقد قامت بما تعرف من نظام جماعاتها وحاربت جماعات النمل في قرية جماعات النمل في قرية أخرى فهي لا تعرف إلا ذلك ولو أنها درست كما درسنا نظامك لسكان نمل الشرق متحدا مع نمل الغرب . أما الانسان الذي أعطيته هذه العلوم والمعارف فإنه جميعه طفل في الشرق والغرب . كل هؤلاء ساساتهم وفلاسفتهم أنظارهم قاصرات على أنهم يجارون العامة والجهلاء

﴿ الانسان الأعلى ﴾

فأما الانسان الذي يصل الى مدى الانسانية الحققة فهو ذلك الذي يجعل جميع الناس في الكرة الأرضية متحالفين متحدين منظمين الكرة الأرضية على مقتضى نظامك وعداك فكما أعطت كل من آسيا واستراليا الرياح للأخرى زمن شتائها هكذا يكون الانسان في شمال الكرة وجنوبها وشرقها وغربها كل منهم يعدل مع الآخر كعدل هذه الرياح . أما الانسان الحاضر فهو لا يزال طفلا ور بما عدناه مرافقا . والدليل على ذلك انك بينما تراهم متشاكين تقتخر الدولة بتسخير دولة أخرى في اطعامها ومساعدتها ترى بلاد أمريكا تبلغ الممالك المتحدة فيها فوق مائة مليون بعد أن كانوا ممالك مختلفة فهذه هي المرافقة . فأما بقية الأمم كأهلنا الاسلامية وغيرها فانهم لم يزالوا جهلاء مختصمين لجهلاءهم مع ان الله خلقهم ليكونوا خلفاء

﴿ ما الواجب على المسلمين في هذا الزمان ﴾

جاء في هذه الآيات - والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا - ان الأمم الاسلامية ما عاقها عن ظهور الكمال فيها وبزوغ الشمس المحمدية والسلام العام فيها إلا انها أمة في هذا العصر جاهلة جهلاء صريعا محزنات فاضحا ولا يؤهلها للخلافة في الأرض إلا تعمم التعليم فتعمم التعاليم هو الذي يؤهل القلوب أن تقبل النصائح القرآنية وتكون القلوب هناك مثل الأرض الطيبة تقبل الإصلاح سريرا فليستعد المسلمون لتعليم جميع الأفراد رجالا ونساء من الآن لتكون خلفاء الله في الأرض ويكون التعليم ابتداءيا وثانويا وعاليا كأهل اليابان وأوروبا وأمريكا ولناخذ بأحسن الطرق والأساليب فهناك يليق أن يكونوا مع الأمم وليبدأوا هم بالسلام العام وذلك لأن نبينا ﷺ أرسل رحمة للعالمين فلنكن نحن رحمة للعالمين ومستحيل أن نكون رحمة وهم علماء ونحن جهلاء بديننا لأنك تعلم من هذا التفسير أن العلوم التي ملأت الأرض اليوم هي نفسها علم التوحيد الذي هو أهم من علم الفقه والتعمق فيها فرض كفاية فتي عرفنا العلوم

وعمت أقطار الاسلام هنالك مجلس معهم أي مع أهل أوروبا واليابان والصين ونقول نريد السلام العام لأن الله أخبرنا أنه يأتي يوم تضع فيه الحرب أوزارها كما سيأتي في سورة (القتال) والقرآن لم يقيد به وقال المفسرون هو يوم مجيء عيسى عليه السلام ولكن القرآن لم يخص به . فلو أن الأمم استعنتت للسلام فلامعنى لأن المسلم هو الذي يحارب . ان الانسان اليوم ناقص وهو يسير الى الكمال فلامعنى لأن المساعين يتقاعسون فليتعلموا وليكونوا خير أمة أخرجت للناس بأميرين . (أولاً) أن يعلموا كما تعلمت الأمم . (ثانياً) أن يقدوا الأمم للسلام العام . فأما الآن فان الانسانية جاهلة غافلة يتحاربون كما يتحارب النمل لم يمتازوا عن الحشرات وكلاب البحر والغربان في نظام الجمعية الانسانية - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

﴿ ذكرى للأمم الاسلامية ﴾

فيا أيها الأمم الاسلامية استعنتوا للواجبات العالمية والعملية . أفلاترون أن الأرض التي نعيش عليها قد أصبحت مغلفة بالأسلاك البرقية والطرق الحديدية وتبادل البريد والطرق الجوية للطائرات وهكذا للتغراف الذي لاسلك له فهذه أرضنا اليوم أصبحت أشبه بجسم حيوان فلكل حيوان جلد يحس بما يصيبه بالحواس الخمس المفرقة على ظواهره هكذا أرضنا فها حصل في جهة فان سائر الجهات شرقاً وغرباً تعرفه الأرض كانت قبل اليوم لاعلم لشرقها بما عند غربيها ولا لجنوبيها بما عند شماليها إلا قليلاً واليوم أصبحت أشبه بانسان في ابتداء صباه يحس ويتحرك ولكنه يوزع التربية والتعليم أصبحت الآن الأمم متصلة ببعضها فهاك ﴿ مسألة القطن في أمريكا ومصر والعرض والطلب بأوروبا انها كمسألة الرياح الموسمية بين آسيا وأستراليا ﴾ قد عرفت أيها المسلم الذكي فيما تقدم كيف كانت الرياح في شتاء أستراليا تهب من آسيا الى الصين وما والاها ستة أشهر وفي الستة الأشهر الأخرى ينقلب الأمر فيري أن آسيا الريح من أستراليا ذاهبا الى أستراليا وتكون تلك الأيام صيفاً لها . هكذا نحن نرى القطن في أمريكا كثيراً أكثر بقطنتنا في مصر فصار السعر رخيصاً على قاعدة العرض والطلب فيقال ان عندهم في هذه السنة (١٩٢٦) عند طبع هذه السورة نحو (١٨) ألف ألف بالة غير ما خزونه من عام أول وهو نحو ثلث هذا المقدار فأضر هذا بقطنتنا المصرية . هذه مسألة واحدة من مسائل التجارة والاجتماع فاذن تصريف الرياح وازجاء السحب ونحوها ذلك يضارعه أحوال أهل الأرض فالتناس أشبه بأسرة واحدة كما ان المطر والرياح قد صر في الله بالتبادل والتكافؤ والاشتراك . فالانسان لا يتم كماله إلا اذا أصبح أمة واحدة . ان النحل والنمل لا اشتراك بين شرقية وغربية ولكن الانسان يتبادل المنافع شرقية وغربية فإدام أشبه بالحيوان في نظامه وأن كل جماعة تحارب أخرى كالنمل فانه طفل ظالم لنفسه جهول وهذا قوله تعالى - إن الانسان لظالم كفاً - وقوله - إنه كان ظالوماً جهولاً - فليكن نظامه على مقتضى رقى عقله اهـ

يقول الله تعالى هنا - كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون - قد صرف الله هذه الآيات في القرآن كما صرف آيات الرياح والسحاب كل ذلك ليشكر الناس ولا معنى للشكر إلا بثلاثة أمور ﴿ الأمر الأول ﴾ العلم بهذه الدنيا ونظامها وحكمها ﴿ الثاني ﴾ ما ينتج من هذا العلم طبعاً وهما أمران . حب منافع المخلوقات طراً لاسيا الانسان . الثاني حب الله لأن من أعجب بهذا النظام المتقن بحيث يرى أن الرياح والسحب لم تكن بلا قوانين بل هي تابعة لسير الشمس الذي هو نظام لا خلل فيه فيقبعه نظام مثله وحينئذ نرى النظام في مزارع أستراليا كما نراه في الصين فكل قوم فيهما يعلمون أوقات الزرع والحصاد فلا يخطئون والمطر يجيء لهم في وقته ذلك لحسن نظام الشمس وسيرها . فالله لم يترك الرياح وسحبها بلا نظام متقن فمثل هذا يحدث في القلب حباً للخالق وإخلاصاً لعباده . وهذان هما الأمران الناتجان عن الأول ﴿ الأمر الثالث ﴾ انطلاق اللسان بالجد وتسخير الأعضاء للعمل للمصالح العامة . هذا هو الشكر الذي قاله علماءنا وهو المذكور هنا

في قوله تعالى - كذلك نصرّ الآيات لقوم يشكرون - اللهم انما معاشر المسلمين قد قصرنا في شكرنا فلا علم نظامك الذي ذكرته هنا درسنا ولا نتأججه حصلنا بل نحن من أقل الأمم علما فأين الشكر اذن فالشكر ما فصلناه وذلك بالتعليم العام بجميع أنواعه ثم قيادة أهل الأرض الى السعادة والسلام حتى نكون شاكرين ورحمة للعالمين وهناك نكون نحن خلفاء الله في أرضه والحمد لله رب العالمين

وهذا ما يرمى اليه قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - أرسل الله نبينا ﷺ رحمة للعالمين ولا يتم هذا في الدنيا إلا باجتماع الناس على فكرة عامّة بينهم والمسلمون هم نواب عن نبينا ﷺ فليقوموا بهذه النيابة . وقد ألفت كتابا بمعنى هذا يسمى (أبن الانسان) وقد انتشر في أوروبا والشرق وقرظه الاستاذ (سنتلانه) التلياني في مجلة العلوم الشرقية وكذلك الاستاذ (كراديفو) الفرنسي في المجلد الخامس من كتابه (مفكر الاسلام) وهكذا غيرهم من العلماء لا أذكرهم الآن . وما كنت أعلم الاهلية . انى أعيش حتى أرى هذه الفكرة ينشرها الناس في حياتي في الشرق والغرب وهذا من عجائب الحكم قد قلت في الكتاب المشار اليه أن الأمم سائرة الى هذه الغاية . فانظر كيف جاء اليوم الى مصر الاستاذ الشاعر الهندي (طاغور) الذي ملأ صيته الآفاق شرقا وغربا أثناء طبع هذا التفسير وخطب خطبة يوم الجمعة ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٦ توافق مانحن بصدده الذي قرأته فيما تقدم وتوافق كتابي (أبن الانسان) وهذا نص ما قاله نقلا عن جريدة (الاهرام) في التاريخ المذكور وهاهي ذه

لقد أمرفت الأمم في الاثرة والانانية وفي العصبية الجنسية التي يتمسك بها فريق كبير من أهل الأمم المتحضرة على أن هذه العصبية أكبر مظاهر ضعف المدنية الحاضرة فهي التي تجر الأمم الى التطاحن لنيل غايتها وهي التي تثير بينها حروبا مهلكة ما كانت لتقع لولا هذا التعصب وتلك الاثرة . وما أشك مطلقا في أنه قد وجدت أمم من قبل وبادت أفتتها الحروب في سبيل أغراضها . وما زال الآن في مجاهل أفريقيا أم تسير في طريق الفناء لأخذها في حياتها بهذه الخطية . ولئن كان هذا ممكنا تصوّر يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تفصل بين الأمم وتجعل كلا تعزبكيانها وبجنسها وتجعل من لون أصحابها وسيلة لحرب من كانوا من لون آخر فلم يبق لهذا التصوّر اليوم محل بعد أن أصبحت الحدود الطبيعية لا حقيقة لها لأسباب أهمها تقدم المواصلات والنموذج العقلي بين الأمم . لذلك يجب أن تزول الاثرة وأن يزول التعصب للجنس والتعصب للون . ويجب أن يشعر العالم أن هناك وحدة روحية تربط أممه المختلفة . ومن حسن الحظ انى رأيت أثناء سياحاتي في البلاد المختلفة كثيرا من الرؤس الكبيرة متفقة واياى في الرأي واثقة كما أثق بأن سيااتي اليوم الذي تسود فيه هذه الفكرة الشعوب جميعا . بل لم يقف الاقتناع عند الرؤس الكبيرة فقد احتفل بي في بلاد عدة كثير من البسطاء لأنهم أحسوا في كتاباتي الدعوة لهذه الوحدة الروحية التي تصبو اليها نفوسهم والوسيلة لقهر الانانية ولزوال التعصب الجنسي ليست هي الحديد والبار وانما هي انتشار الأفكار السليمة بين الشعوب وسعيها جميعا لادراك الحقيقة . فهذه الحقيقة . الحقيقة المجردة . الحقيقة المطلقة يجب أن تكون غاية الغايات لكل شاعر ولكل مفكر ولكل فيلسوف وغاية الغايات للانسان الكامل . ويوم يأتي الوقت الذي يعمل فيه كل لمعرفة الحقيقة فاذا رآها لم يتردد في اعلانها يومئذ يكون الانسان قد وصل الى الكمال . وفي هذا اليوم ينشر السلام على الأرض . نعم . فالسلام ان يترتب على عمل صناعي مطلقا كالاتفاقات الدولية وما اليها انما الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي الوحدة الروحية وأحس أن هذه الوحدة بدا في العالم ظهورها . وختما هذا الحديث ارتل حكمة غالية من أحد كتبنا المقدسة . وهنا أطرق ورتل حكمة بصوت عذب يصل الى القلب بلفظه الأصلية أبياتا نقلها الى الانكليزية ومعناها على التقريب ما يأتي

رب الأرباب واله البشر جميعا تنزهت عن كل لون وجنس . يامهيمنا على جميع الأمم وان اختلفت

ألوانها وحد بين قلوبها وألهمها تبادل المحبة وأيدها بروح الحق والعدل ﴿
وهذه الفكرة الدينية نزل بأجل منها القرآن كآية - والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم - وكآية - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الخ -
وكآية - وتعاونوا على البر والتقوى الخ - ٥ انتهى

﴿ جوهرة ﴾

﴿ عجائب أسرار القرآن في هذا التفسير معنى - المص - ﴾
قبل الانتقال من القسم الأول من سورة (الأعراف) والابتداء في القسم الثاني المشتمل على قصص
الأنبياء عليهم السلام يحسن أن أذكر من عجائب القرآن ما به يتذكر أولو الألباب ويحبسون لآي التنزيل
قد جاء في أول السورة - المص - وقد أحلنا ذلك على أول سورة (آل عمران) ولكن المعنى هناك
عام واختص بآل عمران ذكرته هناك عند قوله تعالى - ألم تر إلى الذين أوتوا - وأريد هنا أن أبين السر
المصون والجوهر المكنون والحكمة البالغة والآية الباهرة والنور الزاهر والسلطان القاهر • انظر وتجب
كيف اختير في أولها هذه الحروف الأربعة • فاعلم أن المقصود من قصص القرآن نتائج • ولعمري ما لنا حظ
من هذا القصص إلا ما انتفعنا به فإن لم نتفع ولم نعلم فلا تفسير ولا علم ومحل الانتفاع في هذه السورة أهران
اثنان يجمعان زهرة علومها ومقاصد حكمها وثمرات أخبارها (أولهما) الاعتبار بهذه القصص والأخبار فلا اعتبار
هو الذي أنزل له القرآن ومنه هذه السورة (الأمر الثاني) نصح الناصحين مع صبر المسترشدين بالعمل بالنصيحة
والى الأول (الم) والى الثاني (ص) فانظر قوله تعالى - ألم أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين - هذه الجملة
تجمع مقصود السورة بتمامها لأن أخبار نوح ومن بعده يقصد منها ملخص هذا المعنى ألم أقل لكما كذا فهذه
الجملة تفيد كل ماسيئتي من الإنسان إذا وقع في الجريمة فهو مقصر إذ وضحت أمامه الأدلة فالألف واللام والميم
قد أدت مقصود هذه السورة اجمالا وقوله - ألم أقل لكما الخ - تفصيل للجمل • ثم نفس أخبار الأنبياء مع
أهمهم ترجع لهذا المعنى

وانظر قول إبليس لآدم وحواء - إني لكما من الناصحين - وقول نوح - وأنصح لكم وأعلم من الله
مالاتعلمون - وقول هود - وأنا لكم ناصح أمين - وقول صالح - ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصرين - وقول شعيب - ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين - وقول موسى عليه السلام لقومه
- استعينوا بالله واصبروا الخ -

فهنا نصح من الأنبياء ومن إبليس وأحد الناصحين أمين كما في قول هود والنصيحة تلبس فلا يدري
الإنسان أيهما أصدق • نصح إبليس فعمل آدم بنصيحته • ونصح الأنبياء فكفر الناس بهم • فالأمين متروك
والكاذب متبع • هذه هي قضية هذه الدنيا • لذلك يقول الله - ألم أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين -
فالنصح والصبر على قبول النصيحة ممدوحان وفي كليهما الصادق والنصح الصادق فيه صعوبة ومشقة لكن نصح
الكاذب فيه لذة كالأكل من الشجرة • يقول الله - ألم أنهيكم عن تلك الشجرة فهذا التوبيخ منصب على
آدم وأولاده لأنهم يتبعون الشهوات بسبب النصح المغشوش فلا صبر عندهم ولا يميزون بين الناصحين

كل هذه المعاني مندوحة في - المص - وتفصلها السورة بتمامها فإذا تذكر المسلم في أكثر أوقاته هذه
الحروف الأربعة كانت كإنزاله ثميناً فهي تذكره بالتقريع على المعصية الشهوية وعلى عدم الصبر على الفضيلة
وعلى عدم سماع النصيحة وتذكره بخصف الورق على أبويه من قبل • فهذه أربع صادات • وهذه
الألفاظ في نفس السورة كلها وتذكره بالقصص المذكور في هذه السورة إذ قال تعالى - فاقصص القصص -
هذا هو المعنى المفهوم من - المص - • ولقد تبين لك في سورة البقرة أن - الم - هناك تشير إلى قصة

الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وإلى قصة العزيز وقصة الخليل إذ يقول - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه الخ - فكأنه في سورة (البقرة) ذكر المسلمين بأهم الامور وهي أمران الجهاد والعلوم الطبيعية والفلكية وغيرها وهذه الأخيرة تضمنتها قصة الخليل والعزير وهكذا سورة (آل عمران) جاء فيها - ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الخ - يحذر المسلمين من الغرور الذي وقعنا نحن فيه الآن . وقد أوضحت هذا هناك ايضا كما تاما باطناب وبينت مسألة البقرة هناك لاني لم أوفق لذلك إلا في (آل عمران) أما هنا فان - المص - تبيان لفهم القصص ولتمييز النصيح من الناصحين المختلفين والصبر على المشاق حتى يميز بين الأمين وغير الأمين فهذه السورة فيها تشديد وتوبيخ وتقرير ولذلك زاد حرف (ص) فكأنه يقول في أول (البقرة) و (آل عمران) و (الأعراف) هكذا عليكم بالجهاد وحوز العلوم وإذا نلتهم ذلك فإياكم والغرور لئلا تنفروا شيئا ويدوق بعضكم بأس بعض . ثم إياكم أن يغركم الشيطان بنصحه ألم يكن الشيطان عدوكم فليكن الصبر ديدنكم . هذا هو الذي افتتح الله به هذا المقام والحمد لله رب العالمين . انتهى القسم الأول من سورة (الأعراف)

(الْقِسْمُ الثَّانِي : مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْحِجَّتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَجْجِنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ *

(التفسير اللفظي)

قد علمت فيما مضى أن هذه السورة نزلت للاعتبار بالأثم وهلاكها والدول وخرابها وأن هذه أول سورة جاءت لهذا المعنى بحسب الترتيب الذي جاء في السور لا بحسب ترتيب الوحي فابتدأ بقصة آدم وحواء وبليس وكيف كان أمرهم عبرة للمعتبرين . فابليس أقصى عن المعالي وآدم وزوجه نزل إلى الأرض وحكم عليهما وعلى أولادهما بالملك في الأرض وأن بقاءهم فيها متوقف على تنازع البقاء المعبر عنه بقوله تعالى - بعضكم لبعض عدو - وفي قصص آدم نكتة جميلة وهي أن البيئة والتوارث من أسباب الأخلاق وتكوينها في الأشخاص فآدم لما خالط ابليس غشه وهذا هو الذنب والخلق بسبب (البيئة) أي الوسط وآدم لما أذنب خرج هو وكل ذريته إلى الأرض . والذي يهمنا من هذا القصص ما نراه ماثلا أمامنا كل حين وهو أن للوسط والبيئة تأثيرا في أخلاقنا وكذلك الميراث فقصة آدم منطبقا علينا معاشر أهل الأرض . اننا نعيش غافلين فنرى ابن المسيحي مسيحيا وابن اليهودي يهوديا وابن البوذي بوذيا وابن الوثني وثنيا وابن المجوسي مجوسيا وهذا تأثير البيئة وتأثيرها في الأخلاق . وهكذا نجد المنسول من أسرة عريقة المجد طيبة الأصل غالبا يتخلق بأخلاقها . ومن كان أبواه طويلين أو أبيضين أو أسودين خرج غالبا على هئيتهما وهذا في الشكل الظاهري . وهناك مواطن لا ندركها نراه قد تخلق بها كما نرى العصفور يلد العصفور والبازي يلد البازي والنخل ينتج نخلا . فقصة

أدم ترينا أصرا عجيبا • ترينا أننا في هذا الوجود قد حكم علينا أن نعيش على صفات خاصة وأديان معلومة يوجبها علينا تناسلنا وتوارثنا وأوساطنا التي نعيش فيها • وهذا هو الأمر الطبيعي الذي خطه الله على الوجوه ورسمه في القلوب • ولكن يمنع ذلك ما جاء في قصص هؤلاء الأنبياء من أنهم فكوا الأغلال عن الناس وكسروا الأصنام وأصروا الناس أن يذروا عاداتهم ويتركوا ما عليه آباؤهم من الأخلاق والآراء والعقائد وأن من بقي منهم على ذلك حاق به الهلاك وأودى به العذاب وعليه ذكر هذه القصص كقصص قوم نوح وعاد وثمود وما بعدها ليقول لنا ذروا العادات واخضعوا عن أعناقكم ربة الكسل والجود وارفقوا في الأسباب ثم إن الفطن إذا علم أنه في وسط بيئة مملوءة من الأباطيل وأنه واحد من هذه البيئة له مالها وعليه ما عليها يجتهد ويجهتد في تهذيب طباعهم وغسل أدرانهم وتطهير أخلاقهم ورفع رؤسهم ولنا في الأنبياء قدوة حسنة فعلى كل عاقل أن يجتهد في تطهير المجتمع الذي هو فيه من أدرانها فيكون أقرب إلى ربه وذلك هو المقام الأول • وهالك قصص نوح عليه السلام

اعلم أيها الذكي أن هذه القصة وما بعدها من سورة (الأعراف) وهكذا بقية قصص الأنبياء أكثرها إنما نزل قبل الهجرة يوم لم يكن للنبي ﷺ تابعون كثيرون فانظر هذه القصص وتأمل فيها تجد أن كل واحدة منها تبتدىء بتكذيب الأنبياء وهلاك الأمم المكذبة وبقاء المؤمنين • ثم تراه يقول - فانتظروا إني معكم من المنتظرين - فلتتأمل أيها الذكي كيف كان يقص هذه القصص وليس في يده حول ولا طول ولا جيش بل كانوا يصابون خفية خائفين من الكفار • وإن من أعجب العجائب أن يكون تاريخه ﷺ كتواريخ الأنبياء الذين قصهم فكان في أول أمره مكذبا وفي آخر أمره منصورا • وهذه في الحقيقة أكبر معجزة لأنه تنبأ بما سيحصل وقد تم كما جاء به الوحي • فانظر في هذه القصة يقول الله والله (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) فهى واقعة في جواب قسم محذوف • يقال أنه كان نجارا • ويقال إن أباه ملك بن مشوش بن أخنوخ وهو أدريس عليه السلام ومعلوم أن أدريس نبي قداماء المصريين وهو من المقدسين عندهم ولعله (سيزوستريس) المذكور في كتبهم المنقول عن آثارهم • وعلى هذا يكون نوح من أبنائه وهذه مما لا يقوم عليها برهان قاطع وليس يهمننا من تحقيقها شيء وإنما المقصود أنه أرسله الله (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وغيره يجر على اللفظ ويرفع على المحل لأن إله مرفوع بحسب أعرابه مجرور بحسب لفظه (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم نزول العذاب بهم من الطوفان لأن التحقيق أن عذاب الناس في الدنيا والآخرة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم معذبون فالعاصون والظالمون معذبون بظلمهم فإذا هلكوا ذهبوا إلى جهنم لينتموا دروسهم التعذيبية فيوم العذاب قد يكون في الدنيا كما هو في الآخرة • ثم قال تعالى (قال للملأ من قومه) أي الأشراف لأنهم يملأون العيون بجلالة والقلوب بهابة (إنا نراك في ضلال مبين) بين (قال يا قوم ليس بي ضلالة) أي شيء من الضلال (ولكني رسول من رب العالمين) والرسول يكون في الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوحى إلى من الأوقات المتطاولة وفي المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر • وهذه الجملة مستأنفة بيان لكونه رسول رب العالمين (وأوصيكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحت له ونصحت له والنصح أن تريد الخير لغيرك أوهى النهاية في صدق العناية (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فأعلم صفاته من القدرة والعلم وأنه لا يرد عذابه عن الكافرين (أ) كذبتم (وعجبتم) من (أن جاءكم ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل من جنسكم إذ تنكرون إرسال الأدمي ولا تصدقون إلا بملك من السماء وتقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة الكفر (ولتتقوا) ولتخشوا بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترجوا بالتقوى إن وجدت منكم (فكذبوه) فنسبوه إلى الكذب (فأنجيناه والذين معه) يقال إنهم كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة • ويقال أيضا هم

تسعة سام وحام ويافث وهؤلاء الثلاثة أبناؤه وستة آمنوا معه (في الفلك) متعلق به كأنه قيل والذين يحبوه في الفلك أي السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (إنهم كانوا قوماً عَمِينَ) عمى القلوب فهم مستبصرين يقال أعمى في البصر وعم في البصيرة • انتهى القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ : مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ)

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ فَانْجِيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ * وَإِلَىٰ عَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنْتَدِي بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم أن عاداً وعموداً من العرب البائدة كالعمالقة وطسم وجديس وأسيم ووبر وجهم وحضرموت ومن

ينتمى اليهم . ويقال انهم كانوا نزحوا من بابل وحاولوا بجزيرة العرب وجميع العرب البائدة من نسل سام بن نوح . أما العماليق فمن نسل لاوذ بن سام . وأما بقيتهم فمن نسل ارم بن سام . وعلى ذلك يقال عاد ارم وعمود ارم ثم قيل لكل من كان من نسل ارم بن سام ارمان . هذا ملخص ما يقوله العلامة ابن خلدون والكشف الحديث على الاجمال يؤيده فالعرب البائدة جميعهم آراميون إلا العماليق فانهم من نسل لاوذ . ويقال انهم ملكوا العراق وملكوا مصر ويسمون الرعاة . ولقد كان في العراق دولة الماديين ودولة الكلدان ودولة العرب ودولة الاشوريين والدولة العربية المذكورة هي التي تسمى (الدولة البابلية الأولى) ورأسها يسمى (حورابى) المشهور كان في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وقيل ان عدد ماوكها (١١) ملكا ملكوا ثلاثة قرون وهذا رأى (مسيرو)

وفي أيام هذه الدولة العربية ظهر ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كشف العلم الحديث ما كان لهذه الدولة من العلوم والقوانين ومجموع القوانين (٢٨٢) مادة وجدوا نسخة منها سنة ١٩٥١ في بلاد السوس منقوشة بالحرف السامى على مسلة من الحجر الاسود الصلب طولها سبعة أقدام . ولما غلبت هذه الدولة على أمهرها نحو ٢٨٢ سنة قبل الميلاد وقد حكمت ٤٣٣ سنة خرجت من العراق الى جزيرة العرب راجعة الى موطنها الأصلي وأنشأوا في (اليمن) دولة عربية تسمى (دولة المعينيين) كانت عظيمة جدا قبل دولة سبأ وحير وآثارها ظهرت في العالم العربى اليوم . ولقد كشف المستشرق (هاليفى) لما سافر الى بلاد الجوف وحدها ٧٩ نقشا في معين و١٥٥ نقشا في براقشن بالقرب منها . ولقد حكم المعينيون جزيرة العرب حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط وشواطئ الخليج الفارسى فكأنها حكمت جزيرة العرب كلها وهذه الدولة أفناها السبأيون

﴿ الكلام على عاد ﴾

ان العرب كما قلنا نزحوا من العراق لما غلبوا على أمهرهم فرجعوا الى الجزيرة وقلنا ان المعينيين سكان اليمن أخذوا دورهم ثم أفناهم السبأيون وهذه الدول آثارها ظاهرة اليوم . هكذا نعلم أن العرب دخلوا مصر وبقوا بها نحو ٥٥٥ سنة أى من نحو الاسرة الثانية عشرة الى نحو الاسرة الثامنة عشرة ثم طردهم المصريون فرجعوا الى جزيرة العرب أيضا . أفلاترى أن يكون عاد من هؤلاء كالمعينيين المذكورين فيما تقدم وربما كانوا هم أنفسهم ولقد أفناهم أهل سبأ . أولست ترى أن هذا القول يوافق ما هو معلوم أن قدماء المصريين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا . وكيف لا يكون ذلك وأنت ترى في جبالنا المصرية بيوتا منحوتة لأغراض خاصة وقد كانوا اذا اقتطعوا حجارة من جبال مصر جعلوا هذا الاقتطاع هندسيا ليستفيدوا فائدتين البناء بما اقتطعوا من الجبل والارتفاع بمكان القطع . فاذا قال الله - تنحتون من الجبال بيوتا - كان ذلك مما تعلموه من المصريين

﴿ لطيفة ﴾

قد كان العالم الأثرى الفاضل كمال بك الذى هو أعلم العلماء فى فن الآثار المصرية يوما يلقي درسا عاما فيما عرفه من علوم قدماء المصريين فذكر لنا تاريخ حياته وأنه تعلم هذا العلم من ابتداء سن الخامسة عشرة من عمره وأنه أخذ عن علماء فرنسا وقال قد كنت أعثر من وقت لآخر على كلمات أجدها مطابقة للغة العربية حتى ان الخبز وحده وجدت له ٢٠ كلمة مثال ذلك (خبز . عيش . خبز الملة . كحك . بتاو) وهكذا . قال وقد كنت أبحث فى (لسان العرب) و(القاموس) فأجد جميع الألفاظ عربية غاية الأمر انها دخلها القلب والابدال وهكذا وأرانا ١٣ جزأ أمامه قد كتبها مبينا اتفاق العربية مع لغة قدماء المصريين . ثم انه بعد ذلك بسنين أتم هذا الكتاب ثم توفى قريبا ربه الله

فلما انصرف من ذلك الدرس ، التفت الينا معاشر مدرسى اللغة العربية وقال قد وجدنا كتابا على الدير

البحري تاريخها في الأسرة الثامنة عشرة ملخصها أن المصريين قد كثروا جدًّا فهاجر منهم طائفتان طائفة
نزلت إلى بلاد العرب وطائفة نزلت إلى بلاد المغرب في شمال أفريقيا وعلى هذا يكون منهم عاد وثمود .
أفلاثرون ذلك يا حضرات الأساندة فوافقه المرحوم حفني بك ناصف وكذلك أنا (طنطاوي) وقلنا لا مانع من
ذلك وليس عندنا ما يمتعه . فهذا آخر ما وصل إلينا من العلم في أمر عاد من حيث التاريخ الحديث
أما ثمود فكان مقامها في الحجر المعروفة بمدائن صالح في وادي القرى بطريق الحاج الشامي إلى مكة . وقد
وصلت لها السكة الحديدية الحجازية . والذي ثبت الآن أن مدائن صالح وهي الحجر دخلت قبل تاريخ الميلاد في
حكم النبطيين سكان بطرا . وبطرا هذه قصبة الأنباط مدينة صخرية قائمة في مستوى من الأرض تحيط به
الصخور وهي واقعة في وادي موسى عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الأحمر
واليمن وأطلالها الآن باقية كشفها العلماء في هذه الأيام . وهناك كتابات ونقوش بالقلم النبطي وبجانها مرسح
منقوش في الصخر ووراء كهوف كثيرة منقورة وطبيعية وكانوا يسكنونها قديما وهي الآن يأوي إليها الفقراء
من المطر الغزير

هذه هي (بطرا) التي هي عاصمة النبطيين الذين ملكوا الحجر وهي مدائن صالح التي كلاً منها فيها قلعة
وجد على أطلال تلك المدائن كتابة نبطية وقد زار هذه المدائن مستشرقون وقرأوا نقوشاً منقوشة في الصخر منها
أنقاض تعرف (بقصر البنت) و(قبر الباشا) و(القلعة) وقرأوا عليها ما نصه

هذا القبر الذي بنته لكم بنت وائل بنت حرم وكليبه ابنتها وذريتهما في شهر طيبة من السنة التاسعة
للحارث ملك النبطيين محب شعبه فعسى ذوالثرى وعرشه واللات وعمند ومنوت وقبس تلحن من يبيع هذا
القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضواً أو يدفن فيه أحداً غيركم وابنتها وذريتهما ومن يخالف
ما كتب عليه فيلعنه ذوالثرى وهيل ومنوت نخس لعنات ويغرم الساحر غرامة مقدارها ألف درهم حارثي الامن
كان ييده تصرع من يدكم أو كليبه ابنتها بشأن هذا القبر والتصرع يجب أن يكون صحيحاً . صنع ذلك
وهب اللات بن عبد عباده . انتهى

واعلم أن هذه المعلومات التي وصلت إلينا في العصر الحاضر ستزيد على مدى الأيام فإن بلاد العرب مشحونة
بالأمور العجيبة المدفونة تحت التراب

﴿ كشف الأمم العربية القديمة في العصور القريبة ﴾

اعلم أن أول من فكر في كشف آثار آبائنا العرب مثل ثمود وسبأ وحير ومعين ولحيان وأمثالها إنما هم
الألمان في أواسط القرن الثامن عشر . ومادعاهم إلى ذلك إلا ما كان يسمعه الفرنجة في أسفارهم إلى الهند عن
طريق البحر الأحمر ومصر وما تناقله ألسنة أهل شواطئ اليمن وحضرموت إذ يقولون عندنا آثار مدفونة عليها
كتابات لا نعرفها وأول من فكر في ذلك العالم (ميخائيلس) وهو عالم ألماني توفي سنة ١٧٩١ وهو الذي
اقترح على (فردريك الخامس) ملك الدنمارك سنة ١٧٥٦ تأليف لجنة للبحث عن تلك المدائن لذكرها في
التوراة تحقيقاً للعلم . وكان الرجل فيلسوفاً عالماً عظيماً فأرسل الملك المذكور جماعة فأتوا إلى رجل يسمى
(نيبوه) كتب كتاباً عن بلاد اليمن التي هي المقصودة بالذات وانتشر في أوروبا . وفي القرن التاسع عشر
عرفت اللغة (الهيروغليفية) بمصر فطمع العلماء بأوروبا في معرفة علوم جيرانها . ثم سافر (رنسن) الألماني
سنة ١٨١٠ إلى اليمن فعثر على مدينة (ظفار) وبعد ذلك تنبه الإنجليز . فأول الباحثين الألمان فالانكايز
فالفرنسيون وهم أوسع مجالا ومنهم العلامة (هاليفي) سنة ١٨٦٩ بلغ مأرب ورجع معه ٦٨ نقشا وقد مرّ
ببلاد الجوف التي هي قرب (صنعاء) وأهل صنعاء لا يعلمون بها . ثم كشف معين المتقدمة وهو سائر إلى
(نجران) ثم ذهب (أدوارد غلازر) إلى اليمن وهو عالم ألماني فوصل إلى مأرب ونقل معه ألف نقش وفيها

كيفية بناء سد مأرب وإصلاحه

ولقد أصبحت متاحف أوروبا الآن مملأة بآثار اليمن بعضها منقوش على الحجر . وبعضها على البرونز وبعضها منقول بالرسم أو الطبع يزيد عددها على ألفين . فبهذه الرسوم والنقوش عرفنا بعضا من أخبار القرآن كما سيأتي في سورة (سبأ) والسد المذكور في القرآن وطوله وعرضه والجنتان اللتان هناك كما سيأتي في سورة (سبأ) أيضا . هذا ملخص ما وصل لنا الآن من الكشف واهتمام أوروبا بالبحث في علوم العرب آباءنا وآثارهم لأنه ورد ذكر هذه الآثار في التوراة

﴿ الخرافات ﴾

لقد كان كثير من أهل السير قديما يتساون بحكايات خرافية كمدينة ذكرها القصاصون تسمى (إرم ذات العماد) بناها عاد وهي في اليمن لينافس بها قصور الذهب والفضة في الجنة وأنه كتب إلى عماله أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب والفضة والدر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران فيوجهوا بها إليه ثم استخرج المعادن من الذهب والفضة ثم استخرج عماله الجواهر من البحر وأتوا بالياقوت والزبرجد من المعادن فضرب الذهب لبنا وبنى به المدينة وأمر بالدر والياقوت والجزع والزبرجد والعقيق ففصص به حيطانها وجعل فيها غرفا من فوقها غرف بعمد من الزبرجد والجزع والياقوت ثم جعل تحتها واديا ساقه تحت الأرض . في فرسخا وأجراه في كل مكان تحتها وجعل حصباها الجواهر وجعل على حافتي البحر أشجارا من الذهب مثمرة وثمرها الياقوت والجواهر وطول المدينة ١٢ فرسخا وعرضها مثل ذلك وفيها ٣٠٠٠٠ قصر مصصعة ومربعة وقصره يعلو على القصور كلها واتخذ بنادق المسك والزعفران فألقيت في الشوارع وارتفاع البيوت ٣٠ ذراع والصور ٣٠ ذراع ومكث في بنائها ٥٠٠ عام . هذه ملخصات علوم الأواخر وخرافات أرباب السير من المتقدمين

﴿ يا أمة الاسلام ﴾

عجبا كننا نقرأ في القرآن أخبار عاد وثمود فنمرت عليها صرا الكرام كأن عادا ليسوا من أسلافنا وكأن ثمودا ليست مساكنها في بلاد الاسلام . وياليت شعري كيف بحث الغربيون عنها ونحن نائمون . ويدرسون آثارنا ونحن غافلون . بل يبحثون عن معاني كتابنا المقدس ونحن عن ذلك كله ساهون لاهون نعم ان قصة عاد وثمود لم ترد الا للاعتبار بالأمة المكذبة ولكن واسوأناه واحسرتاه على أمة الاسلام . ان سمعوا قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - قالوا لقد عرفنا الله فلماذا ننظر . وان سمعوا قصص الأولين قالوا انها جاءت للاعتبار ومعرفة تقلب الأيام ونحن بذلك عالمون . وعلى هذا أصبح القرآن في نظر الأمة الاسلامية كتابا يتلى . فأما المعاني والمباحث ففهم عنها نائمون . اللهم إلا المباحث الفقهية وليس منها إلا مائة وخمسون آية كما قدمنا . وبالله الأسف لا يستدلون بها إلا لتبع الأربعة رضوان الله عليهم وغيرهم من كبار العلماء

بهذا وأمثاله نامت أمة الاسلام فعلى مجدهم فليبكوا وعلى بلادهم فليحزنوا للجهالة العمياء والبلاهة الغبراء والنومة الشوهاء السوداء وقد آن أو ان استيقاظهم - والله بكل شئ محيط -

وقد آن أن أفسر الآيات تفسيراً لفظياً بعد ما بينت المقام بقدر الامكان فأقول . قال تعالى (و) أرسلنا (إلى عاد) وهو عطف على نوح (أخاهم) واحداً منهم تقول يا أخا العرب للواحد منهم وإذا كان واحداً منهم كانت الحجة ألزم عليهم (هودا) عطف بيان لأخاهم وهو من نسل سام بن نوح كما تقدم (قال يا قوم اعبدوا الله) إلى قوله (أفلاتتقون) وهذا ظاهر (قال الملائكة الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة) خفة وطيش وسخافة عقل (وانا لظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب

رب العالمين) الى قواه (وأنا لكم ناصح) فيما أدعوكم اليه (أمين) على ما أقول لكم
(جمال الخطاب)

اعلم أن مقابلة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلال بمثل هذا القول الجليل الرقيق اللطيف داع الى
كسر حدة الخصم وهو الهواء الوحيد لتلطيف حديثه ونفوره بل ربما أذعن بمثل هذا الحلم . يقولون
- إنا لنراك في سفاهة وأنا لنظنك من الكاذبين - فيقول - يا قوم ليس بي سفاهة الخ - فلا يقول لا بل أتم
السفهاء فان هذا من أخلاق الجاهلين والعفو وحسن البيان والأدب بالأنبياء والعلماء ألزم . فهذا من الله
تعليم لا نبياء ولا دعاة . وأما قوله - أو عجبتم أن جاءكم ذكر - الى قوله - لينذركم - فقد تقدم نظيره ثم
قال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلقتهم في الأرض أوفى مساكنهم واذ مفعول
به وليس ظرفا (وزادكم في الخلق بسطة) قامة وقوة (فاذكروا آلاء الله) جميعها (لعلكم تفلحون) لأن
ذكر أبهم يؤدي الى شكرها فيكون الفلاح (قالوا أجبنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) وهذا
احتجاج كالذي تقدم في حجة ابلهس المذكورة في أول السورة إذ احتج بأصله وهو النار وهؤلاء احتجوا
بصفة من صفات آبائهم القلبية فاتبعوها وهذا برهان سفسطي (فأثنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) فيه
(قال قد وقع عليكم) قد وجب عليكم (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب)
ارادة الانتقام (أتجادلونني في أسماء سميتهموها أتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة أي في أشياء
سميتهموها آلهة وليس فيها معنى الالهية (فاتتظروا) نزول العذاب (إني معكم من المنتظرين) ذلك (فأتجيناه
والذين معه) أي من آمن معه (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الأصل أو الكائن خلف
الشيء وقطع دابرهم استأصلهم ودمرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) وما خص القصة التي في كلام المفسرين
أن عادا قد ملكوا البلاد ما بين (عممان وحضرموت) وكانت لهم أصنام يعبدونها صماء وجود والهاء فبعث
الله اليهم (هودا) عليه السلام فكذبوه فأمسك عنهم المطر ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله
الفرج منه عند بيته الحرام فأوفدوا اليه قيل بن عذروا نعيم بن هزال ومرشد بن سعد وكان يكتم إيمانه بهود
عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عموه بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فزولوا
عليه بظاهر مكة فقال لهم مرشد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلعوا مرثدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابة ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء (يا قاتل) اختر لنفسك
ولقومك فاختار السوداء على ظن انها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض
مطرنا فجاءتهم ريح عقيم فأهلكتهم ونجى (هودا) والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدهوا الله فيها حتى ماتوا اه
أنا لا أطيل لك أيها الذكي في هذه القصة فقد أسمعتك ما قال المنسرون وما حققه علماء العصر الحاضر

(ولعلك تقول أين فائدة النص)

تقول أين فائدتها . عاد هلكوا وماتوا برح صرصر عاتية . وما لنا ولهم . أقول نستفيد فائدتين
فائدة أدبية وفائدة علمية . أما العلمية فقد تقدمت في البحث في الأرض اليمانية . وأما الأدبية فاعلم أنه
وان لم تكن سحابة تزل علينا اليوم ولم نخير كما خيروا فان هذه الأحوال تحصل لنا كل يوم ونحن غافلون
ألم تر الى الأمم الشرقية كيف يغترون بالفرنجة فيحتمون بهم ليضربوا بهم أعداءهم من جيرانهم الشرقيين ثم
ينقض عليهم الفرنجة أيضا . وهذه قاعدة مطردة يدخل الفرنجي بلاد الشرق بالاستعانة ببعض أهل البلاد
كما في العراق والشام ومصر وغيرها فيقلب الفرنجة على أهل البلاد فيكونون سببا لخسرانهم وهذا هو الحاصل
الآن تماما فيمضون أهل الشرق أن هذا الغربي نعمة عليه لغناه وجاهه اذا هو كالسحابة السوداء كثيرة الماء
فاذا دخلوا بلادهم انقلبوا عليهم نارا وسعيرا فابتزوا أموالهم . وكلهم غفل اغربيون أهل الشرق فأذلهم أجمعين

- إلا من رحم ربك - وماربك بما نفل عمن يعمل الظالمون -

وهذه كقصة المسيح الدجال من حيث ان الناس يطعمون في جنته اذا هي نار بل أكثر أمور الحياة هكذا نحن نعذب بما ظننا أنه نعيم فالمناصب والأموال والبنون كل ذلك يكون من أسباب الشقاء والتعب كما وضع في سورة (البقرة) فلنجعل ذلك ساءلاً للضلالة لا نتيجة الحياة . قال تعالى (والى نوح) أى وأرسلنا الى نوحهم من ذرية إرم بن سام بن نوح وهم وعاد ونحوهم يقال لهم الآراميون نسبة لآرم ولذلك جاء في القرآن - عاد إرم - بالاضافة وهو ظاهر والتاريخ يوافقه والكشف يبينه . وقد تقدم ذكر مساكنهم بإيضاح ثم قال تعالى (أخاهم صالحاً) أى قوله (قد جاءكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكان سائلاً قال ماهذه البينة (قال هذه ناقة الله) اضافتها للعظيم والتخصيص لأنه كونها بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الإشارة ولكم بيان لمن هي له آية وهي نوح لأنهم عاينوها (فذروها تأكل في أرض الله) أى الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تمسوها ولا تطردوها (فياخذكم عذاب أليم) وهو جواب النهى (واذكروا إذ جعلكم خلئاً من بعد عاد وبوأكم) وذكركم للمباعدة المنزل (في الأرض تنخذون من سهولها قصوراً) غرماً للصيف (وتنحتون الجبال بيوتاً) للشتاء وبيوتاً حال مقدره كما تقول خط هذا الثوب قيصاً فالجبل لا يكون بيتاً حال النحت ولا الثوب قيصاً في حال الخياطة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) وملخص قول المفسرين في قصتهم أن عاداً لما هلكت عثرت نوح بلادها وخلفوها في الأرض وعمروا أعماراً طويلاً فأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله اليهم صالحاً عليه السلام وكانوا عرباً وصالح منهم فلم يتبعه في دينه إلا المستضعفون فأنذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشرةا فصلى ودعا ربه فتمخضت فخرجت منها ناقة كما شاؤا فآمن به رهط من قومه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار ثم أبدل منه قوله (لمن آمن منهم) أى من قومه فيكون جميع المستضعفين مؤمنين أو من الذين استضعفوا فيكون المستضعفون قسمين كافرين ومؤمنين (تعلمون أن صالحاً مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية والاستهزاء (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) فكأنهم قالوا إنا نعلم انه مرسل ودليله إنا مؤمنون به وهو أبلغ في الجواب (قال الذين استكبروا إنا بالذي آمتم به كفرون) فوضعوا آمتم موضع أرسل به ردّاً لما جعله المؤمنون معلوماً مسلماً (فمقرروا الناقة) أى نحروها ومانحروها إلا قسارين سالف ولكن كان ذلك برضاهم . وكان قدار هذا أحرأزرق قصيراً (وعتوا عن أمر ربهم) تولوا عنه واستكبروا وهو ما بلغهم صالح بقوله - فذروها الخ - (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من المرسلين) فأخذتهم الرجفة) الصيحة التي زلزلت لها لها الأرض واضطربوا لها (فأصبحوا في دارهم جاثمين) جاثمين ميتين . قال المفسرون انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوها وكثروا ونحتوا البيوت في الجبل وكانوا في خصب من العيش فأرسل الله لهم صالحاً وأجابههم الى الآية التي طلبوها كما تقدم فخرجت الناقة من الصخرة ثم تتجت ولداً مثلها في العظم فكشت الناقة ترعى في الشجر وترد الماء غباً فما ترفع رأسها حتى تشرب البئر ثم يحلبون منها ما يشاؤون ويملأون أوانيهم ويتخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب أنعامهم منها الى بطنه وتشتو بطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فذبحوها واقتسموا لحماً وغاب الفصيل في الجبل بعد أن رغا ثلاثة أيام فقال لهم صالح أصبح رجوهكم غدا مصفرة وبعد غد حمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنبأهم الله في أرض فلسطين . ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتسكفوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا . ثم قال تعالى (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)

والظاهر أنه خاطبهم بهذا القول بعد موتهم كما خاطب رسول الله ﷺ أهل مكة في قليب بدر وهم ميتون
﴿ سؤال ورد على المؤلف ﴾

لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الأصدقاء أهل العلم المفكرين قال أي فائدة لهذه القصة في زماننا ونحن اليوم في عصر الحديد والبخار والغازات الخائقة والكهرباء والطيارات وزلزلة الأرض بأنواع الديناميت فلا يتظر الناس أن تزلزل بهم الأرض زلزلة عظيمة طبيعية . وأي ثمرة لمعرفة ناقة خرجت من صخرة وتبعها ابنها ثم قتلت . وأي فائدة في ذكر أنهم شربوا لبنها ثم خاثوا فأتتهم الصاعقة . وياسبحان الله ان عصر التقلبات والآيات والمفاجآت قد مضى وانتضى وأن العقول اليوم لا ترى لهذا أثرا في الوجود . وكيف يأتي كتاب سماوي بمثل هذا . وما الفائدة اذا كان لا ينتفع به الناس

﴿ الجواب ﴾

اعلم أيها الذكي أن هذا السؤال يرد على جميع العقول الذكية فمنهم من اذا مر عليه هذا الكلام يسكت ويقول في نفسه اني ان نطق بهذا كفرت مع ان الله مطلع على قلبه . ومنهم من يجهر ويقول ان الدين للعوام أما نحن فنحن علماء فلا حاجة الى الديانات عندنا . هذا ما عليه المتدينون في هذه الدنيا شرقا وغربا واعلم أن كل دين فيه أمثال هذه القصص ولو خلا دين من أمثال هذا لم يتبعه الأمم فان الديانات جاءت ليفهمها الجهلاء بظاهرها ويستنتج منها العقلاء من أسرارها وعجائبها وليس يخفى عليك كتاب (كناية ودمنة) الذي يقرأ في المدارس جميعها شرقا وغربا وفيه حكايات يفهمها الجهلاء بظاهرها ويدرسها الحكماء والفلاسفة والسياسيون بحسب باطنها ويستخرجون منها نظام الدول والممالك والحيل السياسية وهي بحر علم وفلسفة وحكمة وأدب وخلق وجمال . واذا كان هذا فيلسوفا فكيف بكتاب أنزل على نبي من ربه . إن سائر الديانات ظاهرها سهل وفيها معان للحكماء لم يفهم يتدبرون . ولا تظن اني أقول أن ناقة صالح حكايات كتاب (كناية ودمنة) في انها غير حقيقة فنحن نؤمن ببقائه وبما جاء في ظاهر القرآن ونكلعها الى الله تعالى ولا نؤمن بالتفصيلات الطويلة التي لم يرد فيها نص . فقال عرفت هذا وأي فائدة فيها عند الخواص . قلت اعلم أن أحوالنا التي نحن عليها ونشاهدها كل حين في بلاد الاسلام أشبه بما حصل لقوم صالح فالناقة نعقرها كل سنة والرجنة تأخذنا كل يوم ونحن غافلون . قال وعجبا لك أنت رأيت الناقة وسمعت الرجفة . قلت له وأنت أيضا لأنك من الدين رضوا بقتل الناقة فعذبوا . قال هذا خارج عن المعقول فكيف تفسر القرآن اذا كنت تقول ما يخالف العيان . قلت أنا أقول لك كما يقول القرآن . قال قل . قلت انظر أليس أمر الناقة المذكورة انها خرجت من صخرة وكان لها ابن يشربونه فنحروها . قال بلى . قلت أليس الصخر يفتته الماء والهواء والحرارة فيصير حصى ورمالا ويجري عليها الماء فينزل الى السهل فيزرع فيخرج منه الشجر والزرع فتأكله الدواب فيخرج ألف ناقة وألف جمل ونحن نشاهد هذه الآيات ونكفر بها أوليس من الكفر بها أن نترك النعم التي أنعم الله بها علينا في السهل والجبل والسماء والأرض أوليست السموات والأرض من آيات الله كما ان ناقة صالح من آيات الله غاية الأمر أن الناقة يفهمها العامة والآيات الأخرى يفهمها الخاصة ألم يقل الله - وفي الأرض آيات للموقنين - والموقنون أرقى من المؤمنين فلئن آمن قوم صالح ببقائه وهي آية - فكأنى من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - وقال الله تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين - أفليست آية النهار أرقى ألف مرة من آية ناقة صالح أليس شروق الشمس بعد الاظلام وظهورها مشرقة تنال كعروس تزيت بالخلي والحلل وقد نشرت على الأرض حلا زاهية جميلة مشرقة بهجة بهية منيرة تعطي الحياة لكل حي أكبر ألف ألف مرة من ظهور ناقة في صخرة يشرب منها قوم في قرية خاصة بل لا نسبة بين الناقة وبين الشمس . على ان الشمس لا تقدر على قتلها الناس فانها قد تميت

المحموم وكما أناس تضايقوا منها فلم يقدروا أن يقتلوه وهي باقية إلى اليوم والناس يحبون ويعتزون وهي باقية والله سبحانه سماها آية وسمى ناقه صالح آية . فأما الأولى فهي آية العقلاء . وأما الثانية فهي آية العقول الجامدة ولذلك جاءت هذه السورة لتوضح الفرق بين الآيات العقلية والآيات الخارقة للعادة كما سيأتي إيضاحه عند الكلام على سحرة فرعون وأنهم علماء فكان إيمانهم ثابتاً . أما الجهلاء من بني إسرائيل فإن إيمانهم المبني على خوارق العادات لم يلبث أن تبدل كفرًا . فالسورة يراد بها إظهار الحقائق للمسلمين وأن الإيمان يمثل هذا إيمان الغافلين . إيمان لا يثبت له . أما العلوم الكونية فالإيمان التابع لبراهينها هو الإيمان وهو اليقين . فقال صاحبي أي كفر كفرناه وأي ضرر أصابنا وأي مناسبة بين حالنا وحال قوم صالح . قلت أليست تعلم أن الله أعطانا أرض عاد وثمود التي هي كانت أولاً في اليمن ثم رحلوا إلى الأرض التي يقال لها مدائن صالح على ما يقال وعندنا أرض الحجاز ومصر وفلسطين وسوريا والعراق كل هذه وغيرها من البلدان المذكورة في القرآن ملك للمسلمين الآن ولا جرم أن هذا الملك أضخم من ناقه صالح . أفليست ترى أن المسلمين لم يقوموا بشكر النعمة فيحفظوا الأمانة التي استودعها الله إياهم فتري المسلمين أقل الأمم علماً وعملاً وتجارة وصناعة فأى عقر للناقة أعظم من هذا . اننا نحن الآن عقرنا آلافاً من النياق عقرنا معنوا لأننا لم نقم بزراعة الأرض حق القيام ولا باستخراج مناجمها ولا بحفظ ثغورها ولا بتعليم أبنائها ولا بتجارتهم . فإذا عقرت ثمود ناقه خرجت من الجبل فنحن منعنا أن تخرج ومنعنا ألف ألف ناقه وبقرة وإنسان بتخريب الأرض وقلة حفظها . قال صاحبي فيمنع أنا وأنت كافرون . قلت كلا بل نحن عاصون لأن انتشار الصناعات والعلوم فرض كفاية وكل عنه مسئول . ألا ترى الله تعالى يقول في أول السورة - وذكرى للمؤمنين - ونحن المؤمنون وهذه هي الذكرى . ألا ترى أن أهل أمريكا الأصليين وهم الجنس الأحمر النحاسي انتقض عليهم الأوروبيون فأهلكوهم وأخذوا ديارهم لأن الله هو الذي فعل ذلك لأنهم ألبقوا لعمارة الأرض . فأما الجر المتوحشون فاهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم . وانظر إلى اخواننا عرب الأندلس في الزمن القريب كيف أفناهم الأسبان بالاتحاد مع أهل أوروبا وقتلوهم أجمعين أليس ذلك لأنهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وأى ناقه أعظم وأضخم من ملك الأندلس . قال إذن تريد أن تخرج عن ظاهر اللفظ إلى المعاني التي ذكرتها ولكنني أراه بعيداً عن القرآن . قلت بل هو القرآن نفسه . قال وكيف ذلك . قلت لسببين (السبب الأول) ما جاء في أول السورة من قصة آدم وإبليس ألم تر أنه خرج من تلك القصة التي لا يجهلها أصغر وأجهل إنسان في بني آدم إلى مسألة اللباس وكيف استنتج منها أنهم يجب عليهم أن يلبسوا اللباس في الطواف ثم ارتقى إلى أن التقطن والكتان والحريرات التي هي لباس لنا من آيات الله وإلى أن هناك لباساً أغلى وأشرف وأعلى وهو لباس التقوى ثم طلب من بني آدم ألا يفتنهم الشيطان كما فتن أباهم آدم فخلف عنه لباسه فليس ينبغي أن يخلف عنكم لباس التقوى بالمعاصي فلا تفر بوا القوا حش ما ظهر منها وما بطن فانظر كيف جعلت القصة درساً في الطبيعة النباتية . ودرساً في ستر العورة في الصلاة . ودرساً في أن الشياطين يروونكم ولا تروونهم وهكذا . فإذا كان القرآن هو الذي فتح باب الفهم والعلم مع أن الكتب السماوية لا تتجاوز الظواهر انكالا على العقول فكيف تقف عند الظاهر في قصة ثمود والناقة (السبب الثاني) أن الله لا يريد لنا هذه الآيات بل يريد لنا الآيات الكونية وهو القائل - وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون * وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً - فانظر كيف أبان أن خوارق العادات ليست ماثراً الهداية للأمم وإنما هي زجر وتخويف وانظر كيف خصص ثمود والناقة فعلى القادة والعلماء أن ينهوا المسلمين عن الأخطار الواقعة بهم وليوقظوهم من غفلتهم وليعلموهم مقصود هذه الآيات وإن الله إنما يريد أن ننظر الحقائق ولذلك لما أوحى كفار مكة على النبي ﷺ أن يأتيهم بآية

مثل هذه قال الله - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - قال وما السبب في أن خوارق العادات لا تكفي للإيمان وأن الأمم الإسلامية يجب أن يكونوا مفكرين لأمقليين . قلت اعلم أن خوارق العادات أشبه بالتنويم المغناطيسي وكلما كانت الأمم غافلة كان الكذب عليها أدخل وكلما كانت أعقل كان العلم اليها أقرب والكذب عنها أبعد وهذا التنويم الآشائع بين السياسيين والأطباء والدجالين وبعض رؤساء الديانات

﴿ الطب ﴾

اعلم أن أهل الأرض جميعا بالنسبة للأطباء كالمؤمنين ولو أنهم قالوا لهم الحق لم ينتفعوا بالطب لجهالتهم فإن أكثر الناس لا يعلمون وأيضا لو قال الأطباء الحق لم يكونوا أغنياء

﴿ حكاية ﴾

قابات طبيبا كان تلميذي بالمدارس التجهيزية وسألته عما يدرى اللب للراءة التي قلّ لبها . فقال الكشك والفجل وعدّ أنواعا كثيرة . فقلت وكيف ذلك . فقال تأخذ ماء الفجل مثلا وتعطيه لقليلة اللب فتشربه وهذا أصح سهل ولكن الأطباء عندهم قاعدة وهي أنهم لا يقولون للرضى أن دواءك فيما هو بين يديك لأنهم لو قالوا ذلك لاحتقروا الطبيب ولم ينتفعوا بدوائه ولم يعطوه تقودا وكلما كان الطبيب أكثر حفظا لمركزه وأكثر اغرابا في القول والعمل كان ذلك أدعى للاعتقاد فيه ولوانه تنزل للمريض وقال إن دواءك في الفجل مثلا أوفى للملح لاحتقاره المريض وقال أنه جهول بل يكتبون التذاكر (الروشته) بلغة لا يفهمها الجمهور حرصا على المنفعة وجلبا للدراهم والناس جاهلون . أليس هذا تنويم للناس وتغشية على عقولهم وهم لا يعلمون

﴿ الدين ﴾

أست ترى أن كثيرا من مشايخ الطرق يستعملون أمورا غريبة ليصدقهم أتباعهم ويؤمنون بهم أفليس ذلك كساقطة صالح وإن هذا الإيمان بالشيوخ قد يصد التلميذ عن بعض العلوم ومتى علم نقيصة في شيخه رجع إلى المعاصي وهو غوى شيطان كما قال تعالى - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - وإنما الذي يحفظ الأمم إنما هو العقل والتبصر . أفلا ترى أن أكثر العامة في الإسلام يتبعون الشيوخ لأمور تقوم على يديهم إما دجلا وتزويرا وإما بأمور أخرى كالتى ذكرها ابن خلدون عن قوم يسمون البعاجه متى أشاروا إلى قطع من الغنم انبجحت بطون بعضها فيعطيه صاحب الغنم بعضها ليتقى بها سوء الفقر والهلاك فسواء صح هذا أم لم يصح خوارق العادات سواء كانت على يد صالح أو ساحر لا يمكن أن ترتقى بها أمة ولذلك نرى أتباع هؤلاء الشيوخ من الصوفية لا يرقون المجموع بل ترى معلوماتهم قاصرة على بعض الأحوال ويذرون الكون وما حواه والقرآن ومن تلاه وتقف العقول مقصورة على شيوخهم نائمة حول أضرحتهم وهم غافلون . فعلى المسامين أن يهملوا جميع الأمة تعلما عاما والا فلا حياة لهم ولادنيا ولادين . هذا ما تؤمله ونرجو الله أن يحققه

﴿ السياسة ﴾

وأما تنويم السياسة فاعلم أن الساسة في أوروبا يقولون للشرقيين قد جئنا بلادكم لنخرجكم من الوحشية إلى نعيم المدنية فإذا هم أكثر توحشا وأوسع بطونا وهم ظالمون . فهذه الكلمات يتسلى بها الشرقيون وهي كلمات يقولها المفوم للمفوم بالفتح حتى تقفل عيناه ولا تسمع أذناه ويصبح قليل العقل لاعتياده النوم وأتباع منومه وذلك ضياع لقواه المادية والعقلية . هكذا إذا نامت أمة للسياسيين فاتهم بخربون بلادهم وهم غافلون . وهكذا أتباع الشيوخ إذا نامت عقولهم تبعا لأشياخهم كان رقيها محدودا . ومن مصائب الإنسان أن يقف عقله عند حدود شيخ واحد وربما كان جاهلا . فالعقل الانساني أوسع مجالا وأوفى عاما وأرق عملا وأبعد أملا . ولست أقول إن جميع أرباب الطرق كذلك فإن كثيرا منهم صالحون مصلحون

﴿التجارة﴾

وهكذا ترى الأمم الغربية حُبست عقول الشرقيين بتجاراتهم الجبيلة المنظر فبهروهم وأخذوا تقودهم فأصبحت بلادهم خاوية على عروشها من الجهالة العمياء فلا اقتصاد ولا أعمال ولا علوم وهذا من نوع التنويم والأخذ بالعيون وإتانة الأمم واضعافها . ومن ذلك إشاعة الفسق والفجور في الأمة فيصبح الناس على الفسوق عاكفين وبالكسل راضين . سرّح طرفك في بلاد الشرق التي احتلها الفرنجة تجدهم بهذا متصفين قال تعالى - وما كان ربك ليهلك الثرى بظلم وأهلها مصلحون - . انتهى الكلام على القسم الثالث والرابع

﴿القسم الخامس﴾

وَلَوْ لَّا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَنَآتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *

﴿التفسير اللفظي﴾

(و) أرسلنا (لوطا) ابن هاران بن تارخ وهو ابن أخى إبراهيم وإبراهيم عمه (إذ قال لقومه) يعني أهل سدوم واليهيم كان قد أرسل . وذلك أن لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما السلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه السلام أرض فلسطين ونزل لوط الأردن أرسله الله إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم التبعيض وقوله تعالى - إذ قال - أي وقت قوله (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) وهذا توبيخ وتقريع على تلك الفعلة أي ما فعلها قبلهم أحد قط ثم بين الفاحشة فقال (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) وهذا مبالغة في الإنكار والتوبيخ والعاقل يأنف أن يجعل المباشرة لداع غير الوله فان الشهوات أودعت غرائزها قصد التماسل وبقاء العمران (بل أنتم) أيها القوم (قوم مسرفون) مجاوزون الحلال إلى الحرام (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من الفواحش (فأنجيناه وأهله) أي من آمن به (إلا امرأته) فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) أي الباقيين في العذاب انها كانت كافرة فهلكت مع من هلكوا (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) أي نوعا من المطر عجيبا . وبين في سورة أخرى بقوله - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ - وهو الطين المطبوع (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) * روى أن لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام نزل بالأردن فأرسله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا * وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافرينهم . اهـ

التفسير اللفظي للقسم الخامس

﴿القسم السادس﴾

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصِدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِهِ وَتَبَغُّوهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثُرَكُمُ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي
أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ
الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَمُودُنَّ
فِي مَلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِن قَوْمِهِ لَتَنُصِبُنَّ شُغُبًا إِنَّا كُنْهُمْ إِذَا خَالِسُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِئِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَالِسِينَ *
فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى
قَوْمٍ كَافِرِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

أى (و) أرسلنا (الى) أولاد (مدين) بن ابراهيم خليل الله (أخاهم شعيبا) بن ميكيل بن بشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الأنبياء لحسن صراحته قومه ثم ان أم ميكيل بنت لوط وكان شعيب أعمى وكان قومه أهل كفر ونجس
في المكيال والميزان (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التي
كانت له ولم يبينها القرآن (فأوفوا السكيل) المكيال (والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوهم
حقوقهم (ولا تفسدوا في الأرض) بالكفر والخياف (بعد إصلاحها) بعد ما أصلح من أضرها بالخصب والهداية
باتباع الأنبياء (ذلكم) الذي ذكرت وأمرتكم به من الإيمان بالله ووفاء السكيل والميزان وترك الظلم والبخس
(خير لكم) يعنى مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (إن كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين (ولا
تقعُدوا بكل صراط توعدون) وكانوا يقطعون الطريق ولما أرسل شعيب كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتنك عن دينك ويوعدون من آمن به بالانتقام (وتصدون عن سبيل الله
من آمن به) أى بالله (وتبغونها عوجا) أى وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه ووصفها للناس بأنها
معوجة (واذكروا إذ كنتم قليلا) عدكم وعددكم (فكثركم) بالبركة في النسل والمال والعدد (وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين) من الأمم قبلكم فلكم فيهم عبرة وقوله (فاصبروا) ترابصوا وانتظروا وقوله (حتى
يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بنصر المحققين على المبطلين (وهو خير الحاكمين) إذ لا معقب لحكمه لأنه
حاكم عادل منزّه عن الجور (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) الى قوله (في ملئتنا) أى ليكون أحد
الأصبرين اما اخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر ومعلوم أن شعيبا لم يكن في ماتهم وانما خاطب بما يخاطب

به الذين آمنوا تغلبوا للجماعة على الفرد (قال) شعيب عليه السلام (أ) نعود إلى ملتكم (ولو كنا كارهين) أي أتصيدوننا في حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) أي قد اختلفنا عليه (ان عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وجواب ان محذوف يدل عليه ما قبله يقول قد تخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا إلى ملتكم وقد علمنا فسادها وأنقذنا الله منها (وما يكون لنا أن نعود فيها) وما يصح لنا ذلك (الا أن يشاء الله ربنا) خذلانا وارثادنا وهذا يفيد أن الكفر بمشيئة الله تعالى ومشيئته على حسب ما سبق به القضاء وما سبق به القضاء على مقتضى حال المعامات والاستعدادات والقوابل * وكان نبينا ﷺ يقول كثيرا يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا) في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار ويوفقنا لازدياد الإيمان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحسومة • أو اظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل (وأنت خير الفاتحين) القاضين أو الكاشفين الأمور (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا (تركتم دينكم) انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالتهم بهذا كم ولأنكم تحرمون مما تنالون من البخس والتطيف وهذه الجلة سادة مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي في مدينتهم ميتين * يقال ان الله حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا * وقال قتادة بعث الله شعيبا إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظالة وأما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا جميعا (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) استؤصلوا كأنهم لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) ديننا ودنيا لا الدين اتبعوه كما زعموا فانهم هم الزائلون من الوجود وهذا رد على قولهم - لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون - ثم قال تعالى (فتولى عنهم) بعد نزول العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم • انتهى التفسير اللفظي ﴿ لطيفة ﴾

تري أن قصة أهل مدين وقصة قوم لوط قد ذكرتا بعد عاد وثمود لتكون العبرة شاملة والذكرى جامعة فكما أن قوم عاد أهلكوا بما اختاروا لأنفسهم من السحابة السوداء فهبت عليهم ريح صرصر عانية وأصبح القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فكانت العبرة في ذلك كما تقدم أن الأمم تغترب عود الأمم الخلابة فتكون عليها عذابا وهكذا ثمود هلكوا بعقر الناقة وكانت العبرة أن كفر النعم مؤد لخراب الأمم • هكذا كان في قوم لوط استبدلوا الرجال بالنساء فكان الهلاك الواقع عليهم مشيرا لما فعلوا فقال في سورة أخرى - فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل - وكذلك قوم شعيب بنحسوا الناس أشياءهم في المكيال والميزان فأرسل عليهم حر شديد فأخذ بأنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الأسراب كما قيل ليبردوا فيها فوجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلمتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا نحت السحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد في القلي وصاروا رمادا - إن بطش ربك لشديد • هذا ما يقال عن قوم شعيب عليه السلام

﴿ تطبيق هذا على حال المسلمين اليوم ﴾

اعلم أن الأمم الشرقية اليوم قد افتتنت بأهل الغرب الذين يحتلون بلادهم فبنحسوا الناس أشياءهم • ومعنى ذلك أنهم يحبون متاجر الفاتحين ويغرمون بمصنوعاتهم وهذا بنحس لأشياء أهل وطنهم وظلم لقومهم

فقد وفوا للأعداء وبخسوا الأولياء وهكذا في العلم فتراهم يحقرون دين آبائهم وتاريخهم وينسون مجدهم وهذا بخس لأبناء ملتهم وتحقير لشأنهم • هكذا في الأزياء والأحوال • تراهم يتزيون بزيمهم ويتطبعون بطباعهم ولا ينطقون إلا بلغاتهم • وهذا بخس لأهل وطنهم • وهذا أشد وقعا من البخس في المال واللبان وإذا وظفوا أجنبيا احتراموه ولو كان جاهلا • هذا هو الذي نفهمه من العبرة في ذلك • هكذا تراهم يقلبون الحقائق وهذا كما قلب الحقائق قوم لوط فقلب الله على قريتهم سافلها • هكذا ترى أهل الشرق حينما يفعلون ذلك ويستمون بالأجانب ويلبسون ملابسهم ويشربون شرابهم ويشاركونهم في ظهورهم ولعبهم ويفرحون بهم • قد جعلواهم ظلة لهم فاستظلوا بهم ربوا أولادهم على مشاربهم وأعطوا بعضهم شهادات دراسية كاذبة من بلادهم فيرجعون إلى الشرق وهم حاملوها وهم جاهلون فيجلسون على أرائك الحكم فيظلمون ولا يزالون على تلك الحال - حتى ينقض عليهم أولئك الأعداء فيفتكون بالأمم فتكاصريعا ويسلبون الظالمين والمظلومين • هكذا كان ذلك بالأندلس • وهكذا هو اليوم في مصر والشام والعراق والهند • إن هؤلاء جميعا تقوم طوائف منهم يستظلون بنظر الأمم الغربية هم ونسائهم وأولادهم كقوم شعيب حتى إذا اجتمعوا تحت الراية الأجنبية وتم لهم الفوز انقلبوا عليهم فأهلكوهم فصار النسيم سموما والرحمة عذابا والنعم حجيما فالعبرة في القصة الأربع التي مضت راجعة لحفظ البلاد من الأعداء وعمارة الخراب وحفظ النسب والعلوم وألا يبخس الوطني ويعظم الأجنبي الخ فمن احتذى بالأعداء أضربه الداء ومن نبذوا تاريخهم وألغاتهم أو أديانهم أو الجليل من عاداتهم أولم يقوموا بما وهبهم الله من أرض وعقول فينصروها ويرقوها أهلكهم الله وأذلهم كما فعل بالأمم السالفة

﴿ حكاية مصرية ﴾

أخبرني منذ أيام مفتش من أفاضل المفتشين بوزارة المعارف المصرية قال • لقد ألفت (فلان) الافرنجى كتابا في علم الفلاسفة العربية لا أفهم له معنى ولا أعقل فيه لفظا عبارات غامضة وآراء خاملة وعلوم خاطئة ولحن مشين وعلم ركيك قال فوالله لقد طلب مني تقرير هذا الكتاب بوزارة المعارف ثلاثة وزراء على التوالي فما أجبت لهم سؤالا ولا أطعت لهم أمرا ولقد تركت الوزارة هاربا ورجعت إلى العلم تائبا • انتهى أقول إن سبب هذا أن الفرنجة لا احتلهم بلادنا قبل استقلالنا بأمرؤن الوزراء أن يجلسوا كتب أبناء ملتهم هي التي تكون في مدارسنا لأنهم يعلمون أنها لا تسمن ولا تغنى من جوع والوطنيون يجيبونهم لذلك حفظا لمراكنهم واستبقاء لمراتبهم وقيام بأوامر المسيطرين عليهم

﴿ حكاية أخرى مصرية ﴾

إني أول ما ألفت من الكتب كتابا يسمى (جواهر العلوم) فقررته المفتشون في المعارف فلما علم بذلك وزير المعارف وكان متخرجاً من مدارس (الفرير) وهو من نسل تركي أخذ الكتاب وقراه فرأى أن فيه مزج العلم بالدين فلم يرقه ذلك فعمد إلى الأمر بعدم تقرير الكتاب وذلك لأنه على غير المبادئ التي تعلمها وعلى غير النظام الذي تلغاه عن المبشرين من الأوروبيين • انتهى القسم السادس

(القسم السابع)

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَنَهُمْ يَضْرَعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنْهُمْ
مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ
بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى
نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا وَلَدَتْ أَبْهَامُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا
أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ *

لقد علمت أن هذا القسم إنما هو درس على القصص المتقدمة ولقد جاء في أول السورة - وكم من قرية
أهلكناها - وأبان أن الهلاك ليلاً أو نهاراً . وقد جاء عند الآيات الكونية - ولا تفسدوا في الأرض بعد
اصلاحها - ولما كان أكثر الناس لا يعتقدون ما يرون في الأرض والسماء من العجائب التي ذكرت في القرآن
وغيره أبرزها على لسان الأنبياء كما تقدم عن شعيب . فإذا قال الله تعالى - ولا تفسدوا في الأرض بعد
اصلاحها - عند ذكر السموات والأرض أمر شعيباً أن يتوكلها لأن الجاهلين لا يفقهون إلا بالقصص وكان
الأنبياء صدى صوت الوضع الإلهي في الأرض والسماء فإذا كان الله جعل العالم منظماً ومن لم يسر على النظام
حرم من ثمرته بطريق العقل . هكذا قال الأنبياء كما ظهر في وضع الكون ونظامه - إن ربك حكيم عليم -
هذا مما ظهر في أثناء القصص فانظر كيف أتى الله درساً عاماً على الأمم تنبيهاً لما ألقاه في أول السورة
فأفاد أنه سبحانه يأخذ القرى بالخوف والبلاء والأمراض والأوجاع عسى أن يتدللوا لله ثم تغدق عليهم النعم
حتى يكثر زرعهم وضرعهم فيقولون إذا رأوا تعاقب الخير والشر وقد أثروا وتنعمو ماذا يضربنا لقد كان آباؤنا
يتقبلون في الأمرين النعيم والبؤس والخير والشر والنعمة والضرب فيأتيهم العذاب وهم لا يشعرون

ثم قال إن البركات من السماء والأرض صرت على الإيمان لأنه يوجب الاتحاد وصفاء الأخلاق وهذان
يدعوان إلى الخيرات والبركات . ثم أعاد الدرس السابق في أول السورة فكما قال هناك - وكم من قرية
أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً وهم نائمون - وقد ذكر القرى التي أشار إليها فأهل لوط جاءهم العذاب بياتاً وقوم
شعيب جاءهم نهاراً هكذا قال هنا هم أنتم أولاء قد سمعتم ما حل بالأمم فقوم هلكوا ليلاً وقوم هلكوا نهاراً
كما قلنا أفأمنتم أن ينزل عليكم العذاب ليلاً أو نهاراً كما سمعتم . أقول والله لا نأمن ذلك لأن الحروب في
العصر الحاضر تأتي للامم الغافلة وهي على غير استعداد وقد جعل الله هذا القرآن ذكرى لنا ولقد رأينا
الطائرات تحوم في الجو فتحرق قرى المسلمين تارة ليلاً وتارة نهاراً في العراق وفي الشام وفي بلاد الغرب كما
كان في الأمم السابقة . فإذا قال الله - أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا الخ - نقول والله لا نأمن يا الله
فإن العذاب الذي ذكرته قد عايناه بأنفسنا ولمسناه بأيدينا وأصبح المسلمون اليوم حيارى سكارى من شدة
الجهالة العمياء واتباع الشهوات . إن المسلمين اليوم مساكين لجهل بعض علمائهم وشهوات بعض كهرائهم
وهم غافلون نائمون وسيصلح الله أمرهم ويمل شعبيهم عما قريب . حقق الله الآمال

ثم يقول هل أمتهم مكر الله أوليس نظامه يقضي أن يهلك الذين لا ينفقون وكيف يضل الناس وهم قد
ورثوا أرضاً بعد فناء أهلها وهم يطلعون على آثارهم ويدرسون توار يخهم كما يدرس الناس اليوم تاريخ قدماء

المصريين والاشوريين والبابليين وأهل سبأ والمهينيين وأهل أصرىكا القدماء والاشوريين والبابليين
يقول انكم أيها الناس تقرؤون تاريخهم وتطلعون على آثارهم وأنتم تعلمون انهم ما هلكوا بعد عظمتهم
ولا ذلوا بعد أنفهم إلا بعد أن غيروا نظمهم وعصوا علماءهم وطغوا وظلموا فعاقبناهم وجعلناهم مثلاً لكم
أفلا تخافون أن أطبع على قلوبكم أي أختم عليها فلا تفهم الحقائق لتراكم الضلالات والبدع عليها فلا تعرف
الحق وتكون الحياة كلها تقليداً وجهلاً

يا محمد أنا قصصت عليك قصص تلك القرى وقد كذبوا الأنبياء وقد طبعنا على قلوبهم هكذا نطبع على قلوب
الكافرين لمشابهتهم في الأعمال فتشابهوا في النتائج • ان أكثر الأمم لا عهد لها • ان أكثر أهل الأرض
فاسقون لأن العالم الأرضي مقدمة لعالم أعلى منه وليس عالماً تاماً كاملاً والناس فيسه أطفال جهال وسينقلون
في عالم أرقى بعد الموت • ولكل درجات مما عملوا •

﴿ تفسير بعض ألفاظ الآيات ﴾

(البأساء) البؤس والفقر (الضرراء) المرض (يتضرعون) يتذللون (بدلنا مكان السيئة الحسنة)
أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء نعمة ورخاء (عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم • يقولون عفا
الذنبات اذا كثروا وقوله (أهل القرى) أي التي أرسل اليها الأنبياء (افتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)
بالمطر والنبات أولاً تبتناهم بالخير من كل وجه وقوله (بما كانوا يكسبون) أي بكفرهم وقوله (أفأمن أهل
القرى) عطف على قوله (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) وما بينهما اعتراض والمعنى أبعث ذلك أمن أهل
القرى وقوله (بياتاً) أي تبياتاً أو وقت بيات أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البتوتة وقوله (وهم نائمون)
حال من ضميرهم البارز والمستتر في بياتنا وقوله (أو أمن أهل القرى) أي اغفلوا وأمنوا وقوله (ضحى) أي
ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وقوله (وهم يلعبون) يلعبون من فرط الغفلة أو يشتغلون
بما لا ينفعهم وقوله (أفأمنوا مكر الله) هذا تقرير لقوله • أفأمن أهل القرى • ومكر الله استعارة لاستدراج
العبد وأخذه من حيث لا يحتسب وقوله (الخامرون) أي الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار وقوله
• أولم يهد • أي أولم يبين فلذلك عديت باللام وقوله (ان لو نشاء) أي ان الشان لو نشاء (أصبناهم بدنوبهم)
وان وما بعدهما في تأويل مصدر فاعل يهد وقوله (ونطبع) أي نختم (على قلوبهم) معطوف على ما يؤخذ من قوله
• أولم يهد • كأنه قيل أينغل الناس فلم يبين لمن يرثون أرض من خلا قبلهم أنا قادرون أن نصيبهم بدنوبهم
ثم قال • ونطبع • كأنه يقول يغفلون ونطبع ويصح أن يكون مستأنفاً وهو أسهل وقوله (تلك القرى) أي
التي ذكرناها وهو مبتدأ خبره (نقص عليك الخ) وقوله (بالبينات) أي المعجزات وقوله (وما وجدنا لأكثرهم)
أي لأكثر الناس أولاً أكثر الأمم المذكورين (من عهد) أي وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم
في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج أو ما يعطون من العهود وهم في مخالفة فيقولون • لن أنجيئنا
من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا أكثرهم لفاستقن) وجدنا علمنا وان هذه هي الخففة واللام
فارقة • ويقول الكوفيون ان نافية واللام بمعنى إلا كأنه قيل وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين • انتهى
القسم السابع

(الْقِسْمُ الثَّامِنُ)

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ

لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ *
 قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
 ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْتَانُ لِلنَّاطِقِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا
 لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَإِذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
 وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تُولِي بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
 لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُتَرَبِّينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا
 أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ
 وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَزِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
 يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ *
 وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ
 أَنُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَا قُطْعَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ *
 قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنْقُمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
 الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَالْأُفْهَاتُ قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ
 مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
 عَادُوَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 بِالسِّنِينَ وَنَقَمْنَا مِنَ الشَّجَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا إِنَّا هَذِهِ وَإِنْ
 تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِيُتَسَحَّرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْمَلَّ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ
عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ
كُم بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُحُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمُكِّفُونَ عَلَى
أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ
هُوَ إِلَّا مُتَبَرِّجَةٌ مَا لَهُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ * وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي
وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي
أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا
تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي نَخَذُ مَا آتَيْتُكَ
وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
نَخَذُهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ
الَّذِينَ يَسْكُبُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَإِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا آلَهُ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا
أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا

أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَعْنًا لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ
 مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقِ
 الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضِعُّهُنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي
 فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا
 فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
 وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا
 وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَافُورٌ رَحِيمٌ * وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ
 وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ * وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا
 أَلِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا
 فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا
 إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
 مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
 الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ
 آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
 وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا
 وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
 عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا

من جهلة بني اسرائيل إذ قالوا - يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة - وكيف رضى السحرة المصريون أن يموتوا وهم موقنون ورضوا بالقتل وهم مسلمون . وكيف عبد بنو اسرائيل عجلا مصنوعا من الذهب بعد مارأوا العصا قابلت ثعبانا فهم بذلك أشبه بالضبيان يفرحون بالخواي حتى اذا سئموها أكلوا غيرها وكالذين يبيعون الرطب من النخل الذى هم زارعوه يأكلون رطبًا كثيرا فاذا سئموا منه أكلوا سمكا ملحًا وهكذا شأن جميع الناس فى أمورهم الجسمية يستحسون تغيير المناظر والأطعمة والملابس والأزياء والسفر الى البلدان ترويحاً للنفس من عناء الأعمال . فالعالم المادى كثير التلون والتغير وعلى ذلك لاثبات له . فأما الثبات فليس يكون إلا لعالم المعنويات والبراهين العقلية والمعلوم الرياضيات والحجج المنطقية فذلك هى المعلوم الباقية والآراء الثابتة والأحوال الصادقة . فانظر كيف كان ايمان الجهل أضعف أثرا وأقل دواما . وكيف أضل السامري بنى اسرائيل إذ صنع لهم - عجلا جسدا له خوار - فقال - هذا إلهكم والله موسى -

وفى هذه الآيات دلالة أن الجهاد من المهد الى اللحد فان موسى عليه السلام بعد أن حاج المصريين ونجى قومه وذهب الى التيه معهم أصبح فى جسدال وحوار معهم وهم يكفرون تارة ويؤمنون أخرى فهو محارب لعدوه وعلى حذر من قومه ولكن العاقبة للمتقين فقد فاز بقبولهم الألواح واهتدوا بهديه وأصبحوا مؤمنين . فهذه القصة تعطى علم الصبر وان النجاح يتبعه وتفيدنا أن الايمان يقينى لا سبيل اليه إلا بالعلم والنجاح لأمة إلا بالعلم فأما التقليد فانه شر مستطير . فالأول كالسحرة والثانى كبنى اسرائيل وتعلمنا أن الانسان مجاهد مادام حيا فلا يركن الى أحد فانهم جميعا متقلبون وليس الحذر من الصديق بأقل قوة من مقاومة العدو بل الأولياء والأصدقاء هم الذين يراقبون لأن القلوب متقابة والنفوس الانسانية غير ثابتة كالمادة التى فيها يتقلبون وأيضا هؤلاء ملازمون والأعداء مفارقون والمعاشر اذا ضرب لم يخطئ فى ضربته بل يصيب المرمى . ولذلك قال ﷺ رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر جهاد النفس . وذلك لما رجع من إحدى الغزوات وثرى هذا واضحا فى هذه القصة فان موسى كانت عدوة فرعون له وقتية ونجاة منه . أما قومه وأهله فقد تلونوا مرات كثيرة . سئموا المن والسلوى . وعصوا أن يدخلوا الباب سجدا . وعبدوا العجل وهكذا فلا تظهر عورات الأمم الا فى حال أمنها . أما فى حال الخوف فانهم بالعدو مشغولون . وهؤلاء لم تظهر عيوبهم إلا بعد أن خرجوا من مصر ففرغوا لما استعدت له نفوسهم من التلون والتفرق والغباوة والشك والاشراك ولذلك ختمت هذه القصة بأية أخذ العهد وسياق أن العهد الذى أخذه الله على الناس يرجع الى نظام العالم وجماله وكأنه ناطق بصريح العبارة أن الله لا رب سواه وأردف ذلك بقصة من هو عالم وترك العلم فلم يعمل به وعصى وانسلخ منه وصار شيطانا مريدا . فأدغم فى هذه القصة العلم اليقيني ولا يكون إلا بالنظر فى الطبيعة بدليل العهد المأخوذ على الناس فى مناظر الأرض والسموات ويتوالى العلم الصبر والأخلاق الفاضلة وتكون النتيجة الموز والنجاح

وتعجب كيف تكون هذه القصص كلها على نسق واحد وقد كانت تنلى على المساميين وهم ضعفاء فتقوى عقائدهم ثم كيف أصبحوا أقوياء مشاكلة لقصص الأنبياء . هكذا تكون المعلوم . وهكذا تكون المعجزات . وهذه هى الفوائد المستتجة من الآيات لفائدة إلا بنحو ما ذكرناه . ولا نفع إلا فى نحو ما حررناه

فأما القراءة اللفظية والتفسير الحرفية فانما هى شأن المقرئين وقراء القرآن الجودين ولكن حياة الأمم بالاستنباط والاستدلال والرقى بغير ذلك وأمثاله محال . وانبدأ بالتفسير اللفظى فنقول . قال تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله - ولقد جاءتهم رسلهم - (موسى بإياننا) بالمعجزات الواضحات (الى فرعون وملكه فظالموا بها) فكفروا بإياننا أجرى مجرى الكفر لأنهم آمن واد واحد وفرعون لقب لكل من ملك مصر ككسرى الملك فارس (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف

فعلنا بهم وكيف أهلكناهم (وقال موسى يافرعون إني رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) أي أنا حريص على ألا أقول على الله إلا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل) فظلم يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم (وذلك أن يوسف عليه السلام) لما توفي غلب فرعون على نسل الأسباط واستعبدتهم لأن المصريين القدماء كأهل الصين لا يسمحون للغريب أن يطأ بلادهم ولكن لما دخل العرب العمالة مصر واستوطنوها نحو خمائة سنة أباحوا دخول الأجانب كالعبرانيين . ولما شب يوسف عليه السلام وعظم شأنه وأصبحت في يده خزان مصر أرسل إلى أبويه وأخوته فأتوا مصر وبعد مدة رجع المصريون إلى فكرة الخوف من الأجانب فاضطهدوا بني إسرائيل بحكم تنازع البقاء فجاء موسى وقال لفرعون فأرسل معي بني إسرائيل (والمدة بين دخولهم أيام يوسف وخروجهم أيام موسى الذي انقذهم أربعمائة عام) (قال إن كنت جئت بآية) من عند من أرسلك (فأنت بها إن كنت من الصادقين) فأتني بها لتصح دعوائك ويثبت صدقك فيها (فأتى موسى عصاه فإذا هي إذا هذه للفاجأة وهي ظرف زمان بمنزلة تمت وهناك (أعنان مبين) حية عظيمة وقوله - مبين - ظاهر . روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فأغراها فاه بين لحية ثمانون ذراعاً وضع لحية الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وانهمزم الناس مزدحمين فمات منهم (٢٥) ألف نسمة الخ . وهذا لم يذكره القرآن فلانعرف إلا ما جاء به أو ما ثبت في أحاديث قام البرهان على صحتها وعلى كل فالهم في هذا كله العبرة من هذه القصص فالقصص تذكر بمناسبتها العاوم وما عدا ذلك يكتفي به القاصرون واعلم أن هذه الحية العظيمة كانت خفيفة الحركات فمن يراها يظن أنها جان أي حية صغيرة كما في آية أخرى - مكانها جان - أي في خفة الحركة فهي كبيرة الجسم خفيفة الحركة (ونزع يده) من جيبه أو من تحت إبطه (فإذا هي بيضاء للناظرين) معناه أن اليباض لم يكن من جبلتها وطبيعتها لأن سيدنا موسى عليه السلام كان آدم شديد الأدمة فليس في يده بياض فلما أدخلها في إبطه وأخرجها إذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس فصار بياضها للناظرين لافي جبلتها ويصح أن يقال بياضاً خارجاً عن العادة تجتمع عليه النظارة (قال الملائكة قوم فرعون إن هذا لساحر عليم) ولقد جاء في سورة الشعراء - وقال فرعون للملائكة حوله إن هذا لساحر عليم - اعلم أن مجلس الأعيان والنواب عن البلاد والملك على رأسهم متى تشاوروا في أمر وأقرروه بعد المراجعة والمخاطبة أصبح مقولاً لهم جميعاً وإذا كان هذا قولهم هنا وقول فرعون في سورة القصص فعنه أن الأمر كان شوري وكان الرأي متى تمّ عملوا به بدليل أن الملائكة قالوه هنا وفرعون سيقوله في الشعراء فإن الحكومة لا تعمل بالمشورة إلا بعد تمامها فكان ذلك إشارة إلى الحكومة المنظمة إذ ذاك يقول الملائكة تقول الحكومة وقول الملائكة جعل في القرآن في السورة التي تقدمت على السورة التي ذكر فيها قول فرعون وهذا من عجائب العلم والحكمة . تقول الأمة فتخضع الحكومة . ومعنى كونه ساحراً علماً أنه يأخذ بأعين الناس حتى يخيل إليهم أن العصا صارت حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه كما أراه يده بيضاء وهو آدم اللون وقد كان السحر غالباً في مصر (يريد أن يخرجكم من أرضكم فإذا قامرون) تشيرون في أن تفعل (قالوا أرجه) أي أرجئه أي أخره أي أخر أمره وقرئ - أرجئه - على الأصل (وأخاه) هارون (وأرسل في المداين حاشرين) جامعين (ياتوك بكل ساحر عليم) ماهر بصناعة السحر (وجاء السحرة فرعون) بعد ما أرسل لهم الشرط في طلبهم (قالوا أئذ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) وهذا جواب سؤال كأنه قيل ماذا قالوا إذ جاؤا (قال نعم) إن لكم لأجراً (وانكم لمن المقربين) عطف على الجملة التي سبقتها (قالوا يا موسى إما أن تلقى واما أن نكون نحن المقربين) خبروا موسى مراعاة للأدب وأظهاراً للجلادة وان كانوا هم أنفسهم يرغبون أن يلقوا قبله (قال القوا) من باب الكرم والتسامح وحسن الخلق والأدب

اللائق بالأنبياء (فلما ألقوا سحرُوا أعين الناس) بأن خيلوا إلى الأعين ما يخالف الحقيقة (واسترهبوهم) وأرهبوهم أرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) في فنه * يقال انهم طلوا ذلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا أيضا وألقوها على الأرض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى خيل للناس أنها حيات والأرض إذ ذاك قد امتلأت بالحيات وأوجس في نفسه خيفة موسى لأجل فزع الناس خيفة أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية (فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي تبتلع ما يزورونه من الافك والافك هو صرف الشيء عن وجهه يقال انها لما تلقفت حبالهم وعصيتهم وابتلعتهما بأسرها أقبلت على الحاضرين لتبتلعهم أيضا فهربوا وازدحجوا حتى هلك جمع عظيم منهم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فثبت لظهور أمره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة والافك (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) أي صاروا أدلاء مهوتين أوردجوا إلى المدينة أدلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (وألقى السحرة ساجدين) لله أي ان الله جعلهم على السجود حتى ينكسر فرعون وينهزم بمن أتى بهم عدة ليكسر بهم موسى وانقلب الأمر عليه فان الحقيقة تظهر ويخدمها ما هو في جانبها وما هو في صف عدوها على السواء فالحقيقة غالبية ولو بعد حين ومادام الانسان على الحق فانه غالب لا محالة (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون * قال فرعون آمنتم به) بالله أو بموسى (قبل أن آذن لكم إن هذا لكم مكرتموه) أي ان هذا الصنيع حيلة احتتموها أنتم وموسى (في المدينة) في مصر قبل أن تخرجوا للبعاد المضروب (لتخرجوا منها أهلها) أغنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهذا تهديد مجمل ثم فصله فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنكم أجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا وخزيا لكم وعبرة لغيركم (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) بالموت فلا نبالي بوعيدك * وقيل في المعنى

واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جانا
ثم قال الله تعالى (وما ننقم منا) وما تنكر منا (إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) أي ما تنكر منا إلا إيماننا ولا جرم أن حرية الفكر هي مبدأ السعادات فاذا لم تكن أحرارا في آرائنا فالقبر خير لنا ولم يبق لنا إلا الرجوع إلى الله (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افرانا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام * قيل انه لم يفعل بهم ذلك فلم يقدر على انفاذ وعيده فيهم لما جاء في آية أخرى - أنما ومن اتبعكم الغالبون - وهنا قد فرغت الحاجة وخذل القوم من جهة السحر وعادة القوى أن يستعمل الحجة فاذا بطلت استعمل القوة وهذه عادة الأقوياء مع الضعفاء وأوروبا مع أهل الشرق ولذلك أعقبه بقوله (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) أي أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها (ويذكرك وأهلك) معطوف على يفسدوا * ومعلوم أن مصر فيها معابد كثيرة وفيها أبواهل وغيره وكانوا كالأصابيين يعبدون الكواكب ويجمعون لها على الأرض أصناما تبنى لتأخذ بالباب العابدين ولهم جداول وفقية للكواكب السبعة وفيها حساب دقيق قد ذكرت ملخصه في أول سورة البقرة وإن الله هو الواحد فله عدد (١) وأما المادة التي بها هذه الكائنات فلها عدد (٢) وزحل (٣) والمشتري (٤) والمريخ (٥) والشمس (٦) والزهرة (٧) وعطارد (٨) والقمر (٩) وقد كانوا يجمعون لها مبرعات يكتبونها في صحائف من ذهب في أوقات خاصة لمنافع يزعمون أنهم ينالونها وتلك المبرعات ناشئة من ضرب العباد في نفسه * فمثلا المشتري له عدد (٤) وشكله (١٦) وتجد الأعداد في الطول والعرض اذا جمعتهما تكون متساوية وهي تبثدي بواحد وتنتهي بعدد (١٦) وكل صف أفقي أو رأسي

أو قطر من القطرين مجموعته (٣٤) فإذا كان الصف الأعلى (٤) و (١٤) و (١٥) و (١) والذي تحته (٩) و (٧) و (٦) و (١٢) فانك تجد كل واحد (٣٤) وهكذا ولما جاء الارتباط في هذه الأشكال قواعد يمكن وضعها بها في غاية السهولة . ويظهر أن هذه الأشكال كانت تخاب عقولهم إذا علموا أن حسابها منظم مدروس فتحدث في النفس الانسانية استهواء فتصير في حال أشبه بحال التنويم المغناطيسي فبمثل هذا كانوا يعبدون الصور المصنوعة والصور المصنوعة قائمة مقام الكواكب والكواكب من صنع الله الذي هو الواحد وهي من تكرار الواحد فلو كان الاثنان وهو المادة ولولاها ما كان الثلاثة وهو زحل وهكذا فكل واحد هو وما قبله سبب فيما بعده كما ان كل عدد هو وما قبله علة لما بعده . هذه هي الآراء التي كانت فاشية عند أكثر الأمم القديمة . ومعلوم أن فراعنة مصر كانوا ينسبون للعوالم العالوية انتسابا خرافيا كما لو كان الصين وماوك اليابان ولولا بطلان الآراء القديمة ما تقدم نوع الانسان لأنه اذا كانت الكواكب السبعة هي التي وقف عليها علوم البشر وحاولوا حوها وجعلوا النظام الالهي الشمسي قاصرا عليها حتى تصل الى القمر الذي من تحته عالمنا الأرضي فما كان يتسنى للناس أن ينظروا السيارات الجديدة مثل (لوررانوس ونبتون) كما أوضحناه في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام في سورة الأنعام فلما قال الملائكة من قوم فرعون ذلك (قال) فرعون (سئقتل أبناءهم) صغارا كما كنا تقتلهم قبل ولادة موسى (رفستحي نساءهم) نتركهن أحياء لنستخدمهن وذلك لنقل عدد بني اسرائيل الذين يعتز بهم موسى (وانا فوقهم قاهرون) وهم مقهورون تحت أيدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه وذلك ليسكن قلوبهم (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) هذا وعاء لهم بالنصر وانهم سيفتجون من قبضة المصريين والأرض للجنس لا للعهد والافنوا اسرائيل لم يملكوا القطر المصري (قالوا) أي بنوا اسرائيل (أؤذينا من قبل أن تأتينا) بالرسالة بقتل الأبناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) أي جنس الأرض وهي هنا فلسطين وهذا وعد صريح بعد التأويل زيادة في التثبيت لزيادة الشكوى وتكرارها (فينظر كيف تعملون) فيرى ما تعملون من شكر وكفر وطاعة وعصيان فيجازيكم على مقتضى أعمالكم وحقيقة قد فعل بهم ذلك لأنهم لما خرجوا الى فلسطين كانت لهم حكومة جمهورية ثم حكومة ملكية ثم طغوا في الأرض فأذلم الله على يد مختنصر فقرهم في جهات أصهبان ثم رجعوا وعصوا أيام عيسى عليه السلام فأجلاهم الروم الجلاة الكبرى قبل انتهاء القرن الأول المسيحي ولم يرجعوا الى الآن . نعم في هذه الأيام أرجعهم الانجليز في الحرب الكبرى ولكن لا ندري ماذا يصنع الله بهم بعد الآن . هذا معنى قوله تعالى - فينظر كيف تعملون - فليس بمجرد النصر كفايا كما انه ليس بمجرد الانتساب الى الاسلام كفايا فالمدار على الأعمال

﴿ الآيات التي أنزلت على موسى عليه السلام ﴾

اعلم أن قصة موسى في التوراة ذكرت في سفر الخروج فذكر في أوائله أن بني اسرائيل بعد موت يوسف تغيرت حالهم عند الماوك الذين جاؤا من بعد فقالوا ان بني اسرائيل قوم أجانب عنا واذا حدث حرب ينضمون الى اعدائنا ويحاربونا ويفسدون في الأرض فسخرهم وأذلهم وجعلوا عليهم رؤساء من المصريين ليستخروهم فبنوا لهم مدينتين وهما (مخازن فيثوم ورعسيس) وكانت أهم أعمالهم في الطين والتراب وعمل الزراعة فهم يصنعون اللبن للبناء ويزرعون الحقول وكان ما كان من قتل الأطفال ونجاة موسى من القتل وهو طفل وكيف كبر موسى ونصر الاسرائيلي على القبطي رقتل المصري ثم فر وتوجه الى شعيب وتزوج ابنته بمدين وكل هذا سيأتي تفصيله في سورة القصص والتوراة قد أطالت القول فيه ثم رجع بامرأته فأوحى الله اليه لما رأى النار في شجرة العليق وأمره بأن يخاطب فرعون فامتثل أمر الله . ولما رجع الى مصر

أظهر آية العصا وآية اليد لبني إسرائيل فآمنوا . ثم توجه إلى فرعون ومعه أخوه هرون بأمر الله فقالا لفرعون وهذا نص التوراة

﴿ هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعبدوني في البرية . فقال من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه . ثم زاد الكرب والضغط على بني إسرائيل بحيث كانوا يؤمرون بجمع التبن لأجل ضرب اللبن فضلا عن عدد اللبن المطاوب منهم المفروض على كل منهم ﴾ يقول في التوراة ان موسى حينما دخل على فرعون كان ابن ثمانين سنة وهرون كان ابن ثلاث وثمانين سنة . وأمر الله أن يلقى العصا أمام فرعون فصارت ثعبانا . ويقول إن السحرة المصريين رموا عصيهم فصارت ثعابين فابتلعت عصا موسى وعصيهم والذي رماها هو هرون بأمر موسى . ثم لما لم يمتثل فرعون ولم يرسل بني إسرائيل أمر الله موسى أن يقول لفرعون ﴿ ها أنا ذا أضرب العصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فتحول دما ويموت السمك الذي في النهر فيعاف المصريون أن يشربوا ماء من النهر الخ ﴾ ولم يمتثل فرعون بعد ذلك ولم يطلق بني إسرائيل ف ضرب هرون العصا بأمر موسى على الأنهار والسواقي الخ فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر . وفي كل هرة يستغيث فرعون ويقول ﴿ أرسلهم معك ﴾ ثم بعد زوال المصيبة بدعاء موسى وهرون يغدر عليهما ثم كان ضرب العصا أيضا فعم البعوض بلاد مصر ثم الباب ثم موت المواشي ثم السمامل ثم نزول البرد من السماء على هيئة مطر فتموت البهائم التي في الحقول والنار كانت تلتهب في وسط البرد ثم كان الجراد ثم كان ظلام دامس

فاذن الآيات المذكورة في التوراة اليد والعصا والدم والضفادع والبعوض والباب وموت المواشي والسمامل والبرد والجراد والظلام الدامس . وقد جاء في هذه الآيات العصا واليد وقد تقدمتا . وقد ذكر غيرها من البقية فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالجذب لقلة الماء والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذ كر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات والآفات (لعلهم يذكرون) لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم فترق قلوبهم بالشدة فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) كالخشب والسعة (قالوا لنا هذه) لأجلنا ونحن مستحقوها (وان تصيبهم سيئة) جذب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشاموا بهم ويقولوا ما حل بنا هذا البلاء إلا بشؤمهم وهذا من قسوة القلب فان المصائب انما تحل بالناس لترقق القلوب . فأما هؤلاء فان قلوبهم اشتدت صلابتها فهم كالطين يتماسك ويتصلب بايقاد النار عليه بخلاف الماء وأنواع السوائل فان النار تلتفها . فالناس اذن ﴿ قسمان ﴾ قسم تهذيبه المصائب فهو كالمواد المستعدة للدوبان . وقسم تقسي قلبه فهو كأنواع الأحجار والطين وما أشبه ذلك ومنهم من يحتاج إلى نار شديدة تهذيبه كالحديد والنحاس ثم قال تعالى (ألا انما طأثرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقتدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة . قل كل من عند الله . (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) يعني أيما شيء تأتينا به . وبين مهما المفسرة بما ذكر بقوله من آية لتسحر بها أعيننا وأشبه علينا . فما نحن لك بمؤمنين . والضمير في به وفي بها لهما ولكنه مذكرا أولا باعتبار لفظ مهما ومؤنث ثانيا لما بينت بلفظ آية ومهما في محل نصب بفعل يفسره تأتينا أوفي محل رفع بالابتداء (فارسلنا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغشى أما كنهم من مطر وسيل . وقيل الموتان أو الطاعون وهذا القول الأخير قريب مما جاء في التوراة (والجراد والقمل) قيل هي البراغيث (والضفادع والدم) وقد تقدم أكثر ذلك نقلا عن التوراة (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه) إلى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة كما قدرناه عندنا في علمنا القديم (إذا هم ينكثون) أي فلما كشفنا عنهم العذاب فاجؤا بنكث العهد ونقض الميثاق

ولقد تقدم ذلك في عبارة التوراة فقد كانوا كلما عاهدوا موسى أن يدعوا الله برفع العذاب وبعد ذلك يأذنون له بأخذ بني اسرائيل فيدعوا الله ويستجاب الدعاء يتكثرون ثم يأمره الله بآية أخرى وهكذا في كل مرة يعاهدونه ثم ينقضون الميثاق بعد ذهاب العذاب عنهم (فانتقمنا منهم) والانتقام ضد الانعام كما ان العقاب ضد الثواب (فأغرقناهم في اليم) هو البحر وهو معظم الماء (بأنهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) وهم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارك الأرض ومغاريها التي باركنا فيها) أى مشارق الأرض المقدسة ومغاريها وهي بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وهذا هو الذي تم فعلا في التاريخ وأما ذكر مصر في هذا الموضوع فهي خرافة دخلت في كتب التفسير وهي كاذبة بأمرين التاريخ وهو معلوم والقرآن فان الأرض التي بارك الله فيها في القرآن لا تطلق الا على الأرض المقدسة . ألا ترى الى قوله تعالى - سبحانه الذي أمرى بعبد ليله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله - فافهم (وتمت كلمة ربك الحسنی على بني اسرائيل) وهي قوله تعالى - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون - فهذه تمت كلمة الله الحسنی لهم بأن ملكهم أرض بيت المقدس (بما صبروا) بسبب صبرهم على الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من المباني العظيمة وبعض الاهرامات والعمارات (وما كانوا يهرشون) أى ما كانوا يستقفون من ذلك البنیان أو ما كانوا يبنون من البيوت والقصور . وهذا تمام قصة فرعون وقومه . وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

قد علمت أيها الذي أن هذا القصص جاء تذكرة لنا وآيات موسى من الجراد والقمل والعصا واليدمضت في الأيام الغابرة والعصور الدائرة وبنو اسرائيل الأولون قد ماتوا ونحن الآن في عصر لانهم فيه إلا بما ينفعنا لأن الله يقول - وذكرى للمؤمنين - فأما الذكرى لنا فاعلم أن النذر والالام والبلايا اذا صلبها الله على قوم فانه لا يريد إلا ايقاظهم ورفيقهم وهؤلاء القوم اما أن يكونوا كالطين كما قدمنا فيزدادوا صلابة فيستحقوا النار كاللبن المصنوع من الماء والطين والتبن اذا ضربته الشمس صلب فيوضع في التنور فيزداد صلابة . واما أن يكون كالشج أو كالزبد فاذا سلطت النار عليهم لانت شكيمتهم وسلبت طبيعتهم وانقادوا خاشعين خاضعين كلماء ينزل الى الأنهار فيجري وكالسمن من الزبد . ولقد فعل الله ذلك مع المسلمين في مشارق الأرض ومغاريها فأزل عليهم ظلم الأمم التي حولهم مرة بعد أخرى على وفاق ما فعل الله في مصر على يد موسى وهرون عليهما السلام وأقرب أمة (الأندلس) هؤلاء أبناء العرب اخواننا أصابتهم مصائب متكررة من الفرنجة في قرون عدة فلم يزدادوا إلا حبا للشهوات وقربا من الظلم وبعدا عن العدل واختلاف كلمة وبعدمودة وعذابا واصبا ماله من دافع فزقوهم شراً ممزق وأسكنوهم للحدود حامدين وورثوا أرضهم وديارهم وهم مطرودون . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

ان بني اسرائيل لما صبروا نجاحهم الله وأسكنهم في بيت المقدس . وهكذا تتم كلمة الله الحسنی على كل أمة صبرت وجاهدت . ألا ترى أن دولة (بولونيا) قد مزقت بين ثلاث دول من أوروبا أى بين روسيا وألمانيا والنمسا فبقى أبناؤها حافظين ذكرى بلادهم وهم صابرون حتى اذا جاءت الحرب الكبرى استقلت بلادهم وحفظوا كياناتهم . فاذا تمت كلمة الله الحسنی على بني اسرائيل بما صبروا فهي تتم على كل أمة صبرت ويقال لها - وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاريها - فاذا لم تسكن بيت المقدس الذي

لبنى اسرائيل فهي الأرض التي أنبتهم الله منها . وهكذا اليونان والبلغار والسرب والجبل الاسود وأعم كثيرة جاهدت وصبرت فأخذت استقلالها وأصبحت أمة لا سلطان لأحد عليها . وانظر الى دولة الترك ودولة الأفغان ودولة الفرس المسلمين كيف نبذوا الأجانب في هذه الأيام وأخرجوهم من الديار بما صبروا وهم فازون وانظر الى الأمم التي حكمتها دولة القياصرة أزمانا وأزمانا وجعلوهم في حكم دولة واحدة وهي (روسيا) كيف استقلت بما صبرت . هذا هو الوعد الذي وعده الله للأمم وهذا الوعد صادق على جميع الأمم فلم يذكر ذلك في القرآن لأجل سواد عيون بني اسرائيل وإنما هو لأهل المشارق والمغرب فالصابرون هم الذين ينالون الاستقلال لهذا أنزل القرآن . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة قوله تعالى - ودهرنا ما كان يصنع فرعون وقومه إلح - ﴾

اعلم أن مدائن بلادنا المصرية كانت كثيرة وقد شاهدت بعيني رأسى المدينة التي هي قريبة من قريتنا وهي قرب الزقازيق وتسمى (تل بسطة) واسمها قديما (بوسطيس) باسم معبودهم وهو (بست) وهي القطة وقد وجدت محنطة هناك فكنت أرى في حدائث سنى بنيانها مرتفعات ارتفاعا شاهقا جدا يعلو على كل بناء مشيد قديم العهد أو حديثه وكأنها مدينة بنيت فوق مدينة وهذه الأبنية عبارة عن آكام وقد يكشف الناس عما تحتها فيظهر بعض الجدران باللبن الذي عاش نحو أربعة آلاف سنة وكم وجدوا فيها من كنوز . وهذه المدينة بما حولها ربما بلغت أربعة آلاف فدان . أما الآن فقد انقضت تلك الآكام ولم يبق إلا أطلال دارسة قليلة جدا تحافظ عليها الحكومة . وكما في البلاد من مدن مثل هذه أو خلقها الله فوجدناها مخربة لا يدري إلا لله كيف كان خرابها . وقد سألت أستاذى في علم التاريخ (اسماعيل بك رافت) فقال خربت بزلزلة كبرى بدليل ما شوهد في معبد من معابد تلك المدينة أن الأعمدة مائلة والله أعلم بغيبه

وهذا هو قوله تعالى - ودهرنا ما كان يصنع فرعون وقومه - ثم بدلت الحال بعد قرون وبدل الدين المصرى القديم بالدين المسيحى والاسلامى . هذا معنى قوله تعالى - ودهرنا ما كان يصنع فرعون وقومه إلح - أيضا . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

اعلم أن تدمير ما صنعه فرعون وقومه لم يكن إلا في قرون متطاولة وذلك لأسباب عمرانية وأخلاقية ودينية وأهم ما أزال ملك المصريين القدماء خرافاتهم الدينية كما يشير لها القرآن إذ كانوا في القرون الأولى قوما عارفين بجلال الله وجماله . ومن غرامهم به بنوا في الأرض معابد عجيبه باقية للآل ونصبوا لها كل قد شاهدنا آثارها في جهات منف (٢) واهرام الجيزة وغيرها . ثم لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم بحكم السنن الإلهية في الأرض واستدراج الأمم بما جلبوا عليه من التفنن والاغراق في الدين حتى يصبح الدين الجديد كأنه ليس من الأضل في شئ . مثلا كانوا يقدسون الطيور لأن العلماء أمرهم بحفظها لتأكل الديدان فعبدوا بعضها بعد التقديس فتقدسها بأمر الدين وعبادتها افراط كذلك البقر مقدس لمنفعته فعبدوه . ولقد شاهدت مدافن الجول التي كانوا يعبدونها في جهات (سقارة) فوجدت هناك نحو ٢٤ مدفا قد سرقت منها تلك الجول وتلك المدافن لاتزال باقية وهي أحواض زرق حجرية كبيرة يزورها الناس للتفرج عليها ولم تكشف إلا قريبا وهكذا توسع النوم في الامور الجسمية وعبادتها حتى عبد قوم جهة اصوان (الغتم) وآخرون (السمك) ولا تزال ترى في المدافن سمكا صبروه وغنا من الذهب تستخرج للآن ويتنافس فيها المتنافسون من الفرنجة هذه أمة بعد أن كان نظرها الى الكواكب والشمس وانها من نور الله وكانوا صابئين أصبحت أنظارها

(٢) قوله منف، واهرام الجيزة قال البيضاوى في تفسيره منف على ضفة النيل الغربية أعنى محل مدينة (الجيزة) الآن اه مصححه

متجهة الى العوالم الأرضية ففسدت النفوس وخربت العقول فانظروا ماذا جرى لما حضر النمرس بجيوشهم وعلى رأسهم الملك الفارسي قاتلوا جنود المصريين وقد عرف الفارسيون ضعف عقول المصريين وعقائدهم فأحضروا القطط المعبودة عندهم المقدسة في دينهم فأوقفوها بين الصفيين فتخرج المصريون من ضربهم خيفة على القطط التي هي آلهة في الأرض فأوغل الفارسيون فيهم قتلا وأسرا . ومن ذلك الحين سقط مجد مصر وهوت الى أسفل سافلين . فانظر كيف كان الدين سبب الهلاك . بهذا خربت مصر . ولهذا قال الله - ودعنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يهرشون - . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

كما ان المصريين تدلوا في الدين ونزلوا في العقل . هكذا كثير من الأمم الاسلامية تفرقتوا شيعا بمثل الطريقة التي تفرقت بها المصريون سواء بسواء وانحطت دولهم بسبب التفرق الديني . ألم تر كيف ذلت النفوس وصغرت العقول وأصبح كل فريق من أرباب الطرق يختص بأهل طريقته ولا يعتقد الفضل إلا فيهم ثم يقوم آخرون وآخرون وهم يتغالون في شيوخهم ولا يزالون يقدسونهم حتى يخيل لمن يراهم أنهم على دين غير دين الاسلام . وهذا هو التغالي في الدين . ولقد علمت أن شيخا عالما أزهريا قد اتبعه عشرات الآلاف في مصر وفي مدينتها وفي قرأها وذلك في زماننا الحاضر وقد تمسك بأمور مثل ان (العذبة) التي تنزل من العمامة فرق بين المسلم والكافر ويتمسك بأن بعض البدع تورث الكفر حتى اعتقده أتباعه أن المسلمين جميعا كفار وهم المؤمنون . وهكذا قام آخر منا معاشر المصريين واستباح لنفسه أن يذكر أتباعه اسمه مائة ألف مرة في اليوم فكما يقولون (الله) يقولون (فلان) وهكذا أمة الاسلام أصبحت اليوم فرقا ذاق بعضها بأس بعض . وكما رأيت أن (قنيز) الملك الفارسي غلب المصريين بأمر ديني . هكذا ترى أهل أوروبا ضحكوا على عقول المسلمين واقتطعوا منهم طوائف لغلوهم في أمور دينهم أو قس يطهم

ان المسلمين ظنوا أن الدين هو مافي كتب الفقه وحده ولو أنهم عرفوا أن القرآن أوسع ألف مرة من الفقه ودرسوا مافيه وانتبهوا للأمثال ما ذكر الآن لكانوا أقرب الى التعاون . ولكن القرآن من أيام الأئمة الأربعة رضى الله عنهم تركه الناس استغناء عنه بالفقه وأفهمهم العلماء أن خلاصة القرآن الفقه وماعدا ذلك فاعما هو بركة يتبرك به الناس لا غير . فبهنا أصبح المسلمون شيعا وظنوا أن فروع الفقه هي الدين والحق أنها سياج الدين وحارس الدين لانفس الدين . أما نفس الدين فهو عجائب هذا القرآن كالتى ذكرها الآن لتقريب فهم مقاصده ومرامييه الى الأذهان لتهديب العقول ورفع منزلة النفوس وتدميث الأخلاق وتوسيع المدارك

وسيقوم بها قوم أعلى مقاما وأرفع نفوسا في العلم وأطول في الفهم باعا - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - واعلم أنه لا سبيل لرقى المسلمين إلا بأمر واحد وهو تعميم التعليم ونشر العلوم الطبيعية والرياضية والتأمل في عجائب السموات والأرض مع التحلى بالدين فانهم بذلك تتفق مشاربهم وتقوم قائمتهم . فالعلوم وتعليمها هي الدواء وماعدا ذلك فهو هراء وهواء . انتهت اللطيفة الخامسة

﴿ اللطيفة السادسة ﴾

ان هذه القصة تخص بلادى وأهلها المصريين فنحن وقومنا سكان وادى النيل وقد ورثنا أرضهم ورأينا آثارهم وبلادنا كانت مراتع الأجانب منذ أيام (قنيز) للآن ولم نقدر أن نتخلص منهم الى الآن منذ ألفى سنة فأكثر . ولكن في هذه السنة حين تأليف هذا الكتاب قد نال قومي حكما ذاتيا ولنا مجلس نواب ومجلس شيوخ وعسى الله أن يتم أمرنا ونفوز بالاستقلال ويرجع الفلك الى دورته الأولى - والله هو الولي الحميد - . انتهى الكلام على قصص فرعون وقومه واطائف ذلك الستة

ثم أخذ سبحانه يبين عقول بني اسرائيل وما هو مقدار قلوبهم وفهمهم بعد أن نجوا من أرض مصر
فإن شأن الانسان اذا مسته البأساء أن يتضرع حتى اذا نجا من الهلاك طفى . فأما فرعون وقومه فقد
تقدم القول فيهم وهذا القول خاص ببني اسرائيل وفيه ذكر

- (١) طلبهم عبادة الأصنام وردة موسى عليهم وكيف سفه احلامهم
- (٢) وذكر وعد الله لموسى بالمناجاة واعطاء التوراة وكان ذلك بعد اتمام (٤٠) ليلة
- (٣) وذكر استخلاف موسى لهرون وذكر بعض وصايا التوراة
- (٤) وذكر اتخاذ قوم موسى عجلا من الحلي كما اتخذ المصريون العجل (ابيس) معبودا
- (٥) وذكر رجوع موسى لهرون وقومه واعتذار هرون له
- (٦) وذكر اختياره السبعين رجلا من قومه ليتوجهوا معه
- (٧) وذكر الاستطراد بمدح الأمة المحمدية التي بشر بها التوراة والانجيل
- (٨) وفداء الناس جميعا أن نبينا ﷺ رسولهم
- (٩) وقصتهم في السبت والحكم عليهم بتفريقهم في الأرض شذر مذر أجمعين . فهذه تسع مباحث
واليك بيانها

﴿ المبحث الأول ﴾

قال تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) فصاموا يوم عاشوراء شكرا لله تعالى (فأتوا على قوم
يعكفون) يقيمون ويواظبون (على أصنام لهم) تماثيل بقر * يقال انهم كانوا نازلين بالركة أى ساحل
البحر (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة) لأن الله لانراه وهذه نراها فنعبدها لتقربنا الى الله زلفى
(قال انكم قوم تجهلون) وكيف تطلبون ذلك بعد ما عرفتم كفر المصريين لعبادتهم الأصنام والتماثيل (ان
هؤلاء متبرّ ما هم فيه) أى مكسر مهتم فالله يهدم دينهم الذى هم عليه فالديانات التابعة للصورة متقلبة
كتقلب الصور لاثبات لها (وباطل) مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا التقرب بها الى
الله تعالى (قال أغير الله أبغىكم إلهًا) أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) الجلة حالية ومن
شأن الانسان ألا يحمد الله إلا على الصفات الخاصة بنفسه والامتياز الذى له على غيره . وهذا شأن أكثر
الناس لجهاالتهم والا فالله عند التحقيق يشكر على النعم العامة والخاصة بل العامة أولى فهنا ذكر لهم أنه
فضلهم على العالمين . ثم أردفه بنجاتهم إذ قال (واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب)
أى واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت حال كونهم يسومونكم الخ ثم أبدل منه قوله (يقتلون أبناءكم
ويستحيون نساءكم وفى ذلكم) أى وفى الانجاء أو العذاب (بلاء من ربكم عظيم) نعمة أو محنة عظيمة .
اتمنى المبحث الأول

﴿ المبحث الثانى ﴾

انما ذكر الله هذه المباحث التى تتعلق بجهل بني اسرائيل ليثبت قلب رسول الله ﷺ على ما يصيبه
من قومه فليس نصره فى غزوة أحد وبدر وأمثالهما مما تقدم ذكره فى سورة آل عمران بدافع ما سيفعله
المنافقون من الكذب والافتراء على دين الاسلام كما فعل بنو اسرائيل وليبين للمسلمين كيف كانت الأمم جاهلة
فيحتسبون من جهلهم . ولما أبان جهلهم ذكر بعد ذلك ما أنعم الله به على موسى إذ علمه التوراة ونجاه
وهذا جزاء المحسنين فانه نفع قومه وأخرجهم من الدل فأخذوا يرتدون والله يجزى المحسنين فيزيدهم من
فضله . فاذا جهل قوم موسى فان الله قرّبه اليه واصطفاه وأنزل عليه التوراة فان جزاء العبد عند ربه لا
عند الناس . هذا ما يفيد هذا المقام فليصبر الانسان على ما يصيبه من الناس فذلك مقو لروحه كما قويت

نفس موسى حينما آذاه قومه بعد ايداء فرعون وقومه . ثم قال تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة (وأعمناهم بعشر) من ذى الحجة * ذلك أن موسى عليه السلام وعده بنى اسرائيل اذا امدك عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده به فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ويعمل ما يقترب به الى الله ثم كلمه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها . فلهاذا قال - وأعمناهم بعشر - وهو تفصيل ما أجعل في سورة البقرة في قوله - وواعدنا موسى أربعين ليلة - ثم قال تعالى (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) بالغا أربعين ليلة . انتهى المبحث الثاني

المبحث الثالث

(وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) ولا تطع سبيل من دعاك الى الفساد (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا بمدين (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وكلام الله ليس ككلام الناس فليس يأتي من جهة خاصة فلا جهة له خاصة فلما سمع كلامه الذي ليس بحرف ولا صوت اشتاق الى رؤيته وغلب الشوق عليه هنالك (قال رب أرني أنظر اليك) ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك أو تمجلي لي فأنظر اليك وأراك (قال لن تراني) بعين فانية بل بعين باقية (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقي على حاله (فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل) ظهر له عظمته وأصدى له اقتداره وأمره * ويقال أعطى الله له حياة وعلم ورؤية حتى رأى الله فلما رأى الجبل ربه (جعله دكا) مذكوكا مفتتا والدك والحق أخوان * وفي قراءة - دكاء - أي مستوية بالأرض إلا أكمة فيها وناقة دكاء لاسنام لها (وخر موسى صعقا) حال أي سقط مغشيا عليه (فلما أفاق قال) تعظما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجرأة والاقدام على السؤال من غير إذن (وأنا أول المؤمنين) أي أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا لأن النفوس البشرية مهملات فغلاظها بالدنيا تمنعها من رؤية ذاتك العلية وإذا كانت الكهرباء والمغناطيس والجاذبية والقوى الخفية في المادة لا تقدر أن تراها في الدنيا لشدة لطافتها وغلظ أجسامنا التي سكنت فيها أرواحنا بل ان مادة الأثير وما فيها من الذرات لم يرها أحد في الدنيا ولم يعرفها إلا بالبرهان فليس من المعقول أن نراك في الدنيا بل ان أرواحنا اذا تجردت من المادة لا قدرة لها أن تراك مادامت أقرب الى أحوال المادة وعلاقتها بها إذ لا مناسبة بينها وبين جمالك . اللهم الا اذا ارتقت أرواحنا وخاصت واطنات وخلعت جميع العلائق المادية بعد دهور ودهور فحينئذ يمكن أن نشاهد ذاتك لقرب الأرواح من التجرد عن المادة وتكون تلك الرؤية بعد معرفة جميع العوالم والوقوف على عجائب صنعك إذ يستحيل التوصل للطين إلا بعد اختراق الحجب الكثيفة كلها ومعرفة أسرارها حتى يزداد قربا ويزداد قرب يزداد الشوق الى أن يصل الى الكمال وقد عرف أسرار كل موجود واذن يصل الى المقام الأعلى عند سيرة المنتهى ويرى ربه جل وعلا بما لا يعلم من الأحوال المغيبة عن الناس . ثم قال تعالى (قار يا موسى اني اصطفتك) اخترتك (على الناس) الموجودين في زمانك وهرون كان تحت أمر موسى (برسالاتي) هي أسرار النورا (وبكلامي) وبكلامي اياك (نخذ ما آتيتك) أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة ولاشكر على النعمة إلا بصرفها فيما خلقت له بأن تباع الرسالة مجدا في ذلك (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) مما يحتاجون اليه من أمر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شيء) أي وتبيينا لكل شيء من الأمور والنهي والحلال والحرام وقوله - موعظة - بدل - من كل شيء - أي كتبنا كل شيء من المواعظ والتفصيل الأحكام (نخذها بقوة) أي فقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح كل شيء خذها بحجة واجتهاد أوخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالنسبة الى الانتصار

والاقتصاص على طريقة النذب والحث على الأفضل (سأريكم دار الفاسقين) كمنزل عاد وثمود ومن نحاه
نحوهم من الأمم البائدة كقوم (معيين) الذين كشفوا حديثنا وكو بار التي قال فيها الشاعر
وصية دهر على وبار * فهلكت جهرة وبار

وانما أريكم دارهم لتتبروا بهم وتتحاموا أعمالهم فلا تقعوا فيما وقعوا فيه من الهلاك والسمار والبوار
(لطيفة في كلام الله مع سيدنا موسى فوق الجبل)

في هذا المقام جاء في التوراة في سفر الخروج أن بني إسرائيل ارتحلوا الى برية سيناء ونزلوا مقابل الجبل
وأما موسى فصعد الى الله فناداه الرب من الجبل وأخذ يأمره بما مخلص به من ياتي

(إني نجيتكم من المصريين وجئت بكم الى * واذا حفظتم وصاياي وعملتم بها كنتم أمة مقدسة) فبلغ
موسى هذه الكلمات الى شيوخ الشعب فأجاب جميع الشعب ثم قال له الله (إني سأقي اليك في ظلام السحاب
ثم أوصاه أن يتهيأ الشعب بالنظافة وغسل الثياب ولا يقربوا النساء الى اليوم الثالث وفي ذلك اليوم صارت
رعود وبروق على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب * وكان جبل (سيناء) كله
يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الاثون وارتجف كل الجبل ارتجافا شديدا جدا
وموسى يتكلم والله يجيبه * ولم يؤذن لأحد بصعود الجبل إلا لموسى وهرون * وأما بقية الشعب فهم تحت
الجبل) ومن كلام الله له مامعناه ومخلصه ما ياتي

(١) لا تعبد إلهًا غيري ولا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء وما في الأرض الخ

(٢) لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا

(٣) اذكر يوم السبت وقديسه * اجعل ستة أيام واسترح السابع لان صنع فيه عملا ما لا أنت ولا ابنك
ولا ابنتك ولا عبدك ولا أمتك ولا بهيمتك وكل من هو داخل أبوابك

(٤) أكرم أباك وأُمَّك لتطول أيامك على الأرض

(٥) لا تقتل (٦) لا تزن (٧) لا تسرق (٨) لا تشهد على قريبك شهادة زور

(٩) لا تشته بيت قريبك

(١٠) لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك

وكان الشعب من بعيد يرتعد من الرعود والبروق وصوت البوق وبارأوا من دخان الجبل فالشعب كان
واقفا من بعيد * وأما موسى فاقرب من الضباب حيث كان الله * وقد ذكر في هذا المقام أن العبد اذا
كان امراياليا لا يخدم الا ست سنين وفي السنة السابعة يصير حرا * ومن الأحكام ما ياتي

(١) من ضرب انسانا فمات يقتل قتلا

(٢) من ضرب أباه أو أُمَّه يقتل قتلا

(٣) من شتم أباه أو أُمَّه يقتل قتلا

(٤) واذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرمي الثور ولا يؤكل لحمه * فأما صاحب الثور فانه يقتل اذا

كان ثوره نطحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فان لم يكن ذلك فهو بريء * واذا وضعت عليه
فدية فليدفع كل ما يوضع عليه

(٥) واذا نطح ثور انسان ثور صاحبه فمات يبيعان الثور الحي ويقتسمان ثمنه والميت أيضا يقتسمانه الخ

(٦) اذا سرق انسان ثورا أو شاة فشدبحة أو باعه يعوّض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة

من الغنم

(٧) ان وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم

(٨) لا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر
 (٩) لا تسئ إلى أرملة ولا إلى يتييم . ان أسأت إليه فاني ان صرخ ان أسمع صراخه
 (١٠) ان أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالرأبي لا تضعوا عليه ربا . اه المقصود
 أقول ها أنذا قد أسمعتك بعض وصايا التوراة وأحكامها بما سمعته موسى عليه السلام وهو على الجبل
 لتطلع على الأخلاق التي لا تنافي أخلاق ديننا وسائر الديانات وعلى الأحكام الشرعية التي تختلف عن أحكامنا
 الشرعية المحمدية بعض الاختلاف باعتبار اختلاف الزمان والمكان والأهم . ثم ان هذه الأحكام والوصايا
 وأمثالها في التوراة وفي الانجيل وفي القرآن لا يعقلها ولا يقوم بها إلا القلوب المتواضعة النقية . أما أرباب
 الكبرياء والعظمة فانهم يأنفون أن يخضعوا للحق . فاذن الكبر حجاب بين المرء وبين الحقائق العلمية .
 وعلى ذلك يعيش المتكبر ويموت وهو غافل عما بين يديه من العاوم والمعارف ويكتفي بما يعلمه ولا يزيد علمه
 لكبريائه الذي حال بينه وبين ماله من الجائبات الحكيمة العلمية والعملية والسموية والأرضية ولذلك أعقبه
 بقوله تعالى (سأصرف عن آياتي) المنصوبة في الآفاق وفي الأنس (الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)
 فلا يتفكرون في السموات والأرض ولا يسمعون كلام الأنبياء ومواعظهم كالقرآن والتوراة (وان يروا كل
 آية) منزلة أو معجزة (لا يؤمنوا بها) لعنادهم ولذلك لا يتبع الأنبياء في أول بعثهم إلا الضعفاء والفقراء (وان
 يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا) لاستيلاء الكبرياء عليهم كما تقدم في أول السورة من كبرياء ابليس الذي
 جعل أساسا لهذه المعاصي (وان يروا سبيل النقي يتخذوه سبيلا * ذلك) الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا)
 بسبب تكذيبهم للآيات (وكانوا عنها غافلين) أي وعدم تدبرهم للآيات فلا تعاط لهم بها (والذين كذبوا
 بآياتنا ولقاء الآخرة) أي ولقاءهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الدار الآخرة (حبطت أعمالهم) لا ينتفعون بها
 (هل يحزون إلا ما كانوا يعملون) أي الا جزاء أعمالهم . انتهى المبحث الثالث

المبحث الرابع والخامس

اعلم أنه جاء في التوراة أن الرب قال لموسى اصعد الى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشرعة
 والوصية التي كتبتها لتعليمهم فقام موسى ويشوع خادمه وصعد موسى الى جبل الله . وأما الشيوخ السبعون
 فقال لهم اجلسوا لنا ههنا حتى نرجع اليكم وها هوذا هرون وحور معكم فن كان صاحب دعوى فليتقدم اليهما
 فصعد موسى الى الجبل فغطى السحاب الجبل وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام . وفي
 اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب . الى أن قال . وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين
 ليلة . وهنا أعطاه أوامر أهمها ما يخص صنع التابوت المقدس الذي يجعل من خشب السنط وطوله وعرضه
 وهناك ذكر البخور وأنواع الزينة كالذهب والفضة وما أشبه ذلك . وكيف تصنع المائدة من السنط . وكيف
 تغشى بالذهب ويكون عليها اكليل من الذهب . وكيف تصنع المنارة من ذهب نقي . وكيف يصنع المذبح
 وقد أطلال الكلام في هذا المقام في التوراة بتفصيل عجيب وبيان أوفى

ثم قال ﴿ ولما رأى الشعب أن موسى أبطا في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم
 اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أسمعنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال
 هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم واقتوني بها ﴾ ثم أفاد أن هرون عليه
 السلام هو الذي صنع العجل من ذلك الذهب وبنى هرون مذبحا أمامه وقال غدا عيد للرب

﴿ يقول مؤلف الكتاب ﴾

تبارك الله انه لولا أن القرآن نزل لأيقن الناس أن هرون وهو نبى قد صنع العجل . انى لأعجب من الأمم
 السابقة كيف كانوا يبيحون لأنفسهم أن يغيروا الحقائق . وكيف يقال ان هرون كفر بالله وصنع عجلا . ان

القرآن قد أتى بالحقائق الناصعة وسيأتي نص الآيات وأن الذي صنع العجل هو السامري . فتعجب من تلك الأمم ومن تغييرهم الكتب المقدسة . فترى النصارى يرضون أن عيسى إله واليهود يقولون أنه كذاب . وترى اليهود يعتقدون أن هرون صنع العجل من الذهب والقرآن أتى بالحقائق ونزه الأنبياء عليهم السلام وفي ذلك الوقت أخبر الله موسى أن قومه زاغوا عن الحق وأفهمه كل ما حصل فرجع موسى إلى قومه فأبصر العجل والرقص فغضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل ثم أحرق العجل وطحنه وذراه على وجه الماء ولام هرون كما في الآيات الآتية . وأمر جميع بني لاوى فقتلوا من الشعب ثلاثة آلاف كما تقسم في البقرة ثم صعد إلى الجبل وطلب المغفرة من الله كما في الآيات الآتية أيضا لأنه قال ﴿والآن ان غفرت خطيئتهم والا فامحني من كتابك الذي كتبت﴾ فاستجاب الله دعاءه ووعدهم أن يملكوا الأرض التي وعدهم بها ويرسل لهم ملكا ولا يكون هو في وسطهم لأنهم شعب صلب الرقبة . وهنا ذكر كيف قال الله لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراى ويهش . ثم قال فتتظروا رائي وأما وجهي فلا يري ثم أمره أن ينحت لوحين بدل المكسورين ففعل وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع اسرائيل وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر . وهنا في سفر الخروج وصايا كثيرة جدا وكذلك في السفر الذي بعده وهو المعلنون (اللاويين) بما يستغرق عشرات الأوراق واعلم أن هذه أهم النصائح في النوراة . واذ ذكرت لك ملخص ما في التوراة في هذا المقام مع انحراف بعضه عن الحقائق العلمية وعصمة الأنبياء فاسمع الآية قال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده ذهابه للبيقات (من حلهم عجلا جسدا) من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البديل (له خوار) صوت البقر * يقال ان السامري لما صاغ العجل ألقى في فيه من تراب أثرفرس جبريل فصار حيا * وقيل صاغه بنوع من الخيل فتدخل الريح جوفه وتصور كما نراه الآن في السيارات (الانوموبيلات) واعلم أن الناس في العصور السابقة في الاسلام قد توصلوا لما هو أبعد من ذلك اضلالا فيأتون بعجل مذبح مطبوع ويوضع على المائدة ويحضرون (ضفدعة) ويضعونها في داخل فم الثور فيكون لها نقيق وهو يشبه صوت البقر . وكم من حيل يعملها الناس ليغشوا الناس بذلك فلامانع أن يفعل السامري أمثال ذلك ثم قال تعالى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) فكيف يتخذونه إلهة والاله يرشد عباده ثم كرره للذم فقال (اتخذوه) إلهة (وكانوا ظالمين) واضعين الأشياء في غير مواضعها (ولما سقط في أيديهم) أي ولما اشتد ندمهم . وأصله أن من اشتد ندمه يعض على يديه غما فتصير يده مسقوطة فيها لأن فاه وقع فيها وسقط وقوله في - أيديهم - مسند اليه (ورأوا) وعلموا (أنهم قد ضلوا) باتخاذ العجل (قالوا نحن لم يرحنا ربنا) بانزال التوراة (ويغفر لنا) بالتجاوز عن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين * ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب * وقيل خزينا (قال بئسما خلفتموني من بعدى) فعلتم بعدى حيث عبيتم العجل وما ذكره موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد انطلاقي إلى الجبل خلافتكم (أعجلتم أم ربكم) أي أعجلتم وعد ربكم الذي وعدني من الأربعين وقد ترم موتي وغيرتم بعدى كما غيرت الأمم بعد أنبيائها (وألقى الألواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه (يجرّه اليه) توهمها بأنه قصر في كفهم وكان عليه السلام حولا لينا ولذلك كان أحب إلى بني اسرائيل (قال ابن أم) ذكر الأم ليرفق عليه وكان من أب وأم (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) وقاربوا فتكى (فلا تسمت بي الأعداء) فلا تفعل بي ما يسمتون بي لأجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) معدودا في عدادهم بالمؤاخذه (قال رب اغفر لي) بما

صنعت بأخى (ولأخى) أن فرط في كفهم وإنما ضمه الى نفسه في الاستغفار ليرضيه وليدفع الشجاة عنه قال (وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم منا بنا وأرحم من أمهات الطير وسائر الحيوان بأولادها فرحتها كلها مشتقة من رحمتك ومستمدة منها ثم قال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سيئاً لهم غيب من ربهم) وقد حصل ذلك بالقتل المذكور فيما تقدم (وفلة في الحياة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم (وكذلك نجزي المفترين) على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهي قولهم - هذا إلهكم والله موسى - (والذين عموا السيات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمن وما هو مقتضى من الأعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب ولو كان عبادة العجل أو كثر كذنب بنى اسرائيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) باعتذار هرون وتوبتهم وفي الكلام مبالغة من حيث جعل الغضب كانه كان مغرياً له فسكت عن الاغراء (أخذ الألواح) التي ألقاها أوالتي أحضرها بأمر الرب على ما تقدم ان صح ما في التوراة الحاضرة . وأيضاً فيها أنهما لوحان فيكون الجمع لما فوق الواحد وان لم يصح ما في النسخة الموجودة فالجمع هنا على حاله (وفي نسختها) وفيما نسخ فيها أى كتب (هدى) بيان للحق (ورحة) ارشاد الى الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) أى للذين هم يرهبون معاصي الله لربهم

﴿ لطيفة ﴾

جاء في التوراة ما ملخصه في هذا المقام أنه لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يده لم يعلم أن جلده وجهه صار يلمع فخافوا أن يقتربوا اليه فدعاهم موسى فرجع اليه هرون وجميع الرؤساء في الجماعة فكلهمهم موسى وبعد ذلك اقترب جميع بنى اسرائيل فوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج ثم يخرج ويكلم بنى اسرائيل بما يوصى به فاذا رأى بنو اسرائيل وجهه موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه . وإنما نقلت لك هذا لتعلم نوع أقوال التوراة في هذا المقام حتى لا يفوتك أهم ما فيه . انتهى المبحث الرابع والخامس

﴿ المبحث السادس ﴾

قال تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا) أى من قومه والمراد بالملاقات الميقات الذي كلمه فيه ربه وقد تقدم هذا المعنى منقولا عن التوراة الحالية وبه قال بعض المفسرين . وقال آخرون ان هؤلاء السبعين حضروا للاعتذار من عبادة العجل (فلما أخذتهم الرجفة) إذ ذنوا من الجبل ودخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوا الله يكلم موسى بأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه - وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة - يعنى الصاعقة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى) تنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية أو بعبادتهم العجل وهؤلاء السبعون قد اختيروا للاعتذار كما هو رأى المفسرين فغشيتهم هيبة قلقوا منها ووجفوا (إن هى الا فتنتك) ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو وجدت في العجل خواراً فزاعوا به (فضل بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده (وتهدى من تشاء) هدايه فيقوى به ايمانه (أنت ولينا) القائم بأمرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا (وارحمنا وأنت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبديها بالحسنة (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفي الآخرة) الجنة (إنا هدنا اليك) تبنا اليك وهداه اليه يهود اذا تاب ورجع واهود جمع هائد وهو التائب . هذا هو الدعاء الذي دعا موسى به الله فكأنه يقول يارب كيف نعمم النعمة والعاصون أقل من المغضوب عليهم . وكيف تؤاخذنا بالفتنة وإنما هي

من عمالك فانت المضل وأنت الهادي . وأيضاً أنت متولى أمورنا . ثم رتب على هذه الثلاثة طلب المغفرة ليخلصوا من الذنب ثم الرحمة ثم أن يجعل عيشهم سعيداً في الدنيا والآخرة لأننا تبنا اليك . فأجاب الله على هذا السؤال فقال سبحانه وتعالى . إني وإن كانت الفتنة من خاقي والهدى من عندي فلي الحجة البالغة (عذابي أصيب به من أشاء) أصابته وهل أشاء إلا ما كان حكمة وعدلاً فأسلط عذاب الفقر على من اتكل على عمل غيره وعذاب الهم واضطراب القلب والحزن على من جعل جمع المسال كل همه وعذاب المرض على من ترك أعضائه وجسمه فلم يشغلها بالحركات لتنشط وتقوى . وأسلط عذاب الجوع على من ترك الغذاء حتى يأكل . وأسلط عذاب الشبق ولذع الشهوات على قوى المزاج حتى يقترب بمن تلذ له ولدا . وسلطت الندم والألم على من لم يخلص في عمله بأن قصد بعمله رضا الأزواج أو الولد أو السلطان أو الجيران أو نحو ذلك ولم يكن موجهاً قصده إلى الله تعالى فإن العالم السفلي أكثر أهله جاهلون يكذبون الأنبياء ويؤذون العلماء ويسبون للحسين ويعق الولد أبويه فإذا كانت الوجهة شخصية ندم العلماء والمحسنون على ما عملوا من خير لمن جحد به فلا سعادة لأحد إلا بالأخلاص في عمله وتكون وجهته الاقتداء بمالك الملك امتثالاً لأمره أنه يفعل رحمة واحساناً لأرياء ولا طلباً للكفاة . وأسلط حزن الجهل على من ترك العلم كسلاً ونحوه . وبالجملة أسلط العذاب على من لم تكمل جميع قواه الجسمية والعقلية فليكمل جسمه بأنواع الرياضات ليقوى وعقله بالعلوم ونفسه بالتهذيب وأهله بالأكرام وأُمته بالنصيحة وأهل دينه بنشر العلم وهكذا فمن نقص شيئاً من ذلك عذبه عذاباً أرقى نفسه به . إن العذاب هو الشريعة العادلة . شريعة عادلة هي سوط أنزلته في الأرض أسوق به الناس إلى السعادة ولو أتى لم أشأ العذاب للناس وهم مشرطون لما تروا في بعض يوم . فالآلام نعمة جليلة ترقى النفوس إن هذه الشريعة التي حتمتها في الطبيعة تعاقب على الصغيرة والكبيرة وعلى العمى والخطأ والغفلة لأنها لا تغفل طريقة عين . وليس هذا ظاهراً لأنها ناطقة بلسان فصيح ﴿ لا تغفلوا أيها الناس ﴾ وتعلموا العلوم وتفطنوا . وعلى ذلك تكون الرحمة ﴿ قسمين ﴾ قسم هو اللذات . وقسم هو الألم كما يؤلم الأب ابنه والاستاذ تلميذه والطبيب مريضه المرء وما أشبه ذلك . وأنا لم أفعل في خلق أقل من الطبيب ولا المعلم ولا الاستاذ بل اعملي أبداع احكاماً وأعظم شأناً . فاذن الآلام من أجل النعم . وهذا قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) لأنه بعد هذا البيان أصبح الألم نعمة فأين العذاب اذن ولا عذاب الا حيث الألم ولا ألم الا حيث المنفعة وتهذيب النفس أو نحو ذلك . وإذا وسعت الرحمة كل شيء فلم يبق من اعتراض بعد . وإذا قال موسى - ان هي إلا فتنتك نضل بها من تشاء الخ -

يقول الله هنا فتنته ليستيقظ ولا أزال أفتنه وأعذبه حتى يستيقظ . فهذه الفتن كالدعات الجوع ومن ذا يقول ان ألم الجوع نعمة . ومن ذا يقول ان ألم العضو المريض الذي ينادى بلسان فصيح ﴿ كل ما نقص مني ﴾ ومن ذا يقول ان هذا غضب وأين الرضا . ان الألم من الجوع والعطش والمرض والشبق والحقد والحسد تنطق بلسان فصيح أن كل الغذاء واشرب الماء وداو العضو وتزوج من تلذ لك ونظف قلبك من الغل لأن نار الحقد ستحرقك وعذاب الحسد سيهلكك وما أشبه ذلك . ان الناس في عذاب وهم لا يشعرون . وفي ألم رهم وهم لا يبصرون . فغنى عرفوا ألم النفوس كما عرفوا ألم الأجسام أفلحوا عن تلك الذنوب وتغذوا بالمعارف وتركوا الحقد والبخل والحسد وأمثالها فيصبحون سعداء ويصبحون في نعيم مقيم - لا يمنع الناس من فهم ما ذكرناه إلا جهلهم وكبرياؤهم - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

ولما كان هذا المقام من الدقة بمكان بحيث لا يعقله إلا الحكماء ولا يدركه إلا الكبراء ولا ينال حدته إلا أولوا الأبواب شرع يذكر الأم التي تدرسه وتعرفه حق معرفته وهو ما يأتي

﴿ البحث السابع ﴾

قال تعالى (فسأكتبها) فسأثبتها في الآخرة (للذين يتقون) الكفر والمعاصي (ويؤتوت الزكاة) وخصها بالذكر لأنها أشق (والذين هم بإيمانهم يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها . ثم أبدل من الذين يتقون قوله (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الذي لا يكتب ولا يقرأ فأكمل عامه مع عدم القراءة وهذا معجزة من معجزاته ثم وصفه فقال (الذي يحسنونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأصرونهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم وخنم الخنزير والربا والرشوة (ويضع عنهم أصرهم) وهو الثقل الذي يأصرونه أي يحبسونه عن الحراك لنقله . والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وكبعض الأحكام الشاقة التي تقدم ذكرها نقلا عن التوراة ثم قال (والأغلال التي كانت عليهم) هي الأحكام الشاقة السالفة الذكر (فالذين آمنوا به) بمحمد ﷺ (وعزروه) وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو . وأصل العز المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح (ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي ﷺ والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية والنعيم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذه الآية لا مجال للشك فيها أن ما رمى إليه إنما هو فيما يبدو للقارى أن من اتبع نبينا رسول الله ﷺ وقد جاء وصفه في التوراة والإنجيل فإنه ناج ومن كفر به من النصارى واليهود مع ثبوت وصفه في كتابيهما المقدسين فإنه داخل النار لأنه سجد حقيقة لمجرد الشهوات الدنيوية والعناد والحسد وحب الرياسة أو التقليد الأعشى . والتأمل يجد فيها معنى أدق وهو أن محاورة موسى عليه السلام تدور على كل لسان وفي كل جنان ولا تزال جميع البيانات وعلوم الفلسفة تذكر هذا السؤال ﴿ لم يعذبنا الله وأبين رحمته . ولم أضر وأجوع وأدخل جهنم . ولم هذه كلها ﴾ فأجاب الله أن عذابه لحكمة وإنما قلنا لحكمة كما تقدم لأنه قال - ورحمتي وسعت كل شئ - وعلى ذلك يكون المعذب داخلا في الرحمة وقت تعذيبه لأن التعذيب ثمرته الانذار والتذكير . ومن ظنّ التذكير عذابا فما أجعله . ومن ظنّ الوعظ حجما فما أضله . إن أكثر الناس غافلون . والنوع الانساني مادام لا يفرق بين النعمة والنعمة فهو طفل . وما دام الناس لا يعلمون أن الآلام مذكرات عدوها شقاء ومتى عدوها شقاء لم يعتبروا بها ولم يتداركوا ما فرط منهم فيكونون أشبه بالأطفال يكون والطبيب يداويهم ولا يعلمون أن هذا لمصلحتهم فهم يكونون دائما في عذاب

ولما علم الله أن الأمة التي سترقى في المعارف والعلوم إنما هي الأمة الإسلامية فهو لاء هم الذين سيعرفون حقائق الأشياء ويدركون سر الرحمة ولذلك كتبها لهم . وكيف تكتب الرحمة لمن لا يعقلها أو تساق الهدية لمن لا يتقبلها فلا يزال الناس في عذاب حتى يدركوا الحقائق ومتى أدركوها زال عنهم النصب والعذاب الواصب ولا سبيل للعلم في الآخرة إلا بعد التفكر في الدنيا . ولما كانت أمة الاسلام لم يمض عليها من الزمن غير ألف وثمانئة سنة وكانت أمة اليهود محصورة العدد لأنهم يكرهون اتساع دينهم لأنه دين قوم مخصوصين وأمة النصارى قد نبذت تعاليم كتابها وفككت بأهل الأرض . خطر بنفسى أنه سيأتى في هذه الأمة أناس مفكرون حكماء لم يسمح بهم الدهر وهؤلاء يدركون حقائق العالم الذي نحن فيه فيعلمون الرحمة ونتائج الآلام وما أشبه ذلك فينالون الرحمة تامة في الآخرة ككثير من سلفنا السكرام الذين أفيضت عليهم المعارف وأدركوا الحقائق . - ولله عاقبة الامور -

﴿ لم خلق الانسان وهو في آلام وذنوب وظلمات وما فائدته من الوجود ﴾

ومما يناسب هذا المقام ما دار من الحديث بين وبين بعض الفضلاء من مفتشى وزارة المعارف العمومية

المصرية . وهذه صورتها

جلست وطائفة من العلماء والسادة الأدباء ممن لهم قدم في العلم راسخة . وشهرة في الفضل ذائعة . من رجالات وزارة المعارف وأخذنا تتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث . فقال أوسطهم مقاما وأفصحهم كلاما وأوسعهم جاها حدثني رعاك الله حديث هذه الدنيا والحياة فيها وما شأنها وكيف ضل أهلها وفجر أعظمها ولم نر من هذا الانسان المتمدين بعد عصر الدهور وكر العصور والارتقاء المشهور الا أخلاق الذئاب وحرس الكلاب وتهافت الذباب ولوانك سرت في أمريكا وأوروبا واطلعت على أسرار الأسرار لرأيت أمرا - إذا - تسكاد السموات يتفطرن منه وتذشق الأرض وتخرّ الجبال هذا - من خيانة الى جنانية الى سعاية الى سرقة الى عداوة الى عاروشنار وهم مستطار فلا الزوج بمخلص لزوجته ولا الزوجة بصادقة لزوجها ولا الأسرة بصالحه لشأنها بل كل لكل حاسد وعليه حاقد فلو فقتش مافي القلوب - وحصل مافي الصدور - لم يجالس الأخ أخاء ولا الابن أباه ولا الزوج حماء . فأين الانسانية المذشودة وهذه آثارها المنكودة . فيا عجبا لم خلق الانسان ولم علم البيان ولم يقرأ التوراة والانجيل والقرآن . فلما فرغ من فصيح بيانه وعجيب كلامه أصغى الجمع الى ما سأليهم من الجواب . فقلت بالقرآن أجيبك . قال كاذب فنعجن به عالمون . فقلت اذن بالبرهان . قال نعم . قلت البرهان قسمان يقيني واقتناعي أما اليقيني فأنت تعلمه كدلائل الهندسة والحساب والجبر وهذه ترجع في أواخر الأمر الى القضايا الأولية المستخرجة من المشاهدات الحسية . قال نعم . قلت ولكن عقول أهل الأرض وفلاسفتهم لا طاقة لها ولا تدر أن تعلم هذه العلوم بالبراهين العقلية المستمدة من المعلومات الحسية لأن الأمر أعظم وأوسع من هذه الأرض ومن فيها . قال اذن تكون الأدلة اقتناعية . قلت نعم . قال فمن أين نستمدّها . قلت من مدارسكم العصرية أفليس فيكم المدرسون والمفتشون . قالوا بلى . قلت أستم ترون المدارس متناوئة الدرجات . قالوا بلى . قلت هكذا الانسان يرتقي درجات في آلاف السنين ومئات الآلاف بل فيما لا يتناهى من الزمان - لتركن طبقا عن طبق - وهو في كل درجة يستمدّ مما قبلها ويستعدّ لما بعدها وكل فكرة يجدها أوسىة يجترحها أو حسنة يفعلها تكون له أو علية ولا تزال كما ترى التلميذ في المدارس يركب طبقا فيها عن طبق فالحال للناس لا يفقهون . قال أنت تدلّ بالقرآن وتحن اليوم في مقام الاقتناع بالبرهان . قلت كاذبا وإنما هو اقتباس واستئناس بالبرهان وقياس . فأجاب قائلا أجبتني على غير السؤال وأهمري لثمان ما بين المدارس العصرية وسؤالنا على الحياة الانسانية فأين الثريا وأين الثرى . قلت ان الناس اليوم على هذه الأرض أشبه بالصبيان في مدرسة (روضة الأطفال) فاستغرقوا ضاحكين ورنهوا أصواتهم ساخرين وقالوا أتخذنا هزوا . قلت أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وهم صاخبون مازحون متخامزون . فقال قائل منهم ساوه عن كنه جوابه ولا تسرعوا باللائمة على مقاله فقال الذي سألتني أوضح ما تقول . فقلت على شريطة ألا يقاطعي في الحديث أحد حتى أتم البرهان . قالوا قبلنا شريطتك فاتهم مقالتك . فقلت أحدثكم حديث النبات وحديث الحيوان وحديث الكواكب ففيها البيان . فقالوا نعم . فقلت (١) النبات ينتابه الحرّ والبرد والمطر والصقيع والثلج ليكون له نتائج ظاهرة ومنافع باهرة من الكلال للحيوان والحبّ للانسان (٢) والحيوان ينتابه ما ينتاب النبات من الحوادث المذكورة ثم يزيد عليه الآلام النفسية والحوادث الجسمية ويعطى الحواس الخمس المعروفة وهي تختلف اختلافا كثيرا فبينما نرى الدود في لب الثمار وجوف الحيوان لا ينال إلا حاسة اللمس اذا الدود الذي يدب على العود يعطى حاستين اللمس والذوق وبعض الحيوان في قاع البحر يزيد عليها حاسة الشم ثم الحاسة العمياء تزيد السمع لأنها تعيش في جوّ حالك الاهاب ثم تكون الحيوانات المعروفة ذوات الحواس الخمس ثم الانسان الذي يستنتج المعلومات الأولية ويقرأ العلوم المشهورة والمعارف المفيدة (٣) الكواكب . أما الكواكب فأنت ترى أن

أرضنا التي نحن عليها لاهى في العير ولا في النغير ولو أننا وزانها بأخواتها الصغيرات من السيارات حول الشمس لازدواها المشتري والمريخ وانبذاها ظهريا (أورانوس ونبتون) وفوق ذلك أنها بالنسبة للشمس كرة صغيرة ضئيلة والشمس وما حولها إذا تسبنا إلى كواكب أخرى كانت كنزيرة في الفضاء بالنسبة لقصر شاخ البناء أو قطرة من ينبوع ماء كما كشفه العلم الحديث وسارت به الركبان وعرفه علماء هذا الزمان . ولو أن الشمس ناظرت الفرقدين أوافخت السماكين لقالا لها بفصيح البيان وساطع البرهان ما قاله لبيد

فغض الطرف انك من نعيم * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

﴿ أطرق كرا إن النعامة في القرى ﴾

﴿ رأيك في الكنى لافي الضح ﴾ هذه هي المقدمات التي أوردتها لإيضاح المقام في قوله ان الانسان على هذه الأرض كالتلاميذ في مدرسة (روضة الأطفال) اذن . قال من سألني فإذا بيني على هذه المقدمات فقلت أستم تعلمون أن التلميذ في مدرسة (روضة الأطفال) يدخلها وهو ابن خمس سنين . قالوا بلى . قلت أليست أخلاقه شيطانية . قالوا بلى . قلت وأفعاله صبيانية وآراؤه هزلية والأبوان والأساتذة به فرحون فان نطق بالحروف الهجائية مدحوه أو بالأعداد الحسابية كافؤه وهم يرونه طول النهار يقاتل الصبيان ويضارب الاخوان ولم نر أحدا يئس من أعماله المستقبلية ولا من أن هؤلاء الصبيان هم بعد ذلك الوزراء والعلماء والملوك والحكام والحكماء . قالوا بلى . قلت فإذا رأيت هذا الانسان طغى وبغى وتعدى حده ولم يقدر حقوق الفضل والمثلن وخان اخوانه ظلما ومشامة وعدت الدول القوية على الضعفاء وأمسى كل لسكل عدوا مبينا وعم الحسد والكبرياء والخبث وسوء الطوية والحرص والنكد والهوى والنم . ثم رددناه أسفل سافلين - فلتعلموا أنه اليوم في مدرسة (روضة الأطفال)

﴿ الحيوان والانسان ﴾

فاذا اختلف الحيوان في قدرته الحسية وتعالى أنواع النور والقروذ وارتقت عن جماهير الدود التي تدب على العود في عدد الحواس واشتدت اختلاف الناس في معقولاتهم ودرجات فهمهم فكانوا أوسع نطاقا من درجات الحيوان في المحسوس . أفلا نقول اذن ان هذا الانسان على هذه الأرض الضئيلة المسكينة التابعة لشمسنا الصغيرة أشبه بالدود على العود الذي يدب على النبات ولم يملك من الحواس إلا اثنتين اللامسة والذائقة وأن هذه الأرض التي هو عليها لا يستعد سكانها لأكثر مما يعلمون ويكون هم الأطفال والأرض روضتهم ومدرستهم فان صغر علمهم فهذا استعدادهم وان شككت أخلاقهم وقبحت طباعهم فلذلك خلقهم لأنهم أطفال لا يزالون في أول درجات الآمال وربما كانت آلافا مؤلفة كما نرى درجات الحيوان في الادراك وكذلك الانسان - وما أوثقتم من العلم إلا قليلا - وستنالون كل علم على طول الأزمنة والدهور المستقبلية - أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - ولئن راعكم ماترون من جهله الظاهر وخلقه البائر ورأيه الفاتر فلننقش عقله بمقياس الكوكب الذي هو عليه ولننظر كيف يسوغ أن يكون الانسان أعلى العالمين وقد رأينا أرضه بالنسبة بينها وبين الكواكب الصغرى فضلا عن الكبريات . أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي ان العقول تتفاوت في درجاتها تتفاوت الكواكب في أقدارها والحيوانات في ادراكها وانه الآن في أول سلم الارتقاء وربما ارتقى في عوالم طبقا عن طبق فوق ما عرفناه . ولقد كان الانسان يظن أنه سيد العالمين حينما كانت الأرض مركز العوالم . فأما الآن فقد زال البهتان ورأيناها حجرة صغيرة في مدينة واسعة . ومن عجب انك تسمع العلامة (أوليفر لودج) سيد علماء الطبيعة في بلاد الانجليز يقول على ملا من قومه ﴿ انى أصبحت موقنا أن عقل هذا الانسان بالنسبة للعوالم الروحية به المحيطة أشبه بالخل بالنسبة لعقل الانسان ﴾

ثم قلت وإذا رأينا الانسان يزداد على مدى الزمان شراسة وشكاسة والدين لم يهتد به والعلم لم يؤد به . قلت هكذا المرض يزداد انتشارا كلما ازداد الطب اختبارا فهل ترون افعال مدارس أو اغفال نقائسه . قالوا لا ولو فعلنا ذلك لاضمحلت الانسانية ولرجعت الى حال الهمجية . قلت هكذا تلك الديانات والعلوم ونحن قلتم فما بالنا نرى الأمراض تنتابه والفقر يؤذيه والجهل يرديه والعذاب يحيط به لنقول ان الآلام الحيوانية والحوادث الانسانية ليرتقى بها وجدانه كما أنتجت حوادث الجوّ في النبات حبه وثمره فارتقاء الوجدان في الحيوان والانسان بحوادث الأيام كما استكمال الحبوب والثمار بحجر الهجير وبرد الزمهرير . فقال قائل منهم إني منذ أيام ذهبت زوجا من الحمام وهو ينظر الى الدنيا انظر المريض الى رجوه العود وكنت أدهش من هذا النظام لم ذبحناه وهو صغير فقلت ألم أقل لك اننا في مدرسة (روضة الأطفال) وهذا انتقال من فرقة دنيا الى فرقة عليا - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم -

وقصارى الأمر وحماه أن للانسان خمس درجات حسية وخمس أخرى نظامية أو طبيعية في مدرسة (روضة الأطفال) تابعا في ذلك سنة الارتقاء كالحیوان انه يتقلب جنينا في صور مختلفة من صور الحيوانات من أدناه الى أعلاه حتى اذا ولد طفلا قبلت له مدرسة اللبس والدوق فالشم فالسمع فالابصار يتلو بعضها بعضها كفضائل الحيوان ثم تكون تربية منزلية فمدارس أولية فالابتدائية والثانوية والعالية ان دخل المدارس النظامية والا اكتفى بالمدارس الطبيعية من العسر واليسر والغنى والفقر والمنفعة والضرر والصحة والمرض والخير والشر . ولئن قلتم فما بالنا لا نعرف برهان ما نقول وانما أنت تلقيه لنا على سبيل القياس التمثيلي لا البرهان . قلت ياسببحان الله لو أنكم سألتهم الدود في الشجرات والسمك في البحيرات والحشرات في الخلوات والطيور في الهواء عن الانسان وعالومه أو كل فريق عن الآخرين لقالوا جميعا - وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين - ولو أنك أردت أن تفهم صبيان (روضة الأطفال) عن الوزارة وعظمة الامارة لم تجد لذلك إلا أمثلة مما يألقون من السكر والصولجان والزهر في البستان والورد في الأكمام وحلاوة التفاح وطعم الدالفواكه والثمرات

ولما كان العقل الانساني خالق في الأرض طفلا أعطى من العلم على مقدار طاقته ولو أنك سألت الدودة في اب النبات عن عالم الحشرات أو السمك عن عالم الطيور أو الحشرات عن السباع لكان الجواب - وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين - هكذا الانسان لا يشهد العالم الذي بعد هذا وانما يعلم بالقياس ويدرس بالافتباس الذي دله على عوالم متظرة . واذا علمه المؤدبون مثلا له أحواله المستقبلية بما يناسب معارفه فالكلام كاللواء يعطى لمن يفقهونه بمقدار . واعلم أن هذا الارتقاء كله روحى لا جسمى في عالم البرزخ فافهم انتهى الحديث

﴿ حكمة ﴾

لقد أطلت المقال في هذا المقام لتفسير - قال عذابي أصيب به من أشياء ورحمني وسعت كل شيء - لأن أعقد العقد في العالم الانساني رحمة الله مع انه يعذبنا . وكيف نعتقد انه رحيم ونصدق به وهو يؤلمنا فهذا القول قد أبان هذا المقام على قدر الطاقة وبهذا تفهم كيف كان من أركان المباشرة الاسلامية في ابان نزول الشريعة الاسلامية عند الحضرة المحمدية أن يقال لمن أراد الاسلام (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله) فكان المسلم ملزما أن يعلم أن الشر الذي نابه من الله وكيف يتفق هذا مع الرحمة فهذا المقام زال الابهام وعليه تعرف قوله تعالى - فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ولا جرم أن العذاب في الدنيا وفي البرزخ مكروه لنا فاذن يكون خيرا وهذا القول هو المعقول وهو مقتضى قوله تعالى - يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا - فهذا عذاب من رحمن كما يكون العذاب من الطبيب إذ ذن هو

﴿ غرق الانسان في الرحمة أعماه عنها ﴾

اعلم أن الناس يعيشون مغمورين بالرحمات غارقين فيها ولكن القليل من يحسّ بهذه الرحمات . ليس من الحكمة ولا العقل أن يكون العدم خيرا من الوجود . ان الحكيم اذا خالق خلقا فهو لاحالة يحوطه بالافهام ويجعل له الحياة محبوبة لامبغضة مكروهة . ناهيك ماترى في الأمهات والآباء فهو لاء وان لم يكونوا خالقين وانما كان لهم بعض الأسباب في وجود النورية رأينا حرصهم عليهم وتحننهم وتعطفهم واستماتهم في سبيل انعاش الأبناء واسعادهم وانقاذهم من الهلكات

ان العقل والقياس يقتضى أن يكون خالق هذا العالم الذى نعيش فيه أكثر رحمة وأشدّ محافظة وعظما على مخلوقاته والا فان خلقهم يكون مخالفا للحكمة منافيا للصراط المستقيم . ان محدث هذا العالم لا يجوز ولا يعقل أن يكون كالأبوين رافة ورحمة بل القياس يقتضى أن يكون أكثر رافة ورحمة . وهنا يقبادر هذا السؤال . فلماذا اذن نرى البؤس والشقاء والذل في الانسان

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الناس غارقون في الرحمة كما قدمنا ولكنهم عنها محجوبون وهأنذا أحدثك عن نفسى وأنت طبعا مثلى اننى من الأمة المصرية ومن نسل عربى فانظر ماذا ترى أليست الحكومة المصرية والأمة المصرية هما اللذان يحافظان على حياة أفراد المصريين وأنا منهم . ان الحكومة نظام واحد وهذا النظام لو اختل اختل الأمن فهو كدولاب واحد لا بد من صحة سائر أجزائه . النيل يجرى لسقى الأرض والحكومة تهتدى وتحافظ وهذه الأمة تتبادل المنافع مع اليابان والصين والهند وأوروبا وهذا معلوم بدليل مصلحة (الجمارك) وصادراتها ووارداتها . فاذن كل الأمم شرقا وغربا تساعدنى سواء أعرفت أنا أم لم أعرف أى انهم يساعدون أمتى المصرية التى لا أكون مطمئنا إلا باطمئنانها . اذن جميع العالم الانسانى يساعدنى علمت أم لم أعلم وهذه الأمم كلها تشرق عليها الشمس والقمر والكواكب . وهذه الأنوار لاسيما ضوء الشمس مؤثرات في المزارع والحيوان والنبات وهى التى تثير البخار من البحار وترجى الهواء فيكون رياحا ثم الرياح تحمل السحاب فيكون مطرا ثم ان الضوء يؤثر في نمو النبات فلا تكون المادة الملونة في النبات إلا به وبها تكون المواد المنمية للنبات كما أوضحناه في سورة الأنعام . اذن تكون الأمة المصرية والأمم كلها والشمس والقمر والكواكب والهواء والماء والسحاب والرياح كلها خادمت لى . وبهذه كلها كان لى جسم وأعضاء تبلغ (٢٤٨) عضوا وعضلات وأعصاب حسّ وأعصاب حركة وعقل فى الدماغ وحس مشترك وقوة خيالية وأخرى مفكرة وحافظة وواهمة . وهذه كلها متصلات بالحواس الخمس وبأعصاب الحركة التى تنبجها الى ظواهر البشيرة فتحرك الأعضاء للطلب تارة والهرب أخرى وفي أعضائى من العجائب ما لا حد له . خدمت الالعين والأذن وأقرأهما في سورة آل عمران فهما هناك مرسومتان مصورتان مشروحتان شرحا وافيا وفيهما من العجائب ما يدهش العاقل ويحير اللبيب ويربوا في الحقائق المدهشة على ما يدهش المرء من عجائب ألف ليلة وليلة التى هى وأمشالها خيالات يتسلى بها الشاب قبل أن يلج الحقائق التى نشرحها من العلوم الطبيعية والفلسفية . هذا الجسم وحواسه وعقله وقواه مغمور في الهواء الذى يتنفس فيه وحواله الماء متوافر والغذاء والدواء والفاكهة والمدارس والمعالمون والتلاميذ وقراء الكتب التى يؤلفها التى يتعلم منها ولبلاده مدارس وحكومة منظمة . كل هذا نعمة على أنا . فاذن العالم كله نعمة أسديت الى أنا وأبناء جنسى ودينى

ولكن الانسان ينشأ من صغره غافلا جاهلا ماحوله حكم عليه أن يكون هذا العالم مدرسة له واقتضت الحكمة أن يكون منه غذاؤه ودواؤه وحياته وموته كما يكون منه علمه وحكمته فهو علم وهو غذاء

خلق الانسان في الأرض وقيل له أنت ملزم أن تحافظ على قوتك وملبسك ومسكنك وصحتك وأمتك
وتعطى الطعام وتجلبه ولست كالنبات يأكل من الأرض ولا كالحیوان يأكل من غدير أن يزرع ولا يحرق
ولا يطحن كالأشجار

ينكب الانسان على ما يستجوعه ويزيل مرضه ويأخذ في أسباب العلم والرقى ويستغرق في المهوم
والأحزان بما يفتابه من الآلام أو الفقر أو التنافس أو الكسل أو العداوة أو الكبرياء أو الحسد أو الشره فهناك
ينسى تلك النعم نسيانا حقيقيا . فيقول الفقير أنا أريد الغنى . والجائع أريد الخبز . والمظاوم أريد النصر
ومن علا عليه أقرانه يريد أن يظلمهم . ومن شمت به أعداؤه يريد الفوز

وأضرب لك مثلا شابا عميق فتاة جميلة وامتعت عليه فهل يفكر في نعمة العقل والحواس والصحة والغنى
والثروة والهواء والماء والأمة والأم والشمس والقمر . كلا . ثم كلا لا يرى لله نعمة ولا راحة إلا أن يحظى
بمعشوقته . كفالك هذا المثل وأنت تعرف أمثاله وأمثاله

فالانسان تحيط به الرحمت التي لا عدد لها ولكنه يحجب عنها حجابا حقيقيا بطمع أو كبرياء أو غفلة أو ظلم
يكون للانسان آلاف من الجنهات فيحسد من زاد عليه ألفا واحدا وينسى آلاف الآلاف من النعم
ومن النقود ومن الصحة والبنين والأصحاب والخلان ويعترض على خالق هذا العالم الذي جعل له رجلا يشا كله
واعتلى عليه . هذا هو مثل الناس في بدوهم وحضرهم . فأين رحمة الأب أو رحمة الأم من أرحم الراحمين
ولكن الشهوات وأنواع الغضب وأخلاق السوء وما أشبه ذلك أصبحت حجابا كثيفا بين الناس وبين الاحساس
بالنعمه والرحمة

الحجاب المضروب بين الناس وبين رحمت الله

رأيت من هذا البيان أن الناس جميعا في رحمت لانهم بالآلاف والآلاف ولا حصر لها وهي مشاهدة ملموسة
مسموعة مشمومة مذوقة قد غرق الناس فيها ولكنهم لا يحسون بها . إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل
سبيلا . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وها أنا ذا أريتك السد
ببصيرتك فهذا السد أنواع كثيرة جدا كسد الحرص والشره والحقد والحسد والجهل والغفلة

يعيش الانسان ويموت وهو لا يدري أن له جسما وأن هذا الجسم نعمة ولا يعقل أن ذلك كله فضل من
الله ومنه . فن عجب أن تحيط بنا سدود ولا نراها وتلك السدود تحجب عنا جمال هذه المخلوقات فالعيون
مفتحة ولكن لا تبصر ذلك لتلك الحجب التي شرحناها . انما مثل الناس في الدنيا بالنسبة لما حولهم من
النعم كمثل العمى والصم الذين أمامهم الصور الجميلة وحولهم النعمات الشجيرة البديعة والأولون لا يستملنون
بالمبصرات والآخرين لا يشعرون بالنعمات فلا فرق بين حاسة لم تخلق وبين حاسة مخلوقة عليها غشاء حسي أو
معنوي . هذه المعاني مقتبسة من أول هذه السورة أي من قوله تعالى . ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا
لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون .

بين الله هناك أن الناس أعطوا معايش وقليل منهم شاكرون وبين مجمل تلك النعم بالخلق والتصوير ثم
أبان موانع الشكر كعدم الاعتراف بالنعمه أو جهلها أو عدم استعمالها فيما خلقت له فذكر عصيان ابليس عن
السجود واستكباره بأصله الناري الذي هو القوة الغضبية السارية في أكثر الناس فهم أشبهوه من هذه
الناحية وحجب عنهم الاحساس بالنعمه وانحصرت قواهم في الغلبة والحسد والشهوات والتنافس ففسدوا سائر
النعم إلا ما حبت عقولهم فيه من الترهات . ثم انظر كيف يقول ابليس مشيرا لما قررناه انه أقسم أن
يفوى بنى آدم فلا يكون أكثرهم شاكرين . ألا تتعجب معي هذا العجب أن تكون الآية التي نحن بصدد
الكلام عليها قد ذكر في أول السورة معناها وبين مغزاها . يقول الله هناك انه مكن بنى آدم في الأرض

وقليل منهم شاكرون . ثم أعقب ذلك بقصة خالق آدم وتصويره ويتبع ذلك جميع النعم ثم كيف تقي على ذلك بقصة إبليس الذي حلف أن يقوى أبناء آدم حتى لا يسكون أكثرهم شاكرين فردّ العجز على الصدر الذي هو نوع من أنواع البديع الذي يفرح به أطفال العلم في الأمم الإسلامية المتأخرة وقد جهلوا الحكمة المخبوءة ومنها ما ذكرناه أن الكبر والحسد والحقد والحرص والشره وأمثالها هي الخجب التي أسدلت على عقول الناس باغواء الشيطان الذي حلف أن أكثرهم لا يكون شاكرًا وذلك أن الشكر لا يكون إلا بالاحساس بالنعمة ولا احساس بها مادام المرء مشغول القواد بما يهوى من مال أو ولد أو صيت كاذب أو فتاة حسنة فكل هؤلاء متى فتنوا بما أحبوا فانهم لا محالة يفسون جميع النعم لأنه حيل بينهم وبينها بسوء كفيف قوي متين فلا يكونون شاكرين

﴿ من هم الشاكرون لله ﴾

اعلم أن الانسان لا يشكر النعمة إلا بأحد أمرين ﴿ الأمر الأول ﴾ منع النعمة عنهم كما ترى الفقير والمظلوم والجائع والظمان وذا الشبق والدليل والمريض . فتي اغتنى الفقير وجبر كسر المظلوم وأكل الجائع وشرب الظمان وتزوج ذوالشبق وعزّ الدليل وشفى المريض . أقول متى نال هؤلاء ما منع عنهم شكروا ربهم قد يعيش المرء عشرات السنين وقد أعطى مالا وولدا ولكنه لا يحمد الله على شيء منها لأنها لم تنزع منه حتى يعرفها ويرى الفقير بجانب منزله نال كسرة بعد جوعه فيحمد ربه حمدا كثيرا وذلك يسخر منه ويستهزئ به واعلم أن هذا الشكر ضئيل أشبه بشكر العبد الدليل الذي اعتاد سيده أن يضربه فتي سكت عنه حمد سيده على هذه النعمة أي نعمة العفو عنه . وانما الشكر الحقيقي فيما يأتي من الأمر الثاني وها هو ذا

﴿ الأمر الثاني ﴾ دراسة هذه الدنيا ونظامها وقراءة علوم هذا العالم والالمام بمجملها والبحث فيها وذلك هو المسمى (علم ما وراء الطبيعة) ولا تظن أن هذه الكلمة على حقيقتها بل ما وراء الطبيعة معناه العلم الذي يشمل الرياضيات والطبيعيات أي العلم الذي لا يختص بأحدهما فالبحث في نظام الكائنات العام منه وقراءة المقولات وتقسيم العلوم منه . وهذا التفسير أشبه بهذا العلم لأن مباحثه عامة . فليس معنى ما وراء الطبيعة غير ذلك ويدخل فيه علم الأرواح والبحث في وجود الله والرسول وما أشبه ذلك

قلنا فيما تقدّم أن الانسان يعيش عشرات السنين وهو في سجن شهواته وغضبه فلا يرى جمالا ولا نعمة ولا راحة وقد يمتني الموت كما قالت صميم - ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - فاما كلها عيسى وهو طفل وأفهمها أنه رسول الله سرى عنها وعرفت أن هذه المصيبة والفضيحة والخزي لا دوام لها وأن الشر الديني يعبه الخير الأخروي والسعادة الأبدية بالمنافع العامة للناس

هكذا خالق الله في نوع الانسان أناسا اصطفاهم واختارهم فهم يدرسون هذا الوجود ولهم يتجلى الوجود على ما هو عليه على قدر الطاقة البشرية ويدركون جماله . وهم وإن انتابتهم المصائب وحلت بهم النوائب كسائر الناس فإن في بواطنهم بواعث السرور والجنل والفرح بالحكمة التي هي جمال لا يتضب وذخر لا ينفد فيذهب عنهم الحزن في الدنيا . وكلما أصابهم غم أوهم أشرق عليهم ذلك النور فهم دائما في حبور وسرور واشراق ونور وجمال وبهاء . وما مثل هذه الطوائف إلا كمثل السمع والبصر في الانسان كلاهما مدرك لما بعد عنه . أما بقية الناس فانهم أشبه بحاسة اللمس والذوق فهما لا يدركان غير الملامس . أما هذه الطائفة فإن بصائرهما مفتوحة لجمال هذا العالم فأدركت الرحمة في الهواء وفي الماء وفي النبات وفي السماء . ولا يحجبهم تراكم النعم عليهم بل هم يخترقون تلك الخجب ويهجمون على الحقائق ويقتلون بها بحثا وتنقيبا حتى تظهر واضحة كالشمس في رابعة النهار . وكما سرى عن صميم بما سمعت من صوت ولدها أنه رسول وأنه برأها كذلك يذهب السوء عن هذه الطائفة الشاكرة بما يلهمون في قلوبهم من جمال الوجود وبهيجته

وأن الدل والشريعتين عزرا وخيرا ويرون الصبر نعمة عظيمة يشير لذلك قوله تعالى - فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الخ - فهو لاء المتقون المنفقون أموالهم هم الذين فتحت بصائرهم للنظر في هذا الوجود وهم هم الشاكرون حقا

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم عذب الناس عند الموت بنزع الروح أليس ذلك شقاء للصالح والطالح على سواء بل الخوف من الموت شقاء ملازم . أقول هذا السؤال لا يرد بعدما بينا أن الناس في سجن من الجهالات والأخلاق ولو أن الناس قرؤوا العاوم لأدركوا أن الموت لا ألم فيه ألبتة بل هذه خرافة مثل قصص المجائز . وإنما الألم كما قلنا راجع للحجب المسدولة على العقول وهذه يعوزها التربية والتأديب الإلهي . ولقد قال علماءنا المتقدمون كالإمام الغزالي أن الموت لا ألم فيه . وإنما الألم الوارد في الأخبار راجع إلى التحسر على فراق الدنيا لقلة العلم كما تقدم في قول إبليس ولا تجدا أكثرهم شاكرين . ولأختم هذا المقام بما خبرته بنفسى وقرأته في الكشف الحديث استئناسا للمقام فأقول

كان بوزارة المعارف أحد المستخدمين وكانت علاقتي به أنه تلميذى فغاب عني شهورا ثم تصادف أن قابلته معاتبا فقص علي قصص ما انتابه إذ سقط على أفريز الطريق (الرصيف) المرصوف بالحجر وهو يريد ركوب قطار الترام فزلقت رجله فخر صريعا قال ولم أعلم بنفسى إلا بعد أيام وأخبره الطبيب أنه منذ أيام لم يذق طعاما وأن رأسه مربوط لجرح بسيط في جلدة الرأس ثم بعد أسابيع شفى تماما فقص عليه الحقيقة فقل انك قد كنت كالميت ورأسك كان مشدوخا ولو أخبرتك لأضرت ذلك بك . فقلت له ما الذى أحسست به حين وقعت على رأسك . فقال لم أحس بألم البتة وإنما أحسست بأنى قد خف جسمى ثم لم أع بعد ذلك شيئا اه هذا ما عرفته بنفسى . فأما عذاب النفس بعد الموت فذلك ناشئ من نقص العقول والأخلاق فهالك مانصه الأطباء في أوروبا أيام طبع هذا التفسير فقد جاء في بعض جرائدنا المصرية ما يأتى

على عتبة الأبدية

بماذا يشعر الإنسان عند الاحتضار

نشر أحد الأطباء الانجليز مقالة في إحدى المجلات العلمية أثار بها اهتمام الرأى العام ودعا الأطباء الى القيام بمباحث واسعة النطاق لمعرفة ما يشعر به الإنسان في دقائقه الأخيرة على هذه الأرض وذلك لتجريد الموت من كل ما يلقى الهلع في النفس ولا ثبات أن دخول المرء في دور الاحتضار لا يصحبه شئ من مسببات الفزع على الإطلاق . ومن رأى الطبيب المذكور أنه متى عرف المرء هذه الحقيقة لم يبق للخوف أثر في نفسه ان العلم لا يعرف عن الموت حتى الآن إلا النزر اليسير . والأطباء وان كتبوا المجلدات الضخمة عن الولادة وفن التوليد فان ما كتبوه عن الموت قليل تافه لا يشفى الغليل . ذلك لأن الموت لا يزال سرا مهما ترى بماذا يشعر الميت وهو في حشجة الموت يحاول أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهل الموت أمر بسيط كالولادة أم هو مصحوب بالهلع مما يمثل للمرء من ظلمة القبر ووحشة الأبدية . ان معظم الذين يقولون على آرائهم مجمعون على أنه متى حضرت المرء الوفاة زال كل أثر للخوف . وفي الواقع أن معظم الناس يموتون بالسهولة التي يستترقون بها في سبات عميق ولا يشعرون بشئ من القلق . وبعض الناس ينظرون الى الموت وهم في ساعة الاحتضار كأنهم على سفر الى عالم جديد . أما الذين يعانون الآلام المبرحة فانهم يرون في الموت انقاذا لهم من تلك الآلام . والملاحظون أن قليلا جدا من الناس ينزعجون أو يصابون بالهلع متى حضرتهم الوفاة قال الدكتور (فيليب انمان) مدير مستشفى تشارنج كروس بلندن . لقد رأيت المئات من الناس في ساعة احتضارهم وقاما رأيت على أحدهم شيئا من علامات الهلع ولست أعتقد أن المرء يشعر بالخوف متى دخل

في دور الاحتضار ولعلّ أبلغ حادث خبرته بنفسه من هذا القميل ما وقع لشاب في السابعة والعشرين من عمره دخل المستشفى وكان على أهبة الزواج قبيل مرضه ببضعة أيام ويظهر أنه كان قد عين في وظيفة خارج إنجلترا ولكن مرضه الفجائي حال دون سفره ونظرا إلى اشتداد وطأة المرض عليه لم يبق أمل في شفائه فاضطرت أن أخبر خطيبته التي كانت تحبه ويحبها حبا يقرب من العبادة وليس ذلك فقط بل كان من الواجب على أن أطلعها هو نفسه على حقيقة حاله لكي يكون مستعدا للموت وقد قت بذلك الواجب المؤلم على اللطف وجهه فأخذ يصبح صيحات مؤلة قائلا كلاً لا أريد أن أموت ويلاه لا أريد أن أموت وكان الشهيد مؤثرا للغاية وظلّ ذلك الشاب في اضطراب عظيم مدة يومين متواليين ولكن في اليوم الثالث طرأ عليه تغير عظيم إذ هدا ثأره وانقطع عن الصراخ ولما قابلته رأيت أعصابه هادئة فقال لي بكل هدوء وباطة جأش إن أبي توفي لما كان عمري ثلاث سنوات وتوفيت أمي منذ أربع سنوات وكنت بعد وفاتها أتمنى الموت كثيرا إلى أن تعرفت بخطيبتي فزالت عني كآبتي وعزمت أن أبدأ الحياة من جديد وها أنا ذا الآن على أهبة الرحيل من هذا العالم وقد اعتدت فكرة الموت فلم يبق لي خوف أثر في نفسي . على أنني لأجهل ما هو المسكان الذي أنا ذاهب إليه وهل يتاح لي أن أرى أمي وأبي هناك . قال الطبيب وقبل وفاته بنحو ساعتين استدعى المريضة وطلب منها أن تضيء الأنوار الكهر بائية لأنه لا يبصر . فقالت له المريضة ولكن الوقت نهار ونور الشمس يملأ الغرفة فقال لها ان الظلام حالك ولست أرى شيئا فلم يسع المريضة إلا أن تجيبه إلى طلبه وظلت الأنوار الكهر بائية مضئة في غرفته إلى ما قبل وفاته ببضع دقائق فنادى المريضة وقال لها الآن يمكنك أن تطفئي الأنوار لأنني أبصر ولأن أمامي منظرا ساطعا جميلا

ومن الأمور التي تكاد تكون مؤكدة أنه مهما يكن الموت مفزعا لنا نحن الأحياء فإنه يفقد كل ما فيه من أثر مفزع في ساعة الاحتضار . ولقد ثبت أن الكثيرين يقولون في دقائق احتضارهم أنهم يسمعون ايقاع القياثر وأصوات الموسيقى المطربة . ويقول غيرهم أنهم يرون مناظر بديعة لم يروا مثلها في حياتهم . ومنهم من يبسطون أذرعهم وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة كأنهم يستقبلون أشباحا تبدو لهم ومن رأى السر (اربوننت لاين) وهو من مشاهير الجراحين الانجليز أن الخوف من الموت يقتفي بتنا في ساعة الاحتضار . وهذا رأى معظم الأطباء في الوقت الحاضر فالموت لا يخرج عن كونه حادثا طبيعيا ولا شك أن الكثيرين من الشيوخ الذين شبعوا من الحياة وعانوا أخراها لا يزعمهم الموت مطلقا بل قد يرحبون به من كل قلوبهم

وقال السر لاين المشار إليه . انه في معظم حوادث الوفاة التي شهدتها كان الموت أشبه بالاستغراق في سبات عميق وهو غير مصحوب بما يلقى الهلع في النفس وإذا كان العلم يسعى لتسهيل عملية الولادة فلماذا لا يسعى لتسهيل عملية الموت وتجريدها من عوامل الهلع والفرع . وفي الواقع أن الموت أسهل بكثير مما تصوّره لنا الخيلة . فان الكثيرين ممن كانوا على وشك الموت ونجوا بأعجوبة يشهدون أنهم لم يشعروا بشيء من الهلع وأن حاسة الخوف انتفت منهم عند ما شعروا بدنو دقائقهم الأخيرة

يروى عن المستر (باربيليون) من كبار مؤلفي الروايات أنه مرض مرضا لم يكن يرجى له منه الشفاء فلما علم بدنو أجله أظهر شجاعة غريبة إذ قال $\left\{ \right.$ إن الموت لا يخيفني على الإطلاق لأن الحياة قد أصبحت عبأ ثقيلا بل أنا أتمنى الموت بسرعة لأرى ما وراء هذا الأفق ومن هم الذين سأقابلهم في ذلك العالم . انني أرى الموت كاستغراق في سبات هادئ $\left\{ \right.$

وكتب المستر (بريكس) الكاتب الشهير ما كان يشعر به في دقائقه الأخيرة وهذا بعض ما كتبه $\left\{ \right.$ إذا كان الموت حالة من حالات عدم الشعور كما اعتقد فأحسن ما يستطيع المرء عمله متى حضرته الوفاة

أن يقنع نفسه بأنه عما قليل سيستغرق في سبات هادئ لا تزججه فيه الأحلام ولا تفتقه الأشباح . وإذا كان
ثمة عالم آخر وراء هذا الأفق فما أسعدنا إذ سنلاقى جبابرة الأجيال الماضية مثل أفلاطون وأرسطو وسقراط
وشكسبير وغيرهم . اهـ

وقد شهد جميع الذين كانوا يزورون هذا الكتاب في دقائقه الأخيرة أنه كان بشوشا يشير إلى قرب وفاته
بشجاعة غريبة حتى لقبه الناس بعد وفاته بالميت الشجاع
ويروى عن (المس كافييل) الممرضة الانجليزية التي حكم الألمان عليها بالاعدام في زمن الحرب أنها أظهرت
شجاعة فائقة كأن الموت حادث اعتيادي . ولما زارها الكاهن قبيل اعدامها بدقائق أكدت له أنها
لا تخاف من الموت لأنها رأت الكثيرين من الأبطال يموتون أمام عينيها في ميادين القتال . وقد دهش
جميع الذين حضروا اعدامها من الشجاعة التي أظهرتها حتى آخر نفس من أنفاسها
والخلاصة أن آراء معظم الكتاب والعلاماء مجمعة على أنه عند ما حضر المرء الوفاة يفقد الموت كل ما فيه من
أثر الرهبة والهللع اهـ

هنا أقف أيها النكي معك وقفة وأخاطبك بما وقر في نفسي . أقول لك ان هذا القول الذي يذيعه
أطباء أوروبا والذي قلته أنا كلام اقناعي ليس يقينيا ولكن هو الذي يوافق حكمة الحكيم ورجته فهو يعطينا
صورة من رجته . وأقول لك ولا أخشى لومة لائم ان هذه الصفة هي التي أعتقد لها في صانع هذا العالم والا
فبالله كيف نراه يسير على وتيرة واحدة في نظامه . نراه ألهم الناس فأعدوا أطباء للولادة وهناك القابلات
لتسهيل خروج الولد من الرحم . هكذا نراه عمم ذلك في أصغر الحشرات . ألم تر الى ما ستقرؤه في سورة
النمل فانك ترى هناك فيما نقلنا عن كتب الفرنجة بطريق الترجمة أنهم شاهدوا النمل قد خصص طائفة منها
لنزع اللقائف عن أولادها الصغار . (وذلك) أن النمل تضع بيضها والبيض يكون دودا ثم يصير (قيلجة) أي
كرة صغيرة مغطاة بخيوط حريرية تنسجها الدودة النملية على نفسها كما يفعل دود القز ثم بعد أيام تنبت لها
أعضاء الحركة فتستعد للخروج فتري النملات الكبيرات المعدات لذلك يساعدن الصغار ويجهدن حتى تفك
الربط الحريرية . أليس هذا بعينه هو ما تفعله القابلات عندنا وأطباء الولادة . أنا لا أشك أن الله تعالى
جعل هناك عالما روحيا لمقابلة الأرواح عند خروجهم من الحياة جريا على عادته أن قانون الله في الحياة والموت
لا يتغير فهو يرحم المولود ويرحم الميت . فسبحانه من إله عظيم . وإياك أن يصدك عن هذا مسألة المعاصي
والكفر فان هذا يحتاج الى تطويل ولكن يكفيك الساعة أن أقول لك فائدتين . (الفائدة الأولى) اعلم
أن الامام الغزالي يقول كما نقلناه عنه في كتاب (الأرواح) ان العذاب أولا يكون بسبب الشهوات ثم بعد
أمد يكون على الذنوب ثم بعد أمد يكون على الجهل . ولا شك أن الجهل يدخل فيه الكفر ثم بعد ذلك
يكون عذاب النار . (الفائدة الثانية) اننا نرى الله يخلق الصبيان وقد سوى بينهم في أن القابلات مستعدات
للجميع فلا تفرقة بين الأغنياء والفقراء من حيث العموم ثم بعد ذلك يمتاز الأطفال في حياتهم على حسب درجات
آبائهم وأممهم وهكذا . والموتى جميعا يخرجون من الدنيا فيختلفون بعد الموت بحسب أعمالهم وأخلاقهم
كما يختلف أبناء الأغنياء والفقراء قال تعالى - ولكل درجات مما عملوا -

وان كان الجميع قد ساعدتهم القابلات مع العلم بان ابن الزانية تقابله القابلة وهي مشمئزة . هكذا الفجار
يقابلهم العالم الروحي وهو معرض عنهم هذا معنى قوله تعالى - ورجتى وسعت كل شئ - والحمد لله رب العالمين
(زيادة ايضاح في قوله تعالى - ورجتى وسعت كل شئ - أيضا)

(حكمة بالغة في جوهرة ناضرة)

حدثني أحد الصالحاء الأذكياء قائلا ما يأتي

كثيرا ما يختلج في صدري قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - بعد قوله - عذابي اصيب به من أشاء - فكيف اعتقد أن الرحمة عامة اعتقادا صادقا وأنت لونتشت في القلوب لوجدتها مطبقة على التألم من هذه الدنيا التي حوت الحرب والمرض والطاعون وأنواع الحمى والجذري ونقص الأنفس والأموال والثمرات والبرد القارس القاتل . فأين هذه الرحمة وإني أتمنى أن أقف على هذه الرحمة الواسعة حتى أفرح بها . وياليت شعري لماذا نزل هذا في القرآن بل كيف يكلفنا الله بالمستحيل . ألم يرد لنا في الحديث الصحيح أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله . فهذا صريح في أن الله عنده خير وشر فأين سعة رحمته إذن . وترانا نقول في قنوت الصبح كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ إذن نحن نحمد الله على القضاء عامة أي على الخير والشر وكيف يكون الحمد على الشر ولا حمد إلا على نعمة . أما النعمة فكيف نتصور الحمد عليها . يظهر لي أننا نعيش في جو من الجهالة ونأوك ألفاظا لا ندرك معناها . وعجبي للديانات كلها أنها في هذا المعنى متشابهات . ومما مثل الناس في ذلك إلا كمثل عبيد العصا يحمدون ساداتهم خوفا من أذاهم لا حبا لهم

﴿ الاجابة ﴾

فقلت له اعلم ان هذا المقام بسطته في سورة آل عمران عند قوله تعالى - بيدك الخير انك على كل شيء قدير - ففيه هناك ما يكفي ذا اللب . وقد أثبت لك هناك أن ما ذكره فتح باب للبحث وأن اليقين إنما يأتي من طريق البحث والتنقيب وقراءة آراء الأمم وعدم التعصب لرأي خاص ورجوع النفس الى الله والذكر والفكر . واعلم أن الله عز وجل ما ذكر هذا في كتابه ولا على لسان رسوله ولا في دعاء الصلاة ولا في الفاتحة إذ كرر الرحمة فيها أربع مرات إلا ليحفزنا الى درس هذا الوجود ويحثنا على دراسة هذه الكائنات التي نعيش فيها فان هذه الشبهة التي وردت عليك لم تخلق فيك عبثا وإنما خلقت لحكمة وهي حثك على الجِدِّ والمثابرة في البحث حتى تدرك ببصيرتك سرَّ الموت والحياة والمرض والأرزاء ومتى أدركت ذلك اطمأنت نفسك لهذا الوجود وعرفت ما يدل على هذه الحكمة . ليس في الامكان أبدع مما كان

فقال ذلك الصالح الذي أنا لم أقرأ ما كتبه أنت في سورة آل عمران ولم أدرس كتب الفلاسفة ولم أنل حظا عظيما من الذكر فهات لي لمحة تفتح لي باب النظر ومجالة يكون فيها المبتدأ والخبر بحيث يفهم العامة والعلماء والخاصة والجهلاء ولا يكون لها سابق ذكر في هذا الكتاب . فقلت ان جميع ما ناقسيه في هذا الوجود أشبه بما يقاسيه المريض من الطبيب . فكم من مريض بسم له الدهر بالطبيب فسقاه المرَّ ومنع عنه زيارة الأصدقاء وجماء من اللذات والشهوات وبتر منه بعض العظام والعضلات . فهل ذلك لنكاية فيه أم لاهتمام به إنما الآلام مبدأ الرحمة وباب النجاة . ان طبيعتنا أرضية وأحوالنا حيوانية فالتأديب والتعليم والحوادث صر هفات لعزائنا مقويات لنفوسنا حتى نرجع الى عالمنا الأعلى ومما مثلنا في ذلك إلا كمثل ماء البحر المالح سلط الله عليه الشمس فجعلته بخارا فصار في الجو سحابة فنزل على الأرض مطرا فجري في مجاري مختلفات فاجتمعت تلك المجاري فكوّنت نهرا فجري النهر الى البحر - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - فرجعت القطرات الى أوطانها فرحات باهلها . هكذا هذه الأرواح جاءت لهذا العالم وذات حلوه ومره ثم رجعت الى عالمها . وان أردت ضرب أمثال للشر يكون هو نفسه خيرا فهناك هذه الحوادث

﴿ الحادثة الأولى ﴾

عملية جراحية أوردت الشفاء في السمع والنطق . ذلك أنه في أيامنا هذه كان رجل يسمى (أرنست باباج) مغرما بالملاكمة والمباراة فيها وبينما هو يلاكم مرة أصيب بالكمة في عنقه فجعلته أصم أبكم وبقي هكذا مدة عامين ومنذ أسابيع من كتابة هذه المقالة التي أكتبها الآن قبيل فجر ليلة ٤ يناير سنة ١٩٢٧ دخلت شظية

في احدى أصابعه فقصد طبيباً جراحاً لخراجها لأن أصبعه التهب فكانت العملية شديدة الصعوبة قاسية الألم فلما أن أخرج الشظية شفى تمام الشفاء من المريضين معا فقابلاه أحد رفاقه فأراد أن يأخذه من ذراعه فصرخ قائلاً (دعني وحدي فاني بخير الآن) فهذه العملية أعادت له حاستي السمع والبصر . انتهت
ان ما ندوقه في الدنيا من الألم لعله أشبه بالألم هذا المريض عند استخراج الشظية من أصبعه وانفتاح البصيرة لمعرفة جمال هذه الدنيا الموصدة أبواب علوها أماننا أشبه بما حصل له من شفاء سمعه ونطقه

﴿ الحادثة الثانية ﴾

أن رجلاً أعمى آخرس من قرية في مقاطعة (نورثبتون شير) قصد طبيباً فقرّر له عملية في عينيه وهو لا يثق برجوع حاسة البصر له وبينما هو ينتظر الجراح وهو يحضر مشارطه إذ سقط على الأرض وعند النهوض وجد نفسه قادراً على الكلام . انتهت

﴿ الحادثة الثالثة ﴾

أن رجلاً أعمى جىء به الى مستشفى في مدينة (برمنجهام) لاجراء عملية جراحية له في دمل بالملخ كان يهدد حياته فنجحت العملية نجاحاً فوق ما يصفه الواصفون إذ شفى من الدمل وعاد اليه بصره

﴿ الحادثة الرابعة ﴾

روت مجلة (اللانسييت الطبية) أن رجلاً في الثلاثين من عمره أجريت له عملية (الكاتاركت) في عينيه بمستشفى الرمد في مدينة (جلاسجو) وكان ولد أكمه لم يشهد في الدنيا شيئاً فنجحت العملية وعادت له حاسة البصر التي لم يعرفها قبل ذلك

﴿ الحادثة الخامسة . من عجائب حسنت الخلق ﴾

في سنة ١٩١٤ كان رجل مجرم اسمه (سيزيكلي) في سجن الحكومة بولاية (بئسلفانيا) فاصيب باصابة قوية في رأسه فعطبتا عظاما شديدا والجمجمة كانت اصابتها خطرة فأسرع طبيب السجن وأسعفه بالعلاج فأنقذ حياته وهناك حصل ما يدهش الأبصار . ان سيزيكلي كان رجلاً متوحشاً قاسياً يدخل الرعب على نفوس رفاقائه المسجونين فما انتهت هذه العملية حتى تبدل خلقه وصار ذكياً نشطاً رحيماً مطيعاً فرحاً مساعداً للسجانين والمسجونين ولله في خلقه شؤون . اهـ

﴿ الحادثة السادسة ﴾

وقع لصبي في الخامسة عشرة من العمر يسمى (حبيسى يرد) وله نزعة قوية في الاجرام فأصيب يوما بجرح في رأسه فلما أجريت له عملية جراحية تبين أن في رأسه قطعة عظم ضاغطة على المخ فلما رفعت هذه القطعة صار الصبي ذا خلق جميل وهو فرح مسرور اهـ

﴿ الحادثة السابعة ﴾

حدث في بلادنا المصرية منذ ثلاثة أعوام أن قروياً في بلدة (طلخا) أصيب بفقد بصره ولم ينفعه علاج وباع فدائين من أرضه لنفقات العلاج بلا جدوى . واتفق يوماً أن جلس في بار (قهوة) في بلده ولما فتح عامل القهوة (الجرسون) زجاجة الغازوزة لأحد الجالسين طار سداد الزجاجاة فأصاب أنف الرجل الأعمى المذكور فسقط الدم من أنفه كما يحصل في النقص فعاد للرجل بصره في الحال * قال الشاعر
من يعتصم بالله العرش يحفظه * فهو الحكيم يداوى الداء بالداء

أليست هذه الحوادث تمرّ على الجهال صرّ النسيم على الحصباء والصرصر على القضاء . أخلاق تبدلت وأسماع وأبصار شفيت بأعمال جراحية . اهلّ حياتنا كلها عملية جراحية تشفى نفوسنا من أمراض فيها لا ندرىها . فاذا جهلنا نحن كما جهل أطباؤنا جميعاً في الأرض أن مرض العين في الحادثة السابعة مثلاً يشفيه

فصد في الموضع المعين من الأنف . وأن المجرمين في الحادثة الخامسة والسادسة يكفي لتحسين خلقهما عملية في رأسيهما مع ان علم الطب قد تقدم في زماننا تقدما عظيما وقطع دابر الأمراض العامة وأثر أثر محسوسا حتى كثر نوع الانسان على الأرض . أقول اذا جهل أطباؤنا ماذكر في أجسام انسانية حاضرة لدينا فان ذلك يدل دلالة قاطعة أن هذه الأجسام وهذه العوالم مكتظة بالعلوم والرحمات مملوءة بحكمة ونورا وأسرارا وأن الله يحدث أمثال هذه النوادر ليقول لنا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - جفتوا وابحشوا فلن تصلوا الى حتى أطلعكم على حقائق رحمتي . وما أنتم اليوم إلا كسمك في البحر والرحمة أشبه بالعوالم المائية والهوائية فأنتم لاتعرفون من رحمتي إلا كما يعرف عالم السمك عن عالم الأرض والهواء من نبات وحيوان وطيور ولن يكون يقين إلا بالجد في التهذيب ودراسة العلوم جميعها شرقية وغربية . فاذا قال المسلم رضيتم بالله ربا . واذا قال آمنتم بالقدر خيره وشره من الله فان ذلك يسوقه الى أن يتبع الايمان بالعلم ان استطاع الى ذلك سبيلا . ومتى درس النظام جاءه اليقين . واليقين هو المقصود من هذا الوجود وهو الذي أعطاه الله لآبراهيم الخليل عليه السلام كما تقدم في سورة الأنعام إذ أراه الله ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين واذا أمر بتشريح الطيور فشرحها وقطعها ثم أحياها الله وذلك اشارة لعلم الكيمياء الذي يدل على حسن النظام والترتيب وقد تقدم هذا في سورة البقرة بإيضاح أوفى فراجع ان شئت . فاذا كان الخليل يطلب من الله اطمئنان القلب فطمأنه باليقين بعلم الكيمياء في البقرة وعلم الفلك في سورة الأنعام فهذا أمر لي أنا وأنت أن ندرس هذه العلوم اذا قدرنا لأن نبينا ﷺ أمر أن يتبعه إذ قال تعالى - فبهدهم اقتده - وأمر النبي ﷺ لاؤمته . وما أطف قوله ﷺ ﴿ نحن أحق بالشك من إبراهيم ﴾ ككأنه يدعونا نحن أن نقول ذلك وبذلك نجد في العلوم فرجعت هذه الآية الى تقوية المدارك العلمية في البلاد الاسلامية

ان عذاب الدنيا والآخرة مرجعه الجهل بنظام هذا الوجود . ان الله خلقنا للعلم والعمل وكل ما عايناه في الدنيا مفتاح للعلم حتى ان مصائب المسلمين اليوم مفاتيح لرقهم ولولاها لصادروا أمثال هذا التفسير الذي صرح بامور قد كفر بأقل منها المسلمون العلامة ابن رشد والغزالي وابن سينا والفارابي راجع ذلك في سورة الأنعام تحت عنوان ﴿ برزخ بين البحرين ﴾ بل لولاها لم يكن هذا التفسير . إن مثل ما أصيب به المسلمون اليوم من الضنك والذلال والفرجة لهم كمثل تلك العمليات الجراحية التي عملت في ﴿ الحوادث السبعة ﴾ الآنفه الذكر فشفت أبصار المرضى وأبرأت أصمهم من حيث لا يعلمون . ان الانسان لا يزال معذبا على مقدار جهله وكلما زاد علما بهذا النظام العام أدرك الرحمة وفرح . ان جهنم دار خلقها الله لمن لا يعقلون . ألا ترى الى قوله تعالى - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير - وقوله - ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما مأواهم جهنم الخ - ومن تتبع هذا التفسير أرجو أن يكون له فيه سداد من عوز والحمد لله رب العالمين اه

فلما سمع ذلك (ذلك الصالح) قال هذا حسن ولكن الاحسن من هذه النوادر أن أسمع منك أمورا في نفس الطبيعة المشاهدة حتى ترى بأنفسنا أن الرحمة في المصائب فعلا أما هذا الذي قلته فانما يتجلى بالاستنتاج فقلت سل مابدا لك . فقال ما الفوائد الناجمة من شدة البرد ومن تغطية الأرض بالثلج في الأقطار الباردة فاذا عرفنا أن الحر في الأقطار الاستوائية يهيئ الأرض بالنبات والروائح العطرية والأزهار البهجة والجمال والغابات والنعم العظيمة فأى فائدة في شدة البرد وفي كثرة الثلج للأرض الباردة المسكونة بالانسان والحيوان (فقلت أما شدة البرد) فانها تقتل الحشرات الفاتكة بالزرع وذلك عام في بلادنا المصرية والبلاد التي اشتد بردها فنتى أقبل فصل الشتاء غابت عنك الحشرات التي كنت تراها في أرضنا مثل أبي دقيق والجراد وغيرها فهذه فانكات بزرعنا فأهلكها الله ثم يخلق غيرها (وأياها) البرودة تجعل في الأرض قابلية لبذر الحب بما تفعله في الطين

من التفقت . أما الثلج في البلاد الثلجية فإنه يغطي الأرض ليحفظ البذور والنباتات الصغيرة من سطوة
البرد كما يحفظ الماء الذي تحته في الأنهار من أن يصير ثلجا والامات السمك . فالثلج يحفظ نبات البر
وسمك البحر . قال هذا والله عجب عجاب . فقلت إذن الثلج نعمة على الحيوان والانسان يحفظ البذر
والسمك والنبات من البرد . والبرد نعمة فيقتل الحشرات ويصلح الأرض للزراعة فسبحان الخلاق العظيم
فهنا إذن (١) حشرات تخلق لتنظيف الجو وذلك بأكلها الرطوبات المضرة بنا (٢) برد قاتل لتلك
الحشرات (٣) ثلج مانع لتلك البرد القاتل أن يفتك ببذورنا وزرعنا الصغير (٤) ثم ضوء الشمس المنزّل للثلج
فيخرج نباتنا ونمو زرعنا ونعيش آمين

جهل الناس هذا الجمال ففزعوا الى الروايات وأبرزوها بهيئة مسارح تسر الناظرين . ولوأنهم رأوا هذا
الجمال لبهرهم . هذه هي الحكمة . حشرة نافعة في امتصاص الرطوبة فتى أمت واجبها ضربها البرد فتى
أتم واجبه منعه الثلج أن يضر الزرع الصغير فتى أتم واجبه برزت الشمس . هذا هو الجمال وهذا هو العلم
ومن هذا يفهم الناس معنى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - أنظر كيف وسعت رحمته . أنظر
كيف كان ثلجه وبرده وحشراته كلها مهلكات ولكنها حكمة عامة . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هذا
هو الذي يشرح الصدر . ولكنني أسألك سؤالاً أهم من هذا . اذا كان الله هكذا رؤفاً رحماً فلماذا يمتننا
وهل هذا فعل الرحيم . فقلت هذا هو الذي أحب أن أكلمك فيه . اعلم أن الأطباء في زماننا الحاضر
في أميركا وأوروبا يجدون أن في طاقتهم أن يطبوا الأعمار ويزعمون أن هذا ممكن . وأنا أقول لك انه
مستحيل ومستحيل أن تطول الأعمار كما يشتهون . نعم يعمر قوم على سبيل النذور والقلعة . أما ان
طول العمر يعم في المسكونة فذلك لا سبيل اليه وذلك لأمرين (الأول) ان الناس لو عاشوا ألف سنة أو خمسمائة
سنة مثلاً وتناسلوا لأصبحت الأرض لا تسعهم أي لا تسع سكانهم وحدها فلا يجدون مكاناً يجلسون فيه فيبقى
الابن وابنه الى الجيل العاشر أو الثاني عشر وهذا هو العذاب الأليم واذن يقتل الناس بعضهم بعضاً ان عاشوا
ووجدوا قوتاً ومن أين يكون قوتهم إذن (الأمر الثاني) ان هذه المادة التي نعيش فيها لو أنها خصت بنا
نحن ولم نلد ولم نولد وعشنا أعماراً طويلاً لكان ذلك خطأ وخطأ (وذلك) لحصر المنفعة في عدد معلوم
من المخلوقات . فأما الموت والحياة والحمل والولادة فان معناه تكثير الأحياء فيعدون بمئات الآلاف من
الأجيال بدل جيل واحد . وأيضاً لو كنا جيلاً واحداً على الأرض أزلاً وأبداً فما الذي نأكله . أليست
الحيوانات والنباتات . ولكننا فرضنا أن الأحياء لا تتجدد . فما الذي نأكله بعد انقراض النبات والحيوان
اللهم إلا اذا كان هناك (نظامان) نظام لنا بالخلود وعدم الموت ونظام للنبات والحيوان بالتجدد وهو خطل
في النظام . فسبحان مدبر الكون ومبدعه

هذا معنى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - فلما سمع صاحبي ذلك قال كفى لقد أصبحت موقناً
بسعة رحمة الله وعرفت أن أهل الأرض في الشرق والغرب نائمون وأحببت ما يحبه الله من حياتي الآن وموتي
عند بلوغ الأجل وأيقنت أن أكثر هذا الانسان غافل ساه ولو أنهم علموا ما دار بيننا لم يكره أحد الموت . إن
الله حكيم . ان الله رحيم . هذه هي النعمة . وهذه هي الرحمة . ان هذا هو العلم الذي تكون به سعادة النفوس
وانشراح الصدور . بل هذا هو السر المصون والجوهر المكنون . والحمد لله رب العالمين . انتهى

(شهود المناظر العجيبة في محاسن الخليفة)

أيها الذي ها أنت ذا شاهدت معي منظراً ساحراً تحرّ له العقلاء للذقان سجداً . قد شهدت هنا وفي
حواضع كثيرة من هذا التفسير الذي جعله الله روضة من رياضه فيه جنات من نخيل وأعناب وفواكه مما
يشتهون . فما أنت ذا رأيت تلك الصور الساحرة . انها صور تمثيلية أو صور متحركة (سينما) ان الطبيعة

أمام العقل الجامد جامدة وأمام العقول اللطيفة متحركة ساحرة باهرة جميلة الحيا . فانظر رعاك الله هذه المناظر فهنا طائفتان شاهد ومشهود ﴿ ذلك ﴾ أن الله عز وجل ألهم الناس أن ينشؤا في الأرض محال للتمثيل تمثل فيها الروايات بالأشخاص في المسارح المشهورة ومحال أخرى للصور المتحركة كما ذكرناه والنظار من الناس يشهدون . اذن الناس ﴿ قسمان ﴾ شاهد ومشهود هكذا هنا في الحكمة . الناس فريقان مشهود وهم علماء الأمم في اللغات كالنحو والصرف والمعاني والانشاء وفي العلوم الرياضية من الحساب والهندسة والجبر والفلك . وفي الطبيعيات كعلوم المواليد الثلاثية وكالكيمياء والطبيعة وفروعها

أما الشهداء هذه المناظر العامة فهم الحكماء والصدّيقون أولئك الذين يخلقون في الأمم جيلا بعد جيل ويحيون النظر في تلك العلوم وينظرون اليها نظرة عامة كما ترى في القرآن . فهؤلاء هم الشهداء أشبه بالنظارة في المسارح العامة ومشاهد الصور المتحركة . هؤلاء نظرهم عام هم الذين يخلقون في الأرض ليرشدوا الأمم لتلك العلوم ويهيئهم للإصلاح وهم هم الأبرار الذين - يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا - وهم - في نعيم على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وسترى نفس برختام المسك والرحيق هناك في الجزء الأخير من هذا التفسير . وستعلم أن ذلك يرجع الى الحكمة والعلم واليقين فهؤلاء شهداء على الأمم يحيون هنا الى الأرض وفطرتهم مولعة بحب الاطلاع والاصلاح وهؤلاء هم الأبرار الذين قال الله فيهم - إن الأبرار لفي عليين وما أدراك ما علييون * كتاب مرقوم يشهده المقربون - فهؤلاء كتابهم في عليين لأن علومهم وأنظارتهم عامة . فأما أصحاب العلوم الخاصة كالفقهاء والنحاة والفلكيين والرياضيين فانهم يختصون بعمل في المشهد العام ومسارح التمثيل في السكون والأبرار هم الشهداء عليهم وهم الذين يعرفون كلا بسيماهم . وكتاب هؤلاء الأبرار يشهده المقربون من الملائكة عند الله تعالى لأن المقربين نظرهم كلي فهم يلاحظون هؤلاء المصلحين ويشهدون أعمالهم ويلهمونهم الخير في الدنيا . ولن يشهد المقربون أصغر الأمم الذين ليسوا مشرفين على العلوم العامة والنظام الكلي لأن كتاب أولئك الأصغر ليس في عليين فليس كليا . إن الأبرار والصدّيقين كتابهم في عليين وهم من جهة أخرى مشهودون يشهدهم المقربون وهؤلاء هم الذين جاء فيهم قوله تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - فالناس مختلفون ولكن هذه الطائفة من المفكرين هم الذين رحمهم ربك وإنما رحمهم لأن نظرهم عام وبه فهموا الرحمة العامة التي في هذه الآية - ورحمتي وسعت كل شئ - وهؤلاء الأبرار هم من الذين يشملهم قوله تعالى - فساء كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون - الى قوله - وأولئك هم المفلحون -

اني أرجو أن يكون هذا التفسير وأمثاله نواة صالحة لانشاء فئة من المفكرين في الأمم الاسلامية يكون مشربهم على نمطه فيكونون هم الأبرار وهم الصدّيقون وهم الشهداء على الناس وتشهد كتابهم الملائكة وهم الذين رحمهم ربك لأنهم يتحدون . وباتحادهم تتحد الأمم الاسلامية المسكينة التي اختلف قوادها وأقطابها لجهالتهم الفاشية إلا قليلا منهم . فهؤلاء الذين يقرؤن ما كتبناه سيجدون أنهم على مشرب واحد في سائر المذاهب الاسلامية فيوحدون الأمم الاسلامية جيلا بعد جيل والحمد لله رب العالمين . انتهى

المبحث السابع

﴿ المبحث الثامن ﴾

هذا المبحث هو المقصود من القصص المتقدمة وهو اثبات نبوته ﷺ فلقد ذكر في القصص المتقدمة معجزات الأنبياء وانما قوبلت بالاعراض . فأما رسولنا ﷺ فانه قال فيه - واتبعوا النور الذي أنزل معه -

﴿ بدائع سورة الأعراف ﴾

اعلم أن هذه السورة تفيد أن الإيمان على ﴿قسمين﴾ إيمان دائم يرفع إلى أعلى الدرجات وإيمان ناقص لا يلبث أن يزول . والقسم الثاني إيمان العامة ومن نخا نحوهم من الأمم الجاهلة فإن الله عندهم لا يعرف إلا بما يخالف النواميس الطبيعية والأنبياء والقديسين في نظرهم لا يعرفون إلا بما يخالف نواميس الطبيعة ولذلك ترى العالم الانساني من قديم الزمان وإلى هذا العصر يخضعون لكل من أدهشهم بأمر فوق طاقتهم فلانبي إلا حيث يخرق النواميس ولاولى مقدسا إلا حيث تقلب له الأوضاع فجاءت سورة الأعراف فنقضت هذه القضايا وكذبت هذه الدعاوى وأبعدت هذه الرزايا وأعتقت الجنس البشرى من التعويل على ما كان مخالفا للنواميس فقد ذكر كيف كفرت الأمم بعد الإيمان . وكيف صدق السحرة في الإيمان وكفر بنو إسرائيل بعد ما رأوا الآيات بالعيان فالمدار على الأنوار النفسية والعلوم العقلية والوقوف على الحقائق الكونية حتى تعرف الرحمة الالهية ويمتاز الخبيث من الطيب إذ العامة ومن نخا نحوهم يعيشون ويموتون وهم مخدوعون إيمانهم تقليدى ودينهم لفظى فلا يعرفون النواميس الطبيعية ولا العجائب الفلكية ونفوسهم نائمة فلا يدركون الله إلا اذا دهشهم واقعة وصدعتهم قارعة وبطشت بهم باطشة فلا يدركون الله إلا قليلا

أما القسم الأول فهم الذين يرون الله عند كل حركة وسكون ونور وظلام وسهل وجبل وشمس وقر وحجر وشجر لأنهم يعرفون نظام الطبيعة واتقان الخليقة وعجائب هذه الدنيا . وهذا معنى وصف القرآن هنا بأنه النور . فالأنبياء عندهم يهدون الناس بطريق الحقائق والعلماء والمصلحون هم الذين يرشدون الناس بعقولهم لا بانامة أفكارهم بالدهشات والغرائب حتى تقف العقول عند ما وصل إليه الشيوخ . وكما من شيخ كان الاعتقاد فيه سببا لوقوف عقل تلاميذه . وكما دين كان الوقوف على ظواهره من أسباب الخلل في النظام والجهل في الأحكام ثم تفرق الأمة بعد ذلك شذروا من الناس تأهون لا يعلمون ما يصنعون

واعلم أن هذا الفريق في الأمة المحمدية اليوم كبير قد تركوا عقولهم وأناموا بصائرهم فهم بعد الصدر الأول عالة على الأمم . وسيكون في المستقبل منهم حكماء وعلماء . دارسون لهذا الوجود . مؤمنون بما صنعه يد الله في كل موجود . موقنون إيقان الحكماء لا تقليد الجهلاء . هذا ما نتوقعه ونرجو الله أن يحققه هذا هو الذى سيكون في أمة الاسلام في مستقبل الزمان وسيقل تقليد الشيوخ الجاهلين الذين يقولون الله لا يعرف إلا بنظراتهم . وسيعرف المسلم أن الله لن يعرف حق معرفته على قدر الطاقة إلا بمعرفة جلال هذه العوالم العالوية والسفلية . والله الأمر من قبل ومن بعد . والله عاقبة الامور .

ولما كان هذا هو شأن القرآن وهو الذى أوفحته في سورة الأعراف التى يشير اسمها الى معرفة المعاني العالية . والحكم والآراء الثابتة . والعلوم الغالية . والأنوار المشرقة . والشموس المتألقة . والأضواء المبارقة والقوة الساحقة . أخذ يأمر نبيه ﷺ أن يعلن هذه الحقيقة على رؤس الأشهاد ويقول (قل) يا محمد (يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا) فإن الدين العام هو ما ناسب الفطرة والفطرة تأنس بالنظام . فأما الخوارق النادرة فلا نظام فيها ولا ثبات وقوله - جميعا - حال من اليكم (الذى له ملك السموات والأرض) صفة لله تعالى (لا إله الا هو يحيى ويميت) وإذا كان له ملك السموات والأرض وهو المتصرف في الوجود وحده والحياة والموت من صنعه فإني رسوله الدال على النظر في نظامه العام فلا أعول إلا على النظام الطبيعى والعجائب الفلكية والغرائب الحكيمة . فهذا هو الذى أرسلت لأبينه وهو أرحم الراحمين وأنا أرسلت للناس رحمة . ولما كانت هذه صفة الرسول ﷺ قال الله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته) ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الهداية مرتبا على الإيمان المذكور وعلى التقوى فمن آمن به وهو غير تقي فليس مهتديا . ولما فرغ من وصف أمة

محمد ﷺ على سبيل الاستطراد رجع الى قوم موسى فقال (ومن قوم موسى) يعنى من بنى اسرائيل (أمة يهدون بالحق) يهدون الناس بكامة الحق (وبه) وبالحق (يعدلون) بين الناس فى الحكم وهم الثابتون على الايمان فكانه سبحانه يقول انا قد ذكرنا فى هذه السورة مخازى بنى اسرائيل وانهم قوم خشنو العقول والطباع فقد عبدوا الجمل ولهم مخاز كثيرة وأن أمة محمد ﷺ هم الذين تجتمع لهم الرحمت وتزل عليهم البركات فهم أرقى من أمة موسى ولكن هذا لا يدل على أن قوم موسى جميعهم فاسقون كلا فان من قوم موسى طائفة قامت بالحق وحكمت بالعدل (وقطعناهم) وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض (اثنتى عشرة) مفعول ثان لقطع أى صير وقوله (أسباطاً) بدل منه (أما) بدل بعد بدل أى جماعات وقبائل والأسباط هم أولاد يعقوب ويعقوب هو اسرائيل وكانوا اثني عشر (وأوحينا الى موسى إذ استسقاء قومه) فى التيه (أن) اضرب بعصاك الحجر فانبجست (أى) فانفجرت (منه) من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعنى لكل سبط عين (قد علم كل أناس) كل سبط (مشر بهم وظللنا عليهم الغمام) ليقهيم حر الشمس (وأزلنا عليهم المن والسوى كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) واعلم أن هذا المقام تقدم شرحه فى البقرة وقد وازت هناك ما بين العصا التى ضرب بها موسى وبين عجائب الطبيعة التى أبرزها الله فى الأرض التى بها تتفجر الأنهار والمسلمون غافلون فارجع اليه ان شئت (واذ قيل لهم استكنوا هذه القرية) أى اذكر القرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيأتكم وسنزيد المحسنين) وهذا المقام تقدم فى سورة البقرة أيضاً فافهمه فيها (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون) كل هذا تقدم فى البقرة ذكر ثلاث حوادث اثنتان خاصتان بنى اسرائيل والثالثة عامة لنوع الانسان . أما الحادثان الخاصتان بنى اسرائيل فأولاهما مسألة القرية التى كانت حاضرة البحر ﴿ وذلك ﴾ أن اليهود الذين كانوا يسكنون أيلة وهى العقبة وهى بلدة قريبة من البحر قد فعلوا أمراً مخالفاً للشرعية فانهم فعلوا مع الله فى شريعته ما يفعل السارقون والنشالون وكذبوا عليه تعالى بحيل لفقوها وفتاوى شرعية كتبوها ﴿ ذلك ﴾ أن الله حرم عليهم كل عمل يوم السبت فاحتالوا على العمل فى ذلك اليوم بحيلة شيطانية كما يحتال صغار الفقهاء من المسلمين بالحيل الشرعية غرورا وجهالة . ذلك أن السمك فى يوم السبت كان يظهر فوق وجه الماء فتحاموا صيده ولم يمسكوه ولكن اذا رأوه داخل مكان فى جانب البحر جعلوا على مدخله سداً فلا يفلت منه السمك حتى اذا كان اليوم الثانى انقضوا عليه فاصطادوه . فظاهر الأمر أنهم اصطادوا فى غير يوم السبت ولكن الحقيقة أن الصيد الحقيقى هو فى يوم السبت فأنزل الله هذه الآيات على رسوله ﷺ ليوبخهم ويقرعهم ويظهر لهم مكنون العلم الذى خبؤه فى التوراة وليفضحهم وليقول لهم يا أيها الناس أتم قديماً وحديثاً عاصون مخالفون تاركون لأوامر الله فأنتم أشرار الناس . وهذا قوله تعالى (واسألهم) يا محمد (عن القرية) وهى أيلة وهى قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر الأحمر . وهذا معنى قوله (التي كانت حاضرة البحر) الأحمر أى قرية منه (إذ يعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكنت أى وقت يتجاوزون الحد (إذ تأتيهم حيتانهم) أى وقت تأتيهم حيتانهم (يوم سبتهم شرعاً) يوم تعظيمهم أمر السبت ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان (ويوم لا يسبثون لآتيهم) أى ويوم لا يدخلون فى السبت الخ (كذلك) مثل ذلك البلاء الشديد (نبأهم بما كانوا يفسقون) واختلف أهل القرية إذ ذاك فكانوا فرقا ثلاثة فقوم هم الخاطئون وقوم نهوهم عن ذلك وقوم سكتوا وقالوا للناهيين - لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً الخ - وهذا قوله تعالى عطفاً على - إذ يعدون - (واذ قالت أمة منهم) من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما كثروا لهم من الوعظ للفرقة التى لا تزال تعظ الفرقة المخطئة (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) علماً

منهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا) وعظناهم (معذرة) أي وعظناهم للمعذرة (إلى ربكم ولعلهم يتقون) أي ولطمعنا في أن يتقوا (فلما نسوا) أي أهل القرية (ماذكروا به) ماذكروهم به الصالحون عبر عن ترك العمل بالنسيان للبالغة في تعريف ضلالهم (أنجينا الذين ينهون عن سوء) عن أخذ الحيتان يوم السبت (وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة أمر الله (بعذاب بئيس) شديد من يؤس يؤس يؤس إذا اشتد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم * عن الحسن قال نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان * يقال إن الناهين لما أيسوا من اتعاط المعتدين كرهوا مساكتهم فجعلوا بينهم وبينهم جدارا فيه باب مطروق ثم فصل ذلك العذاب البئيس فقال (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي فلما أبوا أن يرجعوا عن المعصية وتمردوا في العصيان (قلنا لهم) وهذا كقوله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون - (كونوا قردة خاسئين) أي صاغرين مبعدين من كل خير * قال مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم . أقول وسبب ذلك أن الإنسان قد امتاز عن الحيوان وعن أعلاه وهو القردة بالفكر والعقل وهؤلاء لما طرحوا أفكارهم ظهريا وأرجعوا أمر التحريم والتحليل للألفاظ التي يتلاعبون بها نامت غرائزهم وصارت عقولهم طائفة التقليد للعلماء الضالين . والتقليد من شأنه أن يمت القوة العاقلة وينزل الإنسان إلى دركات البهائم وأقربها إلى الإنسان القردة فكأنه تعالى يقول إن الذنوب والمعاصي هي التي سلبتهم عقولهم فرجعوا إلى البهائم وصفاتها من عدم التعقل (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وهذا التفسير هو المناسب لعصرنا الحاضر ألا ترى أن المسلمين لما كثرت فيهم الجهال من صغار الفقهاء وقالوا لهم اعرفوا العلوم الفقهية وقصروهم عليها كيف أصبح كثير منهم كالقردة واستعبدتهم أهل أورربا . فيعجبا كل العجب مالى أرى هذه القصة منطبقة تمام الانطباق على أمة الاسلام . نحن معاشر المسلمين إلا قليلا منا فعلنا فعل اليهود . ألم يترك كثير من المسلمين العلوم والمعارف وهي مفروضة عليهم . ألم يترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاسيما من حكمهم أهل أوروبا . ألم يكن اقتصارهم في الطهارة والنجاسة على طهارة الثوب والبدن وترك نجاستهما داعيا إلى عدم العناية بالطهارة من الكبرياء والحسد والغل والحقد وما أشبه ذلك . إن اقتصارنا على ظواهر العبادات وطرحنا ظهريا طهارة نفوسنا وأخلاقنا دعا إلى تفريق كلمتنا وتأخر تجارتنا وسياستنا وزراعاتنا وصناعاتنا فنحن نظرنا إلى الظواهر كما نظر اليهود إلى ظاهر لفظ الصيد ولم نعبأ بالباطن كما لم يعبأوا هم بالحقائق وأن المدار على حقيقة الصيد فهذه الآية منطبقة علينا تمام الانطباق

﴿ تذكرة للأولف أيام المجاورة بالجامع الأزهر ﴾

لقد كنت أيام المجاورة بالجامع الأزهر الشريف قبل أن أعلم التفسير أقرأ هذه الآيات في ظلمات الليالي والنجوم ظاهرة . والأضواء باهرة . وآيات الله في الجوّ حافلة ، والجال باهر . والشوق للحكمة والعلم سافر فأقول ياليت شعري ماهي البلدة التي كانت حاضرة البحر وما اسمها وما اسم البحر . وكنت أنجب من قوله تعالى - واسألهم الخ - وكانت هذه الآراء تأخذ من قلبي كل مأخذ وأبيت مفكرا فيها بشوق وتوق لا مزيد عليهما . هكذا كنت إذا سمعت ذكر الأولين ومبانيهم أجد في النفس شوقا كثيرا إلى معرفة ما بنوا وما تركوا للخلق وكأن الله ألهم الأمم أن تبني مصانع ليتهجب الخلق فيشتاقوا للمعرفة ولجاراتهم فيما يصنعون وأوحى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنزل عليهم شذرات من التاريخ للعظة وليكون تشويقا إلى احاطة الآخرين بما فعل الأولون . فهذا العالم قائم بناؤه على الأشواق والتذكير

﴿ ذكرى المسلمين بهذه القصة وبكاء ابن عباس رضى الله عنهما ﴾

روى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول - أنجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس - فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي . قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداءك

الأنارهم قد أنكروا وكبروا ما هم عليه وقالوا - لم تعظون قوما الله مهلكهم - وإن لم يقل الله أتحيثهم لم يقل أهلكهم فأعجبه قولي ورضي به وأمر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت السانكة .
 أقول فيأليت شعري لم بكى ابن عباس . إن ابن عباس بكى لما علم أن الله لا يفر لمن سكت عن النهي عن المنكر وغاية الأمر أن الأقوال التي قالوها دلت على أنهم قد عموا آخر ما يقدر على
 فيأعجبها كل العجب . علم ابن عباس ما سيكون من العذاب لهذه الأمة على سكوتها . سكنت الأمة الإسلامية عن نهى المجرمين منها . أجم كثر من المسلمين . أجموا بالجهل . أجموا بالبهتان والكذب والبغض . أجموا بترك الصناعات والعلوم والمعارف . أجموا وأجموا وأجموا . فإذا حصل . أغار الفرنجة عليهم ثم استخدموهم كالحيوانات يجزّ صوفها ويشرب لبنها . وهذا مثل ما ذكره الله في قوله - كونوا قردة - والقردة طليعة للقائم بتدبير شأنها . فترى الرجل يأخذ القرد في الأسواق فيرقصه ويضرب له على الطبل وهكذا وهو في جميع أموره تابع لأمر سيده . هكذا الأمم الإسلامية لما ابتليت بترك الأوصى بالمعروف والنهي عن المنكر شاع الجهل وذاع الذل والصغار لأنهم تركوا مواهبهم فأصبحوا للفرنجة مسخرين وللطاغاة خاضعين وللظالمين صاغرين . وقد آن أوان مجدهم وبزغت شمس يوم عزّهم وسيكون لهذا القول وأمثاله من كتاب الإسلام أثر في القلوب الواعية . ووقع في النفوس العالية . وسيقوم في المسلمين طائفة تخرجهم من هذه الحال القردية إلى حال الإنسانية . وقد ابتدأ الترك والأفغان والهنود والمصريون وغيرهم أن يوقظوا العقول وينهوا النفوس - والله هو الوليّ الجيد -

﴿ مستقبل اليهود بعد ذنوب آبائهم ﴾

قال تعالى (واذ تأذن ربك) أي أعلم (ليبعثن عليهم) الألام للقسم أي كتب الله على نفسه لیساطق على اليهود (اليوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي من يوليهم أي يعذبهم بأشدّ العذاب فكانوا يؤدّون الجزية للنجوس فلما جاء الإسلام ضمه بها إليهم وقد سلط عليهم بختنصر وسنجاريب ومالك الروم وهؤلاء هم الذين نفوهم من ديارهم بعد رفع المسيح بنحو سبعين سنة . والمراد من هذا العذاب العذاب الدنيوي . ومعلوم أمر اليهود اليوم وقد قامت بأذلالهم دولة القياصرة في الروس قبل زوالها . وكذلك قام الألمان اليوم على بعض اليهود فقتلواهم وهم أينما حلوا كانوا شديدي العصبية لأنفسهم . ثم ختم المقال سبحانه بقوله (إن ربك لسريع العقاب) لمن أقام على الكفر (وإنه لغفور رحيم) لمن آمن منهم . ولما كان اليهود قد حكم عليهم أن يهذبوا من الدول إلى يوم القيامة لشدة عصبيتهم ذكر الله تفصيل أحوالهم فقال تعالى (وقطعناهم في الأرض أماناً) أي وفرقناهم بحيث لا يكاد يخالو قطر منهم ولا يكون لهم شوكة (منهم الصالحون) الذين آمنوا (ومنهم دون ذلك) ناس منحطون وهم الفسقة أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح فحل دون ذلك الرفع وهو صفة للموصوف المنحرف الذي ذكرناه (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعمة والنقم والخصب والجذب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينبون إلى الله (نخف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من التحريم والتحليل والأمر والنهي ولم يعملوا بها (يأخذون عرض هذا الأدنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنوب بمعنى القرب لأنه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلام والتعبير بالأدنى يشعر بالتخسيس والتحقير (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الأخذ أوالى الجار والمجرور وهو لنا (وان يأثمهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحوال أي يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (ألا يقولوا على الله إلا الحق) أي أخذ عليهم الميثاق في

كتابهم ألا يقولوا على الله إلا الصدق وهو عطف ببيان لميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) وقرأوا مافى الكتاب وهو عطف على قوله - ألم يؤخذ عليهم - لأنه تقرير كأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا مافيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) أنه كذلك (والذين يمسكون) يعتصمون ويتعاقون (بالكتاب وأقاموا الصلاة) خصها بالذكر لأنها عماد الدين ولأن العبد فيها يناجى ربه فهى صلة بينه وبين ربه والا فالكتاب فيه كل عبادة وأمر ونهى (إنا لانضيع أجر المحسنين) إنا لانضيع أجرهم . انتهى الكلام على إحدى الحادتين الخاصتين باليهود وما فرغ عليها من الحكم والمواعظ وتحريم الرشوة وأن التوبة الزائفة الكاذبة المصطنعة التى ينتحلها الكذابون من جهالة المسلمين لاتفيد ولا تنفع وكيف تنفع التوبة اللفظية والنفس طامحة الى ذنوبها . غارقة فى بحار شهواتها . عازمة على اقتحامها مصممة على انتهاك حرمتها . ذلك شأن كثير من قضاة المسلمين وحكامهم وأرباب الجاه فيهم وبعض الفقهاء الغافلين النائمين

﴿ الكلام على الحادثة الثانية الخاصة باليهود ﴾

قال تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم) أى قلعهاه ورفعناه فوقهم . وأصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما أظلك (وظنوا) وتيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت فى الجوّ ولأنهم كانوا يوعدون به وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيه والا ليقعن عليكم وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجدّ وحزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولا تركوه كالمسى (لعلكم تتقون) قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق . وهذا كله تقتسم فى سورة البقرة . انتهت الحادثة الثانية الخاصة ببني اسرائيل

﴿ ذكر الحادثة الثالثة العامة لجميع نوع الانسان ﴾

ههنا فرغ سبحانه من القصص التى ذكرها فى هذه السورة وقد تبين فيها ما يعترى الأمم من الهلاك اذا عصت الناصحين تحقيقا لما جاء فى أوّلها من هلاك القرى ليلا أونهارا وأهلها يقرّون بأنهم ظالمون . فها هو ذا هلاك القرى المتقدم وأن كل أمة تقرّ عند الهلاك انها كانت ظالمة . فههنا ذكر سبحانه الحجة العظيمة والآية الكبيرة التى تعمّ الأمم كلها . ذلك أن الأمم جميعها قد نصبت لها الدلائل وقامت لها الحجج وظهرت لها بوارق الحقّ فى آفاق السماء ومناكب الأرض وفى الأنفس التى أجملها فى أوائل السورة فى قوله تعالى - إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الخ - فالحجائب السكّانة والبدائع الواضحة فى هذه العوالم العالوية والسفلية هى العهود والمواثيق التى أخذها الله على الناس أن يؤمنوا بالله وأن يعدلوا فى أحكامهم ويصدقوا فى أقوالهم وأنت لوسرت فى شرق الأرض وغربها لو جدت الأمم كلها مغرمة بالبحث فى الحقائق . عاكفا عظمائها على درس هذا الوجود . لافرق فى ذلك بين أوروبا والشرق الأقصى والشرق الأدنى وأمريكا . وهذا الاندفاع فى الاستطلاع هو الميثاق الذى أخذه الله عليهم لأنهم بمبحثهم يعرفون أن للعالم صانعا . ومصدق ذلك أنك ترى الأمة المصرية بين القرن السابع والعشرين قبل الميلاد والقرن الثانى عشر قبل الميلاد أيضا قد بحثت فى جميع الفنون والعلوم والنظام والحكمة وسائر وجوه الأعمال الانسانية . وهكذا الصين فى ذلك الوقت فقد كانت الأخيرة تمارس الزراعة والفنون الصناعية وكانت لها تجارة واسعة وسياسة اجتماعية وقوانين ومدارس عامّة ويعرفون الفلك والطب والموسيقى والنحت والنقش . هكذا قال وزير معارف الصين . وترى أنه بعد ذلك فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد الى القرن الثالث قبل الميلاد ظهر هناك حكماء يبحثون شرقا وغربا فى نظام هذا العالم . فكما كان الفيلسوف الاغريقى (اميسوقايس) يقول ان العناصر أربعة كان نظيره فى الصين (كى نسو) يقول ان العناصر خمسة وأدخل فيها الخشب والمعدن وأخرج الهواء . وبينما كان العلامة

(سقراط) اليوناني يستعمل المحاوره مع التلاميذ لاستخراج الحقائق كان في الصين الفيلسوف (لاوتسو) و (شوانج تسو) يعلمان الرياضة والطبيعات والمنطق والسياسة والآداب وكذلك (كونفوشيوس) الذي كان يعلم قواعد السلوك

ثم انتشرت البوذية في الشرق الأقصى أي بلاد الصين في الوقت الذي ظهرت المسيحية في الشرق الأدنى وفي أوروبا وهو القرن الأول للميلاد . ثم انه بينما كانت الأمم الصينية في القرون الوسطى الى القرن السابع عشر أشبه بأوروبا من حيث ان أتباع كونفوشيوس كانوا ذوي فلسفة أشبه بفلسفة أوروبا . إذ ذلك كانت أمة الاسلام هي المنبع الأصلي الذي أنقذ أوروبا من الجهالة وانتشرت آراء ابن رشد من الأندلس الى سائر أوروبا فارتقت وذلك في القرن السابع عشر والثامن عشر وما حولهما . فأما الصين فقد تذبذبت الى بعض العلوم الظاهرية كاللغات ونحوها إذ ذلك . فأما الآن فالعالم الانساني كله يريد أن يتجه الى العلم الكا طريفا معينا في العلوم والمعارف وهو نتيجة ما كان عند المصريين واليونان والرومان وأهل بيزنطية والعرب

هذا هو التاريخ المجمل للديانات في الأرض والفلسفة وجميع هذا دال على أن الانسان خلق مغرما بالبحث والتنقيب والتفكير لافرق بين الشرق والغربي والناس جميعا يستمد بعضهم من بعض . فهنا يقول الله تعالى (واخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) أي أخرج من أصلابهم نسلهم فبعد أن كانوا في أصلاب الآباء خرجوا الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود (وأشهدهم على أنفسهم) بما ركب فيهم من العقول التي قدمنا ذكر نتائجها في مصر وأوروبا والصين والاسلام وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعه التي أجهلناها في هذا المقام شرقا وغربا فبهذا الاشهاد صاروا كأنهم قيل لهم (ألسن بربكم) وكأنهم (قالوا بلى) وذلك بما أظهر لهم من الدلائل التي اضطرتهم الى أن يعلموا أنه خالقهم بما ركب فيهم من العقل والفكر والفهم فقالوا بلى (شهدنا) على أنفسنا انك أنت ربنا وهذا مجاز لاحقيقة ومثل هذا في كلام العرب مشهور

ثم اعلم أن أكثر المفسرين فسروا الآية بوجه آخر لأنهم رووا أحاديث في هذا المعنى منها ما روى عنه عليه السلام أنه قال ﴿ أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألسن بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ وفي رواية أخرى ﴿ انه لما خلق آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصابيه واستخرج ذريته كالذر وكتب أرزاقهم وأجلهم ومصابيهم ﴾ وهذا القول قد توسع فيه المفسرون وقالوا انه يدل أن هذا الذر خرج من صلب آدم ثم خرج بعضه من بعض على الترتيب الذي رأيناه في الدنيا . ثم ركب فيه العقل والفهم وخطوب وأجاب ثم رجع الذر من حيث أتى في صلب آدم وكان ذلك اشارة الى عالم آخر كنا فيه . والأحاديث لم تذكر إلا هذه الرموز التي بين فيها أن من كان هناك شقيا فهو شقي هنا وكذلك السعداء . ولتعلم أن علم الأرواح يفيد أن الناس كانوا قبلا في عالم غير هذا وهم هنا على ما كانوا عليه هناك . وسيكونون بعد الآن على ما هم عليه الآن . وهذا يشابه تلك الأحاديث من حيث الاجمال ويخالفها من حيث التفصيل - وفوق كل ذي علم عليم - قال الله تعالى فعلنا ذلك كراهة (أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) وفي قراءة بالتاء الفوقية (أوتقولوا) عطف على أن تقولوا (انما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم . وكيف يصح التقليد مع قيام البرهان (أفهل كننا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك (وكذلك) أي مثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) ليتدبرها العباد (ولهم يرجعون) أي عن التقليد واتباع الباطل . انتهى القسم الثامن

(الْقِسْمُ الثَّاسِعُ)

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ *
 وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ
 عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ
 يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
 بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا
 الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
 يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
 مَتِينٌ * أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي
 مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
 أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ
 ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
 عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ
 اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا
 فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا
 لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ * أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا
 أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ

أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ
 يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُون *
 إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِنَّمَا
 يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزْغٍ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
 طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيَةِ ثُمَّ لَا
 يُقْصِرُونَ * وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا قُلْ إِنَّمَا أُتِيَ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا
 بَصَافَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
 وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ *

﴿التفسير اللفظي﴾

اعلم أن ما سبق في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام وما مضى في سورة الأعراف التي
 نحن بصدد ها الآن مأخوذة من الحكم والمواعظ لاسيما في هذه السورة التي جاء فيها ذكر آدم وإبليس وما تبع
 قصتهما من أحكام اللباس والتقوى وأهل الجنة والنار والأمر بالنظر في السموات والأرض وقصص الأنبياء
 وأممهم وكيف أهلكتهم بتقصيرهم وتكذيبهم لاسيما أقرب الأمم إلينا وهم اليهود * فهذه السورة جعلت عظة
 واعتبارا بذكر خراب الأمم ودمار أهلها وإهلاكهم متى كذبوا بآيات الله وانصرفوا عنها فلذلك أعقب ما ذكر
 بقوله (وانزل عليهم) اقرأ عليهم يا محمد (نبا) خبر الخبر وهو من أخبار بني إسرائيل سيأتي ذكره وأمية بن
 أبي الصلت من شعراء الجاهلية الذي آمن قلبه وكفر لسانه كما سيأتي تفصيل قصته أوكل منافق من أهل الكتاب
 يعرف صفته عليه السلام ويحججه أوكل من عرض عليه الهدى فلم يؤمن فوصف الواح من هؤلاء جميعا بقوله
 (الذي آتينا آياته فأنه بلغ منها) أي نفج من الآيات بأن كفر بها ونبذها و... ظهره (فأتبعه الشيطان)
 فلهذه الشيطان وأدركه وصار قريظا له (وكان من الغارين) فصار من الضالين الكافرين (ولو شاء لرفقناه)
 إلى منازل الأبرار من العلماء (بها) بتلك الآيات (ولكنه أخذنا من الأرض) مال إلى الدنيا ورغب فيها فان
 الدنيا عبارة عما في الأرض من المدن والضياع والمتاع والعدا والذبات الخ (وانبع هوأه) في إشار الدنيا ولذاتها
 ومقتضى المقابلة أن يقال - ولكنه أخذنا من الأرض - فخططنا ووضعنا منزلته فأتي الله بما هو أبلغ في الخط
 فقال (فقله) أي نصفته التي هي مثل في الخسة والنداء (كمثل الكلب) كصفته في أخس أحواله وهو

(إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقال هلك الكلب يلهث إذا أدلح لسانه من العطش وشدة الحر وعند التعب والاعياء . يقول الله انه يلهث دائما سواء أحمل عليه بالزجر والطرده أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات فلا يكون اللهث منها الا اذا حركت . أما الكلب فانه يلهث في الحالين . فهذا مثل ضربه الله لمن آتاه الله حكمة فتركها وعدل . منها واتبع هواه وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللهث . فكما أن الكلب يلهث على كل حال سواء أشدنا عليه وهجناه أم تركناه . هكذا من أوتي حكمة وعاملا ولكنه كفر أو جعل العلم وسيلة لجمع حطام الدنيا وابتزاز أموال الناس بالباطل فانه واقع في الجهالة والمنزلة الوضيعة سواء أوعظناه أم تركناه . فكأن هذه الحال الوضيعة أصبحت طبيعة له لانفارقة فان أعطيناه العلم أو لم نعطه فانه لا يترك حاله التي هو بها متابس . وقد نرى العالم الذي أغناه الله عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة يميل الى طلبها فهو يقرؤها ويقررها ويبالغ في تقريرها لاطلبا لمرضاة الله تعالى ولا ثوابه ولكن طالبا لزيادة الرزق الذي هو مستغن عنه بالكفاف فهو يدلع لسانه في تقرير العاوم لأجل الرزق فكانت حاله كحال الكلب يلهث في الحالين . وهذا يتظاهر بالبلاغة ليحصل على ما ليس في حاجة اليه من المال فكأنه يلهث في الحالين حال البؤس وحال الرخاء فأصبح العلم وسيلة لغرض خسيس وأصبح العالم في هذه الحال مثله كمثل كلب ألبس ملابس الوزراء وأجلس مع الملك على سرير الملك فلم يح عظماء منبوذا أو عرقا ملقيا بعتبة الباب فأسرع الى التقاطه ونبت الوزارة والوزراء والملك والعظماء وأخذ يهشم العظم هشما ويقضمه قضا راجعا الى طبيعته مسرعا الى سلقته . فليس للملك عنده من قيمة ولا يرضى إلا بطبيعة أبناء جنسه

هذا تقرير هذا المثل بطريق الاجمال . قال الله تعالى (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني أن المثل الذي ضربناه للذي آتينا آياتنا فانسأ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا . فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدوها . فوجه التمثيل أنهم جاءتهم الرسل ليهتدوهم فلم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا فهم ضالون على كل حال كالكلب يلهث على كل حال سواء أحملنا عليه أم تركناه

﴿ موازنة بين ذكر الكلب في كلام العرب وذكره في هذه الآية ﴾

(نقلا من كتابي مذكرات في أدبيات اللغة العربية)

شبه الانسان الودود بالكلب في حكاية صهيوية عن بدوي استدعاه أمير فأكرمه فدحه بما رآه في الصحراء من الدلو والتيس والكلب * قال

أنت كالداو لا عدملك دلو * من كثير العطا قليل الذنوب

أنت كالكلب في حفاظك للود * وكالتيس في قراع الخطوب

وقال بعض الشعراء

جزاني جزاء الله شرّ جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقال عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الحى منا * وشذّ بنا قتادة من يلىنا

يقول كلاب الحى صوّت منا وقطعنا شوك القوم الذين أمامنا فلاقوة لهم على محاربتنا . ويقول الشاعر

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا * لأصبح الصخر مثقالا بدينار

هذا نوع ما يقوله العرب اذا ذكروا الكلب تمثيلا فوازن بين هذا وبين ما رأيت في قوله تعالى - وائل عليهم نبأ الخ - وكيف كان التمثيل ناهجا منهج الحكمة والعلم وتعليم العلماء أن يرفعوا عن سفاسف هذه الدنيا وأن يعرفوا قيمة النعمة العلمية . فهل خطر هذا الاعرابى في شعره . ان العالم قد يحجب عن نعمة العلم الذي هو من رحمة الله الواسعة فيستدأى الى خسائس الكلاب . فهذه الآية يعرف قدر نفسه وهذه

أسمى درجات البلاغة التي لا تخطر لمتعلم فضلا عن بدوى في الصحراء . اهـ

ثم قال تعالى (فاقصص القصص) القصة المذكورة على اليهود وغيرهم يا محمد (لعلهم يتفكرون) تفكروا يؤدّى بهم الى الاتعاظ (سواء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى سواء هو أى المثل وقوله - مثلا - تمييز وقوله - القوم - أى مثل القوم وقوله (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على قوله - كذبوا - فهو داخل في حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم . ولما كان هذا المثل وصفا لحال الضالين أعقبه بأن الضلال والهدى من عند الله فالملتدون والضالون بمشيئة الله اهتدوا وبمشيئة الله ضلوا وهذه الصفات القائمة بهم من كفر وإيمان وهدى وضلال وصلاح وطلاح خلقت لهم على حسب استعدادهم ومقتضى أحوالهم والحكيم العدل من يضع الأمور في مواضعها ويجهلها في مواطنها ولا يحيد عن الحقائق وهذا مقتضى التربية والنظام وهذا قوله (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) والناس على هذه الأرض مختلفو الطبائع والغرائز ولكل صفات تخصه وتميزه عن سواه . فمن غلب عليهم الجود والعصيان فهم كنبات الشوك والخنظل وكل ما يؤذى الناس ويألمون منه وأولئك هم أصحاب النار . ومن غلب عليه حب الطاعات والمعارف والعلوم فهم كالأشجار النافعة كالنخل والموز وأولئك هم أهل الجنة

﴿الكلام على الأولين﴾

والى الأولين أشار سبحانه بقوله (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والإنس) وهم المعرضون عن تدبر آيات الله فكفروا أو عصوا أمر الله (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالأنعام) فى عدم الفقه والنظر الاعتبار والاستماع للتفكير (بل هم أضل) من الأنعام لأن الأنعام لم يخلق فيها العقل فلا تكليف عليها والإنسان عاقل مكلف فاذا ترك النظر والتفكير تنزل الى درجة البهائم وانحط عن درجته فهو اذن أضل من الأنعام التي تطلب منافعها وتهرب من مضارها وتقوم بالأعمال التي تطلبها غرائزها وهو لم يقم بما يطلبه عقله (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة . وكيف لا يكونون تامى الغفلة وقد شاركوا البهائم فى القلوب والأبصار والأسماع ولم يمتازوا عنها بالبحث والتنقيب حتى يستنتجوا أن لها صانعا حكما متصفا بصفات الجلال والجمال التي تدل عليها الأسماء الحسنى ولذلك أعقبه بقوله (ولله الأسماء الحسنى) الصفات العليا العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها أو الأسماء التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة والحسنى تأنيث الأحسن وحسنها إنما يكون بمعانيها ولا معنى للأحسن فى حق الله تعالى إلا ذكره بصفات الكمال ونهوت الجلال . وترجع الى معنيين هدم افتقاره لغيره وافتقار غيره اليه . فمن تلك المعانى ما هي حسنة بحقائقها كالقدم والبقاء والقدرة والعلم والوحدة ومنها ما هي حسنة بآثارها كالغفران والرحمة والشكر والحلم وقوله (فادعوه بها) أى سموه بتلك الأسماء أو ادعوه لقضاء حوائجكم . وللبداء شروط كأن يستحضر الداعي عظمة المدعو مع الاخلاص والتعظيم ويعزم المسألة راجيا الاجابة فذلك له تأثير عظيم ثم قال تعالى (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) أى يميلون عن الاستقامة كما كان المشركون يقولون الآلات والعزى ومناة لأصنامهم اشتقاقا من الآله والعزى والمنان . وفى هذا دليل أن أسماء الله توقيفية فلا نقول ياسخى أو يا عاقل أو يا طبيب مع انا نقول يا جواد ويا عالم ويا حكيم * وفى الحديث روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ حَفَظْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ وَتَرْجِبُ الْوُتْرُ﴾** وفى رواية أخرى من أحصاها . وخير ما فى تفسير هذا مقاله بعضهم من أطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما يقتضيه واجبها وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة . فالحفظ يراد به لازمه وهو المعنى ثم التخلق لأن حفظها شئ يسير والاسلام دين جعل الجنة فى مقابلة الأخلاق والعلوم والآداب والأعمال . فالتخلق بأسماء الله من القدس والرأفة والعلم الخ يجعل

العبد قريبا من ربه كما في الحديث ﴿تخافوا بأخلاق الله﴾ وقال الحكماء القصد من الفلسفة هو التخلاق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية * وقد ورد في رواية الترمذي هذه الأسماء وهي الله الذي لا إله إلا هو الخ وهي معروفة * وقال الشيخ النووي الحديث لا يدل على حصر أسماء الله في ذلك العدد * وقد قال الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أن لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وبالأجمال لا يجوز تسمية الله بما لم ينزل به سلطان ولذلك قال فيمن ياحدون في أسمائه (سيجزون ما كانوا يعملون) في الآخرة تهديد لمن أخطأ * وهذا نهاية الكلام في الأولين وهم الذين ذكرنا أنهم كسبات الشوك والحنظل وهم أصحاب النار ﴿الكلام على الآخرين﴾

وأشار إلى الآخرين وهم الفريق الذي هو كشجر النخل والموز ونحوهما وهم أهل الجنة بقوله (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فهؤلاء في مقابلة الملحدين * واستدل العلماء بهذه الآية على صحة الاجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله ﷺ ﴿لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله﴾ وروى أنه ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون * وفي البخاري ومسلم عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿لا تزال أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك﴾

فانظر كيف جاء في الوحي ما يشهد به العقل * ألا ترى أن الله لما خلق الخلق أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فاذا أوحى إلى النحل وإلى النمل وإلى العنكبوت وألهمها أعمالها وسياساتها ونظامها لافرق بين ما كان في زمن الطوفان وما بين حيوان مستقبل الزمان * وهكذا جاء في هذه الآية والأحاديث أن في أمة اليهود السابقين على الاسلام هداة للصحة العامة * وهكذا أمتنا الاسلامية لا بد أن يظهر فيها هداة ينبغون جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لأن الله هو القائم بتدبير خلقه * ومن أجل الهداية التي ألهمها لعلماء هذه الأمة في هذا الزمان ومستقبل الزمان النظر في عجائب السموات والأرض واستيعاب جميع العلوم كما هو مقصود كتابنا المقدس * ثم أخذ سبحانه يبين كيف يعامل الفريق الأول وهم المكذبون فقال (والذين كذبوا بآياتنا سندرجهم) سندرجهم إلى الهلاك قليلا قليلا * وأصل الاستدراج الاستعداد أو الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) ما تريد بهم ﴿وذلك﴾ أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهما كما في النحى حتى تحقق عليهم كلمة العذاب (وأمل لهم) دامهاهم عطف على - سندرجهم - (إن كيدى متين) ان أخذى شديد وسماه كيدا لأن ظاهره احسان وباطنه خذلان كالذي يحصل لمن يأكل من الطعام مأكلا وطاب ويكثر الألوان فان عاقبته المرض والضعف * ولكن أعطى أموالا كثيرة فاستفرقت جميع أوقاته في الفكر وألهم واللذات فهذان يظنان أن الله قد قربهما منه وهما يشاهدان الأنعام تستلذ بالمراعى فوق لنتهما وقد كثرت أقرانها في الأرض وهذان لا يسعدان إلا بما يحفظ الصحة ويزكى النفس ويرفعها عن السفاسف

ولما نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون نزل (أولم يتفكروا ما يصاحبهم) محمد ﷺ (من جنة) من جنون * روى أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم نفذا نفذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت إلى الصباح * يقول الله أولم يتفكروا فيما بينهم في أمر محمد ﷺ ثم نفى عنه الجنون بقوله - ما يصاحبكم من جنة - ويصح أن يقال أولم يتفكروا فيعلموا ما يصاحبهم من جنة (إن هو إلا نذير مبين) موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر * ان الناس عادة يصفون من خالفهم وعرف ما لم يعرفوا وأسمعهم ما لم يكونوا يسمعون بأوصاف منسكرة على مقدار مخالفتهم في صفاتهم وأحوالهم * فلذلك وصف العرب النبي ﷺ بالجنون فقبل لهم كلامه من جنون فتفكروا في أمره وتدبروا في أحواله وانظروا في أقواله فما هو

إلا نذير لكم بين عاقبة أموركم ويوقفكم على مستقبل أنفسكم وإن شككتم في أمره ولم تؤمنوا بقوله فانظروا بأنفسكم وتفكروا بعقولكم وتأملوا فيما ذرأ الله في ملكوت السموات والأرض والأشياء التي خلقها والأجناس التي نوعها . والعجائب التي أبرزها . وكيف لا تتفكرون ولا تتدبرون والموت يناديكم . والآجال تناجيكم . والدنيا تزجيكم . أرسلنا رسولا منكم فكذبتم . وقلنا أنظروا في ملكنا فأبئتم وتربصتم فنتم وقلنا ألا تخافون القوات والحق الممات وضياح البلاد باطلاك والآفات فلم تعوا ما يقال ولم تزيدوا إلا ضلالا وطغيانا . فبأي حديث بعد هذا البيان تؤمنون . أم بأي وعظ تفتنعون . أم أي قول تعقلون . إن أتم إلا قوم ضالون - ومن يضل الله فلا هادي له - لأن استعداده في الضلال أبقاه وهو في الطغيان مغمور وفي عمه البصيرة الذي هو أشد من عمى البصر مقبور . فأنها لانعمى الأبصار ولكنها تعمى القلوب التي في الصدور . وكيف يفلح من أحاطت به النذر من كل صوب فتعمى . جاءه نبي فلم يسمع ما يقول . وأعطي السمع والبصر والعقل فلم يتصرف بها في معقول ولا منقول . وقد غشته النذر من بين يديه ومن خلفه وهو مشغول ثم لا يدري أقرب أجله أم بعيد . وإذا كان أمر الآجال مجهولا وأمر الساعة والقيامة العامة مجهولا فكيف يستقر له قرار أو يكون له اضطراب . إن أمر الساعة مجهول وليس يظهر أمرها في وقتها إلا الله وانها لعظيمة على أهل السموات والأرض ولانأتي الا بغتة فقد أخفاها الله كما أخفى الآجال فلم يعلمها الأنبياء والمرسلون . ومن ذا يملك لنفسه منهم نفعا أو ضرا . أم من ذا الذي يعلم الغيب من الأنبياء وهم يصابون كما يصاب الناس بالآلام والفجائع ولو أنهم علموا الغيب لاحترسوا لأنفسهم ولتوقوا الشر الذي يقعون فيه ولم يحسبهم سوء يرتكبون فيه . فالأنبياء وسائر الناس سواء في أنهم يجهلون الغيب وهم جميعا مبتلون بالخير والشر . فجهل الساعة وجهل الآجال ليتيم الامتحان . فكيف اذن يذر الناس التفكير في هذه العوالم المشاهدة وفي ملكوت السموات والأرض . ان الناس لهذا التفكير خلقوا بل كل ماجاء في هذه السورة مقدمة لهذه الآيات أي قوله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض الخ) هذا ما يخص قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - الى قوله (ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقوله - أولم ينظروا - أي نظر استدلال في الملكوت أي الملك العظيم وقوله (وان عسى) أن مصدرية والتقدير أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض العظيم وفي اقتراب آجالهم وتوقع حاولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل الموت ونزول العذاب وقوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) كأنه قيل لعل آجالهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون للايمان والأعمال الصالحة . وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله (في طغيانهم) أي كفرهم (يعمهمون) يترددون (الساعة) هي من الأسماء الغالبة كالنجم لثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أولساعة حسابها أولأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) متى مشتق من أي على وزن فعلان منه لأن معناه أي وقت (مرساها) ارساؤها كالمدخل بمعنى الادخال أو وقت ارسائها أي اثباتها والمعنى متى يرسيا الله (لا يجليها لوقتها الا هو) لا يظهر أمرها في وقتها الا هو (ثقلت في السموات والأرض) أي ان أهل السموات والأرض أهم كل واحد منهم شأن الساعة ويمنى أن يتجلى له علمها ويشق عليه خفاؤها ويثقل عليه أو ثقلت في السموات والأرض لأن أهلها يخافون شدائد أحوالها (بغتة) فجأة (يسألونك كأنك حفي عنها) عالم بها فعيل من حفي اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء استحکم علمه به (تقعا ولا ضرا) جلب نفع ولا دفع ضرر لنفي ادعاء علم الغيب (إلا ما شاء الله) من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسمى السوء) أي ولو كنت أعلمه خالفت حالى ما هي عليه وذلك باستكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء (إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ما أنا الا عبد مرسل

﴿ جوهره في تفسير قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون - ﴾

اعلم أن النظر في ملكوت السموات والأرض إما واجب وجوبا عينيا • وذلك على كل قادر على النظر وليس ذلك الواجب عينيا لأجل معرفة الله • للايمان فقط • كلا • بل هو واجب لأمرين ﴿ الأول ﴾ ازدياد المعرفة كما قال تعالى - وقل رب زدني علما - ﴿ الأمر الثاني ﴾ الشكر لله تعالى • ومعلوم أن الشكر علم وعمل والعلم يرجع للنظر في هذا العالم فالشكر واجب باجماع علماء الاصول وهو في آيات كثيرة في القرآن فهو واجب بالنص في القرآن وبالاجماع • والنظر في النبات والحيوان وغيرها والفلك والنجم • كل هذا واجب كما قررناه في أكثر مواضع هذا التفسير • وأما واجب وجوبا كفايا وذلك هو النظر لازدياد السعادة الدنيوية للأمة الإسلامية • ان الله عز وجل قال - ورحمتي وسعت كل شئ - وقال - فساء كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون - • ان هذا الكون الذي نسكنه قد ملأه الله بالنعيم وأباح لنا التزود منها وأوجب على الأمة كلها أن تخصص منها جماعة لاستخراج منافعها • وذلك هو المسمى ﴿ فرض الكفاية ﴾ باجماع العلماء أيضا • فكما أجمعوا على الشكر أجمعوا على فرض الكفاية كما شرحته في سورة المائدة عند ذكر الغراب وفي البقرة عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا الا وسعها - ويقتضيه هناك اجماع العلماء وتوبيخ الامام الغزالي وتقريره لعلماء الاسلام لجهالتهم ونومهم وانامتهم المسلمين في زمانه فاذا كانت رحمة الله وسعت كل شئ • واذا كان المسلمون كتبته لهم هذه الرحمة • واذا كانت الصناعات كلها فرض كفاية والصناعات التي بها ارتقاء الثروة من أهمها • فكيف ينعم المسلمون عن رقي صناعاتهم • يقول الله - فساء كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة - أنظر كيف كتب الرحمة لأمة محمد ﷺ الذين يؤتون الزكاة وهم المأمورون بالنظر - في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - • الله أكبر • المسلم يؤتي الزكاة والمسلم ينظر في ملكوت السموات والأرض لئلا يفجأه الموت وهو غافل والمسلم هو الذي ينظر ليزداد علما ويزداد شكرا لربه • والمسلمون فرض على جماعة منهم أن يرقوا المسلمين في الصناعات والعلوم • الله أكبر هل قام المسلمون بهذا • هل قبل المسلمون رحمة الله الواسعة • هل أعدوا العدة للارتقاء كالأمم حولهم ان لم يفوقوهم • كلا والله لا هذا ولا ذلك أصبحت كل الأمم علماء الا المسلمين • كل الأمم تعلم جميع أفرادها رجالا ونساء الا المسلمين • وانما تعلموا جميعا ليستخرجوا كنوز ربهم من أرضه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يطلبون رحمته من أرضه • أما المسلم فيقول أنا أعطى الزكاة من المال الموجود ولا أبحث عن غيره وأترك رحمة الله تسرب لغير المسلم • كتب الله الرحمة لنا في الدنيا والآخرة فلم نتعرض لها في الدنيا واكتفينا بالآخرة التي لم نعمل لها • سيقول جاهل أنا يجب على أن أخرج الزكاة من المال الذي عندي ولكن لا يجب على أن أسعى لجمع المال ولا لشيوع الصناعات في الاسلام • وهذا القول الذي هو كامن في قلوب صغار العلماء في الاسلام مردود مكذوب بأن ذلك فرض كفاية • وكيف نترك تلك العلوم وتلك الصناعات حتى أصبحنا أذل أمة في هذه الأرض التي نسكنها • أصبحنا غرباء في ديارنا لجهلنا والفرجة لعلمهم برجة ربهم يستخرجونها من أرضنا وذلك لجهلنا وكفرنا بنعمة ربنا وان كنا مؤمنين به • وما يحزن المسلم أن يقف مكتوف اليدين عند اعلان هذا الخبر في الجرائد المصرية يوم السبت ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٦ وهاهو

﴿ التفنن في اصطناع السكر ﴾

وفق أحد علماء الكيمياء في المدة الأخيرة الى اصطناع السكر من (حشالة الخشب) اتساما لنبوءة أحد

العلماء الألمانين الذي قال منذ بضع سنين ما يأتي ﴿ سيأتي يوم يأكل فيه قراء الجرائد جرائدهم بعد قراءتها وتحويل أجزائها إلى طعام ﴾ وقد تحققت نبؤة هذا العالم الآن إذ ورد اشعار على المجمع الكيماوي البريطاني من الدكتور (أورماندس) يقول فيه انه ابتكر طريقة جديدة لأجل تحويل حثالة الخشب (الشارة) إلى سكر وذلك بعد معالجتها بالحمض الكلوريك . ويقال ان ذلك السكر يفيد جسدا كسائر أصناف السكر للطعام وقد جاء هذا الابتكار مخففا لثورة التهديد التي كنا نتلقاها بأن معين الأطعمة لا بد أن ينضب في القريب العاجل وقد ابتدع الكيميون المختصون بوزارة الزراعة الأميركية وسيلة أخرى لاستخراج السكر من النيرة الصفراء اه

هذا هو الذي نشر في الجرائد اليوم . المسلم مأمور بالزكاة في المال ان وجد المال ولكنه من جهة أخرى مأمور بالعلوم والصناعات هذا باجماع العلماء . وقد قال امام الحرمين وكثير من العلماء ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأن الانسان بقيامه به قد خلص المسلمين من ذنوب تعصم فن قام بعمل مثل هذا بأن عمم صناعة أو علم فقد أعطى المسلمين آلاف آلاف أضعاف ما يعطى الرجل من الزكاة . الزكاة محدودة والصناعات والعلوم لا حد لهما كما ترى في الاختراع المذكور في هذا المقام * وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ على كل مسلم صدقة قيل أرأيت ان لم يجد قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال أرأيت ان لم يستطع قال يعين ذا الحاجة الملهوف قال أرأيت ان لم يستطع قال يأمر بالمعروف أو الخير قال أرأيت ان لم يفعل قال يسبك عن الشرف فافها صدقة ﴾ أخرجه الشيخان ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ كل (١) سلاحي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس قال تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة قال والكاملة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة ﴾ انتهى من كتاب تيسير الوصول لجامع الأصول هذا كلام رسول الله ﷺ الذي جعل على المسلم صدقة كل يوم على أصغر أعضائه فأكبرها أولى وأشار إلى أن الأعمال جميعها صدقات سواء كانت رفعا للأذى أم جلبا للنفعة العامة . فقله ﷺ يعمل ويتصدق إشارة إلى أن المسلم يغترف من رحمة الله ولا يقتصر على ما هو موجود . ان أوروبا قطعت خطوات واسعة والمسلمون واقفون بل ناكصون على أعقابهم ونبينا ﷺ ذكرهم بالعمل والعلماء نصوا على ذلك والله يقول - وقل اعموا فسيرى الله عملكم - وهأنذا قد نهيت وبيئت وأفصحت وحسبنا الله ونعم الوكيل وعلى كل عالم أن يبين للناس منازل اليهم وما بيناه في كلام الله وما عرفه من عقله أو من كلام العلماء فهذا زمان يجب فيه الجهر بالحقيقة فان المسلمين في غفلة وستنقشع الغشاوة عن أعينهم قريبا ان شاء الله تعالى

ثم قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) أي من جنسها لقوله تعالى - جعل لكم من أنفسكم أزواجا - (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء إلى جنسه (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيا) خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الأذى (فرت به) فاستمرت به وقامت وقعت (فلما أثقلت) صارت ذات ثقل إذ كبر الولد في بطنها (دعوا الله رجها لما آتينا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لتكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجدة (فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها) أي جعل أولادها لله شركاء فيما آتى أولادها فسموا عبد العزى وعبد مناف وعبد شمس (فتعالى الله عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) وقد دخل في ذلك أبناء قصي من قريش وهم أربعة عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار فهؤلاء قد جعلت أسماؤهم دالة على الشرك وقوله - وهم يخلقون - أي الأصنام (ولا يستطيعون لهم نصرا) أي

(١) السلاحي كجباري عظام صغار طول أصبع أو أقل في اليد والرجل جمع سلاميات اه قاموس في مادة السلم

لعبدتهم (ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعثر بها (وان تدعوهم) أي الأصنام (إلى الهدى) أي إلى أن يهدوكم (لا يتبعوكم) أي لا يجيبوكم إلى مرادكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتهم أم أنتم صامتون) عن دعائكم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم (إن الذين تدعون من دون الله) تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أي مخلوقون مما وكون أمثالكم (فادعوههم) لجلب نفع أو دفع ضرر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (إن كنتم صادقين) انهم آلهة . ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) البطش الأخذ الشديد في كل شيء (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) فلم تعبدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيدون) أي بالغوا فيما تقدرون عليه من مكر أتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فلا تنظرون فاني لا أبالي بكم لو توفى بولاية الله وحفظه (إن ولي الله) أي الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله (الذي نزل الكتاب) القرآن والمعنى كما أيدني بانزال القرآن عليّ كذلك يتولى حفظي وينصرني (وهو يتولى الصالحين) يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضربهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر . فإذا كانت هذه عادته في الصالحين من عباده فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم مبالاة بهم (وان تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون و تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوّروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه وهم لا يبصرون المرئي (خذ العفو) أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطالب ما يشق عليهم والعفو ضد الجهد وكل ما جاء بلا كلفة أي اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فتتولد من ذلك العداوة والبغضاء (وأمر بالعرف) المعروف والجميل من الأفعال وكل خصلة يرتضيها العقل (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم . وفسرها جبريل عليه السلام بقوله ﴿ أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ﴾ قال جعفر الصادق رضي الله عنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية * وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح * وعنه ﷺ أنه قال ﴿ إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال ﴾

قال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ فكيف بالغضب يارب فأنزل الله عز وجل (واما ينزغنك) ينزغنك (من الشيطان نزغ) نخس ووسوسة وريب . والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بنخس السائق ما يسوقه من أنواع الدواب (فاستعذ بالله) فامتنع بالله من وسوسته واستجربه والجا إليه في دفعه عنك (انه سميع) يعني لسعائك يسمع استعاذتك (عليم) يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من أذاك عليم بأفعاله فيجازه عليها مغنيا إياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل من طاف كأن اللمة والنخسة طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمأم بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) فأبصروا السداد والصواب ودفعوا وسوسته بسبب تذكركم مواقع الخطأ ومكاييد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها . هذه حال الذين اتقوا . ثم أعقبه بحال الذين لا يتقون وهم المشركون والفساق وأتباع الهوى فقال (واخوانهم) أي وأما اخوان الشياطين من الذين لم يتقوا فان الشياطين (يعتدونهم في النفي) أي يطياون لهم في الاغواء حتى يستمروا عليه أو يزيدونهم في الضلالة (ثم لا يقصرون) لا يمسكون عن اغوائهم ولا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها * قال الكاظمي لسكر كافر أخ من الشياطين * وروى الإمام مسلم

أن رسول الله ﷺ قال ﴿ ما منكم من أحد إلا قد به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ﴾ بالرفع أى فأسلم أنا من شره والخطاب في الآية لعموم نوع الانسان أى ولما ينزغناك أيها الانسان الخ

اعلم أيها الدكي أن هذا الحديث وهذه الآية من الأمور السمعية التي لم يعرفها الناس بالعقل ولم ترد لهم الا من السمع . فالشيطان لا يعلمه الناس الا من سبيل الدين . وهذا هو المعروف في سائر الديانات وفي دين الاسلام . ولما قد كشف العلم اليوم هذه المعاني وامتلأت به المحافل في أوروبا وألفت في مثل هذا الموضوع آلاف آلاف المجلدات في عالم الأرواح الموسوسة والأرواح الملهمة . والغرب بهذا قرير العين . أما المسلمون فهم لا يعلمون عن هذه الحركة الا قليلا وقد أصبحوا يخاطبون الأرواح في آلاف المجالس وقد أخبرتهم أن الأرواح الشريرة توسوس للأحياء بما كانت تفعله في الدنيا لأنها في برزخها تفرح بكل ما تشاهد مما يماثل أفعالها فتوسوس لمن على شاكلتها أن يفعل فعلها وهو شر لأن هذا هو الذي يسرها وقد تفعل ذلك انتقاما من ذلك الشخص معاقبة له على ما ارتكب معها من الأثم في حياتها الدنيا والأرواح لاسلطان لها على النفوس الراقية والقلوب الخاصة والعقول الكبيرة المفكرة . هذا كلام الأرواح وقد ألفت كتابا في هذا الصدد سميت به ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وقد أشرت إليه في هذا التفسير من قبل وهذا من أعظم معجزات القرآن . وكيف يوافق الكشف والعلم الحديث ما جاء في القرآن الكريم ويكشف الغامض من عجائب هذه العوالم الغائبة عنا وكيف تنطق الأرواح اليوم بنفس ما شرحه نبينا ﷺ وما جاء في القرآن فلتستجب أيها العاقل . ثم أخذ سبحانه يذكر بعض ما ينزغ به الشيطان فأفاد أن الكفار كانوا يقترحون على النبي ﷺ آيات أى معجزات باهرة كأن يزيل جبال مكة وينزل عليهم كسفا من السماء فإذا أبطأ ما طلبوه قالوا هلا طلبتها من الله فأمر أن يقول لهم - إنما أتبع ما يوحى الى من ربي - هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصروا حتى أبلغ . وهذا قوله تعالى (واذا لم تأتكم بأية) مما اقترحوه (قالوا لولا اجتبتها) هلا طلبتها من الله (قل إنما أتبع ما يوحى الى من ربي) لست بمقترح للآيات ان الآيات لا تنزل الا تخويفا وأنا إنما أرسلت للتعليم والتبصير فكيف أقترح ما لم يفد الأثم السابقة كما اتفق لبني اسرائيل الذين عبدوا الجمل لأن إيمانهم مبنى على مشاهدة المحسوسات والغرائب المحيرة للعقول كقلب عصا موسى حية ولوائهم كانوا مستبصرين متعقلين ما كفروا بعد إيمانهم (هذا) القرآن (بصائر) تبصركم وجوه الحق (من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون) به فكيف تعدلون عنه الى تلك الخوارق التي لا تقوم بها قائمة الأمم فانما أرسلت لأخرج الناس من عالم الخيال الى الحقائق والمعارف الحققة . فالقرآن سبب لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب ولما كان القرآن بصائر للناس أخذ يأمرهم بالالتفات اليه فقال (واذا قرئ) عليكم أيها المؤمنون (القرآن فاستمعوا له) اصغوا له بأسماعكم لتفهموا معانيه وتدبروا مواعظه وحكمه (واصتوا) عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وانتصت وهذا واجب على ما يأتي من محامل الآيات والأحاديث الشريفة

(١) اما على العموم في أى وقت وفي أى موضع في الصلاة أو في الخطبة أو غيرها فيجب على كل مسلم في ذلك كله الاستماع والانصات للقرآن وهذا قول الحسن وأهل الظاهر

(٢) واما في الصلاة وحدها * وجاء في الحديث أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن * وأيضا كان بعضهم يسلم على بعض في الصلاة فنزعوا بهذه الآية . وأولهما مروى عن أبي هريرة والثاني عن عبد الله بن مسعود

(٣) واما ترك الجهر بالقراءة خلف الامام فقد كانوا يقرؤون مع قراءته * وأيضا يرفعون أصواتهم عند ذكر الجنة والنار . وهذا عن أبي هريرة للأول وعن الكشي للثاني

(٤) وأما في الخطبة يوم الجمعة . وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء

(٥) وأما في قراءة القرآن وعند الخطبة عند بعضهم

والعلم أن هذه السورة مكية ولم تشرع الخطبة إلا في المدينة فسا جاء في القول الرابع والخامس من حل الآية على الخطبة ضعيف . وقد اختلفوا على وجوب الانصات عند سماع الخطبة للحديث الذي رواه الشيخان في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا قلت لصاحبك أو الإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت » هل تجب القراءة خلف الإمام ؟

(١) تجب القراءة على المأموم سواء أجهرا الإمام بالقراءة أم أسر عند عمرو وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ والأوزاعي والشافعي

(٢) لا يقرأ المأموم سواء أسر الإمام أم جهر عند جابر وأصحاب الظاهر

(٣) يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة ولا يقرأ فيما يجهر الإمام فيه عند ابن عمر وعروة والقاسم والزهرى ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحق

(٤) لا يقرأ في الحالين وهو جابر وأصحاب الرأي

هذا ملخص ما جاء في تفسير قوله تعالى - فاستمعوا له وأنصتوا - وأما قوله تعالى (لعلكم ترحمون) فعنايه لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به . ولما كانت قراءة القرآن نتيجتها تهذيب الأخلاق والعلم ومعرفة الأحكام . وهذه كلها مقدمات لما هو أرقى منها وهو ارتقاء النفس وعروجها الى عالمها وتخلصها من هذا العالم المظلم أردفه بها هو أعلى فقال (واذكروا ربك في نفسك) أي استحضروا في قلبك عظمة الله جل جلاله في الصلاة وفي قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهاويل وغير ذلك من سائر الأذكار والخطاب للنبي ﷺ ويدخل فيه غيره من أمته لأنه عام لسائر المكافين وقوله (انصتوا وخيفة) أي متضرعا وخائفا والضراعة الخضوع والاستكانة والذل للغير وقوله (ودون الجهر من القول) يعني ومتككما كلاما دون الجهر لأن الاخفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التفكير وقوله (بالغدو والآصال) أي بأوقات الغدو والعشيات للفضل هذين الوقتين والغدو جمع غدوة والآصال جمع أصيل وهو ما بين صلاة العصر والمغرب . واعلم أن هذين الوقتين تتجلى فيهما عظمة الله وحكمته وآياته الكبرى وعجائبه المدهشة من اشراق الشمس وبهجة ضيائها ونورها وجمالها وجلاليتها السبعة . وهي الألوان المشتبكة المتداخلة المشرقة على المخلوقات الأرضية في الغدوات وهي الحال الأولى . ومن اقبال الظلام واشراق الكواكب التي لاعدادها على آفاق المسكونة وأضوائها المشتبكة في الجوّ . وذلك يوجب للتأمل عظة وانسراح صدر ومعرفة بعظمة الخالق . واعلم أن ما ذكرته لك لا يفتن له أكثر الناس فتري الشمس مشرقة غاربة ذات بهجة في الحالين وهما المشرق والمغربان بل ان كثيرا من المصلين وقت الصبح والعصر لا يفكرون في جمال الشمس في اشراقها ولا في غروبها ولا يوجهون أنظارهم الى ما يحيط بهم من جمال الله الذي كسا به هذه القبة الزرقاء وغطى به وجه الغبراء وبدل حالهما كل يوم وكل ليلة فلذلك أعقبه بقوله تعالى (ولاتكن من الغافلين) عن ذكر الله فتغشى العادة عليك لتكرار الشروق والغروب وأنت ساه لاه قد أفسد اعتيادها واطرادها عليك تفكيرك واتكن مفكرا إذا كرمت ذكرها بتقلب الظلام والضياء عليك خالق الكائنات ومدبر الحركات التي اطردت في سائر الأزمان بتدبير الملائكة الأعلى من الملائكة الدناكرين لربهم عسى أن تلحق بذلك العالم بعد موتك في جوار ربك (ان الذين عند ربك) مكانة ومنزلة وهم الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ويسبحونه) وينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتسبال لا يشركون به غيره . روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله

لله سجدة إلا رفعت الله بها درجة وخط عنك بها خطيئة

﴿ لطائف القسم التاسع ﴾

(اللطيفة الأولى)

اعلم أن هذه السورة اشتملت على التحلية وعلى التخلية كما أوفحناه سابقا فالتخلية غلبت في قصص الأمم الضالة التي أمانها وأزالتها من الوجود ما تخلقت به من الظلم والفتك وتطيف المسكيات والميزان وما أشبه ذلك . فأما التحلية فقد تجلت في مواطن شتى منها وأهمها موطنان ﴿ الأول ﴾ ما جاء في أوائلها من ذكر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقد فسرت هناك فأرجع إليها إن شئت

﴿ والموطن الثاني ﴾ ما جاء في القسم التاسع فإنه بعد أن ذكر أنه ذرأ لجهنم كثيرا من الجن والإنس لأحلام لهم ولا فكر وجعلهم كالأنعام أخذ يذكر أن له أسماء حسنى . ولا جرم أن الأسماء ذوات مدلولات ومدلولها صفاته سبحانه وتعالى من العلم والقدرة وغيرهما وهذه الصفات لها آثار وآثارها ما نشاهد من العالم الجليل الذي نعيش فيه فلهذا أتبعها بعد آيات بقوله . أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . ثم قال . فبأى حديث بعده يؤمنون . فكأن الأسماء لا يراد إلا معناها وآثارها وهذا الإنسان جاء في هذه الأرض لدراسة الآثار حتى يعرف الصفات . وهذه الآثار هي الكون بسائر مظاهره الجسيمة وآياته الغريبة . ولذلك ذكر اقتراب الآجال في هذا المقام وأتى بالاستفهام على سبيل التعجب فقال . فبأى حديث بعده يؤمنون . وبأى سبيل يهتدون إذا لم تكن هذه السبيل رائدهم . وإذا لم يمارسوا العلم والحكمة والتغذى بالعلوم فما هي حياتهم وما فضل وجودهم في الدنيا وما قدر بقائهم فيها . إن الآجال قاطعة فليحذر الناس الفوات وليدرسوا هذه الدنيا ونظمها ومعجزاتها وغرائبها فإن هذه هي الوسيلة لارتقائهم والطريق لسعادتهم وهي أجنحتهم التي بها يطيرون وقواهم التي بها يسرون ومعارجهم التي عليها يرجون

وان في ذكر الآجال واقتربها كما قدمنا لعبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين . وكيف لا يكون كذلك وأنت تعلم من هذا التفسير وما تقدم فيه أن العلوم كما تكون معارج الأفراد للارتقاء في الدنيا والآخرة تكون معارج الأمم أيضا وأيهما حرمتها حرم سعادة الحياة . والبرهان على ذلك ما نرى من انقطاع حيل المسلمين وضعفهم واستكاثرتهم للجهالة العمياء بهذه العوالم المحيطة بنا كأنهم ما خلقوا في الوجود وكأن أعينهم في غطاء وأسماعهم في غشاء . ومن المحزن أن يدعى وعاظهم وصغار العلماء فيهم أن الدين لا ينظر لهذه العلوم إلا لشذرا وذلك من مصائب الزمان والحرمان العام

ومن قرأ العلوم من شبانهم في أوروبا رجع كليل الطرف وهو حسير ودعا بالويل والثبور على الأديان ومروجيها والعبادات ومتبعيها إلا أفضل منهم وأهل جد وعقل راجح . فأولئك هم قدم صدق وهم كثير والحمد لله في الاسلام

ولما أشرقت شمس العلوم في أوروبا وأضاء في أنحاء الشرق شعاع منها وأنت إلى مصر أنوارها أيام المغفور له محمد علي باشا وخلفائه حسد الأوروبيون المصريين أهل بلادى على نعمة العلوم وخافوا أن يرجع مجد العرب لسابق عهده ويستردوا مجد الخالد ونفخه التاليد كما كان في عصر النبوة . انقضوا على مصر فاحتلوها وانتزعوا العلم منها انتزاعا وأضاعوها . هكذا شأن الفرنجة في بلاد الاسلام قاطبة اليوم . وجعلوا التعليم في مدارسها صورة مجوفة أوقبرا مبيضا أو بعبارة مفضضا . وقد درست أنا في مدارس البلاد نسكو (٣٥) سنة وأنا أرى التلاميذ يجهلون كثيرا من هذا الوجود بعد أن كان آبائهم أيام محمد علي باشا يدرسون كما تدرس أوروبا . ولما أذاعوا في العالم أنهم ردوا إلى بلادنا استقلالها وكان أغلب المتعلمين قد درسوا دراسة سطحية التجاوزية

كتبت مقالا لمجلى النواب والشيوخ والدولة وزير المعارف وقد نشرته جريدة المتكلم يوم الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٤ الموافق ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ تحت عنوان (مذكرة التعليم الثانوى بالملكة المصرية) وستراه ان شاء الله فى المجلد الخامس من هذا التفسير . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى - أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ - ﴾ لقد نظرنا نظرات فى هذا التفسير فيما خلق الله من شئ فلننظر نظرة الآن فيما خلق الله فى هذا العالم ومن أين جاءت الحياة الى الأرض غير ما ذكرناه فيما تقدم

اعلم أيها الذكى أن العلماء فى هذا العصر اضطربت آراؤهم فى أصل الكائنات الحية . ومتى خلقت . وهل يخلق الحى من غير حى . وقد قدروا انها كانت قديمة العهد جداً قبل الآن بمائة مليون سنة تقريباً . وأنت تعلم أيها القارئ مما تقدم كيف كانت الأرض دائرة حول الشمس ولها أخوات يسرن معها حولها و بينهما مسافات معلومة مسومة فيما تقدم أيضاً . والشمس جاذبة لهذه السيارات . وهذه الأرض والسيارات مركبة من معادن وصخور ومواد ملتهبة كالتي تتركب منها الشمس . والشمس وزن سبعمائة مرة مجموع الكواكب التي تدور حولها وهي مقدار وزن الأرض ٣٣٤ ألف مرة . وهناك فى السماء عوالم تسمى (السدم) جمع سديم أشبه بسحاب غير ظاهر التكوين وله مركز أشد وضوحاً مما حوله . فهذه السدم تملأ فراغاً وتصنع فيه حركات دورية وهي لم تزل فى حال التكوين . فهذا ينبغي أن الشمس وما حولها قد كانت على هذه الحال قديماً . وقد وجدوا من هذه السدم ٦ ألفاً . وقد وجدوا حركات ذلك السديم وتكونه شيئاً فشيئاً وهو دائر حول المركز أشبه بحال سائل فى الاناء كنيت مثلاً أدركناه فانه ينقسم الى دوائر وحلقات تدور حول المركز كما تدور السيارات حول الشمس . ثم اننا اذا نزلنا جوف الأرض ارتفعت الحرارة درجة بميزان (سنتجراد) كلما نزلنا نحو ٣٠ متراً وفى عمق مائة كيلومتر تبلغ الحرارة ثلاثة آلاف درجة وهي تحوّل أغلب المواد الى نار ملتهبة . ونصف قطر الأرض يبلغ ستة آلاف كيلومتر . وعليه يكون الملهب فى باطنها عظيماً جداً كما تقدم . وهنا يبتدأ الكلام على أصل الحياة

(١) الحى يتكوّن من غير الحى كما تتولد الفيران وثعابين السمك من الطين ودود الجبن منه . وهذا قول العامة وبعض القدماء

(٢) الحى لا يتولد من الجمد ودود الجبن انما هو مخاوق فى الدور الأول ليكون ذباباً فهو من نوع الحشرات فقد باض الذباب بيضه ثم صار دوداً ثم يصير ذباباً . وقديين العلامة (ريدى) و (سوسردام) والراهب الايطالى (سبلانزاتى) فى القرن السابع عشر فساد تكوّن الفيران والسمك من الطين والدود من الجبن خلافاً لقول القدماء

(٣) ان بعض الحيوانات ذات الخلية الواحدة تتولد فى السوائل مثل منقوع الأوراق

(٤) نفى هذا القول وأنكره العلامة (شاس) و (شفان) و (ملن ادوارس)

(٥) المكروبات وهي الحيوانات الدقيقة جداً التي لا ترى تتكوّن من المواد غير الحية

(٦) ونفى هذا القول العلامة (باستور) و (كوخ) بتجارب لا محل لذكرها

وبهذا ثبت أن الحى لا يتولد إلا من حى . فمن أين جاءت الحياة

(١) كانت الحياة قبل الآن والأرض ملتهبة وعدم امكان التولد الداقى الآن لا يمنع وجوده قديماً . وهذا رأى العلامة (ارنست هيكل)

(٢) أفسد هذا رأى أن العلماء الباحثين حاولوا بكل الطرق التجريبية أن يحدثوا حياة فلم يفلحوا فهل حال البحار الأولى إلا حالة من الحالات التي نوعها العلماء بالتجارب

(٣) الحياة لم تأت الآن ولم تأت قديما على هذه الأرض بل أتت على شكل حيوانات دنيئة وصلت الى الأرض محمولة على قطع صغيرة أو كبيرة من كواكب أخرى في وقت أن كان الوسط مناسبا وهو قول (رستر) (٤) قال (هلمهتز) و (تمسن) و (ارينوس) وأيا قريبا مما تقدم أن الأنواع الدنيئة كبدور الحيوانات الدنيا تنفصل باستمرار من الكواكب وأن ضوء تلك الكواكب وضوء الشمس هو الذي يطرد تلك الجراثيم ويبعدها في الفضاء وهي محرومة من الماء ومن الهواء وواقعة تحت برد قارس (٢٢٥) درجة تحت الصفر وهذه المقذوفات تصل في كل لحظة الى الأرض وغيرها ونحن لانراها . هذه الآراء في أصل الحياة وفيما خلق الله من شئ تريك صورة ما وصل اليه علم العلماء وحكمة الحكماء وفهم العقلاء في هذا الكون . ولعلك تقول وما فائدة هذه المباحث وما أغراضها . أقول ان هذه المباحث هي التي أصر الله بها لنقف على حقائق الأشياء فان هذه المباحث قد أنارت لنا السبل فعلمنا أن الحي لا يتولد إلا من الحي . وأينا كيف خضعت العقول وقهرت النفوس ووقفت الآراء وعجزت عن أصل الكائنات وسرّ المخلوقات . وهذا يفيدنا أن هناك حياة أرقى ومقاما أجلى وعالما أعلى وبه نفهم قوله تعالى في سورة أخرى - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - وكلما ازددنا فكريا زدنا هدى وبصيرة وعلمنا فنعلم أن الحياة من عالم أرقى من عالمنا - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

(اللطيفة الثالثة في قوله - يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو -) لقد ذكرنا في هذا التفسير فيما تقدم مقالات كثيرة في الحياة بعد الموت فلا ذكر لك الآن عجائب من العلم الحديث لتقف على علم العلماء وحكمة الحكماء فاعلم أيديك الله

(١) أن عالما يسمى (لوفنهوك) شاهد سنة ١٧٥١ أن حيوانا يبلغ طوله مليمترا وهو يعيش على الطحلب وعلى السقوف وفي مجارى الأمطار المنزلية لما جففه وأصبح ترابا بقي خمسة أشهر لا أثر للحياة فيه ثم لما غمره بالماء رجع الى الحياة مرة أخرى وأخذ يسي ويتغذى

(٢) وفي سنة ١٧٤٣ شاهد العلامة (بندهام) وغيره نفس هذا الأمر (ذلك) أن الناس يشاهدون بعض حب القمح مصابا بمرض فيكون ضعيفا متغير اللون فلما بحث العلماء هذا الحب وجدوا فيه عجبا عجبا مثل العلامة (بندهام) المذكور وتفصيل ذلك أن هناك حيوانات صغيرة جدا تعيش في سنابل القمح وتبيض فيها وتفقس ويخرج من بيضها علفات تسبح حتى تدخل تلك الحبات ويكون في كل حبة من تلك الحبات من عشرة آلاف الى عشرين ألف حيوان فاذا حصد القمح وجف الحب جف هذا الحيوان فيه فاذا أصابه الماء حيت تلك الحيوانات ثانيا وبعثت من صر قدها وطلبت لها نباتا من القمح تعيش فيه ولا تزال هكذا حتى اذا ظهر السفيل سممت تلك الحيوانات وفعلت ما فعله آبؤها من قبل

(٣) ولقد اختلف العلماء لما رأوا هذه العجائب وقالوا أدائمة هذه الحياة أم هي منقطعة وأعقبها بعث تحيروا وشكوا ورجعوا الى التجارب

(٤) ففي سنة ١٧٧٦ جرب العالم الراهب الايطالى (سبلتراني) في حيوانات تعيش في الماء تجارب كثيرة فانه جففها فأنعدمت معالم الحياة فيها انعداما تاما وجعلها على هيئة تراب مدة ثلاث سنوات وعرضها للبرد الشديد والأشعة المحرقة وبعد ذلك نذاها بالماء فرجعت لها الحياة

(٥) وأيضا جرب العالم المذكور حبسة القمح التي تحتوى على أكثر من عشرة آلاف حيوان كما قلنا جففها كما تقدم ١٦ مرة وبعد كل تجفيف نذاها بالماء فرجعت لها الحياة

(٦) وقام العلامة (دوير) من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٢ فوضع بعض تلك الحيوانات المتقدمة في وعاء فرغ من الهواء تفريفا تاما مدة أيام ثم عرضها الى درجة ١٠٠ أولى درجة ١١٠ سنتجراد مدة دقيقتين

ولما نذاها بالماء رجعت الى الحياة

(٧) ومثله العلامة جفري سنة ١٨٥٩

(٨) وحذا حذوه العلامة (دافين) جفف دود القمح فصار على شكل تراب أبيض اللون مكون من خيوط بيضاء دقيقة جدا خالية من كل مروة وبعد أشهر نذاها بالماء فحييت وسبحت مع ان السوداء وهي حية لاتحمل بعض هذا بل تموت . وجفف بعض الحيوانات وحفظها عشر سنوات ولما نذاها حييت مع ان حياتها العادية لا تزيد عن بعض أسابيع

(٩) وعلقات القمح المتقدمة لانعش إلا عشرة أشهر فلما جفقت عاشت أربع سنوات ثم حييت لما نزل عليها الماء بل جففها (دافين) عشر مرات ثم رجعت للحياة كل مرة

(١٠) والعلامة (بيكر) ندى على القمح بالماء بعد ما جفت ٢٨ سنة وهذا من المدهشات

من هنا جزم (دافين) و (دويبر) بعد هذه الأبحاث التي استمرت الى سنة ١٨٦٠ أن الحياة انقطعت في هذه الحيوانات انقطاعا تاما . ولكن العلامة (بوسى) قال الحياة مستمرة . هناك عينت الجمعية الحيوية الباريسية لجنة مكونة من خمسة علماء تحت رئاسة (بروكا) المشرح الشهير فوضعت هذه اللجنة بعض الدواب العجيبة مجففة في الفراغ الجاف أعنى الذى لا بخار ماء فيه مدة ٨٢ يوما متتابعة . ثم بعد ذلك عرضت تلك الحيوانات الى حرارة مائة درجة مدة نصف ساعة وبعد ذلك كله رجعت تلك الدويبات الى الحياة بعد التندية

فتعجب أيها الذكى كيف أظهر العلم الحديث أن البعث للأحياء حاصل فعلا وأن حبة القمح فيها آلاف من المخلوقات وأن تلك المخلوقات تموت ثم يحيى متى نزل عليها الماء وكأن حبة القمح التي نراها ضعيفة منحرقة أرضنا التي نعيش عليها وكأن الحيوانات التي فيها هي أنفسنا وأن جفافها ورميها في الفراغ وتعرضها للحرارة تارة والبرودة أخرى وجعلها دقيقا أشبه بما يحصل لأرضنا من التفريق والأحوال المختلفة أو ان حياة تلك العلقات الكامنة فيها بعد هذه الأحوال العظيمة أشبه بحياتنا بعد موتنا وتعرض أجسامنا الى أحوال مضنية

فيا ليت شعري كيف وصل العلم الحديث الى أن البعث يحصل في هذه الدنيا وكيف تكذب الجمعية الحيوية في باريس من ينكر حياة تلك الحيوانات بعد موتها الذى شاهدوه . وكيف يوافق هذا مئات الآيات القرآنية ألم تر كيف يقول الله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الخصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج - فانظر كيف جعل خروجنا بعد الموت حياة الأرض بالنبات بنزول الماء . ولا جرم أن حبة القمح المذكورة اذا نزل عليها الماء بعث الحيوان منها بعد موته . فتعجب كيف كان ظاهر القرآن يفيد أن حياتنا بعد الموت مشبهة بالنبات فكشف العلم الحديث ان في باطن هذا حياة لحيوان في القمح بعد موته . ان هذا لشيء عجاب

فليعجب المسلمون كيف أصبح العلم الحديث يفسر القرآن تفسيراً لفظياً بعد أن كان ذلك أمراً تقر به بالمشابهة . ومن هذا فليفهم العقلاء والحكماء معنى قوله تعالى في سورة أخرى - ويسألونك عن الروح - روح الحيوان وروح الانسان وروح كل حي على وجه الأرض - قل - يا محمد لهم - الروح - ليس من الامور التي يمكنكم معرفتها لأنها ليست من المادة التي أمامكم فليست تخلق من الطين ولا الهواء ولا الماء ولا هي التي تحصل في حال خاصة من أحوال المادة عند تنوعها كما فعل الكيميائيون الذين عجزوا عن توليدها في المادة فانقطع علم الخلائق عنها حتى أرجعتموها أيها الناس الى عالم غير عالمكم الأرضى وقتلتم لعلها تأتي من كواكب أخرى وكأنكم قتلتم انها - من أمر ربى - لانقطاع علمها عنكم فيها أنتم أولاء عجزتم عن علمها وحزتم في أمرها وهماي ذه علومكم عجزت عن معرفتها وحولتها الى عالم الضياء - وما أوتيتم من العلم - بأمر الروح

- إلا قليلا - من ظواهر الحياة والحس والحركة والاختيار والارادة والحواس الخمس . أما ما عدا ذلك من أصل منشأها وخلقتها ومن أين أقبلت فقد أقررت بالحجج عنها . وهذه من المعجزات الكبرى لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ إذ استبان انقطاع العلماء في هذا العالم عن استقصاء خبرها ومعرفة حقيقتها والوقوف على أسرارها بمثل هذه المعارف المبذية على المشاهدة والتجربة فليرتق المسلمون ويمثلها فليتعلم المجتهدون وبهذا فليغفهم قوله تعالى أيضا - فاذا سويته ونفخت فيه من روحي - وقوله - ثم سواه ونفخ فيه من روحي - فانظر كيف نسب الروح الى نفسه ايذانا بأنها ليست من العالم الأرضي وانما هي من عوالم فوق المادة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

❦ جوهرة مضيئة ❦

﴿ في ملخص هذه السورة ﴾

ان هذه السورة مكمله لسورة الأنعام مفصلة لما جاء في آخرها من أن الايمان الذي لا يثمر ثمرة ما كالكفر عند الهلاك بغتة فلا ينفع الناس توبتهم عند غرغرتهم وعند التوازل المفاجئة كما تقدم شرحه . هذا مما في آخر الأنعام فسورة الأعراف ابتدئ فيها أولا بالحروف (ا ل م ص) وقد قدمنا أن هذه الحروف الأربعة مذكرة بملخص السورة . مذكرة بالتوبيخ في قوله تعالى - ألم أنهيكم عن تلك الشجرة - أي التوبيخ على اتباع الهوى الذي اتبعه الانسان وعلى عدم اتباع نصيح الناصحين الأمناء وسماع نصيح الناصحين الغاشين الأغبياء وقد أشار لذلك هود عليه السلام بقوله - ناصح أمين - أي بخلاف ابليس فهو غير أمين . ثم أتبع ذلك بالأمر بترك الخرج لما في السورة من النوازل على الأمم وأمتنا مذكرة بذلك معرضة له وأتبعه بزواج أعقبا بأنه جعل لنا معاش في الأرض وأن شكرنا قليل وأتبع ذلك قصة آدم وابليس وختمها بقول ابليس - ولا تجد أكرهم شاكرين - فهي تبيان للآية قبلها . فاذا كان الناس لا يشكرون النعم فسببه أنهم لا يسمعون نصيح الناصحين ويتبعون خطوات نصيح الغاشين المعنون عنهم بأكرهم ابليس الذي تكبر فلم يسجد فنزل عن مرتبته وأراد أن يجر آدم اليها فأغواه فسقط في الذنب . فابليس ضل بالكبرياء وهي القوة الغضبية وعصى آدم بالقوة الشهوية . ثم توالى القصص بعدها فقوم عاد بطشوا جبارين وهذه هي القوة الغضبية كابلليس . وقوم صالح عقروا الناقة لأجل الشهوة البهيمية لأنها كانت تقاسمهم بعض رزقهم وهي شهوة البطن . وقوم لوط شهوة الفرج . وقوم شعيب في المكيال والميزان وهي شهوة البطن وهذه شهوة آدم وحواء . وقصة موسى أعظم مما قبلها . ثم انتهى بقصة الذي آتيناه آياتنا وهي تلخص ماضى كله فان حصلها أن الانسان يعطى علما فيغتر به فيجره العلم والتقربى لله الى استعظامها في معصيته فينزل عن مرتبته وهذا بعينه ما حصل لابليس تنزل عن مرتبته الشريفة الى منزلة وضيفة فصار معلما للشر . فهذا الذي يسمى (بلعام بن باعوراء) صار ملقنا للشر وأصبح ك بعض الدول الأوروبية الآن تستعمل علمها في دس الدسائس والحيل السياسية * إذ أرسل النساء (المومسات) الى جيش موسى حتى يضل القوم فينهمزوا في الحرب فهذا بعينه ما فعله أهل الغرب في الشرق إذ منهم طوائف ينتشرون في أقطار الاسلام يفسدون نساء الأكارب والفضلاء ويذيعون الفحش ويعفرون الشبان بالفسوق . كل ذلك ليوقعوهم في الفاحشة حتى لا يفتحوا أعينهم لأعمالهم . هكذا شان الفرنجة في بلاد الاسلام كافة . وهذه عينها مسألة ابليس الذي لما سقط أخذ يغوى الناس وينثرهم ليكونوا مثله عصاة . فانظر كيف رأيت قصة الذي انسلخ من الايمان رجعت الى أول السورة من اغواء ابليس الذي غوى بعد أن كان فاضلا وجو غيره الى الجهالة وأن الذي يعطى الخير والنعمة اذا لم يحترس ولم يفهم بعقله يقال له - ألم أنهيكم عن تلك الشجرة الخ - فتشابه ابليس وبلعام

ابن باعوراء في الكرامة أولا والضلال آخر وانهما ينصبان الاشراك لاغواء الناس . وهذا فيد بيان أن الذي يعطى علما أو نعمة فانه أيضا على خطر اذا لم يحترس وهذا يفيدك أن سورة الأنفال والتوبة بعد هذه السورة فيهما الغنائم والغزوات وفتوح البلدان وأن هذا الفتوح خير كما كان علم بلعام خيرا . وكما كان علم ابليس خيرا أيضا ويخاف أن يكون خير المسلمين في فتوح البلدان يعقبه شر بالتخاذل وحب الرئاسة فيذلوا بعد عزهم كما ذل بلعام وذل ابليس . ولقد تم ذلك كله فان المسلمين بعد أن فتحوا البلدان ووصلوا الى قرب باريس لم يبق بينهم وبينها إلا مسيرة ثلاثة أيام وقفوا ثم تحاذلوا وهكذا رجعوا القهقري في أخلاقهم واتبعوا شهواتهم وقام النزاع في الشرق أيضا بين الأمويين والعباسيين انتهى بفشل الأمة الاسلامية ووقعنا نحن اليوم في أسوأ الأحوال . ألسنت ترى أن ابليس الذي تكبر بدرجة الرفيعة وبلعام الذي نال حظوة عند ربه باسم الله الأعظم قد انحطتا عن سماء عظمتيهما بكبر الأول وشهوة الثاني فصار كل منهما يغوى الناس . وهكذا دولنا الاسلامية فتحوا البلدان لنصر الدين كما كان أولا ابليس وبلعام صالحين ثم تحاذلت الأمم الاسلامية واتبعوا الشهوات فذلوا للأمة الغربية كما سقط ابليس وبلعام . أليس هذا هو قوله ﷺ في حديث البخاري ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها ﴾ أومافي معناه . إذ قال له رجل يا رسول الله أو يأتي الشر من الخير فسكت ﷺ حتى تصب عرقا وهو يوحى اليه ثم أجابه بما يفيد أن خيرات الدنيا أشبه بالمطر والناس يتلقون هذا الخير كما تنفع الحيوانات بالعشب والكلاب ففها ما يأكل النافع ومنها ما يأكل الضار فتمرض وتموت فافقراء في البخاري فإن فحواه ما ذكرته لك . فعلى هذا يكون فتح البلدان وترادف الخيرات على المسلمين أعقبه السقوط في مهاوى الشر والعصيان واتباع القوى الغضبية والشهوية فصار الناس في آخر الزمان تلاميذ ابليس وتلاميذ بلعام بن باعوراء وغير خاف عليك أن ذكر سورة الأنفال والتوبة بعد هذه السورة قد ظهر سره فافهم . وملخص هذا كله أنه يقصد نصحنا نحن فأما ابليس وغيره فتلك أمثال لنا . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . فههنا تجلت القوة الشهوية والقوة الغضبية في الأمم الاسلامية وانحطت عن الأمم كما أنذر الله بهذه السورة واتصفت بما اتصف به عاد من البطش وما اتصف به قوم شعيب من تطفيف المكيال ومن اتباع الشهوات البهيمية كما جاء في قوم لوط . فهذه السورة انذار للمسلمين الذين قد وقعوا في جميع ما ذكر فيها . واني مؤمل أن هذا التفسير سيكون من المذكرات والمنبهات لهذه الأمم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وختمها بقوله - إن الدين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الخ - أي بخلاف ابليس الذي تكبر فلم يطع الله فالملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يفعلون ما فعل ابليس من الكبرياء والامتناع عن السجود لآدم الذي هو عدم امتثال لأمر الله فالملائكة لا يستكبرون وله يسجدون بخلاف ابليس وتلاميذه من جميع الأمم التي ضلت بالبطش في الأرض أو بالقوة الشهوية وكان حق هذه الأمم كلها أن يطيعوا ربهم كالملائكة ولا يعصون كابليس ومن على شاكلته وذلك بعد أن أمر ﷺ بالاستعاذة بالله من الشيطان المذكور في أول السورة وبيان أن الدين اتقوا يتذكرون متى مسهم طائف من الشيطان ثلثا يغرهم نصحه كما غر آدم وحواء في أول السورة وكما غر بلعام وأمثاله من جميع الأمم السابقة وبعد أن أمر هو أيضا أن يذكر ربه بالغداة والعشي ولا يكون غافلا فرجع آخر السورة الى أولها ورد عجزها على صدرها وبيان كمالها وجلالها والحمد لله رب العالمين

﴿ عقد منظم من جواهر هذه السورة ﴾

(في الكلام على أن العذاب باتباع الشهوات وترك القوة العقلية أكثره بالهلاك في الدنيا قبل عذاب الآخرة)

لقد اطلعت أيها الذكي على ملخص هذه السورة وانها تشمل القوى العقلية كلها . فالشهووات البهيمية

والقوى الغضبية يكبحهما ويضبطهما العقل والحكمة التي تتبع بهذا القرآن

وحاشا أناذ في هذا العقد أدين لك أسرا عجبا ﴿ ذلك ﴾ أن عقاب الأمم يمتدئ بالعذاب في الدنيا ألا تنظر الى قوم شعيب كيف أخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . ولما إذا أخذتهم . أخذتهم لأنهم طفقوا المكيال والميزان . وحينئذ يقال وماذا ضرر تطفيف المكيال والميزان فنقول . نعم ان القوم اذا فعلوا ذلك أصبحوا مغرمين بأعمال الشر وتمادوا فيه . ويستبيح زيدا مال عمرو ويأخذ القوى مال الضعيف فتضعف الأمة فتموت واذن يكون هلاك الأمة حتما لازما . ولما وصلت الى هذا المقام جاءني أحد العلماء واطلع على هذا المقال فقال أوضح هذا المقام وأى مناسبة بين المكيال والميزان وبين خراب الأمم . فقلت له تدبنت وأوضحت . فقال لو أن زيدا اشترى من عمرو قنطارا ثمرا أو عنباً أو تينا أو أردبا قححا وعند الوزن أو الكيل زاد في وزنه وكيله رطلا أو قدحا . فإذا حصل . حصل أن مال عمرو انتقل منه جزء يسير الى مال زيد خلسة بدون مقابل . فهل هذا يوجب أن يتابعهم الأرض . فقلت له ان الأمة اذا رسخت فيها هذه الأخلاق أصبحت فيها ملكة فيأخذ الناس المال بالخيالة تارة وبالغصب تارة أخرى وبالسرقة والاكراه نائمة وهكذا . ولا جرم أن هذا الخلق يقبض الأيدي عن الكسب فتموت الأمة وتذل ويلحقها الدمار والبوار وهذا عذابه يجهل في الدنيا أولا فالآخرة . وللعذاب الآخرة أشد وأبقى . قال وما مغزاه هذه الأمة الاسلامية اليوم . قلت ان الأمة الاسلامية اليوم قد فعلت أكثر ألف صرة مما فعلت تلك الأمم ولذلك استحققت من الله أن يرسل لها المدافع فتأخذها الرجفة كما جاء في أول السورة . وكم من قرية أهلكتها فجاءها بأسنا بيانا أو هم قائلون . فهذه الأمة الاسلامية اليوم نائمة جاهلة مسترسلة منتظرة في كل حين أن يأتي لها العذاب من الأمم القوية النابذة المفكرة ليلا أو نهارا كما في أول السورة . قال ماذا فعلت الأمم الاسلامية . قلت لم تعمل بما جاء في هذه السورة . يقول الله . ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون . والشكر مستحيل إلا بمعرفة النعمة والمسلمون لم يقرؤا نعم الله التي على هذه الارض فكيف يشكرونها . فقال هذا كلام غامض فأوضحه . فقلت

﴿ مثل أمة الاسلام اليوم مع الله تعالى ﴾

انما مثل أمة الاسلام اليوم مع ربها كمثل عبيد الملك أقطعهم حدائق وجنات فيها نخيل وأعناب وورمان وتين وفاكهة مما يتخيرون وطير مما يشتهون . قال ثم ماذا . قلت وأرسل لهم رسولا من عنده ومعه منشور فيه ﴿ هذه حدائق لكم وهي ملككم ومن أخذ من حديقة جاره قطف عنب أو عذقا من تمر أو قبضة من تين فاني آخذ منه حديقته وأعطيها لغيره وربما أهلكته ﴾ فلما قرؤا هذا المنشور اتبعوه مدة ثم بعد ذلك أخذوا يلعبون ويرتعون ويتركون حدائقهم ولا ينزلون اليها الماء ولا يسقونها ويكتفون بماء المطر فقيل لهم لماذا تفعلون ذلك فيقولون ان الله حرم علينا أن نأخذ مال غيرنا ولم يحرم علينا أن نترك زرعنا ولا أن نمنع عنه الماء . فقيل لهم لقد أخطأتم ان من يأخذ من مال غيره معاقب مع وفرة المال عنده وعند غيره فيكون من باب أولى اذا تركا معا تنمية المال . فاذا كان الله يعاقب قوما عندهم مال على أن يأخذ أحدهم من الآخر رطلا بطريق التطفيف فأولى ثم أولى اذا كان كل منهما لا مال عنده إلا قليلا وقد تركا حديقتهما فلم ينزلا لها الماء فان الخسران هنا أعم وأتم والعذاب يكون أعظم وأعظم لأنهم ضيعوا قناطر وقناطر . فقال وهل فعل المسلمون ذلك . قلت نعم . قال ولم ذلك . قلت لأنهم ملكوا أرض الله في فلسطين وسوريا ومصر والعراق والهند والصين والسودان وبقية شمال أفريقيا . وفي تلك البقاع أنواع المعادن والغابات والأرض الخصبة والمياه الجارية والكهرباء المخزونة والمغنطيس السكمان في المعادن بالاستعداد والفحم المخزون للناس والبتروال . وهناك من النعم ما لا يحصى . ترك هذا كله المسلمون وناموا فسألتك بالله أيها الفاضل قل لي . هل خلق الله هذه المخازن لنفسه . قال لا . قلت اذن لمن هي . قال لعباده . قلت هؤلاء

هم المساهون عباده وقد سلمهم مفاتيح أرضه وقال لهم من ظلم منكم عذّبتّه في الدنيا والآخرة فرأيناهم جميعاً تركوا عقولهم ومواهبهم وأرضهم وناموا . فقل لي بربك أيهما أشدّ خسارة وضرراً . رطل عنب وقدح برّ في التطفيف المذكور في قصة شعيب أم آلاف آلاف من النعم العظيمة من الفاكهة والحبّ وغيرها ومن الفرح في الأرض . قال بل الأمر هنا أعظم لأن رطل العنب أوقدح البرّ خرج من زيد إلى عمرو والناس عندهم مال أما هنا فعناهُ أن الآلاف والآلاف قد خسرها الناس . قلت حينئذ يكون مغزى هذه السورة أن المسلمين إذا تركوا نعم الله التي في الأرض تعاقبهم الأمم وتأخذ منهم أرضهم أوتهاكهم وتبيدّهم قال وهل هذا يوافق آراء علماء الإسلام . قلت عجبا . أليس هذا كقوله تعالى - ولانقلّ لهم أفع - فالولد نهى أن يقول لو ألدّه - أف - فقال العلماء ان الضرب يكون محرّماً من باب أولى فهنا يقال فاذا كان رطل عنب أخذه رجل من آخر في الإسلام ظلماً يوجب ذلك بتكراره وشيوعه عذاب الأمة في الدنيا فن باب أولى إذا قعدوا جميعاً عن زرع أرضهم فالحسران هنا أشدّ . ياسبحان الله كل هذه القصص القرآنية رتب فيها خراب الأمم على تقصيرهم في حفظ نظامهم . اذن القرآن يأمرنا بنظام الأمة . ومن عجب أن يكون أكثر العذاب المذكور في القرآن دنيوياً ويتبعه الأخروي والوعاظ في الإسلام لا يوضحون هذا بل هم لا يعلمون . قال فهل نص العلماء على ما تقول . قلت قد أوضحت في هذا التفسير في غير موضع أن فروض الكفايات متى تركها المسلمون أمموا . وفروض الكفايات لنظام الأمة وما تحتاجه في معاشها فما قلته الآن داخل في ضمن هذا الموضوع وقد أوضحت في سورة المائدة عند مسألة الغراب وابن آدم فارجع إليه إن شئت . فقال الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير سورة الأعراف

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الرابع من كتاب ﴿ الجواهر في تفسير القرآن الكريم ﴾
ويليه الجزء الخامس وأوله تفسير سورة الأنفال

❦ الخطأ والصواب ❦

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية وهذا جدول بما عثرنا عليه من ذلك

صحيحة	س	الخطأ	الصواب	صحيحة	س	الخطأ	الصواب
١٣	١٧	فليس	أفليس	١٣٤	٣٣	فليكن	فلتكن
١٣	٢٥	حاليه	خاله	١٤١	٦	للقراءو	
١٦	٢٧	نظر	نظر	١٤٨	٣	كاتبين	كائنين
١٦	٣٢	رقى	الرقى	١٥٢	٢	ان كانت	ان
٢٥	٢١	فيها	فيهما	١٥٢	١٤	العنه	العنه
٢٨	١٥	وأحييه	وأحبيته	١٥٣	١٦	السلحجم	السلحجم
٣٣	١٩	مختصين	مخلصين	١٥٩	٢٤	أثمرات	الثمرات
٣٥	٢	مثال	أمثال	١٦٢	٤	فيعان	قيعان
٣٧	١١	جرحتم	جرحتم	١٦٢	١٣	والوزن	الوزن
٣٧	٣٠	هذه	وهذه	١٦٣	٣٢	صغار العلماء	بعض صغار العلماء
٣٧	٣١	وفا	فما	١٦٣	٣٢	وضعاف شيوخ	وبعض شيوخ
٤٠	٤	يتمنعوا	ليتمنعوا	١٦٧	٣	تشكرنا	شكرنا
٤٦	٢٥	ويؤتيه	ويؤنبه	١٦٨	١٦	الطامبه	(الطامبه) الآلة
٦٣	١٧	صدرها	مصدرها	١٧٣	٢	بما يناسب الالهية	ما يناسب
٨٩	١	الغربية	العربية	١٧٧	٩	واني	
٩٥	٢٩	الدكورو	الدكور	١٧٨	١٨	من الانسان	من أن الانسان
٢٥	١٨	١٨٤٥	١٨١١	١٨٠	٢٨	من الأوقات	في الأوقات
٨٤	٢٤	الفصنور	الفصفور	١٨٢	٥٥	الماديين	الماديين
٩٥	١٩	الله كوو	الله كور	١٨٦	١٢	ونزلكم	وأنزلكم
١٠٤	٣٥	وقد كان	قد كان	١٨٩	١٣	في القول	في القول
١٠٤	٣٥	قال ان	وان	١٩٥	٥١	والاشـوريين	
١٠٦	١٥	خليقه	خليفة			والبابليين	
١٠٦	٣٤	تكاؤنا	تلكؤنا	٢٠١	١١	تمت	تمت
١٠٧	٣	وعلماء	وبعض علماء	٢٠٦	١٥	أوخلقها الله	خلقها الله
١١٤	٢٦	الانرج	الانرج	٢٠٦	٣١	الغتم	الغتم
١٢١	١٨	يصدقون	يصدقون	٢١٤	٢٧	ومن ذا	من ذا
١٢٢	٧	قيعلا	فيعلا	٢١٧	٣	نسبن	نسبن
١٢٣	٣٥	خاوصر	وخاصر	٢٢٥	٣	القارص	القارص
١٣٢	٢٤	الباس	لباس	٢٢٦	٣	حاستي السمع والبصر	حاسة السمع والنطق
١٣٤	٣٣	واذا كان الحرب	واذا كانت الحرب	٢٢٩	١٧	مسارع	مسارع
		داعيا	داعية	٢٣٢	١١	طائعة	مطبعة
				٢٣٥	٦	نو	كانوا

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم ﴾

صفحة	
٢	تقسيم سورة الأنعام وانها ست مقاصد
٣	المقصد الأول من قوله تعالى - الحمد لله الذي خلق - الى قوله - ما تكسبون - وتفسير ذلك لفظيا وتقرير من لا يفكرون في ترتيب هذه العجائب في الآية مع ان القدماء بينوا ذلك في الوضوء مثلا
٤	مناسبة هذه السورة لما قبلها بأمور مثل أن اختتام المائدة بلك السموات والأرض الخ وكذلك ابتداء سورة الأنعام ومثل خلق الطير من طين في المائدة وخاق الانسان منه في الأنعام وهكذا
٥	تشبيه الليل والنهار والعالم بستاثر سود وبيض الخ في قصر مشيد
٦	ايضاح هذا القصر في التشبيه • شرح ألوان الشمس السبعة التي جعلت سترا واحدا و بيان أن جهل هذه العلوم معناه عدم شكر المسلمين لربهم على نعمه التي لا تحصى
٧	اعراب هذه الجملة في الآية والفحم الحجري والعظمى والنباتي وخم المعوجات والنور يشتق من هذه الظلمات
٨	كيف كان غاز الاستصباح انما يخرج من الفحم بعد تنقيته بعمليات هائلة • وكيف كان الماس والفحم مادة واحدة وكيف جهل المسلمون هذه النعم فاذن لا شكر على الجهول
٩	الآية الثانية - هو الذي خلقكم من طين الخ - و بيان أن تركيب جسم الانسان من عناصر لا تعقل فانتظمت فكان العقل في الرأس أعلاها وقوة الغضب في القلب أوسطها والقوة الشهوية في أدناها من المعدة والأمعاء الخ
١٠	و بيان أن من يفعل ذلك النظام لا يخادع فهو يعلم السر و بيان عجائب القرآن في العلوم الحديثة
١١	الأثير يكون حرارة وضوء وحركة وكهرباء وهذه ينقلب بعضها الى بعض والكلام على أحوال المادة الثلاث وأن الماء اذا صار بخارا يكون أكبر حجما ٧٠٠ مرة والاختلاف أكثره في الكثيف و بيان أن السموات خلقت قبل الأرض في العلم الحديث كترتيب الآية و بيان أن ظلمة الأرض انما جاءت بعد تسكون قشرتها • و بيان أن قشرة الأرض تبلغ مائة كيلو متر وكل ثلاثين مترا ترتفع الحرارة درجة وأن الطبقات ٢٦ والعصور ستة والكلام على السحب التي كانت تمطر ذهبا وقضة وبقية المعادن الجبال أسنان الأرض نبتت من الطبقة الصوانية • والكلام على السكر الأرضية والكرة النارية بها وأن قشرتها كقشرة البطيخة والبيضة والتفاحة ثم الأرضون التي خلقها الله كلها كأرضنا ويظن أنها ثلثمائة مليون أرض وهي مختلفة اضطرابا ونباتا
١٤	أقصى درجة البرودة ٢٧٣ درجة تحت الصفر والحرارة لا تعلم نهايتها وبالقلة والكثرة فيهما كانت عوالم لا تنتهي لها • أصل كل شئ النور • قطعة الكربون تحتاج في تفريق كربونها من أكسوجينها الى ١٢٠٠ درجة • ارتقاء الأرواح في عالم النور وسر قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وكيف كان الانسان يسعى ليخرج من الظلمات الى النور • وكيف أظهر الكشف الحديث هذا كله الانسان مضى وهو في هذا الجسد كما جاء في صحيفة الماتان الفرنسية سنة ١٩٢٤ وذلك في تنويم الوسيط الايطالي المشهور (ابرتو) • ارتقاء الانسان بعد الموت في درجات الكمال الى أن يكون مع الملائكة النوريين من نفس القرآن • كلام الفخر الرازي في تفسير - والنازعات - استشهاده على ما تقدم أي ان الانسان يرتقى الى أن يكون مدبرا للسكائن ملحقا بالملائكة • مراتب الأرواح في العلم الحديث مذكورة كما ذكره الرازي واستدل أيضا برؤيا الأحياء للأرواح وتصدق الرؤيا

- ١٨ اعتراض على المؤلف وجوابه • وتفصيل الكلام على قوله تعالى - وجعل الظلمات والنور - بذلك سلسلة المخوقات الأرضية من ابتداء كون الأرض كرة نارية الى أن يصل الخلق الى أعلاه
- ١٩ تفصيل طبقات الأرض الستة ثم تسلسل العوالم من الخلقة الأولى الى الانسان الى العوالم الأخرى فهي • ٣ • مرتبة • بقية هذه التفسيرات من كون الجنين خلقة فسمكة فذبابة فقردا فالإنسان الخ
- ٢١ القسم الثاني - وما تأتيهم من آية من آيات ربهم - الى قوله - وهو الحكيم الخبير - مشكلا
- ٢٥ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً وفيه الفصل الأول
- ٢٨ الفصل الثاني في طلب الكفار الآيات عنادا وتفسير ذلك لفظياً
- ٣١ الفصل الثالث في أقواله ﷺ مع المتواضعين
- ٣٢ الفصل الرابع في معاملة رسول الله ﷺ للفقراء من المؤمنين وأمر الله له بكرامتهم
- ٣٣ الكلام على الفريقين الكافرين والمؤمنين
- ٣٤ الفصل الخامس في ذكر نتيجة ما تقدم في الفصول السابقة على سبيل اللف والنشر المرتب
- ٣٥ الفصل السادس في شرح عام لما تقدم كله وهو تفسير - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو الخ -
- ٣٧ المقام الثاني في قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل الخ - وتفسيرها لفظياً
- ٣٨ المقام الثالث من هذا الفصل في قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده الخ -
- المقام الرابع في هذا الفصل نسيان الناس لعهودهم اذا أجيب دعاؤهم
- ٣٩ المقام الخامس - قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً الخ - المقام السادس - وكذب به قومك الخ -
- ٤٠ تفسير قوله تعالى - وأما ينسينك الشيطان الخ -
- ٤١ اللطائف الستة وذكرها اجمالاً • اللطيفة الأولى أفص عليك أيها النكي نبا ما كنت أزاوله في أول حياتي وأنا مجاور بالجامع الأزهر الشريف
- ٤٢ اللطيفة الثانية في سؤال قريبه له هل للعالم آخر ثم كيف كان المؤلف يبني ساهراً يتأمل ويحدث صوت الحزن من نساء قريته رقة في قلبه وحزناً على أنه جاهل بعلم هذه النجوم وعجائبها • واللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولوجعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً - وكيف ظهر هذا في التنويم المغناطيسي
- ٤٣ اللطيفة الرابعة - كتب ربكم على نفسه الرحمة - وله ما سكن في الليل والنهار - وبيان أن العالم كله متحرك ولكن من شدة الاحكام والاتقان يرى ساكناً وهذا ما تشير له الآية • اللطيفة الخامسة - وهو القاهر فوق عباده الخ - وبيان قهر المرأة والناقة والدجاجة والحمامة الخ وأن الناس مسخرون ويجهلون ذلك
- ٤٤ تسديس الأشكال في الثلج وفي بيوت النحل والكلام على العناصر المتشابهة والتي لا تشابه بينها فالثانية تكون مركباتها أشد مخالفة لعناصرها من مركبات الأولى لاصولها • وبيان اللطيفة السادسة وأن المؤلف كان أيام عطلة يخرج من بين البيوت ويجلس مفكراً في أمر النجوم والأسم والدول • حكاية الانسان والحيوان وذكر أنه رأى ليلة حيواناً مسرعاً كشتلب فجاء بخاطره غرائز الحيوان
- ٤٦ الحداثة تخاطبني قائلة قد سخر لي مافي السموات ومافي الأرض • نظري في الحقول ومحادثي مع فلاح واجابة امرأة وذلك في مسألة الحيوان المسمى (أبازنييه) وكيف كان أصلاً للضفدعة • وذكر عجائب الحيوان وبناء القروء قنطرة على النهر • الكلب وفضائله • كاب البحر يبنى السد على النهر •
- ٤٨ العجينة الرابعة الكلب الذي يسمى الدرواس وكيف نجى كلباً آخر من الغرق بكاه عجيب
- ٤٩ القرد وتعلقه في مسألة (أبي فروة) والقط وكيف كشف القرد المسمى (شانبزاه) ففتح الأقفال بأعجوبة

وكيف أزال الدب السم الذي كان على الأقراص التي رميت له . شفقة الغربان والخليل وكيف أطعمت الغربان رفيقها الأعمى . ثم الطائر الهندي الذي يبني بزخرف قصورا وهل للحيوان لغات والكلام على الزنبور وهل للحيوان أرواح باقية كما يظنون . ذكاء الجرذان ونظامها وكيف تربي الأقوياء منها الضعفاء وتشفق عليها حتى إذا سمعت أخذت تأكلها . اللطيفة السابعة . وعنده مفاتيح الغيب .

٥٣ الأب غبريال الايطالي يقول انه عرف أن للعواصف والسيول قوانين وهناك عالمان قدصورا حركات القلب والرئتين والمعدة وسائر أعضاء الجسم والدكتور (بازسكرو) الروسي اخترع آلة بها يعرف المجرم من غيره في السجن ويقول ان للبحر (٧٨) خلية وهل هذا علم الغيب الخ . مفاتيح العلوم في هذه السورة تنقسم الى قسمين مفاتيح علوم السموات ومفاتيح العلوم في العالم الأرضي . المقصد الثاني وفيه المفتاح السامري . وإذ قال ابراهيم . الى قوله تعالى . ما كنتم ترعمون . والتفسير للنظري هذا المقصد لطائف هذه الآيات أربعة . اللطيفة الأولى والكلام على الصابئة ونحو ذلك

٥٩ الأهم الجرمانية يقولون ان لفظ النور شائعة هي ومشتقاتها في اللغات المختلفة . والكلام على الكواكب السبعة عند الصابئين

٦٠ مجادلات الخليل ابراهيم عليه السلام مع قومه وكسره الأصنام . وذكر أن الصابئين لا يقرون بأنبياء وحكمة هذه الديانات . والكلام على الروايات التي وضعها الناس في هذا المقام تنويرا للعقول . والكلام على جمهورية أفلاطون والمثل الذي ضربه . المثل الأفلاطونية

٦٣ الفصل الخامس في سيدنا محمد ﷺ في غار حراء وكلام (هنري) الفرنسي فيه والكلام على قوله تعالى . فبهدهم اقتده . وهؤلاء الأنبياء لهم منزلة فعلى المسلمين أن يتصفوا بها عملا اقتداء كما أمرنا بذلك في نفس الآية

٦٤ اللطيفة الثالثة . تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الخ . وبيان أن ما حصل من اليهود حصل من المسلمين نقصيرا وقصورا فقد أحرقوا الكتب وكرهوا العلوم شرقا وغربا فسلط عليهم جنكيزخان شرقا وملوك الأسبان غربا فأزالوا دولهم كما أزيلت دولة اليهود أيام النبوة . وهكذا جهل الترك الخ ثم ذكر محاورات دارت بين المؤلف وصديق له يغالطه في ذلك . والكلام على جمهورية أفلاطون المؤلفة قبل المسيح بأربعة قرون

٦٩ كيف قصر المساهون ونبغ الغربيون في القرون الأخيرة وفلاسفتهم الأقدمون تلاميذ علماء الاسلام بالأندلس كما هم به معترفون . العلامة (سديو) الفرنسي يكذب كثيرا من علماء الفرنجة في دعواهم كشف بعض العلوم

٧٠ عجبتان (الأولى) منظار للبحث في القمر (الثانية) خريطة السموات . قطرة من بحر من ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله لابراهيم عليه السلام . والكلام على الكوكب والقمر والشمس المذكورات في هذه القصة وتقسيم الكواكب الى ثوابت وسيارات . وبيان صور الثوابت وانها (٤٨) صورة وتفصيلها تفصيلا تاما

٧١ أنواع النجوم ونجوم مضاعفة ومنزوجة والقنوت والسادام والمجرة والكلام على أن الشمس مركز العالم

٧٢ السيارات وأوصافها والكلام على عطارد والزهرء والأرض ومحيطها وأعلى جبالها الخ وأوصاف المريخ وحجمه وقراءه المشتري وحجمه وصورته الشمسية مرسومة وأقماره التسعة التي كشف بعضها قريبا وزحل والكلام على أوصافه وأقماره العشرة ورسم صورته الشمسية وحلقاته ظاهرة ونبتون وأوصافه

- وأقاربه الأربعة . وهناك سيارات صغيرة . والكلام على ذوات الأذنان وانها تزيد عن (٨٥٥) وربما ستزيد في المستقبل عن ملايين ومنها (هالي) تدور في (٧٩) سنة دورة وأخرى في (٣) سنين تقريبا وأخرى (٣٥) قرنا دورة واحدة وأخرى لا ترجع البتة
- ٧٥ صورة شكل ذات ذنب ترجع بعد (٣٥) قرنا . الحجارة الجوية والشهب . الكلام على القمر وأبعاده وأوصافه . الكلام على الشمس وأوصافها . نسبة ضوء القمر الى ضوء الشمس والى ضوء السماء الراح مشابهة تلك النسب الضوئية في الشمس والكواكب الى اختلاف عقول الناس في العلم والحكمة
- ٧٧ آراء صفار العلماء وجميع العامة في أمة الاسلام . ان النظر سطحي كنظر البهائم والجهلاء والسذج (اللطيفة الرابعة) - ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم الخ - . ملخص مانقل عن الأرواح في حال الموت في الجمعيات النفسية . المقصد الثالث - إن الله فائق الحب والنوى -
- ٨٠ بيان اخراج الحي من الميت وكيف كانت هناك حيوانات تتصاعد مع الأبخرة الخ
- ٨٢ تفسير قوله تعالى - فائق الاصباح الخ - وموازنة كلام العلامة (سقراط) بما في هذا المقام وذكر خمس لطائف عجائب النور وغرائبه وأن النور والصوت والحرارة والكهرباء ما هي إلا حركات في الجو
- ٨٣ حواسنا علمها قليل لانعرف ما بعد اللون والبنفسجي . أعمال الضوء ادارة العالم الأرضي التبادل بين الحيوان والنبات
- ٨٤ زيادة ايضاح . كيف يتكوّن الحيوان فالعظام من المعادن والعضلات من النتروجين الخ ورقة شجرة فيها ألف ألف فتحة . الجذور وعجائبها وانها تخرب الأبنية
- ٨٦ (لطيفة في قوله تعالى - فائق الاصباح -) وبيان أن أهل الأقطار الثلجية يرون شققا جميلا بهجا وتلك الأضواء تتلألأ على الشاوج فيحدث ضوء بهيج واشراق بديع يسر الناظرين (اللطيفة الثالثة - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها الخ)
- ٨٧ ابعاد الكواكب قد بلغ بعد بعضها عنا ٣ ألاف ألف سنة نورية والكلام على أقدار الكواكب وهي ٣٠ بعدها (٧٩) ألف ألف كوكب وأن هناك سديم يبعد شئنا (٥٦) ألف ألف سنة نورية
- ٨٨ (اللطيفة الرابعة - هو الذي أنزل من السماء ماء -) الكلام على الثلج وهناك يحصل أنواع من المناظر العجيبة المنعكسة عن الثلج . الثلج المسهل للسير وهو في بلاد لابونيا وسيبيريا والمسكوف
- ٨٩ اختفاء النبات في الثلج ثم ظهوره بعد الثوبان بشكل عجيب . ألوان ماء البحر . يظهر في البحر بين المدارين أنوار كأنوار الكواكب . المياه المعدنية وهي كبريتية وغازية وحديدية الخ
- ٩٠ - انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - وبيان أن هذا أصل عظيم لعلم النبات والكأس والتويج واختلافها كل ذلك يتنوع على حسب تنوع النبات
- ٩١ عجائب البزر فهو يكون بزره ويزيد في رأس الخشخاش (٣٣) ألف بزره وبيان اختلاف العلماء في كيفية تقسيم النبات وتوزيع المؤلف أمة الاسلام لنومها عن هذه العاوم انى أمر بها الله هنا فقال - انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - ورسم الزهرة بالتصوير الشمسي
- ٩٣ أشكال هندسية عرسومة بالتصوير الشمسي تبين صور الطلع أى الحبوب الدقيقة
- ٩٣ المقصد الرابع - وجعلوا لله شركاء - الى قوله - إنه لا يفلح الظالمون - التفسير اللفظي لهذه الآيات
- ١٠٣ لطائف ستة (اللطيفة الأولى والخامسة) في قوله - وكلهم الموتى - وفي قوله - يامعشر الجن والإنس - عجائب القرآن ومعجزاته في هذا الزمان

- ١٠٤ مناجاة الأرواح
- ١٠٥ ﴿ اللطيفة الثانية - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًا شياطين الانس والجن الخ ﴾
- ١٠٦ ان ما كشف من الكواكب وغيرها عدة مستقبلا بعد الموت لتفرج به أرواحنا هناك
- ١٠٦ ﴿ اللطيفة الثالثة - وان قطع أكثر من في الأرض يضاوكم الخ ﴾ وبيان أن بني آدم مسوقون برؤسائهم في الدين والدنيا ولو كانوا مخطئين وان المذاهب الاسلامية تتبع بالتوارث
- ١٠٨ الكلام على قوله تعالى - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها - وقوله تعالى - ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء - وبيان أن بعض مشايخ الطرق وبعض العلماء والأصمراء في الاسلام يكونون آفات الأمم الاسلامية الخ . المقصد الخامس - وجعلوا لله مآذرا من الحرب - الى - يعدلون - تفسير هذه الآيات
- ١١٠ الكلام على الزرع والشجر المبسوط على الأرض كالقرع أو على العريش كالعنب وغير المبسوط كالنخل وعجائب النبات وأن أغلبه ما يرى بالمنظار كالطحلب والعفونات فهي أشجار وجنات • بقية تفسير الآيات وهو قوله - والنخل والزرع الخ - والكلام على الابل والبقر والغنم والكلام على ثمانية الأزواج ذكر ما حرم على اليهود والكلام على قوله تعالى - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا الخ -
- ١١٥ عجائب النخلة ولم كان عليها ليف فهو كالمئزر
- ١١٦ حديثي مع فلاح مصري ذكرني الفؤاد • وذلك في زهرة القطن وعود النرة والفاحد الخ • ولم كان للانسان معدة واحدة وللبقر والجاموس مثلا أربع معدات • وبيان ذلك بالرسم موضحا
- ١٢٠ المقصد الخامس - قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - الى - وانه لغفور رحيم - وتفسير هذه الآيات
- ١٢٣ عجيبة من عجائب القرآن في هذه الآيات وهي - هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة الخ -
- ١٢٤ أهلك فرديناندوايزابلامسامي الأندلس ولايزال المسامون غافلين ولكن قد تنبه بعضهم • بيان عموم القرآن
- ١٢٦ اعتراض على المؤلف وجوابه بما في الحديث الشريف ورأى المفسر أن سبب ذلك المسامون جهلهم والجهل جاء من رؤساء الدين فهم لم يفهموا الشعب أن الدين يشمل سائر العلوم
- ١٢٧ بيان ما في أحاديث الصحيحين في تفسير - بعض آيات ربك - كالخسف والدجال وطاوع الشمس من مغربها
- ١٢٩ تفسير سورة الأعراف وتقسيمها الى تسعة أقسام
- ١٣٠ مقدمة تبين ارتباط سورة الأعراف بما قبلها وانها شارحة لما في آخر سورة الأنعام
- ١٣١ بيان موازنة أول سورة الأعراف بأوائل السور الماضية كلها وأن هذه انذار يفضي الى حرج القرآن ونهر النيل فاذا لم تكن سدود للنيل لا ينتفع المصري به للزرع هكذا القرآن واستنتج الله نفسه من القصة ليعلمنا فهم القرآن وفهم الحياة كلها
- ١٣٣ ﴿ المقصد الأول ﴾ قوله تعالى - المص - الى قوله - تشكرون - والتفسير اللفظي لهذا المقصد
- ١٣٤ كيف يقول المسامون اليوم - إنا ظالمون - حين يرون العذاب محيطا بهم مصداقا لهذه الآية
- ١٣٥ الوزن الحق يوم القيامة مشاهد نظيره في الدنيا فنقرأ العلوم الفلكية والكيمية فهم وزن الله والذين لا يعامون ضربت لهم الأمثال في الأحاديث المذكورة
- ١٣٦ ﴿ المقصد الثاني ﴾ - ولقد خلقناكم - الى قوله - تخرجون -
- ١٣٧ (التفسير اللفظي) • حجج ابايس وانها سفسطة
- ١٣٨ أهل الأرض الآن في الشرق والغرب لهم حجج في ذنوبهم وفي سياساتهم كحجج ابايس السفسطية

- ١٣٩ تفصيل الخداع لأنفس الناس في الارض
- ١٤١ ﴿المقصد الثالث﴾ - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا - الى قوله - لقوم يؤمنون -
- ١٤٢ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٤٤ ههنا ذكر الله نتائج الأصول الثلاثة في هذه القصة وهي اللباس والاغواء والحجة الداحضة
- ١٤٥ الكلام على الأكل والشرب واللباس والاسراف في ذلك وأن المسامين لما أسرفوا سلط الله عليهم الأمم
- ١٤٦ اسراف بعض ملوك الاسلام في عصرنا
- ١٤٧ بيان ما حرم الله في تفسير الآيات السابقة والاستمرار في تفسير الآيات المذكورة
- ١٥٠ ﴿الطيفة في قوله تعالى - يا بني آدم الخ -﴾ وتبيان أن علم الصحة واجب معرفته كالوضوء وما أشبه ذلك
- ١٥١ نبذة صالحة في علم الصحة لوقاية أجسامنا من الأمراض
- ١٥١ خواص الحرير والقطن والجلد وبيان الماء كل من الزبدة والبقول المختلفة
- ١٥٢ فوائد عامة في الملابس والماء كل والزبدة والبقول
- ١٥٣ الخضر • التوابل • الأغذية الخ
- ١٥٤ تنقية الماء ﴿وطرقه ثلاث﴾ نوى الشمس • الترشيح وأدوات الرش • اغلاء الماء
- ١٥٥ فوائد صحية • وبيان أن أسباب نقل المرض ﴿ثلاثة﴾ اما بالمباشرة • واما بواسطة الماء • واما بواسطة الحشرات • وبيان مرض البول الدموي (البهارسيا) ومرض الضعف العام (الانكاستوما)
- ١٥٦ الحشرات ﴿قسمان﴾ ضار • ونافع
- ١٥٧ الصراصير واحداثها السرطان • ومنظومة ممتعة في شروط الصحة
- ١٥٨ بقية المنظومة واتمام الكلام على الحشرات الضارة والنافعة وأن الله تكفل بالضارة وأرشدنا الى أن تكفل بالنافعة لنا
- ١٥٩ ﴿المقصد الرابع﴾ - هل ينظرون إلا تأويله - الى قوله - لقوم يشكرون - وتفسيره اللفظي
- ١٦١ بقية التفسير اللفظي والكلام على لفظ (يوم) في علوم البابليين والاشوريين وتقهر الاعتدالين عندهم
- ١٦٢ الكلام على عشر لطائف والوزن والميزان
- ١٦٣ تنفس الأرض • ﴿الطيفة الرابعة﴾ - يا بني آدم قد أنزلنا الخ - وأيضا قوله - وكلوا واشربوا -
- ١٦٤ حكاية العالم الصيني لما قابل المؤلف • رأى المفسر • عجائب الجذور الأرضية
- ١٦٥ - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم الخ - ذكرى أيام الشباب وطلب العلم وصلاة المؤلف ليلا وصيامه نهارا وهو يطلب حقيقة هذا العالم في الحقول • وكيف دهش المؤلف إذ رأى أن ما كان يفكر فيه في بلاد الفلاحين بلا علم هو نفسه الذي ارتقت به أوروبا وأمريكا وتعجب هو كيف كان المسامون محرومين من نفس دينهم الذي هو نفس تلك العاوم • جلد الحيوان وريشه وقطن الانسان • وكيف كان هذا أعظم حكمة
- ١٦٧ بيان معنى قوله تعالى - ولقد مكنناكم في الأرض - وكيف كانت دلائل وجود الأرواح في الأجساد هي الحركات والحس ودلائل مبدع الكون لاقتها
- ١٦٨ الكلام على الهيكل الانساني اجمالا وتشبيهه بالآلات البخارية • مشراط كونك صحيح الجسم وسعيدا نوع الله لنا الأغذية لأجل تنوع أعضائنا
- ١٦٩ مناقضات الصحة • ﴿الطباقي﴾ وهو المعروف بالدخان مضاره العديدة وعواقبه الوخيمة • ويلحق

- بالدخان الأفيون والحشيش والكافور وأمثاله . ﴿ اللطيفة الخامسة قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - ﴾
 ١٧١ الخطأ في املاء ديكزس بعد موته مصداق للقرآن . ﴿ اللطيفة السادسة والسابعة والثامنة ﴾ في أن
 حجب الناس عن انتقامات العالية من استعدادهم الخ
 ١٧٢ كلام الأرواح . ﴿ اللطيفة التاسعة في أصحاب الأعراف ﴾
 ١٧٣ - إن ربكم الله الذي خلق السموات الخ - ومطابقة العلم الحديث للحديث النبوي الشريف
 ﴿ عجينة في قوله تعالى - وهو الذي يرسل الرياح بشرا - ﴾ وكيف تهب الرياح في قارة آسيا وقارة استراليا
 وصيف كل منهما شتاء للأخرى فيهب الرياح من القارة الباردة زمن شتائها الى القارة زمن صيفها
 في وقت واحد وينعكس الحال بعد ستة أشهر . فسبحان مدبر الكون ومبدعه
 ١٧٥ ان أهل العلم في أرضنا يعلمون الاشتراك في المصالح لجميع أهل الأرض ولكنهم عند العمل يحجمون
 لنقص الانسانية . والأمة الاسلامية هي خير الأمم في المستقبل اذا تعلمت كالأمة وعلمتهم الانتفاع العام
 لأنهم رحمة للعالمين بالمراث عن نبينا ﷺ . وقد ألف المفسر كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ لهذا المعنى
 وقترظه الأوروبيون . وذكر خطبة (طاغور الهندي) في هذا المعنى والقرآن يوافق
 ١٧٨ سر - المص - وسر - ألم - في سورتي البقرة وآل عمران وسرها هنا . وهذا هو السر الذي ظهر
 في هذا الزمان
 ١٧٩ ﴿ القسم الثاني من السورة - لقد أرسلنا نوحا - الى قوله - عمين - ﴾ والتفسير اللفظي لهذا القسم
 ١٨١ ﴿ القسم الثالث والرابع من سورة الأعراف ﴾ من قوله - والى عاد - الى قوله - الناصحين -
 ١٨٢ الكلام على العماليق وعاد وعمود وارم ودولة الماديين والسكندان والاشوريين والمعيزيين باليمن وآراء
 المرجوم صديقنا الفاضل (كمال بك) إذ كشف أن لغة العرب هي فرع من لغة قدماء المصريين
 كشف الأمم العربية القديمة في هذه الأيام . كشف علماء ألمانيا والانجليز والفرنسيين وكشفهم
 مدينة ظفار باليمن ومدينة معين وسد الهرم ومدينة مأرب
 ١٨٤ عدد النقوش نحو ألفين نشرت في أوروبا بعد أخذها بالفتوتوغراف من بلاد اليمن والمسلمون نائمون
 ١٨٥ التفسير اللفظي لهذه الآيات . مقصود القصة في هذا الزمان
 ١٨٧ اعتراض على المؤلف وجوابه وأن القرآن المنزل بالصدق أولى باعتراف الحكمة وأن هذا هو أساوب
 الله تعالى في أول هذه السورة
 ١٨٩ الأطباء وبعض رجال الدين ورجال السياسة
 ١٩٠ ﴿ القسم الخامس - ولوطا إذ قال - الى قوله - عاقبة المجرمين - ﴾ والتفسير اللفظي لهذا القسم
 ﴿ القسم السادس - والى مدين - الى قوله - قوم كافرين - ﴾ والتفسير اللفظي
 ١٩٢ تطبيق ماجاء في قصة مدين وقوم لوط وعاد وعمود على حال المسلمين اليوم فان قلب الحقائق في بلاد
 الشرق واستغلالهم بظل الأمم الغربية يشبه قصة هؤلاء القوم
 ١٩٤ بيان أن هذا القسم درس عام على ماتقدم وأن المسلمين اليوم ليسوا في أسان كما جاء في الآية لجهلهم
 بهذا الوجود وما أبدع الله فيه من عجائب
 ١٩٥ تفسير بعض ألفاظ هذا القسم
 ١٩٩ ﴿ القسم الثامن ﴾ - ثم بعثنا من بعدهم موسى - الى قوله - ولعلمهم يرجعون -
 ٢٠٠ بيان أن هذه الآيات دالة على المجلس النيابي (البرلمان) عند المصريين

- ٢٥٤ هذا نص مافى التوراة فى مسألة اليد والعصا والضفادع الخ . وبقية التفسير اللفظى للقسم الثامن
- ٢٥٥ المصائب التى صبت على المسلمين بالأندلس أشبه بما وقع لفرعون وقومه وكلاهما لم يزدجر فزال ملكهما والأمم التى اعتبرت نصرت مثل دولة (بولونيا) واليونان والبلغار والسرب والجبل الاسود وبلاد روسيا وترك حديثا
- ٢٥٧ بتفرق العقائد فى الأمة المصرية القديمة قهرهم قبيل ملك الفرس هكذا تفرق المسلمون فحل بعضهم النذل
- ٢٥٨ تسعة أنواع من معاصى بنى اسرائيل . وبيان نصر الله للأخايعين كما نصر موسى
- ٢٥٩ تفسير قوله تعالى - وقال موسى لأخيه هارون الخ -
- ٢١٠ ملخص الوصايا التى تلقاها سيدنا موسى عليه السلام من ربه على الجبل منقولة من التوراة
- ٢١١ تفسير قوله تعالى - سأصرف عن آياتى الخ - . ماجاء فى التوراة من أخذ الألواح
- ٢١٢ اتخاذ الجمل وعبادته وأن صوته كصوت السيارات اليوم
- ٢١٣ (المبحث السادس) قوله تعالى - واختار موسى قومه سبعين رجلا - وتفسير ألفاظه
- ٢١٤ بيان سعة رحمة الله لكل شئ وإن أكثر ما نرى من الآلام انما يوجه لترقية اهلهم وتكميل الأجسام والعقول كالجوع يحث على الطعام كالندم لأجل الاقلاع عن المعصية والظلم
- ٢١٥ (المبحث السابع) - فسأ كتبها للذين يتقون - . وايضاح مقام الرحمة . لم خلق الانسان وهوى في آلام وذنوب وظلمات وما فائدته من الوجود
- ٢١٦ ايضاح هذا المقام وأن الناس فى هذه الأرض كأطفال فى مدارس يتعلمون ثم يرتقون بعد الموت على مقدار استعدادهم
- ٢١٧ تشبيه الناس فى الأرض بالتلاميذ فى مدرسة (روضة الأطفال) وذكر قول اللورد (أوليفر لودج) أن الناس فى الأرض بالنسبة للعوالم الروحية كالنمل بالنسبة لنا
- ٢١٨ الناس يرتقون فى الدنيا خمس درجات حسية بالحواس وخمسة أخرى بالمدارس أو بحوادث الدهر
- ٢٢٠ كيف نعتقد أن الله رحيم وهو يعذبنا . هل صانع العالم أرحم من الوالدين ومادليله
- ٢٢٠ بيان الحجاب المضروب بين الناس وبين فهم الرحمة . وأن الفقر والألم والحسد كل ذلك حجاب بيننا وبين النعم المحيطة بنا
- ٢٢١ ان قصة آدم وابلوس كلها بيان لعدم الشكر على الرحمة بالنعم العامة . الحكماء فى الأمم أشبه بحاستى السمع والبصر . شكر عبيد العصا الخ
- ٢٢٢ هل الموت ألم . ذكر كلام الغزالي أن ألم الموت يرجع الى فراق المؤلف . وذكر حوادث تدل على أنه ليس هناك ألم جسمى
- ٢٢٣ شاب وخطيبته متحابان والموت يتربص أحدهما والطبيب ينصحهما . وكيف اضطرب الشاب أولا ثم كيف اطمأن للموت آخر . لا أثر للفرع عند الموت وبيان المؤلف أن ذلك هو المناسب لرحمته تعالى ورأفته والعذاب يرجع للأخلاق والاحسرات والذنوب
- ٢٢٥ هذه الحوادث هى المفسرة لقوله تعالى - ورحمتى وسعت كل شئ - . وبيان أن للنمل قوايل تسهل خروج النورية من فيالجها أى شرايقها . وذكر سبع حوادث كانت العمليات الجراحية فيها سببا فى شفاء أمراض أخرى كالأعمى الذى داوى الطبيب الدم فى مخه فشفى وعاد اليه بصره . أو كالذى عمى فلما رعى أنفه بضربة شفى بصره حالا

٢٢٧ بيان أن هذا هو الذي يفيد اليقين وهو الذي أمر به الخليل عليه السلام . وأن البردي يقتل الحشرات والثلج يمنع ضرر البرد والشمس تزيل الثلج . كل ذلك رحمة واسعة . وبيان أن الناس لو عاشوا أمدًا طويلاً لكان ذلك خطأ لوجهين . شهود المناظر العجيبة في محاسن الطبيعة . وأن الناس شاهد ومشهود والأولون هم الحكماء والأنبياء والآخرون هم علماء الفنون الخاصة كالقنطرة والهندسة فهؤلاء كأنهم يمثلون في مسرح وأولئك يشهدون المناظر وهم الأبرار الذين هم في عليين

٢٣٠ بدائع سورة الأعراف . وأن الإيمان (قسمان) في هذه السورة . قسم لا نبات له بخوارق العادات وقسم ثابت دائم بالمعارف . وتفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً . وقوله تعالى - واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخ - . وبيان حال المؤاف أيام المجاورة بالجامع الأزهر وهو يتوق إلى معرفة هذه القرية

٢٣٣ لم يكن ابن عباس عند هذه الآية . قد أحس بما ينتاب أمتنا الآن . مستقبل اليهود بعد ذنوب آبائهم أخذهم الرشوة وقد نهوا عنها . اتمام تفسير هذه الآيات - وإذ نتقنا الجبل فوقهم الخ - . ذكر الحادثة الثالثة العامة لجميع الإنسان . وأن العلم عند أهل الصين وأوروبا والإسلام في أزمان مختلفة مصداق للآية فهو حجة على الناس . وبيان العناصر عند الفيلسوف الصيني وعند الفيلسوف اليوناني في زمن واحد . تمة تفسير - وإذ أخذ ربك من بنى آدم - والأحاديث الواردة في ذلك

٢٣٦ القسم التاسع . واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا - إلى آخر السورة والتفسير اللفظي لهذه الآيات ٢٣٨ تقرير حال العالم إذ أشبه الكلب بالانحطاط إلى طلب الدنيا . موازنة بين ذكر الكلب في كلام العرب وذكره في هذه الآية وأن الأديب لا يقدر أن يضرب مثلاً به كما ضربه القرآن

٢٣٩ تفسير - فاقصص القصص الخ - والكلام على أسماء الله الحسنى وبقية تفسير هذه الآيات

٢٤١ هذا ملخص تفسير قوله تعالى - أولم ينظروا الخ - وأنه شكر وتوحيد وفروض كفايات

٢٤٣ هل اخراج الزكاة من المال يغنينا عن البحث في استثماره والغريبون يستخرجون السكر من حثالة الخشب . حديث على كل مسلم صدقة . وأيضاً على كل عضو صدقة كل يوم

٢٤٤ تفسير قوله تعالى - وإن تدعوهم إلى الهدى الخ -

٢٤٦ الانصات عند سماع القرآن . وهل تجب القراءة خاف الامام والمذاهب في ذلك

٢٤٨ عجائب السموات غير ما تقدم . هل يتكوّن الحي من غير الحي

٢٤٩ مقاله علماء العصر الحاضر في الحياة من أين جاءت . الطائفة الثالثة . في قوله تعالى - يسألونك عن الساعة - . آلاف الحيوانات في حبة القمح تموت ثم تحيا

٢٥١ ملخص سورة الأعراف وأن - المص - تتضمن معناها

٢٥٢ اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما حصل للإسلام الآن وهو ملخص سورة الأعراف

٢٥٣ مثل أمة الإسلام اليوم مع ربها كمثل عبيد ملك